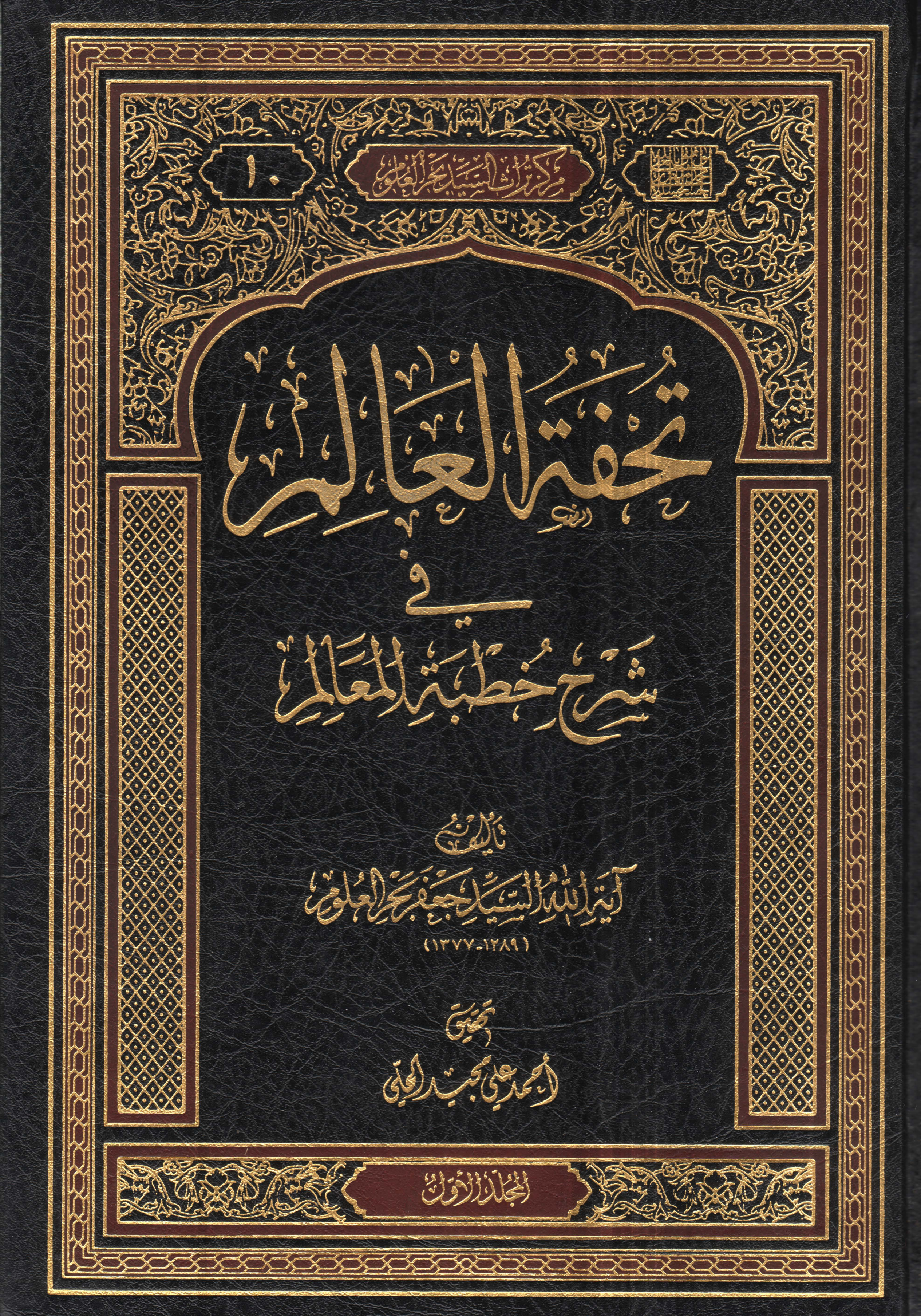
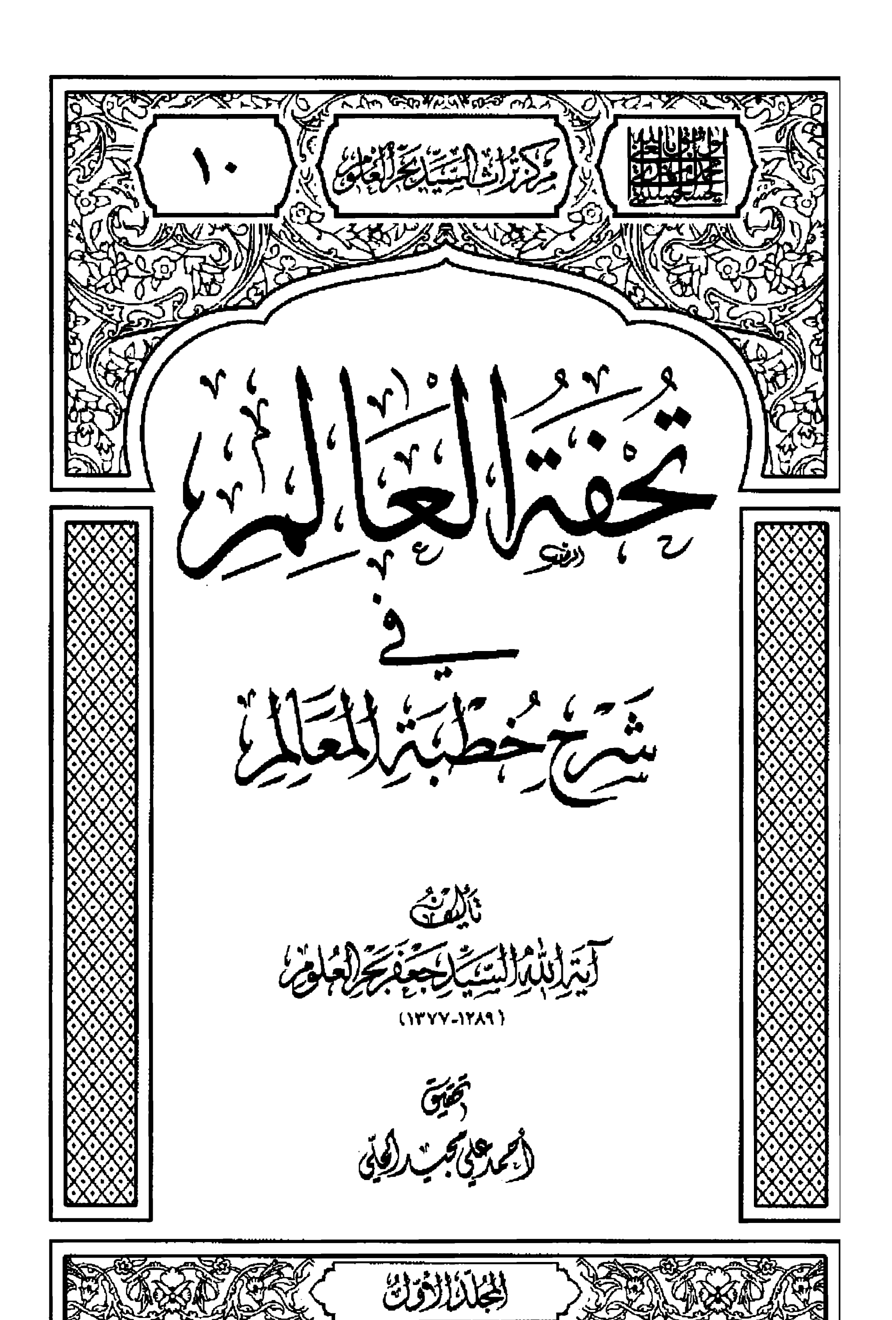

مركز تراث السيد بحر العلوم
١٠
تحفة العالم
في
شرح خطبة المعالم
تأليف
آية الله السيد جعفر بحر العلوم
(١٢٨٩-١٣٧٧)
تحقيق
أحمد علي مجيد الحلي
المجلد الأول


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



مركز تراث السيد بحر العلوم
١٠
تحفة العالم
في
شرح خطبة المعالم
تأليف
آية الله السيد جعفر بحر العلوم
(١٢٨٩-١٣٧٧)
تحقيق
أحمد علي مجيد الحلي
المجلد الأول

هوية الكتاب

اسم الكتاب: تحفة العالم في شرح خطبة المعالم(المجلد الأول)
المؤلف: آية الله السيد جعفر بحر العلوم
تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي
الطبعة: الاولى ، ١٤٣٣ هـ ق

مركز تراث السيد بحر العلوم
العراق ـ النجف الأشرف ـ حي الغدير
خلف فندق النجف السياحي
نقال: ٣٣٣٦٧٥٣٤ ـ ٠٠٩٦٤ / ٧٨٠٨٧٢٦٣٣٩ ـ ٠٠٩٦٤

الموقع : www.bahrululoom.org

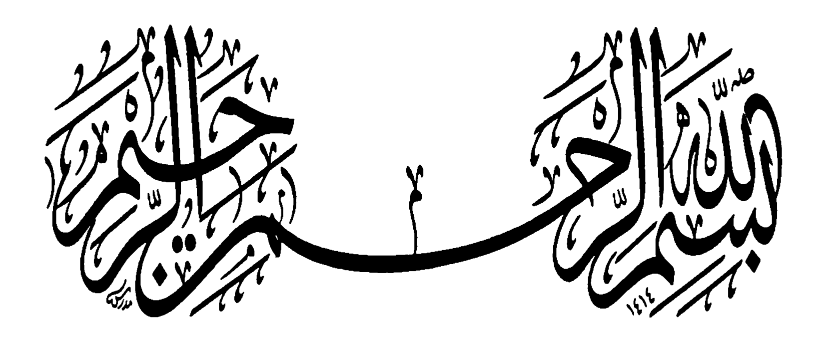
طبع على مطابع



شركة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427

فرع ثاني: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة - موبايل: ٠٧٨٠١٥٦١٩٨٠



مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، مُحمّدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإنه من دواعي سروري وغبطتي أن نوفّق لإخراج الاصدار العاشر والحادي عشر من نتاج مركز تراث السيد بحر العلوم قُدِّسَ سِرُّهُ خلال فترة زمنية قد تتجاوز السنتين، أو أكثر قليلاً، لاسيما إنَّ لهذا الكتاب ميزةً خاصةً؛ بإعتباره انه بمثابة دائرة معارف منوّعة شاملة.

وهو يمثل واحد من أهم ما كتب في هذا الموضوع، وبشهادة أكثر من محقق، فهو شرح لخطبة المعالم والتي هي عبارة عن مقدمة كتبها الشيخ حسن إبن الشهيد الثاني مؤلف كتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين، والذي كان ولا يزال من أهم الكتب الأصولية الحية التي لا تزال تُدرّس على نطاق واسع في الحوزات العلمية، والمقدمة كتبها المؤلف عن قيمة العلم والتعلم والتفقه، تكاد تكون من أفضل ما كتب عن الموضوع، وقد قام السيد الجد قُدِّسَ سِرُّهُ بشرح هذه الخطبة شرحاً مفصّلاً، وافياً جامعاً مانعاً، فأعطى الموضوع حقه، واصبح الكتاب كشكول رائع نادر: (مبتكر في موضوعه، فريد في بابه، جم المعارف، غزير الفائدة،

ضمّ بين دفتيه نكتاً ظريفة من دقائق العقائد، والفقه وأصوله، والتفسير والتاريخ والتراجم والأدب ما لا يستغني عنه العالم والمتعلم)[١].

والكتاب كما ذكره صاحب الذريعةقدس سره في جزئين أولهما في شرح نفس الخطبة، وفيه ذكر تواريخ المعصومينعليهم السلام من الولادة إلى الشهادة، وذكر مشاهدهم وقبورهم، وتواريخ المشاهد وما طرأ عليها من العمارة والخراب وساكنيها، وغير ذلك، وذكر أولادهم وتواريخ أحوالهم، والجزء الثاني في شرح الأحاديث المصدر بها (كتاب المعالم) بعد الخطبة، وهي تسعة وثلاثون حديثاً، في فضل العلم والعلماء، تكلم أولاً في أحوال كل واحد من رجال السند، جرحاً وتعديلاً، ثم بحث في دلالة متنه، وما يستفاد منه، فهو كتاب علمي تاريخي رجالي[٢].

وأما سيدنا الشارح السيد جعفر آل بحر العلوم، فقد تمت ترجمته في مقدمتي كتابيه أسرار العارفين في شرح دعاء كميل، وتحفة الطالب في حكم اللحية والشارب، وكذلك كتب عن حياته الأخ المحقق الأستاذ أحمد الحلي وقد أعطى الموضوع حقه وأجاد فأفاد، كما أن هناك ترجمة وافية له للعلامة الحجة السيد أحمد الأشكوري قد إنتقى منها الأخ الحلي شطراً، ووضعها في مقدمته، لا بأس بالرجوع إليها لمن يريد المزيد من التفاصيل.

ونأمل بالمستقبل أن تصدر مجموعة مؤلفات السيد الجدقدس سره في مجموعة كاملة، وأسأل الله العلي القدير أن يوفقنا للعثور على المفقود من آثاره، لاسيما

(١) من الصفحة الأولى من الطبعة الأولى من الكتاب.

(٢) انظر: الطهراني آقا بزرك، الذريعة، دار الأضواء، ج٣، ص٤٥١.

الكشكول، وكذلك أن يمكننا من إعادة طبع الكتب المفقودة الأخرى، إنه سميع مجيب.

وفي النهاية أود أن أقدم جزيل شكري وإمتناني للأخ المحقق الأستاذ أحمد الحلي لما أبداه من جهد ومثابرة في التحقيق، وللأخ العلامة الشيخ ماجد الصيمري لقيامه بعملية التصحيح النهائية، وأخيراً الأخ العزيز العلامة الشيخ كاظم البهادلي؛ لجهوده الجبارة في مختلف المجالات، فلولاه لما تمكنا من إخراج هذا الإصدار، وكذلك معظم الإصدارات الأخرى، سائلاً المولى جلّ وعلا أن يوفقه لما فيه خير الدارين، إنه أرحم الراحمين.

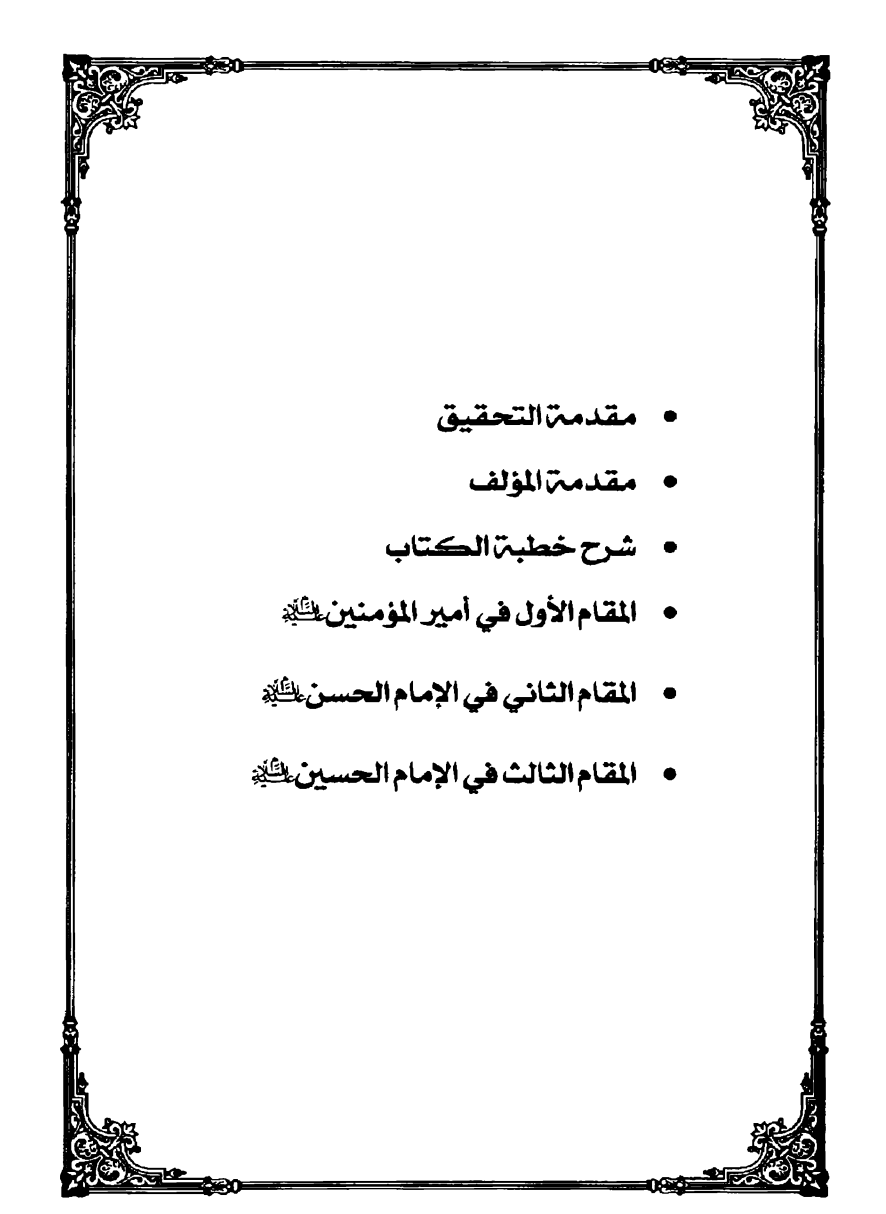
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين.

مركز تراث السيد بحر العلوم

فاضل بحر العلوم

لندن ٢٠١١/٠٨/٢٨م

٢٧ رمضان ١٤٣٢هـ



- مقدمة التحقيق
- مقدمة المؤلف
- شرح خطبة الكتاب
- المقام الأول في أمير المؤمنين عليه السلام
- المقام الثاني في الإمام الحسن عليه السلام
- المقام الثالث في الإمام الحسين عليه السلام

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أتحف العالم بالعلم وزيّن به العلماء، والصلاة والسلام على أشرف خلقه مُحَمَّد خاتم الأنبياء، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأتقياء، وبعد:

فقد دأب علماؤنا الأعلام ـ من خلال مواكبتهم للعلم ـ على الانكباب على بعض الكتب الدراسية وغيرها، بين درس وتدريس، وشرح وتعليق، وحاشية وفهرسة وتبويب، إلى ما يطول سرده، والشواهد على ذلك كثيرة نعيشها صباح مساء بالرواية والدراية في الزمن الغابر والحاضر.

والكتاب الذي بين أيدينا، هو عبارة عن شرحٍ لمقدّمة أحد الكتب الدراسية المعروفة، فمعالم الأُصول كتاب تناوله طلاّب العلم بالاهتمام الذي قلّ نظيره، فكان له الحظ الوافر من بين تلك الكتب، شرحاً له وتعليقاً.

وكتابنا (تحفة العالم) اسم على مسمّى، موسوعة تاريخية، رجالية، حديثية،...، تظهر فيها موسوعية مؤلّفها العلمية وتضلُّعه في الكتب والأسفار، كما يظهر ولاؤه أيضاً من خلاله تناوله سيرة الأئمة عليهم السلام في مساحة شغلت أكثر من نصف الكتاب بالتحقيق والتدقيق ورفع الشبهات، وحتى لا نطيل الكلام على القارئ العزيز؛ أترك له التعرّف على الكتاب بمطالعته، بعد ما أقدّم له ـ كما هو المتعارف في فن تحقيق الكتب التراثية ـ مقدّمة أُعرّف فيها المؤلّف والمؤلَّف تباعاً:

ترجمة المؤلف رحمه الله:

آل بحر العلوم: إنَّ الحديث عن هذا البيت الكريم طويل لا يسعه هذا المجال الضيِّق، فضلاً على الحديث عن واحد عيلم منهم، فالنوابغ من هذه الأُسرة العريقة في السيادة والآثار الدينية والعلمية كثيرون ليس هنا سعة لتعدادهم والتحدُّث عنهم، فقد ملأوا تاريخ النجف بآثارهم ومآثرهم وشخصياتهم البارزة، بحيث عرفهم كلٌّ باحث اشتغل بالتاريخ والسِّير، ومنهم مؤلّف كتابنا هذا، وقد حاولت أن أجمع الشتات من ترجمته من بين المخطوطات والمطبوعات وأضعها بين يديك، وقد أطلت الحديث فيها عن مكتبته التي أهملها التاريخ وتناساها، فدونكها:

نسبه:

جاء نسبه المبارك في كتابه الماثل بين يديك عند ترجمة جدّه الحسن المثنى رضي الله عنه؛ فلذلك آثرنا ذكره عن قلمه، وهو: جعفر بن مُحَمَّد باقر بن علي بن رضا بن مهدي بن مرتضى بن مُحَمَّد بن عبد الكريم ابن السيِّد مراد بن شاه أسد الله ابن السيِّد جلال الدين أمير بن الحسن بن مجد الدين بن قوام الدين بن إسماعيل بن عبّاد بن أبي المكارم بن عباد بن أبي المجد بن عباد بن علي بن حمزة بن طاهر بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم الملقّب بـ(طباطبا) ابن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر ابن الحسن المثنى ابن الحسن المجتبى عليه السلام[1].

---

(١) كما تجد سلسلة هذا النسب الطاهر مع تفصيل لترجمة الآباء والأجداد في مقدمة كتاب الفوائد الرجالية ١: ١٢- ٢٥، خاتمة المستدرك ٢: ٤٤.

ولادته ونشأته:

ولد في النجف الأشرف في ٢٩ من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٩هـ كما وجد بخطّ جدّه السيِّد علي مؤلّف كتاب البرهان[١].

ومات أبوه وهو طفل صغير فربّاه جدّه السيِّد علي، وناهيك بتلك التربية من حيث العلم والأخلاق الإسلامية، والسيادة والشرف، والكرامة والمجد، والإيمان والتقوى[٢].

أساتذته:

نشأ على فضلاء أُسرته، وحضر في الفقه والأُصول على علماء عصره الفطاحل، ومراجع التقليد يومئذ، ونخصُّ بالذكر منهم:

١- الشيخ فتح الله بن مُحَمَّد جواد النمازي الشيرازي الإصفهاني النجفي الشهير بشيخ الشريعة الإصفهاني (ت ١٣٣٩هـ)[٣].

٢- السيِّد مُحَمَّد بن مُحَمَّد تقي آل بحر العلوم رحمه الله (ت ١٣٢٦هـ)، صاحب كتاب البُلغة[٤].

٣- الشيخ مُحَمَّد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند (ت ١٣٢٨هـ)، صاحب كتاب كفاية الأُصول[٥].

---

(١) ينظر: نقباء البشر ٢٨١، مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٣.

(٢) ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٣.

(٣) ينظر: مصفّى المقال ١٠٩.

(٤) ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤.

(٥) ينظر: نقباء البشر ٢٨١.

٤- السيِّد مُحَمَّد كاظم اليزدي رحمه الله (ت ١٣٣٧هـ)، صاحب كتاب العروة الوثقى، وكثيراً ما ذكره في كتابنا هذا ـ عند نقل بعض العبارات من عروته ـ بـ(الأُستاذ)[١].

مشايخه في الرواية:

١- الميرزا حسين بن مُحَمَّد تقي النوري رحمه الله (ت ١٣٢٠هـ)، صاحب مستدرك الوسائل[٢].

٢- الشيخ فتح الله بن مُحَمَّد جواد النمازي الشيرازي الإصفهاني النجفي الشهير بشيخ الشريعة الإصفهاني (ت ١٣٣٩هـ)[٣].

٣- السيِّد مُحَمَّد بن مُحَمَّد تقي آل بحر العلوم رحمه الله (ت ١٣٢٦هـ)، صاحب كتاب البُلغة[٤].

٤- السيِّد مُحَمَّد كاظم اليزدي رحمه الله (ت ١٣٣٧هـ)، صاحب كتاب العروة الوثقى[٥].

والأخيران من مشايخه أجازاه بالرواية والاجتهاد، وصرح السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله أنَّ صورتها في مجاميع آله الخطّية[١].

---

(١) ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤، نقباء البشر ٢٨١، وذكر السيِّد المرعشي في المسلسلات ٢: ١٤٣، أن من أساتذته أيضا الشيخ مُحَمَّد طه نجف والحاج ميرزا حسين الخليلي، ولكن كانت أكثر استفاداته العلمية من شيوخه الأعلام المذكورين أعلاه.

(٢) ينظر: الإجازة الكبيرة للمرعشي ١٥٩.

(٣) ينظر: الإجازة الكبيرة للمرعشي ١٥٩.

(٤) ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤، معارف الرجال ١: ٨ و١: ١٨٣، ٢: ٣٨٣.

(٥) ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤، إجازته للسيد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم ضمن كتاب (إجازاتي) للمجاز (مخطوط)، الدرر البهية (مخطوط).

المجازون منه:

١- السيِّد شهاب الدين المرعشي النجفي (ت ١٤١١هـ)، أجازه بتأريخ ٢٠ صفر الخير سنة (١٣٥٠هـ)[٢].

٢- الشيخ مُحَمَّد ابن الشيخ علي حرز الدين (ت ١٣٦٥هـ)، صاحب كتاب معارف الرجال، أجازه بتأريخ ٤ محرم الحرام سنة (١٣٥٣هـ)[٣].

٣- العلاّمة السيِّد مُحَمَّد صادق ابن السيِّد حسن آل بحر العلوم(ت ١٣٩٩هـ)[٤]، فقد أجازه بتأريخ جمادى الأُولى من سنة ١٣٦٥هـ وصورة إجازته عثرت عليها في كتاب المجاز المخطوط المسمَّى بـ(إجازاتي) وتسلسلها فيه هو (٧)، وتقع في صفحة واحدة، وقد كتبها المجيز بخطه، وإليك نصّها:

إجازة ابن عمِّنا العلاّمة الكبير الحجّة السيِّد جعفر آل بحر العلوم رحمه الله

بسمه تعالى

أمّا بعدَ حمد الله الذي جعل ضياء العلم ناسخاً لظلام الجهالة، والصلاة والسلام على نبيِّه مُحَمَّد مُخمد نار الضلالة، وعلى آله الأئمّة الميامين وأُمناء الدين، ثُمَّ إنَّه لمّا جرت عادة العلماء الأوائل والأواخر بأخذ العلم من الأكابر وتلقّيه سلفاً عن سلف وكابراً عن كابر، وكان ممَّن رغب الدخول في تلك المسالك ابن الخال السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم الطباطبائي وفَّقه الله لمراضيه وجعل مستقبل أمره خيراً من

---

(١) ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤.

(٢) ينظر: المسلسلات في الإجازات ٢: ١٤٤، الإجازة الكبيرة ١٥٨ رقم ١٩٦.

(٣) ينظر: نقباء البشر ٢٨١، المسلسلات ٢: ٤٢، مقدمة معارف الرجال ١: ٨ ونقل الشيخ حرز الدين عنه بعض الحوادث التاريخية في كتابه معارف الرجال ١: ١٨٣، و١: ٣٥٥.

(٤) ينظر: المسلسلات ٢: ٢٥٩، فهرس مكتبة السيِّد مُحَمَّد صادق بحر العلوم ٢٢.

ماضيه، فاستجازني ـ دام توفيقه ـ وكان ممَّن أحسن وأجاد في تحصيل هذا الغرض، بل زاد الندب على المفترض، فلا جرم أنّي أجزت له أن يروي عنّي جميع ما جاز لي روايته عن شيخي أُستاذي خاتمة الفقهاء والمجتهدين البحر المتلاطم السيِّد مُحَمَّد كاظم اليزدي ـ طاب ثراه وجعل الجنة مثواه ـ عن مشايخه الكرام وأساتيذه العظام، وله أن يروي عنّي جميع ما برز منّي في قالب التأليف من الكتب والرسائل، منها كتاب تحفة العالم في شرح مقدَّمة المعالم، ومنها كتاب أسرار العارفين في شرح دعاء كميل الذي علَّمه أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها رسالة تحفة الطالب في حكم اللّحية والشارب، ومنها شرح نجاة العباد فيما يتعلَّق ببحث القبلة مفصَّلاً وشرح المواريث أيضاً، وإنّي ملتمس منه دام فضله أن يذكرني في الخلوات بصالح الدعاء وأشترط عليه أيضاً ما يشترطه المشايخ في جميع الطبقات، والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

وقد حرَّر بيده الجاني

جعفر نجل المرحوم السيِّد مُحَمَّد باقر

آل بحر العلوم الطباطبائي

جمادى لسنة ١٣٦٥

ختمه الشريف: جعفر الطباطبائي[(١)].

٤- العلامة الشيخ مُحَمَّد علي بن أبي القاسم الأوردبادي (ت ١٣٨٠هـ)[(٢)].

روايتي عن مؤلّف الكتاب رحمه الله:

---

(١) فهرس مخطوطات السَّيد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم ٢١٢، والنسخة بمكتبته رقمها ١٠٩.

(٢) أثبت روايته عنه المرعشي في كتابه المسلسلات ج٢ ص ٣٩، ولكن لم نجد تصريحاً منه رحمه الله بروايته عنه في شيء من إجازاته التي وقفنا عليها، فلاحظ.(وينظر: السبيل الجدد إلى حلقات السند: ٢٦٥ رقم ٦٢ مطبوع ضمن مجلة علوم الحديث، ع٢، س١)

فأنا أروي عن مؤلّف الكتاب رحمه الله بما أجازني به سماحة المحقّق العلاّمة السيِّد مُحَمَّد رضا الحسيني الجلالي دامت تأييداته بتاريخ ١٠ شوال من سنة ١٤٢٨هـ عن المحقق السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله عن المؤلّف رحمه الله.

قالوا فيه:

١- الشيخ أقا بزرك الطهراني رحمه الله (ت ١٣٨٩هـ): (... وهو اليوم شيخ هذا البيت)[١].

٢- الشيخ مُحَمَّد حرز الدين رحمه الله: (عالم فاضل أديب، راوية لسير العلماء الأعلام، معاصر، حضر على علماء عصره وكتب ما أملته عليه أساتيذه، وكان فطناً مستحضراً لمتون الأخبار)[٢].

٣- الشيخ جعفر محبوبة رحمه الله (ت ١٣٧٧هـ): (...وهو اليوم الزعيم الديني في بيته، والمبرَّز من رجاله، تخرج على علماء عصره....)[٣].

٤- السيِّد مُحَمَّد مهدي الموسوي الكاظمي الإصفهاني: (...العالم المعاصر السيِّد جعفر سلّمه الله تعالى، له مؤلّفات جيدة تشهد بسعة اطّلاعه)[٤].

٥- الحاج الملا علي الواعظ الخياباني التبريزي (ت ١٣٦٧هـ): (هو العلاّمة الناقد البصير، والمحقق الفاقد النظير، حجة الإسلام، علم الأعلام، سناد العلم الشامخ، وعماد الفضل الراسخ، أسوة العلماء الماضين، وقدوة الفضلاء الباقين، بقية نواميس

---

(١) الذريعة ٢٣: ٢٠٤.

(٢) معارف الرجال ١: ١٨٢ رقم ٨١

(٣) ماضي النجف وحاضرها ١: ١٦٧.

(٤) أحسن الوديعة ٢: ٢٢٦.

السلف، ومرجع مشايخ الخلف، أمره في علو قدره، وعظم شأنه، وسمو رتبته، ودقة نظره، وإصابة رأيه، أشهر من أن يذكر، وأبين من أن يسطر، لا زال موفَّقاً ومحروساً بحراسة الربِّ العلي)[١].

٦- السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله: (كان قدس سره دمث الأخلاق، جامعاً، حاوياً لعامّة العلوم الإسلامية، مطّلعاً على التاريخ وتراجم الرجال، وله اطّلاع واسع في علم الدراية والحديث)[٢].

٧- الدكتور مُحَمَّد هادي الأميني رحمه الله: (من أعلم العلماء والأعيان ورجالات التحقيق والفضيلة، عالم متتبع ثبت ورع، مدقق أُصولي، متبحّر في التاريخ والقضايا الأدبية والتراجم، ورع عابد كريم دمث الأخلاق، له اليد الطولى في علم الحديث والدراية...)[٣].

٨- مُحَمَّد علي التميمي رحمه الله: (من العلماء الأعلام المعروفين والشخصيات الفذَّة، وهو شيخ هذه الأُسرة وعميدها وكبيرها... وهو الآن في منتصف العقد التاسع، محترم الجانب، وشخصية مهمة لها أثرها في المجتمع النجفي العلمي، له مكانة سامية عند رجال العلم والأدب)[٤].

٩- العلاّمة السيِّد أحمد الحسني ـ حفظه الله ـ: (كان عالماً جليلاً أديباً رواية لسير العلماء الأعلام، ذا اطلاع واسع بالأحداث التاريخية والوقائع الإسلامية، فطناً

---

(١) علماى معاصر: ٤١٧، وأثنى عليه كثيراً وذكر زيارته له في سنة ١٣٥٨هـ وأهداه فيها كتابه تحفة العالم ونقل بعض النوادر منه.

(٢) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤.

(٣) معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١: ٢١٤.

(٤) مشهد الإمام ٣: ٥٨، كما مدحه الكثير من الفضلاء أمثال السَّيد المرعشي في المسلسلات ٢: ١٤٤، وذكر أقوالهم جميعاً يخرجنا عن أصل الموضوع.

مستحضراً لمتون الأخبار والروايات، دمث الأخلاق فاضل الروية، تعلو أساريره آثار الوقار والطمأنينة.

وكان ذا شخصية مهمة لها أثرها في المجتمع العلمي النجفي، له مكانة سامية عند رجال العلم والأدب، انتهت إليه رئاسة بيت (بحر العلوم) في حينه، وبذلك أصبحت له الكلمة المسموعة بين سائر الناس)[١].

حجّه وما قيل فيه:

قال فيه الشيخ عبد الغني آل الشيخ خضر قصيدة بمناسبة قدومه من الحج سنة ١٣٥٦هـ وفيها مدح ولديه السيِّد هاشم والسيِّد مهدي:

كُلُّنا صبٌّ فحرّكْ تَجِدِ ... واشرحِ الشّوقَ بهذا المعهَدِ

يا أحبّايَ لقد أمرضني ... وأباد الصّبرَ خُلفُ الموعدِ

كمدٌ أودى فؤادي حَرُّهُ ... حين شبّت نارُه في كبدي

كلُّ جُرحٍ في فؤادي والحشا ... يشتفي إن كنتمُ من عُوَّدي

أقطعُ البيدَ اشتياقاً لكُمُ ... بحشاً من وجدِه مُتَّقدِ

قاصِداً للوصل لكِنَّ القضا ... دامَ أنْ يمنعني عن مقصدي

كيف أسلو عن ليالٍ بتُّها ... بين غيداءَ وريمٍ أغيَدِ

حيثُ كم من معهدٍ دارت به ... أكؤسُ الرّاحِ برغمِ الحُسَّدِ

يا أحبّايَ وما أعذبَها ... نُدبةً تُذهِبُ عنّي كمدي

أنا إنْ غبتم بقلبٍ مُوجَعٍ ... ومن الوجد بطرفٍ أرمَدِ

---

(١) المفصّل في تراجم الأعلام.

ولَكَــمْ أذكــركم مهــما بــدا قمــرٌ في جــنح ليــلٍ أســودِ

ولَكَــمْ أشــتاقُكُم في كبــدٍ هــي مــن نــارِ الهــوى لم تَــبرُدِ

أنــا والــنّجمُ أسـيران معــاً وكلانــا في غــرامٍ سرمــدي

غــير أنّي رقّ قلبــي في الهــوى وهــو مــا انفــكّ شــديدُ الجَلَــدِ

أيُّهــا الــنّجم لَظُلْــمٌ أن أرى تقطــعُ الــدّهر بعــيشٍ رَغَــدِ

وأنــا مــا طــاب لي عــيشٌ ولا راق يــا نجــمُ بِعَيْنــي مــوردي

هــل تــضمُّ الـصبَّ أبــرادُ الإخــا مَعَكُــم قبــلَ الفــراقِ الأبــدي

فَــصِلونا فــالهوى طــابَ لنــا بإيــاب الــسيِّد المُعتَمَــدِ

(جعفــرٍ) مَــنْ كــان في كــلّ عُــلاً ســيّداً أكــرِمْ بــه مــن ســيّدِ

مــا رأوا أسرعَ منــه في النــدى لا ولا أخطــبَ منــه في النَّــدِي

بــسناه يُهتــدى إذ إنَّــه علــمٌ في شرع طاهــا (أحمــدِ)

عَقُمَــت أُمُّ العــلا عــن مثلــه ولقــد همّــتْ ولمّــا تَلِــدِ

فتــزوّد منــه علــماً نافعــاً وعــلى أنــواره فاسترشِــدِ

كــبَّر الحُجّــاج لمّــا شــاهدوا (جعفــراً) يــسعى بــذاك المــشهَدِ

نظــروا في وجهــه (بــدراً) ومــن حلمِــهِ لاذوا بِجَنْبَــي (أُحُــدِ)

فــإلى نجليــكَ ينقــاد الهنــا فهــما رمــز النُّهــى والــسؤددِ

وهمــا بــدران في أُفُــق العُــلا أشرقــا نــوراً بهــذا البلــدِ

لــستُ أدري مــا تقــول الــشُّعَرا وإلى وصــــفيهما لم تهْتَــدِ

إنّ بيتــاً شــادَه (مهــديُّكم) حــقّ لــو نــالَ منــالَ الفرقَــدِ

فاسلموا ما لا طفت ريحُ الصَّبا   زهرةَ الرّيحانِ في الروض النَّدِي[1]

من شعره:

لم نعثر على شيء من شعره سوى بيت واحد ذكره في كتابه هذا، مما يدل على قدرته على النظم، خصوصاً إذا ما عرفنا أنَّ هذا البيت الواحد هو من أدب التأريخ الذي لا ينظمه إلا المهرة من أهل هذا الفن، وهو:

ومُذْ فرشَ السلطانُ ساحةَ حيدرٍ   فراشَ عُلاً أرِّخْ (لقد فَرَشَ العرشا)

وحادثته: أنَّ في شهر شوال سنة ١٣١٥هـ قُلعت أحجار أرض الصحن المقدَّس بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، وأُصلحت السراديب وأُعيدت على ما هي عليه اليوم، فظهرت هناك قبور بعض السلاطين وشاهدها كثير من النجفيين، ومكانها تحت القبور التي يدفن بها الآن، وكان تمام العمل سنة ١٣١٦هـ يوم الخميس عاشر جُمادى الثانية.

مؤلفاته:

١-أنوار الرشاد في شرح نجاة العباد[2]، شرح بـ(قال ـ أقول)، خرج منه مجلّد الصلاة، ومجلّدٌ في الإرث، وهو شرح مزجي، مجلَّده الأول بخط المؤلّف رحمه الله من أول كتاب الصلاة إلى آخر لباس المصلّي، آخره: (ويتلوه في

---

(١) ديوان عبد الغني الخضري: ١٦٧- ١٦٩، الرحيق المختوم في ما قيل في آل بحر العلوم (مخطوط) : ٦٧٦- ٦٧٨.

(٢) كتاب (نجاة العباد) رسالة عملية استخرجها شيخ الفقهاء المتأخرين صاحب الجواهر (قده) (ت ١٢٦٦هـ) من موسوعته الفقهية الشهيرة (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) لعمل المقلدين.

الجزء الثاني مكانُ المصلّي)، فرغ منه ثامن جمادى الثانية سنة ١٣٢٦هـ وعلى ظهره تقريظ أُستاذه السيِّد مُحَمَّد كاظم اليزدي، وأول التقريظ: (نحمدك اللهمَّ على ما منحت به العلماء من حفظ شرائع الإسلام، ورفعت قدرهم من بين الأنام؛ لشرحهم ما فيه نجاة العباد، وبيانهم قواعد الأحكام، ونصلّي ونسلّم على مُحَمَّد وآله الكرام...)، وذكر المؤلف أنه لم يتم له (مكان المصلّي)، وفرغ من المجلد الثاني في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٢٩هـ غير مطبوع[(١)].

٢-أسرار العارفين في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: وهو الدعاء المرويُّ عنه، المشهور بدعاء كميل بن زياد رضي الله عنه، فرغ من تأليفه سنة ١٣٣٠هـ

طبعاته:

أ- المكتبة المرتضوية، النجف الأشرف، سنة ١٣٤٢ هـ طبعة حجرية، الحجم وزيري، ١٥٤ صفحة[(٢)].

ب- تحقيق فارس حسون كريم، فدك لإحياء التراث، قم المقدَّسة، سنة ١٤٢٨هـ الحجم وزيري، ٤٩٨ صفحة.

ج- تحقيق الشيخ عبد الرحمن الربيعي، ضمن منشورات مركز تراث السيِّد بحر العلوم قدس سره رقم (١)، قم المقدَّسة، سنة ١٤٣٠هـ حجم وزيري، ٤٦٢ صفحة.

د- تحقيق السيِّد علي الخراساني، المكتبة الحيدرية، قم المقدَّسة، ١٤٣٠هـ الحجم وزيري، ٨٩٦ صفحة، دون التعريف بالمؤلف.

---

(١) الذريعة ٤: ١٠١ رقم ١٩٠٢، ٢٦: ٥٩ رقم ٢٧٧، نقباء البشر ٢٨١، وفي مقدمة الفوائد الرجالية ص ١٥٤: أنه كتاب نفيس.

(٢) الذريعة ٢: ٥١ رقم ٢٠٤، معجم المطبوعات النجفية: ٧٦ رقم٨٣

والطبعات الثلاث الأخيرة حُقّقت على الطبعة الأولى من الكتاب دون النسخة الخطّية.

وتوجد منه نسخة خطّية في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، وهي برقم (٢/١٠١)، الحديث والدعاء تسلسل ٢٩٠٩، والنسخة مختومة بختم المكتبة بعدد ٢٩٠٩ وتاريخه ١٣٨٨/٣/١هـ الناسخ: السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله، تأريخ النسخ: في شهر جمادى الأُولى سنة ١٣٤١هـ والنسخة استنسخت على نسخة المصنِّف، ومن ثمَّ قوبلت بتمام بذل الجهد والطاقة، وكتب الناسخ في أولها ما نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هديَّتي لمكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رمزاً للولاء والإخلاص له عليه السلام، ٢٤ صفر سنة ١٣٨٧هـ كتبه مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم:

إنّ ما أهديتُهُ رمزُ الولا ... لعليٍّ مَن فِداهُ العالَمونْ

راجياً يشفَعُ لي مِنْ فَضلِهِ ... يَومَ لا ينفَعُ مالٌ وبَنونْ

مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم، توقيعه مع صورة شخصية له[1].

١. تحفة الطالب في حكم اللّحية والشارب، فرغ منه سنة ١٣٤٤ هـ وكان اسمه قبل الطبع (منية الطالب في حكم حلق اللحية والشارب)، رتَّبه على مقدِّمة وأبواب وخاتمة[2]، كما ورد باسم (بغية الطالب) في مقدِّمة الفوائد الرجالية،

(١) فهرس مكتبة السَّيد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم ٣٢١.

(٢) الذريعة ٢٣: ٢٠٤ رقم ٨٦٤٠

ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف[1]، وذكر الشيخ الطهراني أنه ترجمه للفارسية وطُبع في النجف الأشرف أيضا[2].

طبعاته:

١- في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧هـ حجم الثمن، ١٠٠ صفحة[3].

٢- تحقيق الشيخ مُحَمَّد الباقري، ضمن منشورات مركز تراث السيِّد بحر العلوم قُدِّسَ سِرُّهُ رقم (٢)، حجم وزيري، ١٧١ صفحة، سنة ١٤٣٠هـ

٣-تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، الكتاب الذي بين يديك، يأتي الحديث عنه لاحقاً.

٤-كشكول، حاوٍ لعامّة المعارف، وهو من التحف النادرة، غير مطبوع[4].

وغيرهما من المؤلّفات الجليلة والرسائل النفيسة، لا تزال مخطوطة[5].

مستنسخاته:

استنسخ كتاب (الفوائد الغروية والدرر النجفية) للمولى الشريف أبي الحسن الفتوني العاملي (ت ١١٣٨هـ) عن نسخة الأصل التي بخط مؤلّفه رَحِمَهُ اللهُ، والموجودة في بيت آل الجواهر في النجف الأشرف[6].

---

(١) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٢١٤.

(٢) الذريعة ٧: ٦٣ رقم ٣٣٨، نقباء البشر ٢٨١ رقم ٥٩٣.

(٣) الذريعة ٣: ٤٤٨ رقم ١٦٢٨، معجم المطبوعات النجفية: ١١٩ رقم ٣٢٤.

(٤) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤.

(٥) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤.

(٦) الذريعة ١٦: ٣٥٣ رقم ١٦٣٩.

مكتبته:

امتازت أُسرة المؤلّف رحمه الله باهتمامها بالكتب والمكتبات إلى يومنا هذا، ولنا شواهد كثيرة في ذلك يطول سردها، ونكتفي بما قاله عنهم وعن مكتباتهم فيليب دي طرازي عند تعداده لمكتبات النجف الأشرف؛ إذ قال ما نصّه: (لأصحاب هذه المكتبات مكانة أدبية تدل عليها كنيتهم (آل بحر العلوم)،فقد قام منهم فقهاء ومحدِّثون وشعراء ولغويون عززوا المعارف ما بين أبناء الشيعة في تلك الأرجاء، وتفرَّدوا خصوصاً بجمعهم مخطوطات قديمة ذات فوائد أدبية أو قيمة أثرية)[١] [٢].

ولقد قمت بجمع معلومات من هنا وهناك، عن هذه المكتبة فصارت موضوعاً يستغني به الباحث عنها، وفصلتها بين يديك مع جمعٍ لأقوال بعض المعاصرين لمؤسِّسها، وغيرهم في حقها وعن تاريخها وعن بعض ما تحتويه من نسخ، فدونكها:

---

(١) خزائن الكتب العربية في الخافقين ١: ٣٠٣.

(٢) وينظر عن مكتبات أسرة آل بحر العلوم بالتفصيل: خزائن الكتب العربية في الخافقين ١: ٣٠٣- ٣٠٤، موسوعة العتبات المقدَّسة ٧: ٢٧٠-٢٧١، و٢٧٦- ٢٧٧، و٢٨٣-٢٨٤، و٢٩٧-٢٩٩، و٣٠٤-٣٠٥، و٣١٤، تاريخ آداب اللغة العربية ٤: ١٢٨، ماضي النجف وحاضرها ١: ١٥٢، و١٥٧، و١٥٨-١٥٩، و١٦٧-١٦٨، مجلة بهارستان: ٨: ٩٢٨، و٩٢٩، و٩٣٠، ٩٣٢، و٩٣٣، و٩٤٠، المفصل في تاريخ النجف الأشرف ١٩: ١٣٩، و١٤٠-١٤٤، و٣٢٥-٣٢٩، أفاق نجفية ٢٠: ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٩، كتابنا فهرس مكتبة العلامة السيِّد مُحَمَّد صادق بحر العلوم ويقع في (٤١٨) صفحة، ومقدمة الفوائد الرجالية، وآخر الجزء الثاني من كتاب نهج الصواب (مخطوط) لصاحب الحصون المنيعة الشيخ علي آل كاشف الغطاء رحمه الله، وكتاب مشهد الإمام للتميمي وغيرها مما يطول سرده.

قالوا عنها:

أوّلاً- الشيخ أقا بزرك الطهراني رحمه الله (ت ١٣٨٩هـ)، قال ما نصّه: (وله مكتبة جليلة فيها جملة من المخطوطات والنفائس من آثار العلماء وخطوطهم)[١].

ثانياً- الشيخ جعفر محبوبة (١٣٧٧هـ)، قال ما نصّه: (مكتبة جامعة لكثير من الكتب المطبوعة وفيها بعض المخطوطات ومن نفائس الأسفار ما لا يستهان به، وهي أقل عدداً مما تقدّم[٢]، وقد جمع فيها من كتب العلاّمة السيِّد مُحَمَّد آل بحر العلوم[٣] أنفسها، ومن سائر مكتبات النجف وغيرها ولا يزال يجهد بماله وبدنه في اقتنائها. ومن محتوياتها...[٤]، وهذه المكتبة أخذت بازدياد متوالٍ، فإنَّ ولده السيِّد هاشم مجد في شراء الكتب بأنواعها وتحصيلها)[٥].

ثالثاً- العلاّمة السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله (ت١٣٩٩هـ)، قال ما نصّه: (وكانت عنده مكتبة ضخمة من أجمع وأنفس مكتبات العراق ـ يومئذ ـ من حيث اشتمالها على نفائس المخطوطات، وأضافها ولده المرحوم فضيلة السيِّد هاشم

---

(١) نقباء البشر ٢٨١ رقم ٥٩٣.

(٢) فقد ذكر رحمه الله قبلها تحت عنوان المخازن الحاضرة ثلاث مكتبات وهي: مكتبة صاحب الحصون الشيخ علي آل كاشف الغطاء ومكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ومكتبة الشيخ السماوي رحمهم الله جميعا.

(٣) ذكر الشيخ جعفر محبوبة رحمه الله في كتابه مكتبتين، الأولى مكتبة العلامة السيِّد بحر العلوم في ج١ ص ١٥٢ وهو كبير الأسرة المسمى بمحمد، والثانية مكتبة السيِّد مُحَمَّد آل بحر العلوم في ج١ ص ١٥٨ وهو السيِّد مُحَمَّد بن مُحَمَّد تقي ابن السيِّد رضا ابن السيِّد مُحَمَّد مهدي بحر العلوم، وتحدث عن نفاستهما، والظاهر أن مراده هنا هو الأولى.

(٤) ثم ذكر خمسة كتب من كتبها يأتي ذكرها عنه ولم نوردها هنا خوف التكرار، فلاحظ.

(٥) ماضي النجف وحاضرها ١: ١٦٧.

بحر العلوم، فجاءت كأعظم وأفخم مكتبة يمكن الاستفادة منها. وهي موجودة حتّى اليوم)[١].

رابعاً- الأُستاذ جعفر الخليلي (ت ١٩٨٥م)، قال ما نصّه: (وهذه مكتبة أُخرى من مكتبات النجف الخاصة المنسوبة لآل بحر العلوم، وقد جمعها السيِّد جعفر ممّا استطاع أن يحصل عليه من كتب المتقدِّمين، وممّا اشتراه من المزاد، وقد ساعده على اتّساع مكتبته ما هو فيه من سعة العيش والرفاه، حتى استطاع أن يضمَّ إلى مكتبته عيون الكتب القديمة والحديثة، وقد أصبحت له خبرة بالكتب النفيسة، فكان يحرص على الاحتفاظ بها...[٢]، وكانت مكتبة السيِّد جعفر تعتبر رابع مكتبة مهمة في وقتها بعد مكتبتي آل كاشف الغطاء والشيخ مُحَمَّد السماوي[٣]، وقد تأسَّست في الثلث الأول من القرن الرابع عشر، ثُمَّ صارت في حوزة ابنه السيِّد هاشم بحر العلوم بعد أبيه)[٤].

خامساً- الدكتور مُحَمَّد هادي الأميني، قال ما نصّه: (... وكانت لديه مكتبة ضخمة فخمة فيها نفائس المخطوطات)[٥].

سادساً- الأُستاذ الشهيد عبد الرحيم مُحَمَّد علي، قال ما نصّه: (مكتبة احتوت على المطبوع والمخطوط لكثير من الكتب النادرة، كانت من محتوياتها أجلّ كتب

(١) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤.

(٢) ثم ذكر أربعة كتب من كتبها عن كتاب ماضي النجف وحاضرها يأتي ذكرها عنه ولم نوردها هنا خوف التكرار، فلاحظ.

(٣) من الملاحظ أن الخليلي رحمه الله اعتمد في ترتيب تسلسل المكتبة على كتاب ماضي النجف وحاضرها.

(٤) موسوعة العتبات المقدَّسة ٧: ٢٩٧.

(٥) معجم رجال الفكر والأدب ١: ٢١٤.

مكتبة السيِّد مُحَمَّد بحر العلوم، ومن سائر مكتبات النجف الأشرف ممّا حصل عليه بالمزاد العلني، كما كانت ـ في حينه ـ تعتبر رابع مكتبة في النجف بعد مكتبتي آل كاشف الغطاء والشيخ مُحَمَّد السماوي، وهذه السعة في المكتبة ـ مع الجودة ـ راجعة إلى خبرة السيِّد المذكور بالكتب المخطوطة مع سعة ذات يده، وانتقلت بعد وفاته إلى ولده السيِّد هاشم)[١].

سابعاً- السيِّد فاضل نجل السيِّد مُحَمَّد باقر آل بحر العلوم حفظه الله[٢]، قال ما نصّه: (كان رحمه الله إضافةً إلى مقاميه العلمي والأخلاقي الشامخين، ذا هواية ورغبة باقتناء الكتب المخطوطة والمطبوعة النادرة، لهذا فقد كانت له مكتبة ضخمة قيّمة من أنفس مكتبات العراق يومئذ، وهي بالواقع في بدايتها كانت من متبقيات كتب جدّه صاحب البرهان رحمه الله التي انتقلت إليه، إضافة لبعض الكتب التي اشتراها من السيِّد مُحَمَّد صاحب البلغة، ثم أضاف إليها رحمه الله ما أضاف وجعلها نموذجاً رائعاً للمكتبات، وقد ذكرت في العديد من الكتب والمجلاّت، أذكر منها كتاب (تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) لجرجي زيدان[٣]، وكتاب (ماضي النجف وحاضرها) للشيخ جعفر محبوبة الذي وصفها في الجزء الأول من كتابه المذكور،

---

(١) أفاق النجفية ٢٠: ٣٢٠ رقم ٢.

(٢) هو السيِّد فاضل ابن السيِّد مُحَمَّد باقر ابن السيِّد مهدي ابن السيِّد جعفر آل بحر العلوم حفظه الله، ولد سنة ١٩٦٥م.

(٣) كذا، ولعله من سهو القلم والصحيح أن كتاب (تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) خال من ذكر للمكتبة فضلاً عن المكتبات الأخرى، وقد ذكر هو مكتبة واحدة لهذه الأسرة وهي مكتبة السيِّد مُحَمَّد بحر العلوم فقط لا غيرها ضمن مكتبات النجف الأشرف في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ٤: ١٢٨- ١٢٩، فلاحظ.

بأنها جامعة لكثير من الكتب المطبوعة وفيها بعض المخطوطات ومن نفائس الأسفار ما لا يستهان به)[١].

ثامناً- مُحَمَّد علي التميمي رحمه الله، قال ما نصّه: (**وله مكتبة شهيرة فيها من نفائس الكتب الخطّية والمطبوعة، واشتغل في تأسيسها منذ أيام تحصيله ودراسته أطال الله بقاه وحفظه ذخرا)[٢].**

تاريخ المكتبة:

وتاريخها على ما عثرت عليه من معلومات ينقسم إلى أربع مراحل، هي:

المرحلة الأُولى:

وهي مرحلة التأسيس من قبل صاحبها المولود سنة (١٢٨٩هـ)، وحدد هذه الفترة الأُستاذ جعفر الخليلي في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وكانت تحتوي على مخطوطات نفيسة سوف يأتي سرد بعضها، وذلك من خلال ما حصلت عليه من بطون الكتب كأمثال: الذريعة، وذيل كشف الظنون، وماضي النجف وحاضرها، وبلغ ما عثرت عليه (٥٤) نسخة[٣].

المرحلة الثانية:

هي انتقالها بالإرث بعد وفاة صاحبها الذي توفي يوم الإثنين خامس ربيع الأول سنة ١٣٧٧هـ إلى مكتبة ولده الأكبر السيِّد هاشم (ت ١٣٧٩هـ) التي أسَّسها

---

(١) مقدمة كتاب أسرار العارفين: ٢٠ المطبوع بتحقيق الربيعي.

(٢) مشهد الإمام ٣: ٥٨، كما ذكرها السيِّد مُحَمَّد حسين الجلالي في فهرس التراث ٢: ٤٢٢، والمرعشي في المسلسلات ٢: ١٤٤، والحكيم في المفصل: ١٩: ٣٢٥- ٣٢٩، ومجلة بهارستان ٨: ٩٣٣.

(٣) موسوعة العتبات المقدَّسة ٧: ٢٩٧.

في حياة والده السيِّد جعفر بحسب ما ذكره المرحوم الخليلي؛ إذ قال ـ بعد ما أفرد لها عنواناً خاصاً باسم مكتبة السيِّد هاشم بحر العلوم ـ ما نصّه: (تأسَّست مكتبة السيِّد هاشم بحر العلوم في حياة أبيه السيِّد جعفر، وبدأت هواية جمع الكتب تظهر فيه قبل منتصف القرن الرابع عشر، وقد أضاف إلى كتب أبيه طائفة من المخطوطات النادرة، وقد عرف في الأوساط بهذه النزعة فراح يعرض عليه الوارثون ما يرثونه من المخطوطات، وقد صار حضور السيِّد هاشم (المزاد العلني) من كل أسبوع من قبيل الفروض الواجبة، والذي مكّنه من الحصول على نفائس هو ما كان يسخو به من المال، فقد كان في يسر وسعة أكثر من غيره من الهواة...)[١].

وقال السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله (ت١٣٩٩هـ)، عند ترجمة السيِّد هاشم، ما نصّه: (وانشغل عن مواصلة تحصيله لعدّة أُمور، لعلَّ أهمها: أنه صار ذا هواية وولع في جمع الكتب وانتقاء المخطوطات، حتى كانت مكتبته في الأواخر ـ من أهم المكتبات في النجف الأشرف من حيث احتواؤها على مختلف الكتب المطبوعة ونفائس المخطوطات؛ لأنه ورث مكتبة أبيه الحجّة السيِّد جعفر ـ وهي من عيون مكتبات النجف يومئذ ـ وأخذ يضيف عليها من حيث العدد والكيف، حتى أصبحت تقصد من عامة أنحاء العراق وكتب عنها في مختلف الصحف والمجلاّت العراقية)[٢].

وقال الأُستاذ الشهيد عبد الرحيم مُحَمَّد علي، ما نصّه: (مكتبة قيِّمة جداً فهي قد احتوت بالإضافة إلى مكتبة السيِّد جعفر على الكثير ممّا أضافه عليها السيِّد هاشم، وكان ذوّاقاً خبيراً بالمخطوطات، وكان لا يترك الحضور بالمزاد العلني لشراء أنفس

(١) موسوعة العتبات المقدّسة ٧: ٢٩٨.

(٢) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٩٢.

ما يعرض عليه الوارثون ما يرثونه من الكتب، وقد أوقف السيِّد المذكور مكتبته، إلا أننا لا نعرف ما آلت إليه هذه الثروة القيمة بعد أن حفظت في علب التنك، ولا ندري ما هي حصة الأرضة من هذه الأعلاق النفيسة)(١).

وقال مُحَمَّد علي التميمي رَحِمَهُ اللهُ، ما نصّه: (وللمومى إليه [السيِّد هاشم] مكتبة عامرة من المخطوطات النفيسة والمطبوعات النادرة الوجود، وقد تعب عليها كثيراً ولاقى المصاعب في جمعها)(٢).

وقال الدكتور حسن الحكيم، ما نصّه: (كان السيِّد هاشم ابن السيِّد جعفر بحر العلوم جمّاعاً للكتب في حياة أبيه، وأضاف لمكتبته مجموعة من المخطوطات النادرة بعد وفاة أبيه، وقدرت كتبه بنحو أربعة آلاف كتاب، جمع قسماً منها من المزاد العلني لبيع الكتب، وضمَّت المكتبة مخطوطات قديمة ونفيسة)(٣).

وقال حفيده السيِّد فاضل نجل السيِّد مُحَمَّد باقر آل بحر العلوم حفظه الله، ما نصّه: (وقد انتقلت بعد وفاته إلى ولده الأكبر سماحة العلاّمة المغفور له السيِّد هاشم بحر العلوم، وكان هو الآخر من هواة العلم وطلاب المعرفة ومن المولعين باقتناء الكتب لا سيّما المطبوعات النادرة والتاريخية التي قلّ نظيرها، فأضاف إلى مكتبة أبيه ما صيّر المجموع من أعظم مكتبات العراق في ذلك الوقت، وبعد وفاة السيِّد هاشم المذكور تبعثر تاريخ المكتبة أدراج الظروف والملابسات والإهمال)(٤).

---

(١) أفاق النجفية ٢٠: ٣٢٠ رقم ٣.

(٢) مشهد الإمام ٣: ٥٩.

(٣) المفصل في تاريخ النجف: ١٩: ١٤٣، وذكر منها ثلاث نسخ وهي: الأنساب لمجهول تأريخه ٦٠٧هـ وحاوي الأقوال للجزائري، ورجال الشيخ عبد اللطيف الجامعي.

(٤) مقدمة كتاب أسرار العارفين: ٢١ المطبوع بتحقيق الربيعي، كما ذكرت المكتبة في مجلة بهارستان ٨: ٩٣٩.

أقول: فصارت تحمل اسماً آخر باسم ولده السيِّد هاشم، وسمعت من السيِّد فاضل آل بحر العلوم ـ حفظه الله ـ أنَّ للأخ الدكتور مُحَمَّد جواد الطريحي فهرساً جامعاً لها نأمل منه أن يقدِّمه للنشر، ويقع مكان المكتبة ـ مكتبة السيِّد هاشم ـ في شارع الطوسي في أصل داره التي أوقفها أيضاً، والواقعة في محلّة العمارة، وقد حدثني السيِّد إسماعيل السيِّد حبيب الخرسان الذي توفي عن عمر يناهز التسعين سنة ١٤٣٠هـ أن هذه الدار هي دار الفقيه الشيخ جعفر الشوشتري (ت ١٣٠٣هـ) صاحب كتاب الخصائص الحسينية، وهي اليوم وللأسف خربة، هيَّأ الله لها من يحييها وأهلها من السادات الأنجاب.

كما حدَّثني الشيخ شريف ـ نجل الشيخ مُحَمَّد الحسين آل كاشف الغطاء ـ عن اهتمام السيِّد هاشم رَحِمَهُ الله بالمكتبة والسعي في جمع كتبها أكثر من مرّة، ثم أوقفها في حياته بوقفية خاصة رأيت مصوَّرَتَها عند سماحة السيِّد فاضل آل بحر العلوم حفظه الله والذي يجدُّ في إحيائها ولملمتها، وختم رَحِمَهُ الله على كتبها على ما وجدته في بعض نسخها بختم مثلث سجعه: **(قد وقفت هذا الكتاب هاشم جعفر آل بحر العلوم في مقبرتي على الطالبين للعلم، على أن لا يخرج منها، ومن أخرجه منها عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).**

المرحلة الثالثة:

وهي بعد وفاة السيِّد هاشم رحمه الله، تمثلت بجردها من قبل لجنة منتدبة، وحبسها بسبب الظروف العصيبة التي مر بها العراق، قال الأُستاذ الخليلي ما نصّه: (...وعلى أنَّ مجموع كتب مكتبته ليس كبيراً، ولكنَّها تضم نسخاً نادرة ذات قيمة وهي تبلغ نحو (٤٠٠٠) كتاب حسب الجرد الذي قامت به لجنة منتدبة بعد وفاته، وقد أخرج السيِّد هاشم هذه المكتبة من حوزة الملكية الخاصة، ووقفها للجميع، ولكنَّها لم تزل لليوم وهي في بيته محبوسة لم ير وجهها النور على الرغم من كونها وقفاً للجميع، إذ لم يتيسر لزوجته أن تخرجها للناس بعد)[1].

المرحلة الرابعة:

والتي تمثلت بتفرق المكتبة أيدي سبأ بين موضع وآخر بخلاف وقفيتها التي تظهر في ختم الكتب، وذلك بسبب الظروف العصيبة التي مرَّت على أرض العراق من جراء تحكُّم الجبابرة الطغاة علينا، وإهمال المكتبة من الورثة والآل، وغيرها من الأسباب التي يطول سردها هنا.

قال العلامة السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله (ت١٣٩٩هـ)، ما نصّه: (... ولكنّه ـ ويا للأسف ـ أصبحت بعد وفاته ضحية العواطف والأهواء لا ينتفع بها، ولا يمكن أن يطَّلع عليها أيُّ إنسان، مبعثرة غير منظَّمة)[2].

---

(١) موسوعة العتبات المقدّسة ٧: ٢٩٩.

(٢) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٩٣.

فقسم منها ـ من المخطوطات ـ انضم إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام، ومن المحتمل أن السبب في ذلك هو السيِّد حسين الرفيعي كليدار حرم أمير المؤمنين عليه السلام ـ حينئذ ـ إذ تنتسب إليه زوجة صاحب المكتبة فهي ابنة السيِّد حبيب الرفيعي، وهو الأكبر منها، ومن ثم انتقل إلى دار صدّام للمخطوطات في بغداد لأسباب غامضة ولسنوات عديدة تجاوزت الثلاثين عاماً (حدود ١٤٠٠-١٤٣٠هـ)، وقد انتقل الكثير من مكتبات النجف الأشرف إلى ذلك المحل حينها بالغصب والشراء، ثم أُعيد بعد سقوط الطاغية وبالتحديد في أواخر سنة ١٤٣١هـ من قبل إدارة الحرم الجديدة؛ وذلك لكون الأخيرة تملك بعض الوثائق التي تعطيها حق المطالبة بها بعد أخذها من الحرم العلوي المطهَّر، وهناك من حدّثني أن هذا القسم ينوف على الخمسمائة نسخة خطية أو أكثر.

وقسم آخر منها ذهب إلى مكتبة مرجع الطائفة في حينها السيِّد أبي القاسم الخوئي قدس سره، وبعد أن أُوكل الأمر إليّ في جمع النسخ المتبقية من المكتبة والموجودة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامة من قبل السيِّد فاضل آل بحر العلوم والسيِّد جواد الخوئي حفظهما الله وجدت فيها ست نسخ فقط لا غيرها؛ وذلك لكون المكتبة الأخيرة تعرضت في سنة ١٩٩١م إلى اعتداء آثم لا يغتفر في حقّ التراث الإسلامي، وقد أنقذ المتبقي منها سماحة الشيخ شريف آل كاشف الغطاء وحفظه عنده في مكتبته، وكم له من أمثال ذلك من مواقف نبيلة سجلها له التاريخ، وكما سمعت أن قسماً آخر منها صار في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، وقسماً آخر منها أيضاً صار في مكتبة جامعة النجف الدينية،

ونأمل بعد هذا التفرق السعي في جمعها وإعادتها لمكانتها في مكانها الأصيل بعد إصلاحه وذلك بهمة الغيارى من المؤمنين.

فهرس لبعض مخطوطاتها:

حصلت عليه من بطون الكتب أمثال: الذريعة، وذيل كشف الظنون، وماضي النجف وحاضرها، ورتّبته بحسب الحروف الألفبائية مع ذكر المصدر، وبلغ ما عثرت عليه (٥٥) نسخة، علماً أن هنالك قسماً صرحت المصادر بأنه من نسخ مكتبة السيِّد جعفر آل بحر العلوم رحمه الله لم أذكره خوف الإطالة:

١-أصحاب الإجماع: للسيد الحسن بن أبي طالب الطباطبائي المتوفى بكازرون سنة (١١٦٨هـ أو سنة ١١٦٧)، ذكره الشيخ عبد النبي القزويني في تتميم الأمل بعنوان (مقالة في أصحاب الإجماع)[١].

٢- أُصول الفقه: للسيد رضا ابن آية الله بحر العلوم (ت ١٢٥٣هـ)، مجلد بخطه فيه مباحث متفرقة[٢].

٣- الإفادة السَّنية في مهم الصلوات اليومية: للشيخ علي بن أبي جامع العاملي، فرغ منه في ١٨ شعبان عام ١١٠٦هـ قال فيه: (لخَّصتها تسهيلا على الطلاب ورتَّبتها على ثلاثة أبواب، وعلى ظهره إجازة المصنف بخطه لكاتبه الشيخ جعفر بن عبد الله الذي كتبه في سنة التأليف، وقرأه على المصنف قراءة بحث

(١) ينظر: الذريعة ٢: ١١٩ رقم ٤٧٧، و ١٠: ١٠٩، و١١: ٨١ رقم ٥٠٥.

(٢) ينظر: الذريعة ٤٢: ٢٠٤ رقم ٧٨٨.

وتحقيق وتدقيق في مجالس آخرها ضحوة نهار الأحد الثالث والعشرين من المحرم سنة ١١٠٧هـ وعليه حواش كثيرة من المؤلّف)[(١)].

٤- الأعلام اللامعة في شرح الجامعة: أي الزيارة الجامعة الكبيرة لجدّ سيدنا بحر العلوم، وهو السيِّد مُحَمَّد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي المتوفّى بها حدود سنة ١١٦٠هـ[(٢)].

٥-تاريخ الأئمة عليهم السلام = رسالة في مواليد النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وأولادهم وزوجاتهم، وتواريخ مواليدهم ووفياتهم ومحل دفنهم، وغير ذلك. للسيد مُحَمَّد الطباطبائي(ت حدود ١١٦٠هـ)، فرغ منها سنة ١١٢٦ هـ[(٣)].

٦- تتميم أمل الآمل: للشيخ عبد النبي القزويني (ت ١٢٠٠هـ)، بخطّه، وعلى ظهرها تقريظ آية الله بحر العلوم، ويظهر أنّها المسوّدة[(٤)].

٧-تحفة الأحباب: للحاج عيسى بن حسين علي كبّة البغدادي، ألّفه تكملة لكتابه (تحفة الطلاب) في المواعظ والنصائح من الأحاديث الشريفة وكلمات الحكماء والعرفاء والعلماء، مرتّب على مقدّمة وأبواب وخاتمة، قرّظه الشيخ مُحَمَّد خضر النجفي تقريظا لطيفاً، قال في تأريخه: (نِلْنا الَهنا في تُحفَةِ الأحبابِ) وهو يوافق سنة (١٢٤١هـ)[(٥)].

---

(١) ينظر: الذريعة ٢: ٢٥٤ رقم١٠٢٦، المفصل في تاريخ النجف: ١٩: ٣٢٦.

(٢) ينظر: الذريعة ٢: ٢٤٠ رقم ٩٥٢.

(٣) ينظر: الذريعة ٣: ٢١٨ رقم ٨٠٧ و٢٣: ٢٣٧، المفصل في تاريخ النجف: ١٩: ٣٢٦.

(٤) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ١: ١٦٨.

(٥) ينظر: الذريعة ٣: ٤١٠ رقم ١٤٧٥.

٨-تحفة الغري: في تحقيق معنى الإيمان والإسلام للسيد مُحَمَّد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي جدّ آية الله بحر العلوم، مرتّب على مقدّمة ومقالات وخاتمة، فرغ منه يوم الأربعاء سابع شهر رمضان المبارك سنة ١١٢٦هـ[١].

٩- التقية: للشيخ المحقّق علي بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠ هـ) مختصر، تأريخ بعضها (١١٠٠ هـ)[٢].

١٠- الحاشية على أربعين الشيخ البهائي: للسيد عبد الله بن نور الدين ابن المحدّث الجزائري (ت ١١٧٣ هـ)، أكبر من الأربعين بثلاث مرات[٣].

١١- الحاشية على حاشية تهذيب المنطق: للمولى عبد الرزاق اللاهجي (ت ١٠٥١هـ) مختصرة تقرب من أربعة آلاف وخمسمائة بيت مع أنها بلغت إلى قوله: (ولا عكس للممكنتين) تأريخ كتابة النسخة (١٢٤٦ هـ) وهي مغلوطة[٤].

١٢- الحاشية على شرائع الإسلام: للسيد مُحَمَّد مهدي بحر العلوم البروجردي (ت ١٢١٢ هـ)، من أول الطهارة إلى آخر مشكوك الصلاة، تقرب من ثلاثة آلاف بيت[٥].

---

(١) ينظر: الذريعة ٣: ٤٥٩ رقم ١٦٧٦، المفصل في تاريخ النجف: ١٩: ٣٢٦.

(٢) ينظر: الذريعة ٤: ٤٠٤ رقم ١٧٧٧، المفصل في تاريخ النجف: ١٩: ٣٢٦.

(٣) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ١: ١٦٨، موسوعة العتبات المقدّسة: ٧: ٢٩٨.

(٤) ينظر: الذريعة ٦: ٦١ رقم ٣١٣.

(٥) ينظر: الذريعة ٦: ١٠٨ رقم ٥٨٣.

١٣- دفع إشكال ضلال أحد الشاهدين: في الآية: ﴿وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا﴾[1]، وبيان المراد من ضلال أحدهما. للسيد مُحَمَّد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي (ت قبل ١١٦٨هـ)، اشتراها من كتب الخوانساري[2].

١٤- دفع المناواة عن التفضيل والمساواة: في بيان شأن علي أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وبالنسبة إلى سائر أهل البيت عليهم السلام، ونسبة بعضهم مع بعض ونسبتهم إلى الأنبياء عليهم السلام، للسيد حسين المجتهد المفتي ابن حسن بن أبي جعفر مُحَمَّد الموسوي العاملي الكركي نزيل أردبيل، والمتوفّى بالطاعون (١٠٠١ هـ)، وقد كتبه باسم السلطان أبي المظفر الشاه طهماسب الصفوي، وفرغ منه في (٤ -ع ١ – ٩٥٩هـ) كما في نسخة عصر المؤلّف، وهي بخط المولى مُحَمَّد بن علي البيوني، فرغ من الكتابة في أواخر ربيع الثاني (٩٦٢ هـ)، أي: بعد التأليف بثلاث سنوات، ولعل الكاتب كان من تلاميذ المؤلف[3].

١٥- ديوان السيِّد حسين ابن السيِّد رضا ابن السيِّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (ت ١٣٠٦هـ)، مرتَّب على فصلين أولهما في المدائح والمراثي للمعصومين عليهم السلام وفيه تخميس الاثني عشريات لجده بحر العلوم. وثانيهما في

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٨٢.

(٢) ينظر: الذريعة ٨: ٢٢٧ رقم ٩٣٧.

(٣) ينظر: الذريعة ٨: ٢٣٢ رقم ٩٦٨.

مراثي بعض العلماء مثل شيخه صاحب الجواهر، والشيخ عباس ابن المولى علي البغدادي تلميذ صاحب الجواهر، وغيرهما[١].

١٦- رجال الشيخ عبد اللطيف: ابن الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي جامع الحارثي الهمداني الشامي العاملي تلميذ البهائي وصاحب المعالم والمدارك وغيرهم، اقتصر في كتابه على رجال الكتب الأربعة...، نسخة في آخرها رسالة الشيخ عبد اللطيف في تقليد الميّت، وتعرض فيها للرد على أُستاذه صاحب المعالم[٢].

١٧- الرد على الأشعري: الذي اعترض على بعض تصانيف الأصحاب، فكتب بعض الفضلاء المتأخّرين ردّاً على الأشعري المعترض، وانتصر فيه لصاحب التصنيف، ورتَّب كتابه على ثلاثة عناوين[٣].

١٨- رسالة في تخليل الأسنان في ليالي شهر رمضان: للشيخ البهائي (ت١٠٣١هـ). مختصرة تقرب من سبعين بيتاً[٤].

١٩- رسالة في صلاة الجمعة ووجوبها التخييري، وأنَّها أفضل الإفراد، ويتعيَّن الوجوب مع الفقيه الجامع للشرائط: للشيخ نور الدين علي بن الحسين بن

(١) ينظر: الذريعة ٩: ٢٤٨ رقم ١٥٠٢.

(٢) ينظر: الذريعة ١٠: ١٢٩ رقم ٢٥٣.

(٣) ينظر: الذريعة ١٠: ١٨٤ رقم ٤١٣.

(٤) ينظر: الذريعة ١١: ١٤١ رقم ٨٨٢

عبد العالي الكركي(ت ٩٤٠هـ)، رتبها على ثلاثة أبواب: الأول في المقدّمات وهي ثلاثة، والثاني في نقل الأقوال، والثالث في اشتراط الفقيه[١].

٢٠- رسالة في عدم صعود جثّة الإمام إلى السماء من بعد ثلاثة أيام: للسيد الأمير محمود بن فتح الله الحسيني، كان معاصراً للشيخ الحرّ، أثبت فيها وجود جثّة الأنبياء والأوصياء في قبورهم، وأجاب عن الخبرين الدالّين على الصعود بعد ثلاثة أيام[٢].

٢١- رسالة في فضل مسجد الكوفة والصلاة فيه: وفوائد أُخرى، للسيد مُحَمَّد بن عبد الكريم البروجردي الطباطبائي (ت قبل ١١٦٨هـ)[٣].

٢٢- رسالة في معنى (ويكفي الغسل للجمعة كما يكون للزواج الطراد) في من لا يحضره الفقيه: الظاهر فيه أنه من كلام الإمام عليه السلام، للشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي، المتوفى (١١٢١ هـ)[٤].

٢٣- رسالة في منجزات المريض: للسيد علي الحائري صاحب (رياض المسائل) (ت ١٢٣١هـ)، ذكرها تلميذه الشيخ أبو علي في رجاله[٥].

٢٤- الرياض الأزهرية في شرح النكت الفخرية: للشيخ صفي الدين بن فخر الدين الطريحي، وأصله لوالده في شرح الاثني عشرية لصاحب (المعالم)[٦].

---

(١) ينظر: الذريعة ١٥: ٧٦ رقم ٥٠٠، المفصل في تاريخ النجف: ١٩: ٣٢٥.

(٢) ينظر: الذريعة ١٥: ٢٣٨رقم ١٥٤٧.

(٣) ينظر: الذريعة ١٦: ٢٧٣ رقم ١١٥٧.

(٤) ينظر: الذريعة ٢١: ٢٧٦ رقم ٥٠٣٩.

(٥) ينظر: الذريعة ٢٣: ١٨ رقم ٧٨٦٨.

(٦) ينظر: الذريعة ١١: ٣١٩رقم ١٩٢٦، و ١١: ٣٢٥رقم ١٩٦٦.

٢٥- زبدة الأسرار: في الحكمة. للسيد عبد الله الحسيني في ثلاثة آلاف بيت[١].

٢٦- زواهر الحكم الزاهر نجومها في غياهب الظلم: في الحكمة، للميرزا حسن ابن المولى عبد الرزاق اللاهجي (ت ١١٢١هـ)، مرتّب على مقدمة فيها ثلاثة مقاصد في تعريف الحكمة وموضوعها وأقسامها في مقدمة وثلاثة أبواب، تأريخ كتابتها ١١٢٤ هـ وعليها حواش بإمضاء السيِّد محمد[٢].

٢٧- سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد: للشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق (ت ١١٨٦هـ)[٣].

٢٨- شرح ألفية الشهيد: للمحقق الكركي الشيخ نور الدين أبي الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠ هـ)، وهو موجود في مجموعة من رسائله عند السيِّد جعفر ابن السيِّد باقر بحر العلوم في النجف الأشرف، لكنّه ناقص[٤].

٢٩- الصحيفة السجادية: للإمام علي بن الحسين عليه السلام، أوقفها حسن خان الفيلي، قطع وزيري، أهداها له جدّه السيِّد علي آل بحر العلوم صاحب البرهان القاطع، ذكرها الأخير في وصية له، رأيتها مخطوطة.

---

(١) ينظر: الذريعة ١٢: ١٨ رقم ١١٢.

(٢) ينظر: الذريعة ١٢: ٦٢ رقم ٤٥٧.

(٣) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ١: ١٦٨، موسوعة العتبات المقدَّسة: ٧: ٢٩٨.

(٤) ينظر: الذريعة ١٣: ١١٣ رقم ٣٥٧.

٣٠- العجالة الموجزة: في فروض الناسك التي لا يعذر في الجهل بجهالتها ناسك، للسيد مُحَمَّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (ت ١٢١٢هـ) أوله: [**الحمد لله ما طاف طائف بالمسجد الحرام... إلى قوله هذه عجالة موجزة...**] وهو مرتب على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. تأريخ كتابتها ١٢٣٩ هـ ومعها جواب سؤالات عن بعض مسائل الحج، أيضا لسيدنا بحر العلوم[١].

٣١- العزية: للمحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن بن سعيد الهذلي (ت ٦٧٦ هـ)وهي عشر مسائل كتبها لعزّ الدين عبد العزيز. والنسخة مخرومة الآخر عند السيِّد جعفر بن باقر بن علي بحر العلوم صاحب (البرهان)، والموجود منها إلى المسألة التاسعة في وطء دبر المرأة[٢].

٣٢- الغراء: رسالة في أسرار الصلاة. للشيخ أبي الحسن سليمان بن عبد الله بن علي بن الحسن بن أحمد السراوي الماحوزي (ت ١١٢١ هـ)، رتبها على عشرة فصول، أولها في الوضوء وعاشرها في التسليم[٣].

٣٣- الفوائد الرجالية: للسيد مُحَمَّد رضا السيِّد مُحَمَّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، ابتدأ البحث في أصحاب الإجماع، ثم في حال أبي بصير، ثم في بيان أن توكيل الأئمة عليهم السلام يفيد المدح، ثم وجوه الحاجة إلى علم الرجال

---

(١) ينظر: الذريعة ١٥: ٢٢٣ رقم١٤٦١، المفصّل في تاريخ النجف: ١٩: ٣٢٦.

(٢) ينظر: الذريعة ١٥: ٢٦٢ رقم ١٧٠٢.

(٣) ينظر: الذريعة ١٦: ٢٩ رقم ١١٧.

وعدمه، وذكر الخلاف والأقوال البالغة إلى ثمانية في المسألة، من النفي المطلق والإثبات كذلك والتفاصيل[١].

٣٤- الفوائد الغروية والدرر النجفية: للمولى الشريف أبي الحسن الفتوني العاملي (ت ١١٣٨هـ)، موجود في النجف في خزانة الشيخ علي ابن الشيخ مُحَمَّد رضا آل كاشف الغطاء، واستنسخه السيِّد جعفر بن باقر بن علي آل بحر العلوم بخطه عن نسخة الأصل بخط مؤلّفه، الموجودة في بيت آل الجواهر في النجف[٢].

٣٥- قانون السياسة ودستور الرئاسة: مرتَّب على ثلاثة قوانين: ١ - في تهذيب الأخلاق. ٢ - تدبير الأموال. ٣ - تقويم الرعايا وسياستهم. وبنى كل واحد منها على قاعدتين، وبيّن فروع كل قاعدة مختصرا على نحو التشجير، حتى يسهل ضبطها. ألفه باسم سيد أركان الخلافة المعتضدية، جلال الدين شاه شجاع، كما يظهر من (روضة الصفا)، كان حيّاً في (٧٨٥ هـ)[٣].

٣٦- قواعد الشكوك: في شكوك الصلاة، عناوينه: قاعدة - قاعدة، للسيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (ت ١٢١٢هـ) في ثلاثمائة بيت[٤].

٣٧- لبُّ التواريخ: فارسي، للسيد الأمير يحيى بن عبد اللطيف الحسيني القزويني الشيعي بتصريح كشف الظنون (ت ٩٦٠ هـ)، رتّبه على أقسام أربعة وفيها فصول: أولها في سير النبيّ ﷺ والأئمة الاثني عشر[١].

---

(١) ينظر: الذريعة ٢: ١٢٠ رقم ٤٨١، و ١٠: ١١٦و ١٦: ٣٣٨ رقم ١٥٦٨.

(٢) ينظر: الذريعة ١٦: ٣٥٣ رقم ١٦٣٩.

(٣) ينظر: الذريعة ١٧: ٢٢ رقم ١٣٦.

(٤) ينظر: الذريعة ١٧: ١٨٤رقم ٩٧٣.

٣٨- اللمعة المحمدية في مدح خير البرية: بديعية ميمية نظير بديعية الصفي الحلي، لمُحَمَّد بن عبد الحميد بن عبد القادر حكيم زاده، بالحروف المهملة[٢].

٣٩- مآثر الملوك: لغياث الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد خواند مير البلخي (ت ٩٤٢هـ)، فارسي في تاريخ ومآثر الملوك والسلاطين والخلفاء الراشدين والأئمة الطاهرين والوزراء وبعض العلماء والحكماء وذكر مخترعاتهم وآثارهم، بدأ بملوك العجم[٣].

٤٠- محبوب القلوب: الملمّع بالفارسي نثرا ونظما للمولى الفاضل العارف قطب الدين مُحَمَّد ابن الشيخ علي الشريف ابن المولى عبد الوهاب بن پيله فقيه بالبا الفارسي اللاهجي الأشكوري تلميذ المحقق الداماد، علق على الكتاب حواشياً نفيسة وتأريخها سنة ١٠٧٨هـ قريبا من عصر المؤلف[٤].

٤١- مجمل الحكمة: ترجمة (رسائل إخوان الصفاء) بالاختصار، لم يعرف المترجم. عليها تملك الشاهزاده فرهاد ميرزا ابن نائب السلطنة عباس ميرزا ابن فتح علي شاه في ١٢٨٢هـ[٥].

---

(١) ينظر: الذريعة ١٨: ٢٨٥ رقم ١٢٧.

(٢) ينظر: الذريعة ١٨: ٣٥٤ رقم ٤٥٠.

(٣) ينظر: الذريعة ١٩: ٧ رقم ٢٤، ذيل كشف الظنون: ٨٥، ماضي النجف وحاضرها: ١: ١٦٨، موسوعة العتبات المقدّسة: ٧: ٢٩٨، المفصل في تاريخ النجف: ١٩: ٣٢٥.

(٤) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ١: ١٦٧، موسوعة العتبات المقدّسة: ٧: ٢٩٨، المفصل في تاريخ النجف: ١٩: ٣٢٦.

(٥) ينظر: الذريعة ٢٠: ٥١ رقم ١٨٧٢.

٤٢- المطالب المظفّرية: في شرح (الرسالة الجعفرية) في فقه الصلاة، للسيد الأمير مُحَمَّد بن أبي طالب الموسوي الحسيني الأسترآبادي الغروي، تلميذ المحقق الكركي المصنف للمتن، بخط عاشور بن حسن، كتبه ١٠٨٣ هـ[١].

٤٣- مطلع السعدين ومجمع البحرين: لكمال الدين عبد الرزاق ابن جلال الدين إسحاق السمرقندي (٨١٦ - ٨٨٧ هـ)، وهو تاريخ التيمورية إلى سنة ٨٧٥ هـ في دفترين. أوّلهما من ولادة السلطان أبي سعيد أولجايتو في ٧٠٤ هـ إلى وفاة الأمير تيمور الگوركاني في ٨٠٧ هـ والثاني في حكومة شاهرخ في هرات في ٨٠٧ هـ إلى حكومة السلطان حسين في ٨٧٥ هـ[٢].

٤٤- مفتاح أبواب الشريعة في شرح مفاتيح أحكام الشيعة: للسيد مُحَمَّد بن عبد الكريم جد بحر العلوم الطباطبائي البروجردي، شرح مزجي لم يتم، والنسخة بخط المصنّف وخاتم سبطه وحفيده آية الله بحر العلوم وأولاده[٣].

٤٥- مقالة في سجدات القرآن وأحكامها وآدابها: للشيخ البهائي(ت ١٠٣١ هـ)، مختصرة تقرب من ٤٠ بيتاً، مع بعض مقالات أُخر[٤].

٤٦- مقالة فيما لا تتم به الصلاة من الحرير: للشيخ البهائي (ت ١٠٣١ هـ)[٥].

---

(١) ينظر: الذريعة ٢١: ١٤٠ رقم ٤٣٢٦.

(٢) ينظر: مجلة بهارستان: ٨: ٩٣٣.

(٣) ينظر: الذريعة ٢١: ٣١٤ رقم ٥٢٤٦.

(٤) ينظر: الذريعة ٢١: ٤٠١ رقم ٥٦٧٩.

(٥) ينظر: الذريعة ٢١: ٤٠٤ رقم ٥٦٩٨.

٤٧- مقالة في وجه التغليب في قوله تعالى: (ما كنا أصحاب السعير): في سورة الملك، للشيخ البهائي (ت ١٠٣١ هـ)، تعرض فيه لكلام البيضاوي، ولعله جزء حاشيته على البيضاوي[(١)].

٤٨- مناظرة السيِّد مهدي بحر العلوم مع يهودي في ذي الكفل: من إملاء تلميذه السيِّد مُحَمَّد جواد العاملي، صاحب (مفتاح الكرامة) كما يظهر من آخر كتاب متاجره[(٢)].

٤٩- منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان: للشيخ جمال الدين أبي منصور الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني (ت ١٠١١هـ)، خرجت منه أبواب العبادات إلى آخر الحج، بخط السيِّد حبيب زوين النجفي، تلميذ الشيخ جعفر كاشف الغطاء[(٣)].

٥٠- النية: لنور الدين علي بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠ هـ)، مختصرة في خمسين بيتا ضمن مجموعة من رسائله[(٤)].

٥١- وجوب الاجتهاد على جميع العباد عند عدم المجتهدين: لنور الدين علي بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠هـ)، والنسخة في مجموعة من رسائله[(٥)].

٥٢- وجوب الجهر بالتسبيحات في الأخيرتين: أو رجحانه لا أقل، ردّاً على من حرّمه من الأُصوليين. لمُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني[(١)].

---

(١) ينظر: الذريعة ٢١: ٤٠٧ رقم ٥٧١٤.

(٢) ينظر: الذريعة ٢٢: ٣٠٣ رقم ٧١٩٨.

(٣) ينظر: الذريعة ٢٣: ٥ رقم ٧٨٢١.

(٤) ينظر: الذريعة ٢٤: ٤٤٠ رقم ٢٣٠٥.

(٥) ينظر: الذريعة ٢٥: ٢٩ رقم ١٣٦.

٥٣- وجوب الذكر في سجدتي السهو وتعيين الذكر الواجب: لسليمان بن عبد الله الماحوزي (ت ١١٢١هـ)[٢].

٥٤- الوسائل إلى النجاة: أو(الوسائل الحائرية)؛ لأنّه ألّفه بالحائر، أو (وسائل الأُصول)، أو (الوسائل إلى معرفة أُصول المسائل) للسيد المجاهد مُحَمَّد بن علي الطباطبائي الإصفهاني الحائري (ت ١٢٤٢ هـ)، وهذا أول تصانيفه... مجلد واحد منه إلى مبحث ترك الاستفصال[٣].

٥٥- الهداية: فقه عملي مقتصرٌ على لبّ الفتوى. خرج منه قسم من الطهارة لسيدنا بحر العلوم مهدي بن مرتضى بن مُحَمَّد الطباطبائي البروجردي النجفي (ت هـ)، ذكره ميرزا محمود في (المواهب السنيّة) في شرح الدرَّة. قال الشيخ الطهراني رَحِمَهُ اللهُ: (رأيت النسخة عند حفيده السيِّد جعفر بن باقر بن علي إلى غسل الجنابة وعناوينه: (هداية... هداية)، وهو غير (المشكاة) و (المصابيح) اللّذينِ له، ذكر فيه أنه كتبه بالتماس جمع، وهو في العبادات إلى آخر الحج، قال السيِّد جعفر بحر العلوم: (وقد شرح الهداية الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ونسخة الشرح موجودة في مكتبة علي بن مُحَمَّد رضا آل كاشف الغطاء)[٤])[٥].

---

(١) ينظر: الذريعة ٢٥: ٣٢ رقم ١٥٠.

(٢) ينظر: الذريعة ٢٥: ٣٣ رقم ١٥٧.

(٣) ينظر: الذريعة ٢٥: ٧٠ رقم ٣٧٩.

(٤) ذكر الشيخ حسين الحلي رَحِمَهُ اللهُ في مجموعة فقهية له رأيتها ضمن مخطوطات تلميذه الشهيد السَّيد علاء الدين آل بحر العلوم أنه رآها عند السَّيد جعفر آل بحر العلوم وقال: (أنها رسالة مختصرة في أحكام الحج للمرحوم السَّيد بحر العلوم قُدِّسَ سِرُّهُ مذيلة ببعض الأسئلة المتعلقة بأحكام الحج، ومصححة على يد السَّيد حسين آل بحر العلوم).

(٥) ينظر: الذريعة ٢٥: ١٦٧ رقم ٨٣

وفاته وموضع دفنه:

توفي قُدِّسَ سِرُّهُ يوم الإثنين ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٧هـ فأثر فقده في الأُفق العلمي تأثيراً بالغاً بحيث عُطّلت لفقده الدروس والأبحاث الخارجية ثلاثة أيام وشيِّع بأفخم تشييع، ودفن في مقبرة الأُسرة الملاصقة لمسجد الطوسي قُدِّسَ سِرُّهُ، وأقيمت له الفواتح العديدة من عامّة طبقات النجفيين[1].

رثاؤه:

وجدت في كتاب الرحيق المختوم المخطوط رثاءً له نظمه السيِّد مُحَمَّد الحلي النجفي مؤرِّخاً عام وفاته، وهو:

عَـزّ عَـلى الإِسلامِ مُـذْ أَوْدَى الهُـمَامُ الأَطهَـرُ

لِـذَاكَ أرّخْـتُ كَـمَا مَـضَى الإِمَـامُ جَعْفَـرُ

(١٣٧٧هـ)[2].

مصادر ترجمته:

الإجازة الكبيرة للمرعشي: ١٥٨ رقم ١٩٦، أسرار العارفين (تحقيق فارس حسون): ١٧- ١٩، أسرار العارفين (تحقيق الربيعي): ٧-٢٢، الأعلام ٢: ١٢٩، تحفة الطالب (تحقيق الباقري): ١٤-٢٨، تحفة العالم (ط٢): أ- د المقدمة، الدرر البهية (مخطوط)[3]: ضمن ترجمة والده، علماى معاصر: ٤١٧- ٤١٩ رقم ١٦٧،

---

(١) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤.

(٢) الرحيق المختوم في ما قيل في آل بحر العلوم (مخطوط) : ٦٧٨.

(٣) للسيد مُحَمَّد صادق بحر العلوم رَحِمَهُ الله ونصّ ما ذكره فيه عند ترجمة والده آثرنا ذكره هنا للفائدة، وهو: (وخلّف من العلوية بنت عمّه السيِّد حسين ولده العالم الفاضل السيِّد جعفر سلّمه الله تعالى ولد في ٢٩ محرم سنة ١٢٨٩، كما رأيت بخط جدّه السيِّد علي على ظهر مجموعة مخطوطة من الأدعية.

فهرس التراث ٢: ٤٢٢ الفوائد الرجالية ١: ١٥٣- ١٥٥، المسلسلات في الإجازات ٢: ١٤٣، مشهد الإمام ٣: ٥٨، مصفّى المقال: ١٠٩، ماضي النجف وحاضرها ١: ١٦٧، معارف الرجال ١: ١٨٢ رقم ٨١، معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١: ٢١٤، معجم المؤلفين ٣: ١٤٥، معجم المؤلفين العراقيين ١: ٢٥٣، المفصل في تاريخ النجف ١٩: ٣٢٥- ٣٢٩، منار الهدى: ٥٤ رقم ١٠٨، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ١٥١ رقم ٤٥٠٢ نقباء البشر: ٢٨١ رقم ٥٩٣، وغيرها من المصادر الكثيرة[١].

حول الكتاب:

اسمه:

تحفة العالم في شرح خطبة المعالم

والمعالم: هو مقدمة في أُصول الفقه، لكتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) في الفقه، تأليف الشيخ الجليل جمال الدين أبي منصور الحسن بن زين الدين المعروف بالشهيد الثاني، المتوفّى (١١٠١ هـ) وهو أشهر تصانيفه، حتى أنه يعرف بصاحب المعالم، دوّنت تلك المقدمة مستقلة، واستمرّت

وقد تلمّذ على علماء عصره وعمدة حضوره على الفقيه السيِّد مُحَمَّد كاظم الطباطبائي اليزدي، وله إجازة منه بخطه. وقد ألّف مؤلَّفات عديدة منها تحفة العالم - شرح مقدمة المعالم -، وشرح دعاء كميل، ورسالة تحفة الطالب في حكم حلق اللحية طُبعت هذه في النجف، وشرح نجاة العباد في مجلدين: الأول في الصلاة والثاني في المواريث، وكشكول جمع فيه فوائد علمية ثمينة، أطال الله بقاه ونفع بوجوده) .

(١) وقد أراني سماحة السَّيد أحمد الحسيني الأشكوري دام عزّه عدة أوراق من ترجمة السَّيد جعفر رَحِمَهُ الله في منزله كان قد أعدها لكتاب له في الرجال، كان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٤٣٢هـ

المدارسة فيها فيما يزيد على مائتي سنة، وقد عُلّقت عليها في هذه المدة حواش كثيرة مبسوطة ومختصرة[١].

موضوعه:

قال الشيخ أقا بزرك الطهراني رحمه الله في كتابه الذريعة: (هو في جزءين أوّلهما في شرح نفس الخطبة وفيه ذكر تواريخ المعصومين عليهم السلام من الولادة إلى الوفاة، وذكر مشاهدهم وقبورهم، وتواريخ المشاهد وما طرأ عليها من العمارة والخراب وساكنيها وغير ذلك، وذكر أولادهم وتواريخ أحوالهم.

والجزء الثاني في شرح الأحاديث المصدَّر بها كتاب المعالم بعد الخطبة، وهي تسعة وثلاثون[٢] حديثاً في فضل العلم والعلماء، تكلّم أوّلاً في أحوال كل واحد من رجال السند جرحاً وتعديلاً، ثم بحث في دلالة متنه وما يستفاد منه، فهو كتاب علمي تاريخي رجالي، فرغ منه (٢٥ شوال ١٣٤٣)[٣]، رأيت النسخة بخطه الجيد ثم طُبع في النجف سنة ١٣٥٥ في مطبعة الغري)[٤].

وقال مؤلفه رحمه الله في المقدمة ما نصّه: (وقد أحببت أن أضع على مقدِّمَتِه التي تُضرب بها الأمثال، وتلقتها بيد القبول حملة الفضل والكمال، شرحاً ممّا سمعت فوعيت، وجمعت فأوعيت من فوائد جمّة، وقواعد مهمّة، هي لشاردات المعاني أزمَّة؛ فلذا تجدني أتعمّد إلى ما يستطرد إليه الكلام من نكتة، وأتعرض لجملة أذكرها بغتة، ولم آل جهداً في إحكام أُصول هذا الشرح حسب ما يليق بزماني هذا وتسعه

---

(١) ينظر: الذريعة ٦: ٢٠٤، وسيأتي الحديث عنه وعن شروحه في هامش مقدمة المؤلف رحمه الله.

(٢) كذا والصحيح أربعون حديثا.

(٣) وكذا جاء في مصفى المقال، وفي نهاية المطبوع منه: فرغ منه سنة (١٣٤٢هـ) ، فلاحظ.

(٤) الذريعة٣: ٤٥١ رقم ١٦٤٢.

سنو عمري على قلة أعدادها، فقد وفقني الله تعالى وله الحمد حتّى اقتبست كلّ ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانّه وأخذت من معادنه، وقد اشتهر في عرف المتأخرين أنّ علم الأدب عبارة عن النكت والنوادر من الشعر والتواريخ، وذكر الشيء بالشيء بالاستطراد وبالمناسبة مع مراعاة مقتضى الحال...).

قالوا في الثناء عليه:

١- الشيخ أقا بزرك الطهراني رحمه الله: (...وهو كتاب نفيس)[١]، (...كتاب علمي تاريخي رجالي)[٢].

٢- الشيخ جعفر محبوبة رحمه الله: (...وهو كتاب نفيس استعنا به كثيراً في كتابنا هذا)[٣].

٣- العلامة السيِّد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله: (... جزءان ضخمان جامعان لكثير من المعلومات والمواضيع القيّمة بحيث لا غناء للباحث والعالم عنها)[٤].

٤- الشيخ مُحَمَّد صادق الجعفري رحمه الله: (يقع هذا الشرح في جزءين، وهو بجزأيه غني عن التعريف، وعُرْفُ المسك يغني عن تعريفه)[٥].

ويكفي في مدح الكتاب وأهميته اعتماد جملة من أهل التحقيق عليه، وليس هنا محلّ سردهم، كما يكفينا أن سماحة المحقق السيِّد مُحَمَّد مهدي

---

(١) نقباء البشر ٢٨١.

(٢) الذريعة٣: ٤٥١ رقم ١٦٤٢.

(٣) ماضي النجف وحاضرها ١: ١٦٧.

(٤) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٤.

(٥) مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب.

السيِّد حسن الموسوي الخرسان (دام ظله) اقتبس شذرات منه فيما يتعلّق بأحوال إخوان الإمام موسى بن جعفر وأولاده‌عليهم السلام استدرك فيها على كتاب بحار الأنوار[١]، وكان تحقيقه لهذا الجزء من البحار في ٢٥ شهر شعبان سنة ١٣٨٥ في النجف الأشرف[٢].

طبعاته:

أ- النجف الأشرف، سنة ١٣٥٤هـ مطبعة الغري، الحجم وزيري، الجزء الأول ٣٢٣ ص والثاني ٢٥٢ ص[٣]، والجزءان في مجلد واحد، في آخره ست صفحات لجدول الخطأ والصواب، وكُتب في آخره ما نصّه: (اعتذار، **على الرغم من الجهد في تصحيح الكتاب وقعت فيه أغلاط نبهنا عليها في الجدول مع عدم خلوه بعد من الطفيف من الغلط الغير الخافي، فالرجاء من القارئ تصحيحه قبل المراجعة**). تم طبعه على نفقة عمدة التجار حضرة الحاج عبد الرسول الحاج آخوند علي التاجر المحترم دام عزّه.

وقد رأيت نسخة منها عليها إهداء المؤلّف‌رحمه الله بخطه إلى مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامّة وهي بتسلسل (١/٩)، ونصّ ما كتبه: (**بسمه تعالى هدية إلى المكتبة الغروية الجعفرية الكاشفية شادها ربّ البرية بمُحَمَّد وآله أهل الجود والعطية. حرّره الأقل جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي سنة ١٣٥٦**).

---

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٤٨: ٢٩١-٣٢١.

(٢) فقد حقق دام ظله جملة من أجزاء بحار الأنوار، فلاحظ.

(٣) معجم المطبوعات النجفية ١١٩ رقم ٣٢٥.

ب- الطبعة الثانية: تقديم الشيخ مُحَمَّد صادق الجعفري، طبع مكتبة الصادق في طهران، سنة ١٤٠١ هـ أوفسيت على الطبعة الأُولى، الحجم رقعي، جزءان في مجلد واحد، أدخلت عليها تصحيحات الطبعة الأولى.

أنا والكتاب:

قبل نحو من ثماني عشرة سنة اقتنيت هذا الكتاب ـ تحفة العالم ـ وطالعت جلّه، وكنت أعجب من موسوعيَّته وغزارة مادته العلمية التاريخية، وكنت أحدِّث أصحابي عن ذلك أحياناً، وربما قرأت لهم فصولاً منه وخاصة ما يتعلق بتاريخ النجف الأشرف، وكانت تؤلمني جداً كثرة الأغلاط التي فيه من جرّاء الطبع، وأتذكر أنّي ذكرت إعجابي به إلى آية الله السيِّد حسين بن مُحَمَّد تقي آل بحر العلوم رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٤٢٢هـ) ـ والذي كان له دور بارز في تربيتنا من طفولتنا إلى شبابنا، وذلك بالإجابة عن أسئلتنا التي يكتنفها المزاح أحياناً والسؤال عنّا عند غيابنا، وأحياناً بالشكوى ممّا كان يمر به من الآلام والاضطهاد في تلك الفترة العصيبة الظالمة ـ فروى لي بعض الشيء مما رآه من المؤلف رَحِمَهُ اللهُ لمعاصرته له، وأشار لي عن محل جلوسه في مقبرة آل بحر العلوم، وأذكر أنه قال لي ما مضمونه: إنه كان من عادة أهل النجف الأشرف أن جنازة العلماء فيهم تمرر في السوق الكبير، وتعطل لذلك دكاكين السوق، فأوصى رَحِمَهُ اللهُ أن لا تمرر جنازته بالسوق لئلا تتأذى الكسبة من جراء ذلك الفعل، وما ذلك إلا من شدة تواضعه.

وفي شهر رمضان من سنة ١٤٢٩هـ اقترح عليّ مشكوراً العلامة السيِّد مُحَمَّد علي بحر العلوم دام عزّه تحقيق الكتاب، فشمرّت عن ساعد الجد وشرعت بالعمل من حينها في مجالس عديدة كنت أعاني فيها عدة أُمور، منها:

١- عدم العثور على نسخة خطية للكتاب وهو أمر يزيد في العناء الذي لا يعرفه إلا ذوو الخبرة والاختصاص.

٢- كثرة الأغلاط التي تكتنفها النسخة المطبوعة من الكتاب.

٣- كثرة المصادر المعتمدة فيه، وخصوصاً أن الكثير منها لم يشر إليها المؤلف رحمه الله.

فصرت أُمنّي النفس بين إكمال العمل وعدمه، فأسمع من يُحيّيني ويحثني على إكماله، وبالخصوص المهتمين بالكتاب وتحقيقه من العلماء والفضلاء وأخص بالذكر منهم: سماحة آية الله السيِّد مُحَمَّد رضا الخرسان (دام ظله)؛ فقد أكَّد عليّ مراراً بذلك وبالخصوص في تحقيق حادثة مرّة بن قيس، وإظهار أقدم من ذكرها من المؤرّخين[1]، والعلامة السيِّد حسن نجل السيِّد عز الدين بحر العلوم دام عزه، كما لا أنسى موقف صاحب المشروع معي سماحة العلامة السيِّد فاضل بحر العلوم دام عزه الذي صبر معي بكل أناة وسعة صدر وكرم نفس وطيب قلب؛ فحالفني لذلك التوفيق والسعادة في إجابة أمرهم.

---

(١) ونقل لي بعض الأمور عن المؤلف رحمه الله منها: (أنه كان بصحبته في السفر إلى سامراء للزيارة وتحدث عن خلقه وسعة معلوماته، وأنه يوماً ما نقل له الوجيه صالح شمسة أن السيِّد جعفر أشار له إلى محل مكان قبر تيمورلنك في النجف الأشرف، وهو في مقبرة كان محلها قبل الدخول إلى فرع براني السيِّد الخوئي قدس سره، وقد أزيلت في أواخر القرن الخامس عشر الهجري).

كما نقل لي الخطيب الشيخ شاكر القرشي حفظه الله: (أنه رحمه الله كتب بخطه على نسخته من تحفة العالم أن قبر تيمورلنك يقع قبالة مسجد الطوسي في سرداب آل فلان). ونسيت ما ذكره رحمه الله كتابةً؛ لكون تلك النسخة فقدت من مكتبتي العامة.

وممّا شجعني لإتمامه أيضا عدم تحقيق الكتاب سابقاً[١]، ومع هذا وذاك كان لابد لي أن أعترف بدوري القاصر في تحقيق الكتاب؛ إذ إن المهمة صعبة وتحتاج إلى مؤسسة لا لفرد واحد يعيش في ظروف قاسية في بلد مثل العراق، فأحمد الله على إتمام العمل بالصورة التي يراها القارئ بين يديه، وأظن أن اعتذاري مقبول بقول القدماء: (الميسور لا يترك بالمعسور).

النسخة المعتمدة:

لعدم عثورنا على النسخة الخطية للكتاب والتي كتبها المؤلف رحمه الله بخطه الجيد كما وصفها الشيخ الطهراني رحمه الله في الذريعة؛ اعتمدنا على الطبعة الثانية من الكتاب لكونها امتازت بإدخال التصويبات التي كتبت في جدول الخطأ والصواب في آخر الطبعة الأُولى والتي طُبعت في حياة المؤلّف رحمه الله، كما وجدت نسخة مصححة من الطبعة الأُولى في ممتلكات السيِّد مُحَمَّد صادق بحر العلوم رحمه الله، صُححت بمباشرة المؤلّف رحمه الله، وكتب المؤلّف في آخرها ما نصّه: **(بلغ مقابلته بحسب الجهد والطاقة من أوله إلى آخره بمباشرة الأقلّ مؤلّفه جعفر آل بحر العلوم عفي عنه سنة ١٣٦٣هـ)**[٢]، فاستفدت من تصحيحاته الزائدة عما موجود في جدول الخطأ والصواب.

---

(١) فقد حدّثني الدكتور مُحَمَّد سعيد الطريحي: (أنه اتفق هو والمرحوم السَّيد عبد الزهراء الحسيني على تحقيق الكتاب سويةً ولم يحالفهم التوفيق في ذلك)، وحدثني السَّيد هاشم الميلاني دام عزّه: (أنه أراد أن يشرع بتحقيقه لكن الاستخارة لم تساعده في ذلك).

(٢) فهرس مخطوطات مكتبة السَّيد مُحَمَّد صادق آل بحر العلوم: ٣١٢ رقم ٣٤٩.

منهج التحقيق:

اتبعنا في تحقيق الكتاب المنهج الآتي:

١- اعتمدت الطبعة الثانية من الكتاب وقمت بتنضيدها ومقابلتها.

٢- ضبطت النصّ، وأثبتُّ ما سقط منه، كما صحّحت تصحيفاته وأخطاءه ـ غير القليلة ـ المطبعية والإملائية؛ على الطريقة المألوفة وبحسب مصادر الكتاب.

٣- إبراز فقرات مقدِّمة المعالم ـ أصل الشرح ـ بالترقيم وتمييزها باللون الغامق، واحتوى الجزء الأول منه على (٦٢) فقرة، والثاني على (٥٢) فقرة، ومجموعهما (١١٤).

٤- تخريج الآيات القرآنيّة وحصرها بين الأقواس المزهّرة.

٥- إرجاع جميع الأحاديث الشريفة والأقوال التي في الأصل إلى مصادرها وإلاّ فإلى بعض المصادر المتضمّنة لها، وربّما استخدمتُ أُسلوب التلفيق بين المصدر والأصل، مع الإشارة إلى مورد الاختلاف في الهامش.

٦- ما وضعناه بين المعقوفين [ ] إن كان في كلام منقول من مصدرٍ بعينه فهو من ذلك المصدر، وإلاّ فهو من عندنا لضرورةٍ أو لزيادةِ إيضاح.

٧- علّقنا بعض التعليقات الضرورية في الهوامش لرفع غموض أو بيان مطلب أو ما شابه ذلك.

٨- وحيث إن الأصل يخلو من وجود أيّ عنوان سوى العنوان الرئيسي للكتاب، أدخلت العناوين التي في فهرس الكتاب عليه، عند تقطيعي لنصوصه.

٩- أوضحتُ ما استُبهم من غريب اللغة مع ذكر المصدر.

١٠- صرّحت في الهامش بالنصوص التي لم أعثر عليها، وكذا الكتب التي لم أقف عليها، وذلك للأمانة العلمية.

شكر وعرفان:

عرفاناً بالجميل المسدى إليَّ وإيماناً بالحديث الوارد عن الإمام الرضا عليه السلام: **«من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل»**[1].

رأيت أن أشكر من آزرني لتحقيق هذا الكتاب، فجزاهم الله جميعاً أفضل جزاء المحسنين، وهم:

أ- سماحة العلاّمة السيِّد فاضل آل بحر العلوم دام عزّه؛ لتبنّي مشروع تحقيق هذا الكتاب ونشره.

ب- سماحة العلاّمة السيِّد مُحَمَّد علي آل بحر العلوم دام عزّه؛ لتشجيعي ومراجعة بعض الكتاب، والسماح لي بقراءة النسخ الخطية في مكتبة العلمين عند تحقيقي الكتاب.

ج- سماحة العلاّمة السيِّد حسن آل بحر العلوم دام عزّه؛ لتشجيعي وحثّي لإتمام العمل.

د- إدارة المكتبة الحيدرية في الحرم المطهَّر وإدارة مكتبة الإمام الحكيم رحمه الله، وإدارة مكتبة الإمام مُحَمَّد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله العامّة في النجف الأشرف، حيث فتحت الثلاث أبوابها لي ـ وبعناية خاصّة ـ ولتزويدي بمصادر التحقيق.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٧ ح٢.

هـ - كل من ساهم معي في مقابلة الكتاب، وأخصُّ بالذكر الأخوين الشيخ رافد الكعبي، وحسين هادي ونّاس، وزوجي التي صبرت معي كثيراً.

و- الأُستاذ الأخ علي حبيب العيداني؛ المصحِّح اللُّغوي للكتاب.

ز- الأخ الأُستاذ عبد العزيز آل عبد العال؛ لتوفيره بعض مستلزمات العمل.

فإليهم منّي جميعاً أسمى آيات الشكر والعرفان.

وختاماً

ألتمس من إخواني المؤمنين، ولا سيما أهل البحث والتحقيق، أن ينبّهوني على ما قد يجدونه من الخطأ غير المقصود ممّا جرى به القلم وزاغ عنه البصر، فإنّ الإنسان موضع الغلط والنسيان، والكمال لله والعصمة لأهلها والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

وكَتَبَ محقِّق الكتاب أحمد علي مجيد الحلّي مولداً

النجفي منشأً ومسكناً ومدفناً إن شاء الله تعالى

في النجف الأشرف في جوار الروضة العلوية المقدَّسة

يوم ١٥ من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف رحمه الله]

حسن ابتدائي بحمد الله الَّذي شرح صدورنا بمعالم الدين[1]، ونوّر قلوبنا بأنوار الهداية واليقين، وأردف علينا فواضل النِّعم، وَعلَّمنا من العلوم ما لم نعلَم، سبحانه وبحمده أوجدنا بعد أن لم نكن شيئاً مذكورا، ورزقنا من مشاهدة آياته هدايةً ونورا، جمع لكسب آدابنا جميع المُعدّات، وفتح لنا سبل الخيرات، ثُمَّ الصلاة على أصبح مَن سبق إلى عالم الإيجاد، وأفصح من نطق بالضاد، محمّد الَّذي صدع بما أُمرَ من الرسالة، فأزال عنّا غياهب الجهالة، وشيّد الأحكام، وبالغ في الإِحكام، وعلى آله الَّذين حازوا لذّة العلم والعمل، وانحازوا عن سلوك جادة الزيغ والزلل.

وبعد، فيقول الغريق في بحر العصيان، الراجي من رحمة ربِّه صوب الغفران، جعفر نجل المرحوم السيِّد محمّد باقر آل بحر العلوم الطباطبائي: إنَّ كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) الَّذي هو من مصنَّفات الشيخ الفاضل النِّحرير[2]، والمحقّق الكامل الَّذي ليس له نظير، حسن ابن الشيخ الشهيد السعيد العلاّمة ركن الإسلام والمسلمين زين الملّة والدين العاملي[3] ـ أحسن الله إليهما ـ

---

(١) لمّا كان اسم صاحب المعالم رحمه الله: (حسن) ؛ ابتدأ الشارح في مقدمته بكلمة: (حسن) ، وهو من براعة الاستهلال.

(٢) النِّحرير: الرجل الفطن المتقن البصير بكل شيء.(لسان العرب ٥: ١٩٧) .

(٣) هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني بن علي بن أحمد العامليّ الجبعيّ، قدّس الله روحه، واشتهر بصاحب المعالم، نسبةً إلى كتابه الذي ألّفه في الفقه مع مقدمة في أصول الفقه وسمّاه معالم الدين وملاذ المجتهدين.

وكان من فطاحل العلم وعشّاق المعرفة، وقد سما إلى المقام الأسنى في مختلف العلوم، حيث انّه دخل ميادين العلم دخول المحترف القدير، فكان يدأب في أخذ العلم ونشره طيلة عمره ليله ونهاره، وكان علمه يتقاطر من أنامله، ومعالمه هذه رشحة من بحار فضائله، فكان لسان الثناء بذكره نطوق في الأصول والفروع، فقد كان

أجلّ ما أُلِّف في الفقه والأُصول، وأحسن ما جمع فيه بين الدليل والمدلول، من حيث إيجاز اللفظ وإشباع المعنى، وتقصير العبارة وإطالة المغزى، فكم قيَّدَ فيه من الأوابد[١] ما أطلقه المحقِّقون، واقتضّ[٢] من الشوارد ما لم يصبه المدقّقون؛ ولذا تداول سيره في البلاد فتداولوه، وانتظم في سلك المصاحف المكرَّمة فتناقلوه، وتصدّى لكشف غوامضه رجال من أهل العلم شكر الله تعالى سعيهم[٣]، وقد أحببت أن أضع على مقدِّمته التي تُضرب بها الأمثال، وتلقتها بيد القبول حملة الفضل والكمال، شرحاً ممَّا سمعت فوعيت، وجمعت فأوعيت، من فوائد

محقّقاً عالماً درس المعقول والمنقول والفروع والأصول والمنطق والبلاغة والرياضيّات. وأمّا الأدب فهو روضة الأريض ومالك زمام السجع منه والقريض، والناظم لقلائده وعقوده، والمميّز عروضه من نقوده فهو النجم الزاهر في سماء العلم والمعرفة.

وقد وُلد في أُسرة ساهمت مساهمة فعّالة في تقدّم العلوم الإسلامية حيث تقلّدت شرف المرجعيّة والزعامة الدينيّة، وعلى رأسها الشهيد الثاني قُدّس سرّه، وكانت ولادته لعشرة بقين من شهر رمضان المبارك عام ٩٥٩هـ في قرية (جُبَع) من قرى جبل عامل بلبنان.

وكان عمره حين استشهاد والده سبع سنين حيث اشتغل في تلك النواحي المقدّسة وأخذ بتحصيل العلوم على يد جملة من فضلائها البارعين وطلبة والده الشهيد، توفي سنة ١٠١١هـ من آثاره: كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) الذي اشتهر به شهرة عظيمة وفي مقدمّته خطبة نفيسة في فضل العلم والعلماء وكتابنا الذي بين يديك ـ عزيزي القاري ـ هو شرح لهذه الخطبة.

وكتاب (التحرير الطاوسي) ، وغيره من الكتب التي خدم بها الإسلام والمذهب الحقّ فسلام عليه يوم ولد ويوم انتقل إلى الرفيق الأعلى، ويوم يُبعث حياً.

(١) الأوابد: جمع آبدة، وهي التي قَدْ توحشت ونفرت من الإنس، والآبدة: الكلمة أو الفعلة الغريبة، ويقال للكلمة الوحشية: آبدة، وجمعها الأوابد. (لسان العرب ٣: ٦٩)

(٢) كذا، واقتض الجارية وافتضها، بالقاف وبالفاء، أي افترعها، والسياق يقتضي: (واقتنص) .

(٣) ينظر: الذريعة ٦: ٢٠٤- ٢١٢ فقد عدَّ مؤلِّفها الشيخ أغا بزرك الطهراني رحمه الله لكتاب (معالم الدين) ٥٨ حاشية عليه، أوّلها رقم ١١٣٤وآخرها رقم١١٩٢.

جمّة، وقواعد مهمّة، هي لشاردات المعاني أزمّة[١]؛ فلذا تجدني أتعمد إلى ما يستطرد إليه الكلام من نكتة، وأتعرض لجملة أذكرها بغتة، ولم آل جهداً في إحكام أُصول هذا الشرح حسب ما يليق بزماني هذا، وتسعه سنو عمري على قلة أعدادها، فقد وفقني الله تعالى وله الحمد حَتَّى اقتبست كلّما احتجت إليه في هذا الباب من مظانّه وأخذت من معادنه، وقد أُشتهر في عرف المتأخّرين أنَّ علم الأدب عبارة عن النكت والنوادر من الشعر والتواريخ، وذكر الشيء بالشيء بالاستطراد وبالمناسبة مع مراعاة مقتضى الحال، وإلى ذلك يلمح أبو عبيد حيث يقول: **(من أراد أن يكون عالماً فليلزم فنّاً واحداً، ومن أراد أن يكون أديباً فليتّسع في العلوم)**[٢].

وبالجملة: من أراد العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه، ومن أراده لغيره فحوائج الناس كثيرة. والعمدة في اختياري لهذا المسلك قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنَّ هذه القلوب تمل كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحِكَم»**[٣].

وهو من إجمام النفس، وقد جاء فيه كثير:

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه: **(أنا أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي)**[٤].

---

(١) الأزم: شدة العض بالفم كلّه، وقيل بالأنياب. (لسان العرب ١٢: ١٦).

(٢) العقد الفريد ٢: ١٧٩ والقول فيه لعبد الله بن مسلم.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٢٠ ح ٩١.

(٤) أراد بقوله: إني أنام بنيَّة القوة، وإجماع النفس للعبادة وتنشيطها للطاعة، فأرجو في ذلك الأجر كما أرجو في قومتي، أي صلواتي. (ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٢: ٢٠٩)

وقال عمر بن عبد العزيز: (إنّ نفسي راحلتي، إن كلفتها فوق طاقتها انقطعت بي).

وقال آخر: (روّحوا الأذهان، كما تروّحوا الأبدان).

وقال أردشير بن بابك[١]: (إنّ للآذان مجّة[٢]، وللقلوب مَلّة ففرّقوا بين الحكمتين بلهوٍ، يكن ذلك استجماما)[٣].

وقال الزمخشري في(ربيع الأبرار): (قصدت بهذا الكتاب إجمام خواطر الناظرين في (الكشّاف عن حقائق التنزيل)، وترويح قلوبهم المتعبة بإحالة الفكر في استخراج ودائع علمه وخباياه)[٤].

ولذا كان كثير من العلماء وأعيان الحكماء ذوي دعابة مقتصدة لا مسرفة، فإنّ الإسراف فيها يخرج صاحبه إلى الخلاعة، ولقد أحسن من قال:

أفِدْ طَبعَك المكدودَ بالجدِّ راحةً تُجَمُّ وعلّلْهُ بشيءٍ من المَزحِ

ولكنْ إذا أعطَيتَهُ ذاكَ فَلْيكُنْ بمقدارِ ما يُعطى الطعامُ مِنَ المِلحِ[٥]

---

(١) أردشير بن بابك: هو أوّل ملوك بني ساسان الفرس.

(٢) كذا وفي حديث الزهري: ((الأُذن مجّاجة)) ، أي: التي تمجُّ ما تسمعه فلا تعيه، ومع ذلك فلها شهوة في السّماع) . (النهاية في غريب الحديث ١: ٤٢٤) .

(٣) الأقوال الأربعة وردت في شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٤٧.

(٤) ربيع الأبرار ١: ٢٠.

(٥) المكدود: المجهد، والبيتان لأبي الفتح البستي. (ينظر: نهج البلاغة ١٩: ١٦، البداية والنهاية ١١: ٣١٦، يتيمة الدهر ٤: ٣٧٨)

وإنَّ النفوس قَدْ يقع لها انصراف عن العلم الواحد، وملال النظر فيه بسبب مشابهة بعض أجزائه لبعض، فإذا اطلعت النفس على بعضه قاست ما لم تعلم منه على ما علمت، ولم يكن الباقي عندها من الغريب لتلتذّ به وتدوم على النظر فيه، وهذا الملال[1] غير محمود للنفس، فأحسن علاج لدفع الملال عنها انتقالها من باب إلى باب، ومن حكمة إلى حكمة، حَتَّى تلتذ باكتسابها من حيث إنَّ لكلّ جديد لذّة.

فجاء بحمد الله كما توخيت منضوجاً بنار الرويّة، مردّداً على رواق الفكرة، متضمناً لعجائب ما كتبته ولطائف ما جمعته، فهو تذكرة يستصحبه الرجل حيث حَلّ وارتحل، ويقتدي به في مرحلة العلم والعمل، وعلى الله المعوّل في تيسير ما أردت، وله الحمد كلّما قمت أو قعدت، وسمّيته (تُحفة العالِم في شرح خطبة المعالِم).

وهذا أوان الشروع في المقصود.

---

(١) الملال: أي الملل، وهو أن تملّ شيئاً وتعرض عنه. (لسان العرب ١١: ٦٢٨)

حديث البسملة والحمدلة

[١]- قال أجزل الله له الثواب كما ألهمه النُطق بالصّواب: «بسم الله الـرحمن الرحيم»[١].

أقول: افتتح الكـلام بالبـسملة اقتـداءً بحـديث خيـر الأنـامﷺ ففـي تفـسير العسكريعليه السلام عن آبائه، عن عليعليه السلام: إنَّ رسـول اللهﷺ حـدَّثني عـن الله عـزَّ وجلَّ أنّه قال: «كلّ أمر ذي بال لا يُذكر بسم الله فيه، فهو أبتر»[٢].

وفي (الجعفريات) قال: قال رسول اللهﷺ: «كلّ كتاب لا يُبدأ فيـه بـذكر الله، فهو أقطع»[٣].

قلت: وحديث الابتداء مرويّ في التحميد أيضاً كما فـي (مجمـع البحـرين) أنَّ في الحديث: «كلّ أمر ذي بال لم يُبدأ بحمد الله فهو أبتر»[٤].

ورواه العامّة أيضاً في عامة كتبهم وصحاحهم[٥].

وعليه فالجمع بينهما مشكل، فإنَّ الابتداء بكلّ منهما ينافي الابتداء بالآخر.

وأحسن ما قيل في حَلّ الإشكال: إنَّ الابتـداء يُعتبـر فـي العـرف ممتـداً مـن حين الأخذ في التصنيف إلى الشروع في المقصود فيقارنه التسمية والتحميد، بـل والصلاة على النبيﷺ.

---

(١) معالم الدين: ٣.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكريعليه السلام: ٢٥.

(٣) عنه مستدرك الوسائل ٨: ٤٣٤ح ٩٩١٧: ٨.

(٤) مجمع البحرين ١: ٢٦٦.

(٥) ينظر: السنن الكبرى للنسائي٦: ١٢٧ ح١٠٣٢٨، صحيح ابن حبان ١: ١٧٣، السنن الكبـرى للبيهقـي ٣: ٢٠٩، كنز العمال ٣: ٢٦٣ ح٦٤٦٢ وغيرها، وفيها: (فهو أقطع) .

الظرف اللغو والمستقر

والباء في: «بسم الله» إمّا للملابسة- أي: المصاحبة- بمعنى: مع، كما في: دخلت عليه بثياب السفر.

وحينئذ فإن جعلنا المتعلق متلبساً المقدّر فالظرف مستقر حال من ضمير ابتداء الكتاب، وسمّي هذا الظرف مستقراً؛ لكون متعلّقه عامّاً واجب الحذف كالظرف الواقع خبراً، أو صفة، أو صلة، أو حالاً، فإنَّ المشهور بين النحويين أنَّ متعلق الظرف في هذه المواضع عام واجب الحذف؛ لقيام القرينة على تعيُّنه وسد الظرف مسدّه.

فلا يقال: زيد مستقر في الدار وكائن فيها. ولا شاهد له من كلام العرب، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ﴾[1]، فمعناه: ساكناً غير متحرّك، وليس معناه كائناً وموجوداً، فليس من الأُمور العامّة حَتَّى يجب حذفه، وعلى كلّ حال، فلا يحذف العامل مع الضمير، بل يجعل الضمير مستقراً في الظرف، فهو مستقر فيه بالفتح حذف فيه تخفيفاً، أو لتعلُّقه بالاستقرار العام، فمعنى كون الظرف مستقراً، له تعلُّق بالاستقرار كالشمس.

وإن جعلنا المتعلق كتبت من دون تقدير متلبّساً؛ لإفادة معنى التلبس والمقارنة من الباء من دون تقدير، فيكون الظرف لغواً، هذا كلّه بناء على حمل الباء على الملابسة.

وإن جعلناه للاستعانة فالظرف لغو كما في: كتبت بالقلم. لأن المتعلق إمّا الفعل المذكور والباء لإفادة معنى الاستعانة- أي: كتبت باستعانة القلم- أو يُقدَّر

(١) سورة النمل: من الآية ٤٠.

(مستعيناً) في الكلام والباء متعلق به، وعلى التقديرين فالظرف لغو، أمّا على الأوّل فظاهر، وأمّا على الثاني؛ فلأنّ الاستعانة ليست من الأفعال العامّة.

هذا ما هو المشهور بين النّحاة في اصطلاح الظرف اللغو والمستقر، وربّما يُنقل عن السيِّد الشريف أن الظرف المستقر ما استقر فيه عامله، أي: ما ينساق إليه الذهن من نفس الظرف من غير ذكره عامّاً كان أو خاصّاً، كقولك: زيد في الدار- أي: حاصل فيها- وزيد على الفرس- أي: راكب عليها-[1].

إضافة الاسم إلى الله

وكيف كان فكون الباء للمصاحبة أدخل في التعظيم؛ لأنَّ التبرك باسمه تعالى تأدّب معه وتعظيم، بخلاف جعله آلة للمقصود، فإنَّ الآلة غير مقصودة بالذات وإن كان أدل على تمام الانقطاع؛ لإشعاره بأن الفعل لا يتم بدون اسمه تعالى، وإضافة الاسم إلى الله دون باقي أسمائه كالخالق والرازق ونحوهما؛ لأنها معان وصفات فيوهم اختصاص استحقاقه الحمد، أو التبرك، أو الاستعانة بوصف دون وصف بخلاف لفظ الجلالة، فإنه اسم للذات الواجب الوجود الجامع لجميع الخصال والكمال فهو أدلّ على الاستحقاق الذاتي.

عدم اتحاد الاسم والمسمى

ثمَّ إنّ في التبرك بالاسم أو الاستعانة به كمال التعظيم للمسمّى، فلا يدل على الاتحاد بين الاسم والمسمّى، بل ربّما دلّت الإضافة على تغايرهما، فلا وجه لما ذهب إليه العامّة من أنّ أسماءه تعالى عين ذاته بتوهم أنَّ في البسملة دلالة

---

(١) رسائل المرتضى (نقد النيسابوري) ٤: ٣١٢.

عليه، فإنَّ الاستعانة والتبرك بالذات لا باسمه تعالى وهو باطل ظاهر الفساد؛ لما عرفت، ولأنَّ (ا ل أ س د) غير (الأسد) قطعاً فكذا اسم الله تعالى.

أقسام العبادة في خبر هشام

ولما روى الشيخ الكليني في الكافي بإسنادٍ حَسن، عن هشام بن الحكم أنه سأل مولانا الصادق عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله ممَّا هو مشتق؟ قال: «فقال لي: «يا هشام، الله مشتق من إله والإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمّى، فَمَن عبدَ الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبدَ الاسم والمعنى فقد كفر وعبدَ اثنين، ومن عبدَ المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟» قال: فقلت: زدني، قال: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يُدَلُّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره، يا هشام، الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتَّخذين[1] مع الله تعالى غيره؟» قلت: نعم، قال: فقال: «نفعك الله به وثبَّتك يا هشام». قال هشام: فو الله ما قهرني أحدٌ في التوحيد حَتَّى قمت مقامي هذا»[2].

بيان في كلمة إله

بيان: (إِله) بكسر الهمزة على: فِعال بمعنى مفعول، فلمَّا أُدخلت عليه الألف واللام حُذفت الهمزة تخفيفاً؛ لكثرته في الكلام، ولو كانتا عوضاً منها لما اجتمعتا

---

(١) كذا في المصدر وفي الأصل: (والملحدين) وسيأتي الكلام عند بيانها من المؤلِّف رحمه الله.

(٢) الكافي ١: ٨٧ ح ٢.

مع المعوّض منه في قولهم: (الإلـه)، وإنّما قُطعت الهمزة مع كونها زائدة غير أصلية في النداء مثل: يا ألله، للزومها تفخيماً لهذا الاسم الشريف[١].

قوله عليه السلام: «والاسم غير المسمّى» يعني: الله المركّب من ألف ولام وهاء، غير معناه المقصود منه، وهو دليل على بطلان ما نقلناه عن بعض العامّة وهم الأشاعرة[٢]: مِن أنَّ الاسم عين المسمّى، ولما أشار عليه السلام إلى أنَّ الاسم غير المسمّى أشار إلى أقسام العبادة وإثبات حقّية واحد منها وإبطال ما عداه بقوله عليه السلام: «فمن عبد الاسم» أي اتخذه معبوداً لنفسه دون المعنى المقصود منه وهو المعبود الحقيقي فقد كفر بالله؛ إذ جعل ما ليس بربٍّ ربّا، «ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين»؛ لجعله ما ليس معبوداً وهو الاسم معبوداً مع المسمّى فهو مشرك بهذا الاعتبار، «ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد» المطلق الَّذي اعتبر فيه تجرُّده عن جميع ما سواه حَتَّى عن اسمه تعالى، «فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منه إلهاً» ولزم تعدد الآلهة بتعدد الأسماء وهو باطل، والملزم مثله «يدل عليه بهذه الأسماء» وكلّها غيره؛ لأنَّ الدليل غير مدلول قطعاً.

---

(١) شرح أُصول الكافي للمازندراني ٣: ٩٩.

(٢) قال الشيخ فضل الله الزنجاني في تعاليقه على كتاب (أوائل المقالات) ، ما نصّه: (وأمّا ابن فورك- من متكلّمي الأشاعرة- فقد حُكي عنه أنه قال: (إنَّ كلّ اسم فهو المسمّى بعينه، وإنّه إذا قال القائل: الله، قوله دال على اسم هو المسمّى بعينه) ، ونقل عنه ابن حزم أنّه كان يقول: إنّه ليس لله تعالى إلاّ اسم واحد، وإنَّ ما ورد في القرآن من قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى) وكذا ما في الخبر: (إنَّ لله تسعة وتسعين اسما) فالمراد به التسمية، ففرّق هو بين الاسم والتسمية. وقد أطال ابن حزم في الرد عليه، ومذهب المعتزلة والشيعة هو: اتحاد الاسم والتسمية ومغايرتهما للمسمّى) . (ينظر: أوائل المقالات: ٢١٧ الهامش)

«يا هشام الخبز اسم للمأكول» يعني أنَّ هذه الأسماء تغاير مسمّياتها، فكذلك الحال في أسمائه تعالى. ومَن قال: هذه الأسماء للخلق لا نزاع في مغايرتها مع المسمّى، قلنا: إنَّ الفرق تحكُّم وعلى المدَّعي الإثبات.

قوله: «أعداءنا الملحدين»[1] وفي احتجاج الطبرسي «المتخذين»[2] بالذال المعجمة، وعليه لا يحتاج إلى تضمين معنى الأخذ في الإلحاد.

و(الرحمن) و(الرحيم): اسمان بنيا للمبالغة من (رحم) كالغضبان من (غضب)، والعليم من (علم)، والأوّل أبلغ؛ لأنَّ زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى، ومختص به تعالى، لا لأنَّه من الصفات الغالبة؛ لأنه يقتضي جواز استعماله في غيره تعالى بحسب الوضع وليس كذلك، بل لأنَّ معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها، أي: إلى مرتبة لا ينتهي إليها غيره، وهذا يفيد جلائل النعم ولا يعم.

وتعقيبه بالرحيم من قبيل التتميم، فإنه لمّا دلّ على جلائل النعم وأُصولها، ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها من صغائر النّعم وفروعها، هذا حاصل ما ذكره بعض الشُرّاح في مثل المقام[3].

وعلى كل حال فليست رحمته تعالى باعتبار رقّة القلب؛ إذ لا يليق به الانفعال تعالى عن ذلك.

---

(١) قَدْ بيّنا سابقاً – في الهامش – أنّا أثبتنا: (المتخذين) من المصدر، فتأمّل.

(٢) الاحتجاج ٢: ٧٢.

(٣) ذكره الشهيد الثاني رحمه الله في الروضة البهية ١: ٢١٦.

البسملة في أوائل السور

تذييل: قَدْ طال التشاجر في شأن أوائل السور المصدّرة بالبسملة في المصاحف هل هي هناك:

[أوّلاً]- جزء من السورة الكريمة، سواء الفاتحة وغيرها؟

[ثانياً]- أو من الفاتحة لا غير؟

[ثالثاً]- أو أنها ليست جزءاً من شيء، بل آية منفردة من القرآن أُنزلت للفصل بين السور؟

[رابعاً]- أو أنها لم تنزل إلاّ بعض آية في سورة النمل، وإنَّما يأتي التالي بها في أوائل السور للتميُّز[1] والتبرك؟

[خامساً]- أو أنها آيات من القرآن أُنزلت بعدد السور من غير كونها جزء شيء منها؟

والأوّل: مذهب الأصحاب كافة، وقد وردت به الروايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

والثاني: مختار بعض الشافعية.

والثالث: مختار متأخّري فقهاء الحنفية.

والمشهور بين قدمائهم هو: الرابع.

والخامس: منسوب إلى أحمد وداود[2].

---

(١) في الأصل: (للتيمّن) وما أثبتناه من المصدر.

(٢) حكاه الطريحي عن بعض المفسّرين. (ينظر: مجمع البحرين ١: ٢٠١)

الحمد والمدح والشكر

[٢]- قال رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد لله المتعالي في عزِّ جلاله عن مطارح الإفهام»[١].

أقول: الحمد لغةً الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم، فخرج بالجميل الثناء على غيره على قول بعضهم: إنَّ الثناء حقيقة في الخير والشر، وعلى رأي الجمهور: أنَّه حقيقة في الخير فقط، ففائدة ذكر ذلك تحقيق الماهية، أو دفع توهم إرادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند مجوّزه من الأُصوليين، وبالاختياري المدح، فإنه يعمُّ الاختياري وغيره عند الأكثر، يقال: مدحت اللؤلؤ على صفائه.

وعلى جهة التعظيم يخرج ما كان على جهة الاستهزاء أو السخرية، أو كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٢][٣].

والشكر: لغةً فعل يُنبئ عن تعظيم المنعم بسبب الإنعام، سواءً أكان ذِكراً باللسان أم اعتقاداً ومحبّة بالجنان، أم عملاً وخدمة بالأركان، فمورد الحمد هو اللسان وحده، ومتعلقه يعم النعمة وغيرها، ومورد الشكر يعم اللسان وغيره، ومتعلقه يكون النعمة وحدها، فالحمد أعم باعتبار المتعلق، وأخص باعتبار المورد، والشكر بالعكس، فيتصادقان في الثناء باللسان في مقابلة الإحسان، ويتفارقان في صدق الحمد فقط على الوصف بالعلم والشجاعة، وصدق الشكر فقط على الثناء بالجنان في مقابلة الإحسان.

---

(١) معالم الدين: ٣.

(٢) سورة الدخان: من آية ٤٩.

(٣) روض الجنان: ٤، سوى المثال الأوّل.

هذا معنى الحمد والشكر والفرق بينهما لغةً.

وأمّا معناهما العرفي فالحمد: فعل يُنبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الحامد أو على غيره، سواءً أكان باللسان أم بالجنان أم بالأركان، والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله.

أقسام أل التعريف

ثمَّ الألف واللام: معناهما التعريف، أعني إحضار مدخولهما في الذهن، وينقسم إلى قسمين: تعريف الجنس، وتعريف العهد.

والأوّل ينقسم إلى ثلاثة أنواع؛ لأنه إمّا أن لا يخلفها (كلّ) لا حقيقة ولا مجازاً، فهي لبيان حقيقة الجنس والماهيّة من حيث هي، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، أي: من حقيقة الماء المعروف، وقيل: المني.

والفرق بين المعرّف بـ(أل) هذه وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيّد والمطلق، وذلك؛ لأنَّ ذا الألف واللام يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن، وهو معنى التعريف المدلول عليه بآلته، واسم الجنس النكرة يدل على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد، وإن خلفها (كلّ) حقيقة فهي لشمول أفراد الجنس، ويُعبّر عنه بالاستغراق نحو: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[2]، فإنه لو قيل: «وخلق كلّ إنسان ضعيفاً» لكان صحيحاً على جهة الحقيقة، وإن خلفها (كلّ) مجازاً فهي لشمول خصائص الجنس مبالغة، نحو: «أنت الرجل علماً»، فإنه لو

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٢) سورة النساء: ٢٨.

قيل: «أنت كلّ رجل علماً» لصحّ على جهة المجاز على معنى: «إنك اجتمع فيك ما افترق في غيرك من الرجال من جهة كمالك في العلم» ولا اعتداد بعلم غيرك لقصوره عن رتبة الكمال، كما في المثل السائر: «كلّ الصيد في جوف الفرا»[١].

والثاني ينقسم إلى ثلاثة أنواع.

العهد الذكري: وهو الَّذي يتقدّم لمصحوبه ذكرٌ، نحو: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا*فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾[٢]، وفائدته التنبيه على أنّ الرسول الثاني هو الأوّل؛ إذ لو جيء به منكّراً لتوهم أنه غيره.

والعهد الذهني: وهو أن يتقدّم لمصحوبه علم، على نحو: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾[٣]، ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[٤]، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[٥]؛ لأنَّ ذلك معلوم عندهم.

والعهد الحضوري: وهو أن يكون مصحوبه حاضراً نحو: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٦] أي: اليوم الحاضر.

إذا عرفت هذا فاعلم أنَّ اللام في الحمد للاستغراق عند الجمهور، وللجنس عند الزمخشري[٧]، ولا فرق هنا؛ لأنَّ لام الله للاختصاص فلا فرد منه لغيره، وإلا لوجد الجنس في ضمنه فلا يكون الجنس مختصاً به.

---

(١) مثل يضرب لمن يُفضّل على أقرانه.(مجمع الأمثال ٢: ٨٢)

(٢) سورة المزمل: ١٥- ١٦.

(٣) سورة طه: من آية ١٢.

(٤) سورة الفتح: من آية ١٨.

(٥) سورة التوبة: من آية ٤٠.

(٦) سورة المائدة: من آية ٣.

(٧) ينظر: الكشّاف ١: ٤٩.

ومعنى الاستغراق فيما نحن فيه: أنّ جميع أفراد الحمد من كلّ حامد إلى كل محمود مرجعه إلى الله. وفي الحقيقة حمدٌ لله تعالى، سواء كان على الفواضل أو على الفضائل، فكلّ ذلك عارية منه تعالى كما في الحديث: «إليه يرجع عواقب الثناء»[١]، وقد عرفت معنى لفظ الجلالة.

عدم إمكان العلم بكنه ذاته

«المتعالي في عزّ جلاله» أي: المرتفع بسبب القوّة والغلبة والعظمة، فـ(في) هنا للسببية.

والعزّة، بمعنى: القوّة والغلبة.

والجلالة، بمعنى: العظمة.

«والمطارح» جمع: مطرح، وهو إمّا: مصدر، بمعنى: الرمي. أو: اسم مكان[٢].

[٣]- قال رحمه الله: «فلا يحيط بكنهه العارفون»[٣].

أقول: (الفاء) للتفريع، وإنّما خصّ العارف بالذكر؛ لأنَّ حكم غيره يعرف بالأولوية به، ولأن غيره لا يعتد به، وفيه ردّ على جماعة من المتكلّمين والأشاعرة حيث جوّزوا العلم بكنه ذاته، وكيف يمكن الإحاطة بها وهذا سيِّد الأنبياء صلى الله عليه وآله يقول: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك»[٤]، وكان يكرر من قول: «اللهُمَّ زدني

(١) ينظر: شرح الأسماء الحسنى ٢: ٢٢، شرح فصوص الحكم: ٥١٠.

(٢) ينظر: لسان العرب ٢: ٥٢٨، مادة: (ط. ر. ح).

(٣) معالم الدين: ٣.

(٤) ذكره المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٦٨: ٢٣، وفي حق اليقين في الرابع من الصفات السلبية، وقد كتب الشيخ محمّد بن قطب الدين الأزنيقي رسالة في شرح هذا الحديث، ينظر: كشف الظنون ١: ٨٧١.

فيك تحيُّرا»[١].

وقال سيِّد العارفين: **«أنا لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»**[٢].

وقال سيِّد الساجدين عليه السلام في دعاء التحميد لله: **«قصرت عن إدراكه أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين»**[٣]، وإنما لم يقل عليه السلام: «عقول الواصفين»؛ لأنَّ العقل لكماله وشرافته لا يحوم حول هذا الحمى؛ لأنَّه لا يتعرض إلا لإدراك ما يمكن بخلاف الوهم، فإنه هو الَّذي يُدرك مالا يمكن ولا حقيقة له خارجاً، كإنسان ذي رأسين، وحيوان من ذهب، ومع هذا فهو عاجز عن الوصول إلى حقيقة الصفات؛ لأنها عين الذات، **«فسبحان من تاهت في ذاته نواظر العقول، وحارت في صفاته بصائر الفحول»**[٤].

النهي عن التكلم في الذات

ومن هنا ورد في الأخبار النهي عن التكلُّم في هذا الشأن، ففي «الكافي» بإسناده عن أبي بصير، قال أبو جعفر عليه السلام: **«تكلّموا في خلق الله، ولا تتكلّموا في الله، فإنّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيّراً»**[٥]، وبُعداً عنه، فإن الأمر

(١) ورد الحديث مرسلاً في الفتوحات المكية ١: ٢٧١، ٤٢٠، وكذا في شرح فصوص الحكم: ١١١٨، وشرح الأسماء الحسنى ١: ١٩٨، وليس فيه: (أنا) وورد بلفظه في جامع السعادات ٣: ٢٩١.

(٢) الحديث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله برواية الإمام علي أبي طالب عليه السلام في مسند أحمد ١: ٩٦، ١١٨، ج ١٥٠: ٦، ٢٠١، وبرواية عائشة في صحيح مسلم٢: ٥١، وسنن ابن ماجة ٢: ١٢٦٣.

(٣) الصحيفة السجادية: ٢٢ ضمن دعائه عليه السلام بحمد الله عزَّ وجلَّ والثناء عليه.

(٤) عن شرح أصول الكافي للمازندراني ٣: ١٥٣.

(٥) الكافي ١: ٩٢ ح ١.

بالتكلّم في خلق الله؛ لأنَّ آياته الباهرة وآثاره الظاهرة في العالم دالّة على وجوده ففي كلّ شيء له آية، دليل على أنه الواحد، ولكلّ ذرة من الذرات لسان يشهد بوجوده، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[١].

وكما هو المقصود من قوله عليه السلام: «اعرفوا الله بالله»[٢]، أي بأسبابه المجعولة من قبله معرفاً من الآيات، والآثار، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، كما قال عليه السلام: «يا من دلّ على ذاته بذاته»[٣].

وفي دعاء أبي حمزة: «بك عرفتك وأنت الّذي دللتني عليك ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر[٤] من أنت»[٥].

وبالجملة: فإنه عزّ سلطانه وبهر برهانه قَدْ سطّر آيات قدرته في صحائف الأكوان، ونصب رايات وحدته في صفائح الأعراض والأعيان، وجعل كلّ ذرة من ذرات العالم، وكلّ قطرة من قطرات العلم[٦]، وكلّ نقطة جرى عليها قلم الإبداع، وكلّ حرف رقم في لوح الاختراع، مرآةً لمشاهدة جماله، ومطالعة

---

(١) سورة فصلت: من آية ٥٣.

(٢) الحديث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام. (ينظر: الكافي ١: ٨٥ ح ١)

(٣) هذه الفقرة هي من دعاء الصباح المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام. (ينظر: بحار الأنوار ٨٤: ٣٣٩ ح١٩ عن اختيار ابن باقي)

(٤) في الأصل: (لم أعرف) وما أثبتناه من المصدر.

(٥) من دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام الّذي علّمه لأبي حمزة الثمالي. (ينظر: مصباح المتهجد: ٥٨٢، إقبال الأعمال ١: ١٥٧)

(٦) في الأصل: (من البحر الخضم) وما أثبتناه من المصدر.

صفات كماله، حجّةً نيِّرة واضحة المكنون، وآية بيّنة لقوم يعقلون، وبرهاناً جلياً لا ريب فيه، ومنهاجاً سوياً لا يضلّ من ينتحيه[١].

والنهي عن التكلُّم في الله أي في ذاته وصفاته فإنّ ما يتعلق بهما بحر زاخر لا يصل إلى أطرافه النظر، ولا يدرك قعره البصر، ولا يجري فيه فكر البشر، فكلّ سابح في بحار عزّه وجلاله غريق، وكلّ طالب لأنوار كبريائه وكماله حريق، فإنْ تصوَّر من ذاته شيئاً فهو يشابه ذوات المخلوقات، وإن تعقّلَ من صفاته أمراً فهو يناسب صفات الممكنات، وإن لم يتصوَّر منهما شيئاً ولم يستقرَّ عقلُه على أمر صار موجباً للهمّ والغمّ والتدلُّه والحيرة، حَتَّى يؤدي ذلك إلى الجنون[٢]. ولنعم ما قيل:

فيكَ يا أعجوبة الكون ... غدا الفكر كليلا

أنتَ حيّرتَ ذوي اللبِّ ... وبلبلت العقولا

كلَّما قدمت فكري ... فيك شبراً فرَّ ميلا

هائماً يخبط عشواء ... فلا يُهدى سبيلا

الرد على المجسمة والمشبهة

[٤]- قال رَحِمَهُ الله: «المتقدّس بكمال ذاته عن مشابهة الأنام»[٣].

أقول: (التقدّس): التنزّه والتبعّد، وفيه ردّ على المجسِّمة والمشبِّهة، ولا ريب

(١) تفسير أبي السعود ١: ٣.

(٢) شرح أُصول الكافي للمازندراني ٣: ١٤٩.

(٣) معالم الدين: ٣.

في تنزيه الواجب عمّا لا يليق به مثل الجسمية والصورة والتحديد وغيرها من صفات الممكنات المحدثة، وكمالاتها المستفادة من الغير المستلزمة للنقصان والافتقار.

ومن خطبة الرضا عليه السلام في حضور المأمون: «**فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إيّاه وحّده من اكتنهه، ولا حقيقته أصاب من مثّله، ولا به صدّق من نهاه، ولا حمد حمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شبّهه، ولا له تذلّل من بعّضه، ولا إياه أراد من توهّمه، كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول**»[1].

وإذا كان منزّهاً عن أمثال هذا ممّا يوجب النقصان والزوال، كان باعتبار اتّصافه بأشرف طرفي النقيض في المرتبة الأعلى من الكمال وهو العلي الكبير.

[٥]- قال رحمه الله: «**فلا يبلغ صفته الواصفون**»[2].

أقول: لأنّ التوصيف عبارة عن بيان الكيفيات، ولا كيفية له كما عرفت بما لا مزيد عليه ولله المثل الأعلى.

النعمة ووجوب شكر المنعم

[٦]- قال رحمه الله: «**المتفضل بسوابغ الإنعام**»[3].

أقول: (سوابغ الإنعام) أي: النعم السابغة الكاملة، من باب إضافة الصفة إلى

---

(١) التوحيد للصدوق: ٣٤ ح٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣٥ ح٥١، أمالي المفيد: ٢٥٣ ح٤، الاحتجاج ٢: ١٧٤.

(٢) معالم الدين: ٣.

(٣) معالم الدين: ٣.

الموصوف على نحو: جرد قطيفة[١].

[٧]- قال رحمه الله: «فلا يحصي نعمه العادّون»[٢].

أقول: (النعمة) في اللُّغة: اليد[٣]، وفي العرف: المنفعة الحاصلة إلى الغير على جهة الإحسان، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[٤]، والنعمة على قسمين:

نعمة ظاهرة: وهي الأطعمة والأرزاق، وثمرتها حياة الأبدان وقوة الجسد والجوارح إلى مدّة قريبة الأمد.

ونعمة باطنة: وهي العلوم والمعارف والإلهامات، وهي رزق القلوب والنفوس، وهي أشرف الرزقين باعتبار أشرفية غايتها ومحلّها، أعني القلب وهو أشرف الجوارح، والمتولي لخلق الرزقين والمتفضل بإيصالهما إلى كلا الفريقين هو الله سبحانه، فلا ينبغي أن يتوكل في الرزق إلا عليه.

قال رجل لحاتم: من أين تأكل؟

قال: من خزانته.

قال: يلقي عليك الخبز من السماء؟

---

(١) أي أن (قطيفة) مجرورة. (ينظر: مغني المحتاج ١: ٩)

(٢) معالم الدين: ٣.

(٣) ينظر: العين ٢: ١٦١.

(٤) سورة إبراهيم: من آية ٣٤.

قال: لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء[1].

وأدلّ دليل على أشرفية الرزق الثاني من الرزق الأوّل ما جاء في الخبر: أنه جاء رجل إلى الصادق عليه السلام وشكا إليه الحاجة وذكر له واحداً من الناس ذا ثروة كثيرة، فقال عليه السلام: «أعطه علمك وخذ ماله وجهله». فقال: لا أرضى. فقال عليه السلام: «إنّ الله رزقك أفضل الرزقين، فكيف تشكو قلّة الرزق؟»[2].

---

(١) كذا، وفي تفسير القرطبي ج ٩ ص ٧، ما نصّه: وقيل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقال: من عند الله، فقيل له: الله يُنزل لك دنانير ودراهم من السماء؟ فقال: كأنّ ماله إلا السماء ! يا هذا، الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض، وأنشد:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ... ورازق هذا الخَلق في العسر واليسر

تكفل بالأرزاق للخلق كلّهم ... وللضبِّ في البيداء والحوت في البحر

(٢) من الواضح أنّ المؤلف رحمه الله ذكر مضمون الحديث فلذا لم أعثر على نصّه كما ذكره، وهناك حديثان مشابهان له رأيت من المناسب إيرادهما تباعاً:

الأوّل: ما رُوي عن الإمام الجواد عليه السلام في كتاب (الخرائج والجرائح) ج ١ص ٣٨٨ ح ١٧ في باب معجزاته، أنه قال مانصّه: «... ثُمَّ قلت- أي للإمام الجواد عليه السلام -: ما لمواليك في موالاتكم؟ فقال: إنَّ أبا عبد الله عليه السلام كان عنده غلام يمسك بغلته إذا هو دخل المسجد، فبينا هو جالس ومعه بغلة إذ أقبلت رفقة من خراسان، فقال له رجل من الرفقة: هل لك يا غلام أن تسأله أن يجعلني مكانك، وأكون له مملوكاً، وأجعل لك مالي كلّه؟ فإني كثير المال من جميع الصنوف، اذهب فاقبضه وأنا أقيم معه مكانك. فقال: أسأله ذلك. فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: جعلت فداك تعرف خدمتي، وطول صحبتي فإن ساق الله إليَّ خيراً تمنعنيه؟ قال: أعطيك من عندي، وأمنعك من غيري ! فحكى له قول الرجل، فقال: إن زهدت في خدمتنا، ورغب الرجل فينا قبلناه وأرسلناك. فلمّا ولّى عنه دعاه، فقال له: أنصحك لطول الصحبة ولك الخيار، إذا كان يوم القيامة كان رسول الله صلى الله عليه وآله متعلقاً بنور الله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام متعلقاً بنور رسول الله، وكان الأئمة متعلقين بأمير المؤمنين، وكان شيعتنا متعلقين بنا يدخلون مدخلنا، ويردون موردنا. فقال له الغلام: بل أقيم في خدمتك وأوثر الآخرة على الدنيا. فخرج الغلام إلى الرجل، فقال له الرجل: خرجت إليَّ بغير الوجه الّذي دخلت به ! فحكى له قوله، وأدخله على أبي عبد الله عليه السلام فقبل ولاءه، وأمر للغلام بألف دينار ثُمَّ قام إليه فودّعه، وسأله أن يدعو له، ففعل. فقلت: يا سيدي لولا عيال بمكة وولدي، سرني أن أطيل المقام بهذا الباب. فأذن لي، وقال: توافق غماً، ثُمَّ

[٨]- قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «المتطوّل بالمنن الجِسام»[(١)].

أقول: (المتطوّل) من الطَول، وهو: المنّ، أي: الإعطاء[(٢)].

و(المِنن) جمع المِنّة، وهي: العطيّة[(٣)].

(الجِسام) بالكسر جمع جسم، وهو: العظم[(٤)].

[٩]- قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يقوم بواجب شكره الحامدون»[(٥)].

أقول: في توسيط الواجب إشارة إلى أنَّ شكر المنعم واجب كما ذهب إليه جمع من المحقِّقين، بل وجوبه من المستقلات العقلية؛ لحكمه بوجوب دفع الضرر المحتمل، وعدم شكره مظنّة لقطع النعمة على العبد، وبذلك يثبت أيضاً وجوب تحصيل المعرفة؛ إذ مع عدم المعرفة لا يؤمن من عدم تحقّق الشكر؛ لما عرفت سابقاً من معناه لغةً وعرفاً، فلا يحصل شيء منهما للعبد إلا بالمعرفة.

وضعت بين يديه حُقّاً كان له، فأمرني أن أحملها، فتأبيت، وظننت أن ذلك موجدة. فضحك إليَّ وقال: خذها إليك، فإنك توافق حاجة. فجئت وقد ذهبت نفقتنا - شطر منها - فاحتجت إليه ساعة قدمت مكّة».

الثاني: مارُوي في أمالي الطوسي ص ٢٩٧ ح ٥٨٤ / ٣١ بإسناده عن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «إنَّ رجلاً جاء إلى سيّدنا الصادق عليه السلام فشكا إليه الفقر، فقال: ليس الأمر كما ذكرت وما أعرفك فقيراً. قال: والله يا سيدي ما استبيت- وذكر من الفقر قطعة والصادق يكذبه- إلى أن قال له: خبرني لو أُعطيت بالبراءة منا مائة دينار، كنت تأخذ؟ قال: لا- إلى أن ذكر ألوف دنانير- والرجل يحلف أنه لا يفعل، فقال له: من معه سلعة يعطى بها هذا المال لا يبيعها هو فقير!».

(١) معالم الدين: ٣.

(٢) الصحاح ٥: ١٧٥٥.

(٣) لسان العرب ١٣: ٤١٨.

(٤) كذا، وجمع جسم أجسام، والجِسام بالكسر العِظام، وقد جسم الشيء أي عظم فهو جسيم، والجسام بالكسر جمع جسيم. (ينظر: لسان العرب ١٢: ٩٩، تاج العروس ١٦: ١١٠).

(٥) معالم الدين: ٣.

الفرق بين القديم والأزلي

[١٠]- قال رحمه الله: «القديم الأبدي فلا أزلي سواه»[١].

أقول: (القديم الأبدي) هو: مالا أوّل لوجوده، والأزلي أعم منه؛ لأنَّ عدم الحوادث أزليّة وليست بقديمة، وحيث إنَّ المصنف نفاه عن غيره تعالى، فلعل مراده بالأزليّ ما يرادف القديم ليصح نفيه عن غيره، والدليل على قدمه تعالى أنه: لو كان حادثاً لكان مفتقراً إلى موجد فلا يكون واجباً بالذات، ولا يكون مبدءاً لجميع الموجودات، ولا تنتهي إليه سلسلة الممكنات، وإذا أقرَّ أحد بأنه قديم، فقد أقرَّ بأنه لا شيء قبله وهو ظاهر، وبأنه لا شيء معه؛ إذ لو كان معه شيء في الأزل لم يجز أن يكون خالقاً له؛ لأنه لم يزل معه فكيف يكون خالقاً له.

وإلى ذلك أشار مولانا الرضا عليه السلام بقوله: «اعلَمْ ـ علمك الله الخير ـ أنَّ الله تعالى قديم، والقِدَم صفة دلت العاقل على أنه لا شي قبله ولا شيء معه في ديمومته»[٢].

[١١]- قال رحمه الله: «الدائم السرمدي فكل شيء مضمحل عداه»[٣].

أقول: (السرمدي): ما لا آخر لوجوده فكلّ شيء زائل عداه، والدليل على سرمديّته بهذا المعنى أنه: لو كان له آخر ينتهي إليه لزم أن يعزب عنه شيء من الأشياء تعالى عن ذلك.

---

(١) معالم الدين: ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣٢ ح ٥٠.

(٣) معالم الدين: ٣.

[١٢]- قال رَحِمَهُ اللهُ: «أحمده سبحانه حمداً يقرّ بني إلى رضاه»[(١)].

أقول: قال جدّي الفاضل الصالح المازندراني رَحِمَهُ اللهُ في الحاشية: (ولمّا كان الحمد المذكور في مقابلة الذات والصفات، وكان المناسب له الاستقرار والثبات؛ فلذلك أدّاه بالجملة الاسمية، أراد أن يحمده ثانياً طلباً لرضاه المتجدّد آناً فآناً، ولمزيد عطاياه المستحدثة حيناً فحيناً، فقال: «أحمده» بصيغة المضارع الدال على الاستمرار التجدّدي كما يقتضيه المقام)، انتهى[(٢)].

(سبحان) مصدر تنزيلي

و(سبحان): مصدر كغفران بمعنى: التنزيه.

ولا يكاد يُستعمل إلا مضافاً منصوباً بفعل مضمر كمعاذ الله، فمعنى (سبحانه): أُنزّهه تنزيهاً عمّا لا يليق بجانب قدسه وعزّ جلاله، وهو مضاف إلى المفعول، وربّما جوّز كونه مضافاً إلى الفاعل بمعنى التنزُّه فيكون لازماً.

قال الشيخ أبو علي الطبرسي رَحِمَهُ اللهُ: (إنه صار في الشرع علماً[(٣)] لأعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقّها إلا هو سبحانه، ولذلك لا يجوز أن يستعمل في غيره تعالى وإن كان منزّهاً عن النقائص، وإلى هذا ينظر ما قاله بعض الأعلام من أنّ التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة أنواع:

ـ تنزيه الذات عن نقص الإمكان.

ـ وتنزيه الصفات عن وصمة الحدوث وزيادتها على ذاته المقدسة.

---

(١) معالم الدين: ٣.

(٢) حاشية المعالم: ٤، وأمّا تعبيره عن الفاضل المازندراني رَحِمَهُ اللهُ بالجدّ؛ لأنّ ابنته هي والدة السيّد محمّد جدّ العلاّمة السيّد محمّد مهدي بحر العلوم رَحِمَهُ اللهُ. (ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٢ بالهامش)

(٣) كذا، والصحيح: (صار علماً في الشرع).

ـ وتنزيه الأفعال عن القبح والعبث، وكونها جالبة إليه تعالى نفعاً ودافعة عنه ضرّاً كأفعال العباد)[١].

حمداً: مفعول مطلق تأكيدي[٢].

يقربني إلى رضاه: وصف الحمد به تنبيها على أن المقصود الأصلي بالحمد هو تحصيل رضاه.

في مرحلة الشكر

[١٣]- قال رحمه الله: «وأشكره شكراً أستوجب به المزيد من مواهبه وعطاياه»[٣].

أقول: (شكراً): مفعول مطلق للتأكيد، وجملة أستوجب لبيان أنَّ المقصود من الشكر طلب الزيادة كما قال عزّ من قائل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٤].

وفي هذه الآية من المبالغة والاعتناء بحقّ الشكر ما لا يتصور فوق ذلك حيث عبَّر تعالى عن ترك الشكر بالكفر، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[٥].

---

(١) حكاه المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٥٥: ١٩٧، وذكر صدره الشيخ الطوسي رحمه الله في التبيان ١: ١٣٤، والشيخ الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان ١: ١٤٧.

(٢) المفعول المطلق التأكيدي لا يوصف، وهنا موصوف بقوله: (يقربني)، فالصواب أنه نوعي، وكذلك قوله: (شكراً) الآتي. ودعوى الاستئناف في كل من الجملتين بعد المصدر لتكون استئنافاً بيانياً بعيدة جداً، أو استئنافاً نحوياً ممنوعة. (السيد محمد الطباطبائي)

(٣) معالم الدين: ٣.

(٤) سورة إبراهيم: من آية ٧.

(٥) سورة البقرة: من آية ١٥٢.

وقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[(١)].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**الطاعم الشاكر، له من الأجر كأجر الصائم المحتسب، والمعافى الشاكر، له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، والمعطى الشاكر، له من الأجر كأجر المحروم القانع**»[(٢)].

وعن الصادق عليه السلام: «**أنّه مكتوب في التوراة: اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنّه لا زوال للنعماء إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم، وأمان من الغِيَر**»[(٣)].

وعنه عليه السلام أيضاً: «**ثلاث لا يضرّ معهن شيء: الدعاء عند الكرب، والاستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة**»[(٤)].

وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «**ما أنعم الله عزَّ وجلَّ على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه حَتَّى يؤمر له بالمزيد**»[(٥)].

واعلم أنَّ الشكر من أرفع مراتب الأولياء ويتقوّم بثلاثة أُمور:

الأوّل: معرفة المنعم الحقيقي وذلك حاصل بأسباب متعدِّدة:

الأول - علمه بذات المنعم وأنه متَّصف بنعوت الكمال والجمال، ومنزّه عن النقصان والزوال.

الثاني - علمه بكون المنعم هو المفيض بجود الوجود الَّذي هو الخير

(١) سورة النساء: من آية ١٤٧.

(٢) ينظر: قرب الإسناد: ٧٤، الكافي ٢: ٩٤ ح١، روضة الواعظين: ٤٧٢.

(٣) الكافي ٢: ٩٤ ح٣، الجواهر السنية: ٤٠.

(٤) الكافي ٢: ٩٥ ح٧، مشكاة الأنوار: ٦٩.

(٥) الكافي ٢: ٩٥ ح٩.

المحض، ومحض الخير على كلّ ماهيَّة موجودة، فيستحق بذلك الحمد.

الثالث- علمه بأنّ ذات المنعم الحقيقي منفرد بجلال الصمديّة وعظمة الأُلوهيّة، ومنه يُعلم أنّ جملة النّعم منه.

الرابع- اعترافه بالجهل والتقصير والعجز عن معرفة كنه ذاته الأحديّة، وعن أداء واجب شكره ومراعاة حقوق عبوديّته.

ونكتة أُخرى: أنّ العبد لا يشكر ربّه المنعم إلا بالقلب واللّسان وسائر الأعضاء، وكلُّ ذلك ببركة المنعم وإنعامه عليه، والقدرة على استعمال الجوارح المذكورة نعمة أُخرى على العبد، وتوفيقه لهذا الاستعمال أيضاً نعمة ثالثة، فلو أراد أن يشكر المنعم على نعمة من النعم فلا بدّ له من الشكر على هذه النّعم، فإذا أدّاه فهو أيضاً نعمة أُخرى فينتهي إلى العجز، والاعتراف بالعجز آخر مراتب الشكر.

قال الصادق عليه السلام: **«أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى: يا موسى اشكرني حقّ شكري. فقال: ربّي، وكيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكرٍ أشكرك به إلاّ أنعمت به عليّ؟ قال: يا موسى الآن شكرتني حيث علمت أنّ ذلك منّي»**[1].

الأمر الثاني: بالابتهاج والسرور الحاصلين للعبد بسبب وصول تلك النعمة إليه، لا من حيث إنها موافقة لغرض نفسه؛ إذ في ذلك متابعة هواها واقتصار همّه في رضاها، بل لاستشعاره بذلك شفقة المنعم بحيث لو وصل إليه من غيره لما حصل له ذلك الابتهاج والسرور، أو لاستكشافه بسببها قدرته على القيام بحقوق

(١) الكافي ٢: ٩٨ ح٢٧، مشكاة الأنوار: ٧١، الجواهر السنية: ٤١.

عبوديته وإحراز القابلية في نفسه، فيحصل بذلك له النشاط على أداء قسط من حقوقه فيكون من جملة المقرّبين، وحقيقة هذه الأحوال راجعة إلى المحبّة والعشق.

و[الأمر] الثالث: يجهد العبد في تحصيل رضا المنعم، وذلك حاصل بقسم من أفعاله القلبية والبدنية:

أمّا الأوّل: فبأن يصرف ما أنعم الله عليه من القوى العقلية والفكرية في تحصيل معرفة المعبود الحقيقي، والمقرّبين إلى حضرته، وفي بديع صنائع موجودات العالم العلوي والسفلي، ويصرف فكره في الاطّلاع على حقائق الأشياء على ما هي عليها، التي هي عبارة عن الحكمة، ويفكّر فيما يصلح به أمر آخرته ودنياه ومصالح إخوانه المؤمنين، ويضمر لهم الخير ويعزم على امتثال أوامر مولاه والازدجار عن نواهيه، ويتشوّق ويتعطّش إلى جناب قاضي الحاجات، وينوي الخير لأبناء نوعه وكفّ الأذى عنهم... وعلى هذا القياس.

وأمّا الثاني: فبصرف جارحة العين في النظر إلى المخلوقات بنظر الاعتبار، وإلى تغيُّرات الدهر بنظر العبرة، وإلى الضعفاء المنحطّين بنظر الشفقة والرأفة، وإلى الصلحاء والعلماء بنحو من الحرمة والعزّة، وإلى عيوب إخوانه بضرب من الستر والصيانة، وصرف جارحة الأُذن في استماع البراهين وآيات القرآن وكلمات الأنبياء وأخبار الأئمةعليهم السلام، ممّا فيه موعظة حسنة، وحكمة نافعة، وتعليمات عقلية وتعريفات شرعية.

وإن كان من أهل الحُكم، فيصغي إلى استماع نداء المظلومين واستغاثة الملهوفين، ولا يصغي إلى ما فيه اللهو، والإعراض عن ذكر الله عزَّ وجلَّ:

كالغناء، واستماع الكذب، والغيبة، فإن فعل ذلك واستعمل الجارحة في خلاف ما خُلقت فقد كفر بنعمها.

وصرف جارحة اللسان بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، وإلقاء المطالب العلميّة وبثّ الأخبار الواردة من الأئمة الأطهار على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ملاحظة شرائطهما، وشكره تعالى وحمده على كلّ نعمة بقول: الحمد لله ربّ العالمين، فإن استعملها في الكذب والبهتان والغناء والتكلُّم بالباطل فقد كفر بتلك النعمة، وهكذا الحال في سائر الأعضاء والجوارح بصرف كلّ جارحة فيما أنعم الله بها عليه لأجله، فيكون من الَّذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1].

ثُمَّ إنَّ مراتب الشكر تتفاوت بتفاوت مراتب النّعم، فالمطلوب من أهل الغنى والثروة من مراتب الشكر غير المطلوب من أهل الفقر والفاقة، ولا يقبل من الطائفة الأُولى ما يقبل من الطائفة الثانية، فمن كان له الغُنم فعليه الغُرم.

قصة السلطان سنجر

ذكر أهل التأريخ: (أنَّ السلطان سنجر السلجوقي مرَّ في طريق وهو في موكب سلطنته، وكان في الطريق درويش من أهل الفقر فسلَّم على السلطان، فلم يردّ عليه جواب التحيَّة بلسانه، بل حرّك رأسه بدل الجواب.

فقال الدرويش: أيُّها الملك إنَّ الابتداء بالتحيَّة مستحب وجوابها واجب، وأنا قَدْ أدّيت المستحب فلم لا تؤدي الواجب؟

---

(١) سورة سبأ: من آية ١٣.

فأمسك السلطان بعنان مركبه وأخذ يعتذر من الدرويش بأنه كان مشغولاً بالشكر فغفل عن جواب التحيَّة.

فقال الدرويش للسلطان: لمن كنت تشكر؟

فقال: الله الَّذي هو المنعم على الإطلاق، وما نعمة إلا وهي منه، ولا عطاء إلا من قبله، فقال الدرويش: بأيّ نوع كنت تشكر؟

فقال: بكلمة الحمد لله ربّ العالمين، فإن فيها شكر سائر النعم.

فقال الدرويش: أيُّها السلطان، ما أجهلك بطريقة الشكر الواجب عليك، إنَّ ما يجب عليك من هذا الأمر هو مقدار ما أفاض عليك المنعم، وأردف عليك عطاياه الغير متناهية من اقتدار أيامك وسعة زمانك، فليس الواجب عليك قول: الحمد لله، فإن الشكر من السلطان إنما يقع موقع القبول، وتستزاد به النعمة، إذا وقع منه على كلّ نعمة عنده بما يناسبها، فالتمس السلطان منه أن يعلّمه ذلك.

فقال له: شكر السلطان هو العدل والإحسان مع عامّة العباد، وشكر سعة ملكه عدم الطمع في أملاك رعيته، وشكر ارتفاع عرشه وإقباله الالتفات إلى المنخفضين في تراب الفاقة والمذلّة، وشكر نعمة التأمُّر أداء حقّ المأمورين، وشكر الخزائن العامرة التصدّق على أهل الاستحقاق والإدرار عليهم بالمقررات، وشكر نعمة القوَّة والقدرة النظر إلى العجزة والضعفاء بنظر الرأفة والرحمة، وشكر نعمة الصحَّة شفاء المعلولين بعلّة الظلم بقانون العدالة، وشكر نعمة كثرة الجند والعسكر منعهم عن إيذاء المسلمين والتعرض لأمتعتهم، وشكر نعمة القصور العالية والأبنية المشيدة منع الخدم والحشم عن النزول في منازل الرعية وإعفاؤهم عن المزاحمة فيها، وخلاصة شكر السلطان أن ينظر إلى المحقّ بعين الرضا، ويقدم راحة الرعية على راحة نفسه)[1].

---

(١) أوردها السيِّد حسن القبانجي رحمه الله في شرح رسالة الحقوق: ٥٨ دون ذكرٍ لمصدرها، ولم أهتد له.

وسنجر هذا هو ابن السلطان ملك شاه السلجوقي، كان في حياة أخويه (بر كيارق) و(محمّد) حاكماً على خراسان، ومن بعدهما قام بأمر السلطنة واتسع ملكه من حدود خطا وختن[(١)] إلى أقصى مصر والشام، ومن بحر الخزر إلى اليمن، وكان ذا هيبة ووقار، كثير الحياء والكرم، شفيقاً على الرعية يخاف الله ويعظم العلماء، ويعاشر الزهاد والأبدال، ملازماً لعرش الملوكية، ولا ينفك عن خصائص السلطنة، وُلد في سنجار الشام يوم الجمعة في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ٤٧٩، مدة سلطنته أربعون سنة وثلاثة أشهر، مدة حياته اثنتان وسبعون سنة، توفّي سنة ٥٥٢ في السادس والعشرين من ربيع الأول.

والسلجوقيون أربعة عشر ملكاً، مدة ملكهم مائة وإحدى وستون سنة، وأوّل من أسس لهم السلطنة طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق، وسلجوق جدُّهم كان من أولاد أفراسياب- من ملوك الفرس- وبينه وبين أفراسياب أربعة وثلاثون ظهراً، وتأسيس ملكها سنة ٤٦٩ وانقضاؤها سنة ٧٠٠[(٢)].

رجع: وليعلم أنه كان ينبغي الشكر على النعم الموافقة للطبع مثل الصحَّة والفراغة، كذلك ينبغي الشكر على المرض والتعب وسائر المشاق، كما يستفاد من الأدعية المأثورة من سيّد الساجدين عليه السلام؛ إذ كان يقول عليه السلام: «**فما أدري يا إلهي أيّ الحالين أحقّ بالشكر لك، وأيّ الوقتين أولى بالحمد لك، أوقت**

---

(١) كذا، ولم أهتد لمعرفة (خطا) وأراها مصحفةً عن (خطط)، ووختن: بضم أوّله، وفتح ثانيه، وآخره نون: بلد وولاية دون كاشغر ووراء يوز كند، وهي معدودة من بلاد تركستان، وهي في وادٍ بين جبال في وسط بلاد الترك، وبعض يقوله بتشديد التاء. (ينظر: معجم البلدان ٢: ٣٤٧)

(٢) ينظر تاريخ ملوك السلاجقة: دوائر المعارف للسيد مهدي الكاظمي الإصفهاني: ٦٤.

الصحَّة التي هنأتني بها طيبات الرزق، ونشطتني بها لابتغاء مرضاتك وفضلك، وقويتني بها على ما وفقتني له من طاعتك؟ أم وقت العلّة التي محصتني بها، والنعم التي أتحفتني بها تخفيفاً لما ثقل به على ظهري من الخطيئات، وتطهيراً لما انغمست فيه من السيئات، وتنبيهاً لتناول التوبة، وتذكيراً لمحو الحوبة...الخ»[1].

حكاية كعب الأحبار

وممّا يُحكى عن كعب أنّه قال: (كنت أسير في جبال الشام فلمَّا أشتد الحرّ قلت: أنزل ساعة حَتَّى تنكسر سَورةُ الحَرّ ثُمَّ أذهب إلى مقصودي، فنظرت إلى خربة كانت في جنبي فدخلتها، وإذا أنا برجل قَدْ فقد يديه ورجليه ونور بصره وكان يناجي ربَّه ويقول في مناجاته: الحمد لله على نعمائه.

فدخلني العجب منه حيث هو بتلك الحالة من فقد الأعضاء وعدم المساعد ومن يعتمد عليه في قضاء محاويجه، وهو يشكر الله على نعمائه، فدنوت منه وسلّمت عليه فردَّ عليَّ السلام، وقلت له: أيُّها الشاب أيُّ نعمة لله عليك حَتَّى تقابله بهذا الشكر، وأنت في هذه المحنة الظاهرة؟

فلمّا سمع منّي هذا الخطاب صرخ بي صرخة، قال: تباعد عني يا بطّال، أيّ نعمة أكبر من النعمة التي أنعم الله بها عليَّ، حيث أزال عني كل آلة معصية، وأكرمني بكلّ آلة طاعة ومعرفة، وأزال عني العين حَتَّى لا أنظر بها إلى ما يحرم النظر إليه، وأزال عني اليدين حَتَّى لا أتجاسر بهما إلى تناول المحرمات، وأزال عني الرجلين حَتَّى لا أسعى بهما إلى المحرمات، وأكرمني بالقلب حَتَّى أعرفه، واللسان لكي أدعوه

---

(١) الصحيفة السجادية: ٨٠ وهي من دعائه عليه السلام: إذا مرض.

به، فمضيت عنه وعلمت أنّ حقيقة الشكر هو هذا)، انتهى[١].

[في أحوال كعب الأحبار]

وكعب الأحبار ـ بالحاء المهملة ـ أي: عالم العلماء، وكان من علماء أهل الكتاب، أسلم على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فصار من فضلاء التابعين، وإضافته كزيد الخيل[٢].

وفي الكافي في الصحيح عن زرارة أنه قال: «كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفر عليه السلام وهو محتب[٣] مستقبل القبلة، فقال: أما إنّ النظر إليها عبادة، فجاءه رجل من بجيلة يقال له: عاصم بن عمر، فقال لأبي جعفر عليه السلام: إنّ كعب الأحبار كان يقول: إنّ الكعبة تسجد لبيت المقدس في كلّ غداة. فقال أبو جعفر عليه السلام: فما تقول فيما قاله كعب؟ فقال: صدق، القول ما قال كعب. فقال أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك، وغضب.

قال زرارة: وما رأيته عليه السلام استقبل أحداً بقول، «كذبتَ» غيره»[٤].

ونقل الشيخ أبو علي في رجاله عن ابن أبي الحديد أنه (روى جماعة من أهل السِّير أنّ علياً عليه السلام كان يقول عن كعب الأحبار: «إنّه لكذّاب» وكان كعب منحرفاً عن علي عليه السلام)[٥].

---

(١) لم أهتد إلى مصدر هذه الحكاية.

(٢) مجمع البحرين ٤: ٤٩.

(٣) محتب: الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب. (النهاية في غريب الحديث ١: ٣٣٥)

(٤) الكافي ٤: ٢٣٩ ح١.

(٥) شرح نهج البلاغة ٤: ٧٧، منتهى المقال ٥: ٢٥٥ رقم ٢٣٦٦.

وذكر ابن جرير الطبري أنه من ساكني حمص، توفّي بها سنة ٣٢ في خلافة عثمان بن عفان[١].

[في معنى الاستقالة]

[١٤]- قال رحمه الله: «واستقيله من خطاياي استقالة عبد معترف بما جناه، نادم على ما فرَّط في جنب مولاه»[٢].

أقول: استقاله في البيع أي طلب فسخه، أي أطلب منه تعالى رفع الخطايا عني، والتعبير عن هذا المعنى بالاستقالة من حيث إنَّ المذنب يشتري سخط ربه بمرضاة نفسه، وقوله: (استقالة عبد معترف بما جناه) جيء به؛ لأن الاستقالة مع الاعتراف بالذنب أدخل في تحقق الإقالة وأسرع للإجابة.

[في معنى الخطأ والخطل]

[١٥]- قال رحمه الله: «وأسأله العصمة من الخطأ والخطل، والسداد في القول والعمل»[٣].

أقول: قال جدّي الفاضل الصالح في الحاشية: (الخطأ وهو بفتح الخاء والطاء مع القصر نقيض الصواب، وقد يمدّ، وبكسر الخاء وسكون الطاء الذنب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً﴾[٤].

والخطل: هو المنطق الفاسد المضطرب.

---

(١) المنتخب من كتاب ذيل المذيل: ١١٦.

(٢) معالم الدين: ٣.

(٣) معالم الدين: ٣.

(٤) سورة الإسراء: من آية ٣١.

خطل في كلامه خَطَلاً وأخطل أي: أفحش فهو أخص من الخطأ[١].

وإنّما ذكره بعده؛ لأنَّ العصمة منه أهم في هذا المقام.

والسدادَ: بالنصب عطف على العصمة أي: أسأله التوفيق للسداد وهو الصواب، والقصد...إلخ)، انتهى كلامه[٢].

[في معنى الشهادة لله عزَّ وجلَّ]

[١٦]- قال رحمه الله: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[٣].

أقول: هذا منه رحمه الله تصريح بالتوحيد بعدما دلَّ عليه كلامه المتقدِّم، أعني: حصر الحمد عليه تعالى بالالتزام، وخصَّ هذه الكلمة لأنها أعلى كلمة من حيث الثواب؛ لأن المعترف بوحدانيته إذا اعترف بهذه الكلمة عند الموت وجبت له الجنّة؛ لحديث: «من كان آخر كلامه: لا اله إلا الله فله الجنّة»[٤].

بل هي أشرف لفظة نُطق بها في التوحيد؛ لانطباقها على جميع مراتبه من نفي الشريك والتركيب من الأجزاء الذهنية والخارجية.

و(لا) فيها نافية للجنس، وإله: اسمها.

قيل: والخبر محذوف تقديره موجود، ويضعف بأنه لا ينفى إمكان معبود بالحق غيره تعالى؛ لأنَّ الإمكان أعم من الوجود.

وقيل: ممكن، وفيه أنه لا يدل على نفي التعدُّد مطلقاً.

---

(١) لسان العرب ١١: ٢٠٩ مادة: (خ. ط. ل) .

(٢) حاشية المعالم: ٤.

(٣) معالم الدين: ٣.

(٤) مسند أحمد ٥: ٢٣٣، أمالي الصدوق: ٦٣٣ح ٨٤٨/٥.

وحدَهُ: تأكيد لما قَدْ استفيد من التوحيد الخالص، حَسُنَ ذكره في هذا المقام لمزيد الاهتمام، فهو حال مؤكِّدة، كما أنَّ قوله: «لا شريك له» حال مترادفة أو متداخلة.

[في معنى الخيبة والآمال والقدير]

[١٧]- قال رحمه الله: «الكريم الَّذي لا تخيب لديه الآمال»(١).

أقول: الخيبة عدم نيل المطلوب.

الآمال: أي ذوي الآمال.

[١٨]- قال رحمه الله: «القدير فهو لما يشاء فعّال»(٢).

أقول: أشار إلى قوله تعالى: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(٣)، ويحكم ما يريد بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير.

[في معنى الشهادة للنبي محمد صلى الله عليه وآله]

[١٩]- قال رحمه الله: «وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله»(٤).

أقول: قرن الشهادة بالرسالة بشهادة التوحيد؛ لأنها بمنزلة التوحيد، وقد شرَّف الله تعالى به نبينا صلى الله عليه وآله بكونه لا يذكر إلا ويذكر معه.

ومحمّد: علم منقول من اسم المفعول المضعف، وسمّي به نبيّنا إلهاماً من الله تعالى وتفاؤلاً بأنه يكثر الحمد له من المخلوقين؛ لكثرة خصاله الحميدة.

---

(١) معالم الدين: ٣.

(٢) معالم الدين: ٣.

(٣) سورة الحج: من آية ١٨.

(٤) معالم الدين: ٣.

وقد قيل لجدّه عبد المطلب - وقد سمّاه في يوم سابع ولادته لموت أبيه قبلها - : لِمَ سمّيت ابنك محمّداً، وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟

فقال: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض، وقد حقّق الله تعالى رجاءه[1].

الفرق بين النبي والرسول

والفرق بين النبيّ والرسول:

أنّ الرسول: هو المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، وله شريعة مبتدأة كآدم عليه السلام أو ناسخة كمحمّد صلى الله عليه وآله.

والنبيّ: هو الَّذي يرى في منامه، ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك.

والرسول: هو الَّذي يسمع الصوت، ويرى في المنام، ويعاين الملك.

وأنّ الرسول قَدْ يكون من الملائكة بخلاف النبيّ. والأنبياء على ما ورد في الخبر مائة ألف وعشرون ألفاً. والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وأربعة منهم عرب وهم: هود وصالح وشعيب ومحمّد صلى الله عليه وآله[2].

[٢٠]- قال رحمه الله: **«المبعوث لتمهيد قواعد الدين»**[3].

أقول: نبّه بقوله (المبعوث) على جمعه بين النبوة والرسالة، والأوّل أعم مطلقاً كما عرفته.

[٢١]- قال رحمه الله: **«وتهذيب مسالك اليقين»**[4].

---

(١) حكاه الشهيد الثاني رحمه الله في شرح اللمعة ١: ٢٣٢، وروض الجنان: ٧.

(٢) مجمع البحرين ٤: ٢٥٩.

(٣) معالم الدين: ٣.

(٤) معالم الدين: ٣.

أقول: ليمكن لنا بذلك تهذيب الباطن بدفع الملكات الرديّة، ونقض شواغله عن الملك العلام.

[٢٢]- قال رحمه الله: «الناسخ بشريعته المطهرة شرائع الأوّلين»[١].

أقول: (الشريعة) والجمع شرائع وهو: مورد الناس للاستسقاء، سمّي الدين بذلك؛ لوضوحه وظهوره.

العالمين جمع

[٢٣]- قال رحمه الله: «والمرسل بالإرشاد والهداية رحمة للعالمين»[٢].

أقول: قال بعض المحقِّقين: (العالمين) جمع العالم، وهو: اسم لما يعلم به كالخاتم، وغلب فيما يعلم به الصانع، وهو كلّ ما سواه من الجواهر والأعراض، فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثّر واجب لذاته تدل على وجوده، وجمعه ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة، وغلَّب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر أوصافهم.

وقيل: (اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثَّقلين، وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع).

وقيل: (المراد به الناس هاهنا، فإن كلّ واحد منهم عالم أصغر من حيث إنه يشتمل على نظائر ما في العالم الأكبر من الجواهر والأعراض التي يعلم بها الصانع، كما يعلم بما أبدعه في العالم الأكبر)، انتهى[٣].

---

(١) معالم الدين: ٣.

(٢) معالم الدين: ٣.

(٣) الشهيد الثاني رحمه الله في الروضة البهية ١: ٢٣٣.

وإلى الأخير أشار علي عليه السلام بقوله:

أتزعُمُ أنَّك جُرمٌ صغيرٌ وفيكَ انطوى العالَمُ الأكبرُ[١]

وقيل: لفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه، وإن العالمين ملحق بالجمع حكماً؛ لأنه لو كان جمعاً للعالم لزم أن يكون المفرد أوسع دلالة من الجمع، لأن العالم اسم لما سوى الله تعالى، والعالمين خاصة بالعقلاء.

[في معنى الصلاة]

[٢٤]- قال رحمه الله: «صلّى الله عليه وآله الهداة المهديّين وعترته الكرام الطيبين»[٢].

أقول: المراد الصلاة المأثورة بها في قوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٣] وأصلها الدعاء، لكنّها منه تعالى مجاز في الرحمة.

قيل: وثواب الصلاة عليه عائدة إلينا؛ لأنَّ الله تعالى قَدْ أعطى نبيه صلى الله عليه وآله من المنزلة والزلفى به مالا تؤثِر فيه صلاة مصلٍ، وهو منظور فيه وانتظر لما سنحقّقه فيما يتعلق بهذا الشأن.

معاني العترة

وقال الجوهري: (عترة الرجل نسله ورهطه الأدنون)[٤].

فيدخل في الأوّل ما عدا علي عليه السلام ويدخل هو في الثاني.

---

(١) مجمع البحرين ١: ١٢٢.

(٢) معالم الدين: ٣.

(٣) سورة الأحزاب: من آية ٥٦.

(٤) الصحاح ٢: ٧٣٥.

وفي مجمع البحرين في حديث الصادق عليه السلام عن آبائه، عن الحسن بن علي عليه السلام، قال: «سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني مخلّف فيكم الثَّقلين: كتاب الله، وعترتي» مَن العترة؟

فقال عليه السلام: أنا والحسن والحسين عليهما السلام والأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام، تاسعهم مهديُّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حَتَّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»[1].

وفي حديث آخر: وقد سُئل: ومَن عترة النبي؟

فقال: أصحاب العباء.

وعن ابن الأعرابي حكاه عنه تغلب: (العترة ولد الرجل وذريته من صلبه؛ ولذلك سمّيت ذرية محمّد صلى الله عليه وآله من علي وفاطمة عترة محمّد صلى الله عليه وآله.

قال تغلب: فقلت لابن الأعرابي فما معنى قول أبي بكر في السقيفة: نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: أراد بذلك بلدته وبيضته، وعترة محمّد صلى الله عليه وآله ـ لا محالة ـ ولد فاطمة عليها السلام، كذا في معاني الأخبار)[2].

وعن بعض الأعلام: (أنّه ذكر محمّد بن بحر الشيباني في كتابه[3] عن تغلب، عن ابن الأعرابي أنه قال: العترة البلدة والبيضة، وهم عليهم السلام بلدة الإسلام وبيضته وأُصوله.

---

(١) ورد الحديث في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٠ ح ٢٥.

(٢) معاني الأخبار: ٩٠- ٩٣.

(٣) اسم كتابه هو (الفروق بين الأباطيل والحقوق) كما صرّح به الشيخ الصدوق رحمه الله في علل الشرائع ١: ٢١١.

والعترة: صخرة عظيمة يتَّخذُ الضبُّ عندها جحره، يهتدي بها لئلا يـضلَّ عنهـا، وهم الهداة للخلق.

والعترة: أصل الشجرة المقطوعة، وهمعليهم السلام أصل الشجرة المقطوعة، لأنهم وتروا وقطعوا وظلموا.

والعترة: قِطَعُ المسك الكبار في النافجة[١]، وهمعليهم السلام من بين بنـي هاشـم وبنـي أبي طالب كقطع المسك الكبار في النافجة.

والعترة: العين الرائقة العذبة، وعلومهم لا شيء أعذب منها عنـد أهـل الحكمـة والعقل.

والعترة: الذكور من الأولاد، وهمعليهم السلام ذكور غير إناث.

والعترة: الريح، وهمعليهم السلام جند الله وحزبه كما أن الريح جند الله.

والعترة: نبت متفرق مثل المرزنجـوش[٢]، وهـمعليهم السلام أهـل المـشاهد المتفرقـة، وبركاتهم منبَّثة في المشرق والمغرب.

والعترة: قلادة تعجن بالمسك، وهمعليهم السلام قلائد العلم والحكمة.

وعترة الرجل: أولياؤه، وهمعليهم السلام أولياء الله المتقون وعباده المخلصون.

والعترة: الرهط، وهمعليهم السلام رهط رسول اللهصلى الله عليه وآله، ورهط الرجـل قومـه وقبيلتـه، انتهى موضع الحاجة من كلامه، وإنما حكيناه بطوله؛ لعظم قدره ومحصوله)[٣].

والكرام: جمع كريم بمعنى النفيس والعزيز.

والكُرَّام بالضم والتشديد، أكرم من الكريم ويحتمله عبارة المصنف.

---

(١) النافجة: وعاء المسك. (تاج العروس ٣: ٥٠٢)

(٢) المرزنجوش: هو الزعفران. (القاموس المحيط ٢: ٢٨٧)

(٣) الحديث بطوله عن مجمع البحرين ٣: ١١٥- ١١٦ مادة: (ع. ت. ر) .

الصلاة عليهم سبب لمزيد قربهم عليهم السلام

[٢٥]- قال رحمه الله: «صلاة ترضيهم، وتزيد على منتهى رضاهم، وتبلّغهم غاية مرادهم ونهاية مناهم»[١].

أقول: ترضيهم من الإرضاء أو من الترضية، يقال: أرضيته عني ورضّيته بالتشديد فرضي. وتبلغهم: من بلغت المكان بلوغاً، أي: وصلت إليه.

وغاية مرادهم: في محل النصب على أنه مفعول لتبلغهم، والمعنى: أُصلّي عليهم صلاة توصلهم إلى غاية المراد ونهاية المقصود، وهذا الكلام من المصنّف رحمه الله ظاهر في أنّ الصلاة عليهم سبباً لمزيد قربهم وكمالاتهم، ولم يدل دليل على عدم ترقّيهم في الكمالات في النشأة الآخرة، بل بعض الأخبار يدلّ على خلافه، كما ورد في بعض أخبار التفويض: **«أنه إذا أُفيض شيء على إمام العصر، يُفاض أوّلاً على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثُمَّ على إمامٍ إمامٍ حَتَّى ينتهي إلى إمام العصر[٢]، حَتَّى لا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا، بل مراتب قربه وارتباطه**

---

(١) معالم الدين: ٤.

(٢) ورد في كتاب الغيبة للطوسي: ٣٨٧ ح ٣٥١، حديث يتعلّق بالمقام، نصّه: منها ما أخبرني به الحسين بن عبيد الله، «عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري رحمه الله، قال: حدّثني الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه قال: اختلف أصحابنا في التفويض وغيره، فمضيت إلى أبي طاهر بن بلال في أيام استقامته فعرفته الخلاف، فقال: أخِّرني فأخَّرته أياماً فعدت إليه فأخرج إليَّ حديثاً بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا أراد الله أمراً عرضه على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثُمَّ أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمّة واحداً بعد واحد إلى أن ينتهي إلى صاحب الزَّمان عليه السلام ثُمَّ يخرج إلى الدنيا، وإذا أراد الملائكة أن يرفعوا إلى الله عزَّ وجلَّ عملاً عُرض على صاحب الزَّمان عليه السلام، ثُمَّ يخرج على واحد بعد واحد إلى أن يُعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثُمَّ يُعرض على الله عزّ وجل، فما نزل من الله فعلى أيديهم، وما عرج إلى الله فعلى أيديهم، وما استغنوا عن الله عزَّ وجلَّ طرفة عين».

ورحماته غير متناهية»، لا يبعد أن يكونوا دائماً متصاعدين على مدارج القرب والكمال، وكيف يمنع ذلك عنهم وقد ورد في الأخبار الكثيرة وصول آثار الصدقات الجارية والأولاد والمصحف وغيرها إلى الميِّت، وأيّ دليل على استثنائهم عن تلك الأحكام، بل هم آباء هذه الأمَّة المرحومة، والأمَّة أولادهم، وكلَّما صدر عن الأمَّة من خير وطاعة يصل إليهم نفعها وبركتها.

[في معنى العدة]

[٢٦]- قال رحمه الله: **«وتكون لنا عدّة وذخيرة يوم نلقى الله سبحانه ونلقاهم وسلّم تسليما»**[1].

أقول: (العُدد) ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح، والمراد هنا ما أعدّه ليوم الحساب، وتقريب أنّ الصلاة عليهم ذخر وعدّة لنا هو أن يقال: إنّ من المعلوم أنّ من كانت له حاجة إلى سلطان فمن آدابه المقررة في العقول والعادات أن يهدي تحفاً إلى المقربين لديه والمكرمين عليه؛ لكي يشفعوا له عنده، بل لو لم يشفعوا أيضاً وعلم السلطان ذلك يقضي حاجته.

وبعبارة أُخرى: من أحبه السلطان وأكرمه ورفع منزلته يجب أن يكرمه الناس ويثنوا عليه، فإذا فعل استحق العطاء من السلطان، وإذا لم يظهر ذلك منه استحق الحرمان، فهم صلوات الله عليهم وسائط بيننا وبين ربّنا في إيصال الخيرات والبركات إلينا؛ لعدم ارتباطنا بساحة جبروته وبعدنا عن حريم ملكوته، فلا بد أن يكون بيننا وبين ربّنا سفر أو حُجب ذو واجهات قدسيّة وحالات

(١) معالم الدين: ٤.

بشريّة، كما في (الكافي) في الصحيح عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إنّي أجعل لك ثلث صلواتي، بل أجعل لك نصف صلواتي، لا بل أجعلها كلّها لك، فقال رسول الله: «إذاً تُكفى مؤونة الدنيا والآخرة»[1].

وفيه أيضاً عن الحسن، عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام، قال: «ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، وإنّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به، فيُخرج صلى الله عليه وآله الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به»[2].

حالات قبل وبعد[3]

[٢٧]- قال رحمه الله: «وبعد»[4].

أقول: كلمة (بعد) ظرف زمان، ولها مع أخواتها أربع حالات:

إحداهما: أن تكون مضافاً فتعرب نصباً على الظرفية، أو خفضاً بـ(من) من غير تنوين بالإضافة.

تقول: جئتك بعد زيد. فتنصبه على الظرفية.وجئتك من بعد زيد. فتخفضه بـ(من).

(١) الكافي ٢: ٤٩١ ح٣.

(٢) الكافي ٢: ٤٩٤ ح١٥.

(٣) ينظر حالات (قبل وبعد) في شرح ابن عقيل ٢: ٧١- ٧٤.

(٤) معالم الدين: ٤.

الثانية: أن يحذف المضاف إليه وينوى ثبوت لفظه، فتعرب بالإعراب المذكور أي: الخفض بـ(من)، ولا تنون أيضاً لنيّة الإضافة كقراءة بعضهم: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعدِ﴾[1] بالخفض بغير تنوين، أي: من قبل القلب ومن بعده، فحذف المضاف إليه وقدّر وجوده.

الثالثة: قطعها عن الإضافة لفظاً ومعنى، فلا يقطع عنها التنوين لكونها اسم كسائر أسماء النكرات، فتعرب بالإعراب المذكور فتنصب وتجر كقراءة بعضهم: ﴿لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ﴾[2] بالجر والتنوين، ومعنى قطعها عن الإضافة: أن لا يكون في نظر المتكلّم خصوصية المضاف إليه، وكون المقصود قبلاً ما وبعداً ما؛ لأجل التنكير؛ إذ معنى الأوّل من المفاهيم المتضايفة ولا يصحّ بدون الإضافة، ولها حكم الظروف اللازمة الإضافة فافهم.

الرابعة: أن يحذف المضاف إليه وينوى ثبوت معناه، أي: بعد الحمد دون لفظه كما في المتن ويمنع من التنوين؛ لثبوت المضاف إليه في التقدير، كما إذا ثبت في اللفظ، ويُبنى على الضم لتضمّنها معنى الإضافة التي هي من معاني الحرف، وكونه على الحركة؛ لأن الحركة دليل التمكّن؛ لأنها في الأصل متمكّنة، وكونه على الضم؛ لأنه أقوى الحركات كقراءة السبعة: ﴿لله الأمر من

---

(١) سورة الروم: من آية ٤، وهي قراءة أبي السمّال والجحدري وعون العقيلي. (ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢: ٥٧٨، والكشّاف ٢: ٢٥٠٣، والبحر المحيط ٧: ١٦٢، ومعجم القراءات القرآنية ٧: ١٤٠.

(٢) قراءة الجر والتنوين: وهي قراءة الجحدري وعون العقيلي، معاني القرآن للفراء ٢: ٣٢٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢: ٥٧٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤: ١٧٦، ومعجم القراءات القرآنية ٧: ١٤٠.

قبلُ ومن بعدُ﴾[١] بالضم من غير تنوين، وإنما سمّيت هذه الأسماء بالغايات؛ لأنها جُعلت غاية للنطق بعد ما كانت مضافة، ولهذه العلّة استوجبت أن تُبنى؛ لأنَّ آخرها حين قُطع عن الإضافة صار كوسط الكلمة، ووسط الكلمة لا يكون إلا مبنياً.

[في شرح بعض عبارات المقدمة]

[٢٨]- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ أولى ما أنفقت في تحصيله كنوز الأعمار»[٢].

أقول: إضافة الكنوز إلى الأعمار إضافة معنويّة أفادت المضاف تعريفاً، وهي بمعنى: من، نحو: لجين الماء، وخاتم حديد، وباب ساج، و ذلك؛ لأن المضاف إليه جنساً من المضاف كما في الأمثلة، وعلامة ذلك صحَّة الإخبار عن المضاف بالمضاف إليه. فيقال: (هذا حديد)، مشيراً إلى الخاتم[٣].

أو: الباب ساج، ولمّا شبّه العمر بالكنز رشّحه بما هو من لوازمه أعني الإنفاق.

[٢٩]- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأطالت التردُّد بين العين والأثر في معالمه الأفكار»[٤].

أقول: أي أطالت الأفكار حركتها الفكرية ما بين المقدمات والنتائج في تحصيل معالمه.

---

(١) قراءة الضم من غير تنوين: وهي قراءة جمهور القرّاء، ينظر معاني القرآن للفراء ٢: ٣١٩، ومعاني القرآن للزجاج ٤: ١٧٦، وشكل إعراب القرآن ٢: ١٧٥، والبحر المحيط ٧: ١٦٢، ومعجم القراءات القرآنية ٧: ١٣٩.

(٢) معالم الدين: ٤.

(٣) ينظر عن الإضافة المعنوية: شرح ابن عقيل ٢: ٤٢- ٤٤.

(٤) معالم الدين: ٤.

تخصيص المسند إليه بالمسند

[٣٠]- قال رحمه الله: «هو العلم بالأحكام الشرعيّة والمسائل الفقهيّة»[١].

أقول: (هو) مبتدأ، و(العلم) خبر، والجملة خبر (إن) الواقعة في صدر الكلام مع اسمها، والإتيان بضمير الفصل[٢] لتخصيص الخبر بالمبتدأ، فإن معنى قولنا: زيد هو القائم.

أن القيام مقصور على زيد لا يتجاوزه إلى عمرو؛ ولهذا يقال في تأكيده: لا عمرو، وفيما نحن فيه المقصود أن العلم المذكور مقصور على صفة الأولوية لا يتجاوز إلى غيرها.

قال المحقِّق التفتازاني في المطوّل: (بعد أن جعل معنى تخصيص المسند إليه بالمسند قصر المسند بالمسند إليه.

فإن قلت: الَّذي يسبق إلى الفهم من تخصيص المسند إليه بالمسند، هو قصره على المسند؛ لأن معناه جعل المسند إليه بحيث يخص المسند، ولا يعمُّه وغيرَه.

قلت: نعم، ولكنَّ غالب استعماله في الاصطلاح على أن يكون المقصور هو المذكور بعد الباء على طريقة قولهم: خصصت فلاناً بالذكر، إذا ذكرته دون غيره، وجعلته من بين الأشخاص مختصّاً بالذكر، فكأن المعنى جعل هذا المسند إليه من بين ما يصح اتصافه بكونه مسنداً إليه مختصاً بأن يثبت له المسند)، انتهى[٣].

وأنت خبير بأنّ ما نحن فيه أيضاً من هذا القبيل، فيقال: إنّ الأولوية من بين

---

(١) معالم الدين: ٤.

(٢) إن أُعتبر الضمير فصلاً فلا محل له من الإعراب على المشهور. (السيد محمد الطباطبائي)

(٣) المطوّل: ٢٥١، نحوه في مختصر المعاني: ٦٣.

ما يصح اتصافها بكونها مسنداً، منفردة ومختصّة بأن يثبت لها علم الفقه مثلاً من بين سائر العلوم، وفي تعريف الخبر باللازم من مبالغة التخصيص ما لا يخفى.

كلمة (فلعمري)

[٣١]- قال رحمه الله: «فلعمري إنّه المطلب الَّذي يظفر بالنجاح طالبه، والمغنم الَّذي يبشر بالأرباح كاسبه»(١).

أقول: ذكر جدّي الفاضل الصالح المازندراني في حاشية المعالم ما يليق بالإشارة إليه، والاقتصار عليه، حيث قال: (ثُمَّ أردفه ـ أي المصنِّف رحمه الله ـ بذكر غايته العظمى مصدّراً بالقسم؛ دفعاً لتوهُّم الإنكار والجزاف حيث قال: فلعمري...إلخ.

(اللام) للابتداء، حذف خبره وجوباً لقيام جواب القسم مقامه، أي: لعمري قسمي.

والعمر: بضم العين وفتحها، فلا تستعمل في القسم إلا بالفتح، واعترض بأن الحلف بغيره سبحانه منهيٌّ عنه، وأُجيب عنه تارة بأنّ المضاف محذوف، أي: فلواهب عمري. وأُخرى بأن المراد هو الإتيان بصورة القسم ترويجاً للمقصود، وليس المراد به القسم حقيقة)، انتهى كلامه(٢).

[في شرح بعض عبارات المقدمة أيضا]

[٣٢]- قال رحمه الله: «والعلم الَّذي يعرج بحامله إلى الذروة العليا»(٣).

أقول: (العروج): هو الارتقاء والصعود(٤).

(١) معالم الدين: ٤.

(٢) حاشية المعالم: ٥.

(٣) معالم الدين: ٤.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللُّغة ٤: ٣٠٤، والنهاية في غريب الحديث ٣: ٢٠٣، ومجمع البحرين ٣: ١٤٨.

و(الذروة): بالكسر والضم أعلى السنام [وكل شيء][1].

و(العليا): تأكيد للعلو المستفاد من الذروة، والمراد واضح.

[٣٣]- قال رحمه الله: «وتنال به السعادة في الدار الأُخرى»[2].

أقول: وهي الغاية المقصودة من هذا العلم، والثمرة الملحوظة، ولذا وردت الأخبار وتواترت الآثار في الحثّ على تحصيل هذا العلم، و الترغيب لتحمُّل المشاق في سبيل تعلُّمه وتعليمه، وترتّب الثواب العظيم عليهما حسب ما سيتلى عليك منها جملة وافرة.

[٣٤]- قال رحمه الله: «ولقد بذل علماؤنا السابقون وسلفنا الصالحون، رضوان الله عليهم أجمعين، في تحقيق مباحثه جهدهم، وأكثروا في تنقيح مسائله كدَّهم»[3].

أقول: فلله درّهم، فكم ضربوا في تحصيله شرق البلاد وغربها حيناً، وألحّوا في طلبه لدى كل أحد وإن كان به ضنينا، فعرفوا أسراره ورفعوا مناره، وصانوه عن التبديل واختلاف التأويل، وأذابوا نفوسهم في تحقيق مباحثه، فقربوا منه البعيد من مبانيه، ولحقوا الشريد من معانيه، وعمروا دِمَنَهُ الدارسة، وجدَّدوا معالمه الطامسة، وفهموا أسراره ورأوا بعين البصيرة أنواره، ورغبوا في سلوك سبيله، وجهدوا على إحرازه وتحصيله، وكتبوا في فنّه الشريف ما ينوف على الأُلوف، وارتادوا، واصطادوا، واستفادوا، وقرأوا، وسمعوا، وأمعنوا، وأتقنوا،

---

(١) ينظر: العين ٨: ١٩٥، ومجمع البحرين ٢: ٩٣.

(٢) معالم الدين: ٤.

(٣) معالم الدين: ٤.

واجتنبوا، واقتنوا، ﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[(١)].

و﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الَّذي اصطفى﴾[(٢)].

كم الخبرية ومميزها

[٣٥]- وإلى ذلك أشار المصنِّف رحمه الله وقال: «**فكم فتحوا فيه مقفلاً ببنان أفكارهم، وكم شرحوا منه مجملاً ببيان آثارهم، وكم صنّفوا فيه من كتاب يهدي في ظلم الجهالة إلى سنن الصواب**»[(٣)].

أقول: فيه تشبيه الأفكار بالإنسان بطريق الكتابة وإثبات البنان لها تخييليّة، ثُمَّ إذا كان الفصل بين (كم) الخبرية ومميزها بفعل متعدٍّ وجب الإتيان بـ(من)؛ لئلا يلتبس المميَّز بمفعول ذلك المتعدي، نحو قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنّات﴾[(٤)] و﴿كم أهلكنا من قرية﴾[(٥)].

وعليه، فعدم إتيان (مِن) في الفقرتين الأوليين لا يخلو من شذوذ، كما هو المنقول عن بعض من نصب مميَّز (كم) الخبرية، مفرداً كان أو جمعاً بلا فصل أيضاً، نقله نجم الأئمة في شرحه[(٦)].

والمراد بالآثار هي الكتب المصنَّفة في علم الفقه التي أشار إلى بعضها.

---

(١) سورة النور: من آية ٣٧.

(٢) سورة النمل: من آية ٥٩.

(٣) معالم الدين: ٤.

(٤) سورة الدخان: من آية ٢٥.

(٥) سورة القصص: من آية ٥٨.

(٦) شرح الرضي على الكافية: ٣: ١٥٦، ونجم الأئمة هو رضي الدين محمّد بن الحسن الأسترآبادي النجفي شارح الكافية (ت ٦٨٦هـ).

براعة الاستهلال

[٣٦]- قال رَحِمَهُ اللهُ: «من مختصر كان في تبليغ الغاية، ومبسوط شاف يتجاوز النهاية، وإيضاح يحلّ من قواعده المشكل، وبيان يكشف من سرائره المفصّل، وتهذيب يوصل من لا يحضره الفقيه بمصباح الاستبصار إلى مدينة العلم، ويجلو بإنارة مسالكه عن الشرائع ظلمات الشك والوهم، وذكرى دروس مقنعة في تلخيص الخلاف والوفاق، وتحرير تذكرة هي منتهى المطلب في الآفاق، ومهذّب جمل يسعف في مختلف الأحكام بكامل الانتصار، ومعتبر مدارك يحسم مواد النزاع من صحيح الآثار، ولمعة روض يرتاح لتمهيد أُصول الجنان، وروضة تدهش بإرشاد فروعها الأذهان، فشكر الله سعيهم وأجزل من جوده مثوبتهم»[(١)].

أقول: لا يخفى عليك ما في هذه الفقرات من حسن تأدية المقصد بإيراد أسماء الكتب الفقهية من غير اختلال في النظم، ولا خفاء في المعنى رعاية لبراعة الاستهلال.

والبراعة: مصدر (برع الرجل) إذا فاق أصحابه.

والاستهلال: أوّل صوت الصبي، ثُمَّ استُعير لأوّل كل شيء.

فبراعة الاستهلال بحسب المعنى اللغوي تفوق الابتداء، وفي الاصطلاح كون الابتداء مناسباً للمقصود، وهو إنّما يكون سبباً لبراعة الاستهلال أي تفوق الابتداء، فتسميته بها يكون من باب تسمية السبب باسم مسبّبه تنبيهاً على كمال السبب في السببية، فكأنّ التسمية على طريقة النقل لا الارتجال.

فالمختصر: هو كتاب المختصر النافع في الفقه معروف للشيخ السعيد نجم

---

(١) معالم الدين: ٤.

الملّة والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد المعروف بالمحقِّق.

والمبسوط: هو كتاب الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله.

والشافي في كتاب الإمامة: للسيِّد المرتضى علم الهدى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي.

والنهاية: كتاب في الفقه للعلاّمة الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الحلِّي طاب ثراه[1].

والإيضاح: هو شرح قواعد العلاّمة لولده فخر الدين محمّد بن الحسن بن يوسف المذكور.

والقواعد: مِن أعرف كتب العلاّمة.

والبيان: من أشهر متون الفقه للشهيد الأوّل محمّد بن مكي رحمه الله.

والسرائر: لمحمّد بن أحمد بن إدريس الحلِّي العجلي.

والتهذيب: هو أحد الكتب الأربعة التي عليها المدار بين الطائفة المحقّة الإمامية للشيخ الطوسي المتقدِّم.

ومن لا يحضره الفقيه: أيضاً من الكتب الأربعة للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق القمّي رحمه الله.

والمصباح: الكبير والصغير للطوسي المتقدِّم.

---

(١) اسم كتاب العلامة الحلّي هو نهاية الأحكام، والنهاية وحدها اسم كتاب للشيخ الطوسي رحمه الله، والظاهر أن المقصود هو كتاب الشيخ الطوسي، ويحتمل أن تكون (شاف) في عبارة المتن صفة للمبسوط ولا يقصد بها الإشارة إلى كتاب الشافي؛ لأنه في العقائد، وغرض الماتن الإشارة إلى كتب الفقه والحديث والأُصول.

والاستبصار: من الكتب الأربعة المذكورة أيضاً له.

ومدينة العلم: من كتب الصدوق، أكبر من الفقيه نَسَبَهُ إليه الشيخ في الفهرست[١].

نقل السيِّد عبد الله الجزائري في إجازته الكبيرة: أنه لما تأهّب المولى المجلسي رحمه الله **لتأليف كتاب بحار الأنوار كان يفحص عن الكتب القديمة ويسعى في تحصيلها، وبَلَغَهُ أنّ كتاب مدينة العلم للصدوق يوجد في بعض بلاد اليمن، فأنهى ذلك إلى سلطان العصر، فوجّه السلطان أميراً من أركان الدولة سفيراً إلى ملك اليمن بهدايا وتحف كثيرة لخصوص تحصيل ذلك الكتاب**[٢].

غير أنَّ صاحب الروضات ادّعى: **أنّه لم يُرَ منه أثرٌ ولا عين بعد زمن العلاّمة والشهيدين، مع نهاية اهتمام علمائنا في تحصيله، وإنفاقهم المبالغ الخطيرة في سبيله، نعم، قَدْ نقل أنه كان عند والد شيخنا البهائي رحمهما الله ولكنّ العادة تأباه، كيف لا وهو لم يوجد عند أحد من المحمّدين الثلاثة المتأخّرين أيضاً كما لا يخفى، فكأنه شبيه بالعنقاء أو لم يكن بهذه المثابة من العظم والبهاء**[٣][٤].

---

(١) الفهرست للطوسي: ٢٣٧ رقم ١٢٥/٧١٠.

(٢) الإجازة الكبيرة: ١٩٧.

(٣) روضات الجنات ٦: ١٣٦.

(٤) كتاب مدينة العلم ذكره النجاشي، بقوله: وكتاب مدينة العلم أكبر من (مَن لا يحضره الفقيه).

وقال ابن شهر آشوب: (مدينة العلم عشرة أجزاء). وقال العلامة الطهراني: (كتاب مدينة العلم.... هو خامس الأُصول الأربعة القديمة للشيعة الإمامية الاثني عشرية)، قال الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي في درايته: (وأصولنا الخمسة الكافي ومدينة العلم وكتاب من لا يحضره الفقيه والتهذيب والاستبصار)، بل هو أكبر من كتاب من لا يحضره الفقيه.... فالأسف على ضياع هذه النعمة العظمى من بين أظهرنا وأيدينا من لدن عصر والد الشيخ البهائي.... إن العلامة المجلسي صرف أموالاً جزيلة في طلبه وما ظفر به، وكذا حجّة الإسلام الشفتي بذل من

والمسالك: شرح على (الشرائع) من الكتب المعروفة لزين الدين بن علي المعروف بـ(الشهيد الثاني).

والشرائع: من أحسن كتب الإمامية التي عليها المدار في سالف الأعصار وفي عصرنا هذا، للمحقِّق المتقدِّم[1].

والذكرى و الدروس: كتابان معروفان للشهيد المتقدِّم[2].

والمقنعة: لأبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام الملقَّب بـ(المفيد).

وكتاب التلخيص أي: تلخيص المرام: للعلامة الحلِّي المتقدِّم.

والخلاف: من الكتب المعروفة للطوسي المتقدِّم.

والتحرير والتذكرة ومنتهى المطلب: من كتب العلاّمة.

والمهذب البارع: لجمال الدين أبي العبَّاس أحمد بن شمس الدين بن محمّد بن فهد الحلِّي الأسدي الساكن بالحلة والحائر الشريف حيّاً وميتاً.

والجمل هو: جمل العلم والعمل للسيِّد المرتضى.

الأموال ولم يفز بلقائه، نعم ينقل عنه السيِّد علي بن طاووس في فلاح السائل وغيره.... وبالجملة ليس لنا معرفة بوجود هذه الدرة النفيسة في هذه الأواخر إلا ما وجدناه بخط السيِّد شبر الحويزي وإمضائه الآتي وهو ما حكاه السيِّد الثقة الأمين معين الدين السقاقلي الحيدر آبادي: (إنه توجد نسخة مدينة العلم للصدوق عنده واستنسخ عنه نسختين أخريين، وذكر السقاقلي أنه ليس مرتباً على الأبواب بل هو نظير روضة الكافي)، وروى السقاقلي عن حفظه حديثاً للسيِّد عبد العزيز في فضل مجاورة أمير المؤمنين عليه السلام نقله عنه السيِّد عبد العزيز بالمعنى وهو: أنَّ مجاورة ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من عبادة سبعمائة عام، وعند الحسين عليه السلام أفضل من سبعين عام.(ينظر: الذريعة ٢٠: ٢٥١- ٢٥٢ رقم ٢٨٣٠، مقدمة كتاب الهداية للصدوق: ١٩١)

(١) أي: المحقِّق الحلي رحمه الله.

(٢) أي: الشهيد الأوّل رحمه الله.

والمختلف: للعلاّمة الحلّي المتقدّم.

وكامل الزيارة: للشيخ النبيل الثقة أبي القاسم جعفر بن محمّد بن جعفر بن موسى بن قولويه.

والانتصار: هو من كتب السيّد المرتضى.

والمعتبر: من الكتب المعروفة للمحقّق المتقدّم[(١)].

والمدارك: لشمس الدين محمّد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي ابن بنت الشهيد الثاني.

وتمهيد القواعد: للشهيد الثاني.

والروضة: له أيضاً.

كشف الحجب عن بعض الكتب

هذا ويجدر بالمقام أن نشير إلى جملة من الكتب والمصنّفات التي وقع الاختلاف والاشتباه في مصنّفيها، وجهلوا مؤلّفيها فمن ذلك:

[أ]- جامع ديوان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: فقد نسبه النجاشيّ في الفهرست إلى الجلوديّ، وهو عبد العزيز بن يحيى بن عيسى الجلوديّ من أصحاب أبي جعفر عليه السلام[(٢)].

وابن شهر آشوب نسبه إلى الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن محمّد الفنجكرديّ الأديب النيسابوريّ ـ كان معاصراً للزمخشري والميداني ـ المتوفّى

---

(١) أي المحقّق الحلي رحمه الله.

(٢) رجال النجاشي: ٢٤٠ رقم ٦٤٠ ذكره له – عند تعداد كتبه المتعلّقة بأمير المؤمنين عليه السلام – بعنوان كتاب شعره عليه السلام.

سنة ٥١٣ وسمّاه (سلوة الشيعة)[1]، وفنجكرد قرية من قرى نيسابور.

وذكره عبد الغفّار الفارسيّ فقال: علي بن أحمد الفنجكرديّ الأديب البارع صاحب النظم والنثر الجاريين في سلك السلاسة، الباقيين معه على هرمه وطعنه في السن، قرأ أُصول اللُّغة على يعقوب بن أحمد الأديب وغيره وأحكمها وتخرّج فيها، أصابته علّة لزمته في آخر عمره ومات بنيسابور في الثالث عشر من رمضان سنة ٥١٣ وعمره ثمانون[2].

والشيخ أبو الحسن قطب الدين محمّد بن الحسين بن الحسن الكيدري السبزواري شارح نهج البلاغة نسبه إلى نفسه في الشرح المذكور سمّاه بأنوار العقول من أشعار وصي الرسول[3].

---

(١) معالم العلماء: ١٠٦ رقم ٤٨١ ذكر له كتاب تاج الأشعار وسلوة الشيعة من أشعار أمير المؤمنين عليه السلام، ونقل عنه في مناقبه ١: ٣٣٥، ٣٧٤ وفي٢: ٣٤، ٢٤٤.

(٢) عنه الأنساب للسمعاني ٤: ٤٠٢، الذريعة ٣: ٢٠٥ رقم ٧٥٨، كما ينظر: ترجمته مفصلاً في الغدير ٤: ٣٢٠.

(٣) تنبيه: قال الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمه الله مقالاً في كتابه الذريعة ج ٢ص٤٣١ رقم ١٦٩٧ يتعلّق بالموضوع، يظهر فيه أنّ التعدد ليس بعزيز، ونصّه: (أنوار العقول من أشعار وصي الرسول صلى الله عليه وآله، هو ديوان أشعار منسوبة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرتبة قوافيها ترتيب حروف الهجاء، من جمع قطب الدين الكيدري شارح نهج البلاغة بشرح سماه (حدائق الحقائق) وفرغ منه سنة ٥٧٦، وهو الشيخ أبو الحسن محمّد بن الحسين بن الحسن البيهقي النيسابوري ممن أخذ عن الإمام المفسر أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفّى سنة ٥٤٨، كما يظهر من أثناء كتابه هذا عند ذكر الحرز المشهور عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: (ثلاث عصي صفقت بعد خاتم) أوّله: (الحمد لله الَّذي دانت لعزّته الجبابرة، وتضعضعت دون عظمته الأكاسرة) ، ذكر في أوّله أنه جمع أولاً خصوص أشعاره المشتملة على الآداب والحكم والمواعظ والعبر وسماه (الحديقة الأنيقة) ، ثُمَّ جمع أشعاره عليه السلام جمعاً عاماً وافياً في هذا الكتاب الَّذي سماه(أنوار العقول) وذلك بعد الجد في الطلب والفحص في الكتب التي منها الدواوين الثلاثة المجموعة فيها أشعاره عليه السلام.

أحدها: ما جمعه الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمّد الفنجكردي النيسابوري شيخ الأفاضل المتوفّى سنة ٥١٣ أو ٥١٢ _ كما أرّخه السيوطي في بغية الوعاة_ وهو في مائتي بيت، واسمه (سلوة الشيعة) أو(تاج الأشعار) كما يأتي.

وثانيها: ما جمعه بعض الأعلام وهو أبسط من جمع الفنجكردي، بعض أشعاره مستخرجة من كتاب محمّد بن إسحق صاحب (السيرة) وبعضها ملتقطة من متون الكتب منسوبة إليه عليه السلام.

ولكن في معجم الأدباء لياقوت الحموي، أنه قرأ بخط أبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري اللغوي في كتاب التهذيب له، قال أبو عثمان المازني: لم يصح عندنا أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام تكلّم من الشعر بشيء غير هذين البيتين[1]:

تِلكُم قُرَيْشُ تَمَنَّانِي لِتَقتُلَنِي ... فَلا وجَدّك لا بَرُّوا ولا ظَفَرُوا

فإنْ هَلَكْتُ فَرَهْنٌ ذمَّتي لَهُمُ ... بذاتِ وَدْقَيْنِ لا يَعْفُو لها أَثَرُ[2]

وثالثها: ما جمعه السيّد أبو البركات هبة الله بن محمّد الحسيني، وغير هذه الدواوين الثلاثة من كتب السير والتواريخ المعتمدة مصرحاً بأن ما يذكره لا يدّعي فيه القطع واليقين بأنه عليه السلام ناظمه ومنشئه لتعذر الحكم باليقين في مثله، بل إنما أخذ فيه بالظن الحاصل من نقل الرواة، وكذا لا يدّعي إحاطته بجميع أشعاره بل يجوز أن يكون ما ظفر به دون ما صفرت عنه يداه، فيذكر في جلّ الأشعار مآخذها من كتب الأعلام المشاهير من الدواوين الثلاثة، وكتاب تفسير الإمام العسكري عليه السلام، وكتب الشيخ المفيد والشيخ الطوسي وغيرها بأسانيدهم، مثل رواية محمّد بن اسحق، ورواية الإمام علي بن أحمد الواحدي الّذي كان إمام أصحاب الشافعي بخراسان غير مدافع، ورواية الأديب أبي علي أحمد بن محمّد المرزوقي، ورواية أبي الجيش المظفر السنخي وغير ذلك من الروايات، وفي آخره: (قال مؤلّف الكتاب: هذا ما أكدى إليه كدّي وأدى إليه جهدي من التقاط هذه الدرر الفريدة وارتباط أوابدها الشريدة، جمعتها من مظانّ متباعدة...ولا تذهلن عن قولي فيه)).

(١) قال السيّد محسن الأمين رحمه الله في أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٤٩ في باب الشعر المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام، مانصّه: (عن الجاحظ في كتابي البيان والتبيين، وفضائل بني هاشم، والبلاذري في أنساب الأشراف: أنّ علياً أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم وأكتبهم. وعن تاريخ البلاذري: كان أبو بكر يقول الشعر، وعمر يقول الشعر، وعثمان يقول الشعر، وكان عليّ أشعر الثلاثة. وعن الشعبي: كان أبو بكر شاعراً وعمر شاعراً وعثمان شاعراً وكان عليّ أشعر الثلاثة. وعن سعيد بن المسيب: كان أبو بكر وعمر وعليّ يجيدون الشعر وعليّ أشعر الثلاثة. وقد ذُكر له عليه السلام في الكتب أشعار كثيرة اشتهرت نسبتها إليه ورواها الثقات ودلت بلاغتها على صحّة نسبتها، وقال المرزباني في معجم الشعراء: يُروى له شعر كثير. فما يحكى عن المازني وصوّبه الزمخشري من أنّه: لم يصح أنه تكلّم بشيء من الشعر غير هذين البيتين:

تلكم قريش تمناني لتقتلني ... فلا وربّك ما بروا وما ظفروا

فإن هلكت فرهن ذمتي لهم ... بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وما يحكى عن يونس النحوي: ما صح عندنا ولا بلغنا أنّه قال شعراً إلاّ هذين البيتين ليس بصواب) .

(٢) معجم الأدباء ٤: ١٧٢، لسان العرب ١٠: ٣٧٢، ووردت في بشارة المصطفى ص ٣١٨ زيادة عمّا مذكور هنا سبعة أبيات.

[ب]- ومن ذلك رسالة إلزام النواصب بإمامة علي ابن أبي طالب عليه السلام: عدّه في أمل الآمل من جملة الكتب المجهولة المؤلِف[1]، والصحيح أنّه للشيخ مفلح الصيمري، على ما صرّح به العلاّمة الشيخ سليمان الماحوزي المتوفّى سنة ١١٢٢ في رسالة له في أحوال علماء البحرين[2]، ونسبه بعضهم إلى السيِّد رضي الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن أحمد بن طاووس الحسني صاحب كتاب الطرائف، وهو اشتباه[3].

[ج]- ومن ذلك كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ذكر ابن شهر آشوب في آخر كتاب معالم العلماء أنه مجهول المؤلِف[4]، وهو لمحمّد بن جرير الطبري أعني الشيخ أبا جعفر الإمامي الشيعي جدّه رستم الطبري، نقل صاحب العبقات من حاشية في أصل كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي: أنه لمّا سمع الطبري أنّ ابن أبي داود يتكلّم في حديث (غدير خم) صنّف كتاب الفضائل وصحّح الحديث المزبور[5].

---

(١) أمل الآمل ٢: ٣٦٤.

(٢) فهرست علماء آل بويه وعلماء البحرين: ٧٠ رقم ٨

(٣) كشف الحجب والأستار: ٥٨ رقم ٢٧٤، الذريعة ٢: ٢٨٩ رقم ١١٧٠.

(٤) معالم العلماء: ١٧٩.

(٥) جاء في كتاب نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٦: ٨٠- ٨٢ رقم ٣ ط ١: (أنَّ الكتاب هو من مؤلَّفات الطبري العامي لا الإمامي كما ذهب إليه الشارح رحمه الله، وذكر فيه قول الذهبي الوارد أعلاه في ترجمة العامي، وقد نصّ جمعٌ من المؤلِّفين على هذا القول ومنهم المحقِّق السيِّد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله إذ قال ما نصّه: فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام لأبي جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، صاحب التاريخ والتفسير وتهذيب الآثار وغيرها (٢٢٤- ٣١٠هـ) ... قال ياقوت في ترجمة الطبري من معجم الأدباء ١٨/ ٨٠: له كتاب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تكلّم في أوّله بصحّة الأخبار الواردة في غدير خم، ثُمَّ تلاه بالفضائل ولم يتمّ، وقال الذهبي في ترجمة الطبري من تذكرة الحفاظ ٣/

ولأبي المؤيد أخطب خوارزم الموفّق بن أحمد من علماء العامّة كتاب (فضائل أمير المؤمنين) ينقل عنه صاحب غاية المرام كثيراً[١].

[د]- وفضائل الأخبار: هي رسالة مختصرة فيها مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين بأسانيد العامّة للشيخ الجليل أبي الحسن محمّد بن أحمد بن علي بن الحسين بن شاذان، أحد مشايخ شيخنا الطبرسي وأبي الفتح الكراجكي ومن جملة المتلمّذين على التلعكبري، وشيخنا الصدوق رحمه الله[٢].

[هـ]- ومن ذلك كتاب الكشكول فيما جرى على آل الرسول: قال في أمل الآمل عند ذكر مؤلّفات العلاّمة: الكشكول فيما جرى على آل الرسول ينسب إليه، وفي آخر الكتاب عَدَّهُ في ضمن المجاهيل[٣].

قلت: ومن المحقّق أنه من مؤلّفات السيِّد الحكيم العارف السيِّد حيدر الآملي ابن علي العبيدي الحسني الصوفي المعاصر للعلاّمة وفخر الدين، ويؤيده أنَّ مصنِّف هذا الكتاب ذكر في أثناء الكتاب أنّه كان مشغولاً بتصنيفه سنة ٧٣٦

---

٧١٣ حاكياً عن الفرغاني أنّه قال: ولمّا بلغه [أي الطبري] أنَّ ابن أبي داود تكلّم في حديث غدير خمّ عمل كتاب الفضائل، وتكلّم على تصحيح الحديث) . (ينظر: أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربية: ٣٦٦ رقم ٥٦٦) .

هذا مع أن تعدد هذا العنوان لعدّة من المؤلِّفين هو ليس بعزيز، فتأمَّل.

(١) تنبيه: لأبي المؤيد - أخطب خوارزم- الموفّق بن أحمد المكّي الخوارزمي (٤٨٤هـ- ٥٦٨هـ) عدّة كتب في أمير المؤمنين عليه السلام وهي كالآتي: الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، حديث ردّ الشمس، الفصول السبعة والعشرون في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام. (ينظر: أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربية: ٣٤، ١٣٢، ٣٤٧، ٥٨٤ تباعاً) .

(٢) الذريعة ١٦: ٢٥١ رقم ١٠٠٢.

(٣) أمل الآمل ٢: ٨٥، ٣٦٤.

من الهجرة النبوية، وهذا التاريخ متأخّر عن وفاة العلاّمة بعشر سنين، فإنّ وفاته كما سيجيء سنة ٧٢٦[١].

وعلى كل حال فقد قال العلاّمة في (الشهاب الثاقب): (إن السيِّد حيدر هذا اختار القول بوحدة الوجود وأنا منه بريء، وهو ليس من الّذين يرجع إليهم ويعتمد عليهم)[٢].

[و]- ومن ذلك كتاب التلقين لأولاد المؤمنين: عدّه ابن شهر آشوب من المجاهيل[٣]، وصرّح صاحب الأمل وكشف الحجب أنّه للقاضي أبي الفتح محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي[٤].

[ز]- ومن ذلك كتاب فرحة الغري في تعيين مرقد علي: ذكرَ في مجالس المؤمنين في ترجمة النَّجف أنّه للسيّد رضي الدين علي بن طاووس وهو اشتباه

---

(١) أقول: قال الشيخ أغا بزرك الطهرانيرحمه الله في كتابه الذريعة ١٨: ٨٢ رقم ٧٧٧، ما نصّه: (الكشكول فيما جرى لآل الرسول والجمهور بعد الرسول المشهور نسبته إلى السيِّد العارف الحكيم حيدر بن علي العبيدي- أو العبدلي- الحسيني الآملي، المعروف بالصوفي، المعاصر لفخر المحققين بل تلميذه... ولكن في (الرياض) استبعد كون مؤلّفه الصوفي المذكور، لوجوه أربعة مذكورة في ترجمة الصوفي والحقّ معه، بل المؤلّف هو السيِّد حيدر بن علي الحسيني الآملي المقدّم على الصوفي بقليل . أوّله: «الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى...» كتبه في سنة وقوع الفتنة العظيمة بين الشيعة والسنة وهي في ٧٣٥ وعدّه في مجالس المؤمنين من كتب السيِّد حيدر الصوفي المذكور، ولكن الشيخ المحدِّث الحر قال: إنّه ينسب إلى العلاّمة الحلّي، والشيخ يوسف خطّأه في الانتساب إليه، وجزم بكلام المجالس والله أعلم).

(٢) عنه كشف الحجب والأستار: ١٥١ رقم ٧٤٤.

(٣) كذا، والصحيح أنّ ابن شهر آشوب عدّه من مؤلّفات الكراجكي في كتابه معالم العلماء المطبوع: ١٥٣ رقم ٧٨٨، فتأمَّل.

(٤) أمل الآمل ٢: ٢٨٧ رقم ٨٥٧، كشف الحجب والأستار: ١٤٠ رقم ٦٩٥، الذريعة ٤: ٤٢٩ رقم ١٨١٨، ومؤلِف الشهاب الثاقب هو العلاّمة السيِّد دلدار النقوي(ت١٢٣٥هـ) .

منه غريب[١]، فإنّ الكتاب المزبور للسيِّد عبد الكريم بن طاووس كما عن رياض العلماء وغيره[٢]، ومن ذلك تلخيص لهذا الكتاب سمّاه مصنّفه الدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة الغروية.

قال الشيخ عبد الله الأفندي في رياض العلماء: (رأيت الكتاب المزبور في طهران ولم أعلم مؤلّفه)[٣].

قلت: ومؤلّفه هو الشيخ أحمد الجوذري النَّجفي، ألّفه سنة ١٠٤٨، وتوجد منه نسخة عتيقة عند بعض السادة في كربلاء[٤].

---

(١) مجالس المؤمنين ١: ٥٧.

(٢) رياض العلماء ٣: ١٦٤، الذريعة ١٦: ١٥٩ رقم ٤٣٣، هدية العارفين ١: ٦١٠.

(٣) رياض العلماء ٣: ١٦٣.

(٤) قال شيخ الباحثين الطهراني عند تعريفه للكتاب ما نصّه: (الدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة الغروية هو تلخيص فرحة الغري المطبوع أصله في (١٣٦٨) للسيِّد عبد الكريم بن طاوس الحلّي الّذي توفّى (٦٩٣) والتلخيص للعلّامة الحلّي المتوفّى (٧٢٦)، وهو مرتّب على ترتيب أصله في مقدمة وخمسة عشر باباً أوّله: «الحمد لله مظهر الحق ومبدئه، ومدحض الباطل ومزجيه...وبعد فإني وقفت على كتاب السيِّد النقيب...عبد الكريم بن أحمد بن طاووس رحمه الله المتضمن الأدلة القاطعة على موضع مضجع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام...فاخترت منه معظمه بحذف أسانيده ومكرراته وسميته بالدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة الغروية»، وفي أوّل الباب الرابع قال: «اخبرني الوزير رئيس المحققين نصير الدين محمّد عن أبيه يرفعه»، وقال في أوّل الباب الخامس: «أخبرني والدي عن الفقيه محمّد بن نما، عن الفقيه محمّد بن إدريس يرفعه»، وقال بعده أيضاً: «وأخبرني الفقيه نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد» وهؤلاء كلهم مشايخ العلاّمة الحلي، وحكى صاحب الرياض عن المير منشي أنه نسبه في رسالته الفارسية في تأريخ قم إلى العلاّمة الحلي، ثُمَّ تنظر هو في صحّة النسبة وأحتمل السهو عن المير منشي.

أقول: ظاهر كلام صاحب الرياض أنه لم ير الكتاب، ولو كان رأى أسانيده المذكورة لم يشك في صحّة النسبة، مع أن العالم الجليل السيِّد أحمد بن شرف الحسيني القمّي كتب نسخة (الدلائل البرهانية) بخطه في بلدة قم في (٩٧٨) عن نسخة كان على ظهرها خط العلاّمة الحلي، وكتب ما هو صورة خط العلاّمة في ظهر تلك النسخة على نسخته، والصورة هذه: (تم الجزء الأوّل من مختلف الشيعة في أحكام الشريعة بمنه ولطفه في رابع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وستمائة على يد مصنفه حسن بن يوسف بن مطهر الحلي)، وقد رأيت النسخة التي بخط السيِّد أحمد القمّي المذكور في طهران، وقد كتب هو على ظهرها أنه تأليف العلاّمة...) (الذريعة ٨: ٢٤٨ رقم ١٠٢٢)، وأرى أنّ الشيخ أحمد الجوذري هو ناسخ

[ح]- ومن ذلك كتاب مصباح الأنوار في مناقب إمام الأبرار: ينسب إلى الشيخ الطوسي، وخطّأه العلاّمة المجلسي في قائمة البحار، وقال: (كثيراً ما يروي عن الشيخ شاذان بن جبرائيل القمّي وهو متأخّر عن الشيخ بسنين)[(١)].

[ط]- ومن ذلك كتاب جامع الأخبار: فإنّ نسبته إلى الصدوق شائعة، وهو خطأ كما في قائمة البحار، فإنه يروي عن الصدوق بخمس وسائط.

فقيل: إنه لعلي بن سعد بن أبي الفرج الخياط[(٢)]، ونسبه جدّي بحر العلوم في فهرست كتبه إلى الطبرسي[(٣)].

النسخة لا مؤلّفها، والكتاب طبع ضمن تعليقات المحدّث الأرموي على كتاب الغارات في ج٢ ص ٥١٩ وما بعدها، فتأمّل.

(١) بحار الأنوار ١: ٢١، أقول: مؤلّف الكتاب هو الشيخ هاشم بن محمّد على ما صرّح به المجلسي في أوّل بحاره ج١ ص ٢١، والحر العاملي في أمل الآمل ج٢ ص٣٤١ رقم ١٠٥٠، والكنتوري في كشف الحجب والأستار: ٥٢٦رقم ٢٩٦١، والشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة ٢١: ١٠٣ رقم ٤١٣٦، وقال عن نسبته للشيخ الطوسي ما نصّه: (... وعلى ظهر النسخة كتب أنه للشيخ الطوسي، ولعل هذا منشأ اشتباه من انتسابه إلى الشيخ الطوسي، كما في مدينة المعاجز وفي كشكول الشيخ أحمد شكر ... فنسبته إلى الشيخ الطوسي سهو وخطأ كما في مدينة المعاجز. وينقل عنه في أحكام الأموات من البحار مكرراً منها في كيفية صلاة عليّ وفاطمةﷺ، وقال هنا إنه لبعض الأصحاب، ولكن صرّح في (الأمل) بأنه للشيخ هاشم بن محمّد . ولعل مستند وجه النسبة إلى الطوسي ما وجد من كتاب (تأويل الآيات) لتلميذ الكركي المتوفى ٩٤٠ حيث نقل فيه عن (المصباح) المذكور ناسباً له إلى الطوسي) .

(٢) بحار الأنوار ١: ١٣.

(٣) كذا، وأصل هذه النسبة هي في فهرست الحر العامليﷺ الوارد في كتابه أمل الآمل ج٢ ص ٧٥ رقم ٢٠٣ ونص قوله هو: (الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي، كان فاضلاً محدّثاً، له كتاب مكارم الأخلاق، ويُنسب إليه أيضاً كتاب جامع الأخبار، وربّما يُنسب إلى محمّد بن محمّد الشعيري) .

وكذا ذكره العاملي في إجازته للشيخ محمّد فاضل المشهدي والموجودة في إجازات البحار، ولذا فإنّ نسبة القول للسيِّد بحر العلوم من الشارح لعلّها من سهو القلم؛ إذ لم يُعرف لهﷺ كتابٌ أو رسالة بهذا العنوان، إلا إذا سلمنا بأنّ السيِّد نقل قول العاملي في أحد كتبه دون الإشارة لمصدر قوله. (ينظر: إجازة العاملي للمشهدي في بحار الأنوار ١٠٧: ١٠٧، ونسبة الكتاب للطبرسيﷺ فيها في ص ١١٦) .

ويظهر من بعض مواضع هذا الكتاب وهو فصل تقليم الأظفار أنّ اسم مؤلّفه محمّد بن محمّد الشعيري، وهو غير متعين وإن صرَّح به في أمل الآمل[١].

[ي]- ومن ذلك رسالة القبلة الموسومة بإزاحة العلّة: ذكر الشيخ الحرّ العاملي في الفائدة الرابعة من الوسائل أنَّ الرسالة المزبورة للفضل بن شاذان[٢]، وهو من العثرات فإن الرسالة للشيخ الجليل شاذان بن جبرئيل القمّي كما صرّح هو بنفسه في أمل الآمل، وقال: (وعندنا منه نسخة)[٣].

وفي أوّل الرسالة: فإنَّ الأمير الأجل العالم الزاهد جمال الدين زين الإسلام والمسلمين، شرف الحاج والحرمين فرامز بن عليّ البقراني الجرجاني أدام الله سعده، لمّا كان بمكة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة إلى آخر ما ذكر، وأين هو من الفضل بن شاذان المتوفّى في أيام العسكري عليه السلام[٤].

(١) أمل الآمل: ٢: ٧٥، ٣٠٠، ينظر حول الكتاب ونسبته في الذريعة ٥: ٣٣ رقم١٥١، وقد طبع الكتاب أخيراً في مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بتحقيق علاء آل جعفر، وذلك في سنة ١٤١٣هـ مع التعريف بمؤلِف الكتاب في مقدّمته وأثبت فيها أنّه للشيخ محمّد بن محمّد السبزواري ق٦.

(٢) وسائل الشيعة (ط- الإسلامية) ٢٠: ٣٩.

(٣) أمل الآمل ٢: ١٣٠ رقم٣٦٤.

(٤) ذكرها المحدّث النوري رحمه الله في مستدرك الوسائل ٣: ١٨١، وقال الشيخ أغا بزرك الطهراني رحمه الله عنها في الذريعة، ما نصّه: (إزاحة العلّة في معرفة القبلة من سائر الأقاليم للشيخ سديد الدين أبي الفضل شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل بن أبي طالب القمّي نزيل المدينة وصاحب (الفضائل) المعروف بالمناقب، أوّله: (الحمد لله الّذي تفرد بالكبرياء.... اعلم أنَّ الناس يتوجهون إلى القبلة من أربعة جوانب الأرض) ألّفه سنة ٥٥٨ كما صرّح به في ديباجته، وأدرجه العلاّمة المجلسي بتمامه في باب القبلة من مجلد صلاة البحار المطبوع، وبما أنّ كنيته أبو الفضل واسمه شاذان اشتبه الشيخ الحر فنسبه في جملة تصانيفه إلى الفضل بن شاذان النيسابوري المتوفّى سنة ٢٦٠ بل صرّح في آخر هداية الأمّة أنّه من الكتب المؤلّفة في عصر الأئمة عليهم السلام؛ لأنَّ الفضل بن شاذان يروي عن الإمام الرضا والإمام الجواد عليهما السلام، وقد سبق الشيخ الحر في هذا الاشتباه السيِّد حسين بن الحسن الحسيني - الَّذي هو من طبقة تلاميذ المحقّق الكركي، وقد قابل وصحح نسخة من أُصول الكافي الموجودة في الخزانة الرضوية في سنة ٩٦١ - فإنه كتب بخطه حاشية المحقّق الكركي

[ك]- ومن ذلك كتاب مسند فاطمة عليها السلام: عدّه في أمل الآمل من الكتب المجهولة[1]، وهو من تآليف الشيخ الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني، كما في غيبة البحار وغيرها[2].

[ل]- ومن ذلك كتاب قصص الأنبياء وقد نسبه المشهور إلى قطب الدين سعيد بن هبة الله وهو الظاهر من بعض أسانيده أيضاً[3]، واحتمل بعض الأعلام أنه تأليف فضل الله بن علي بن عبد الله الحسيني الراوندي كما يظهر من بعض أسانيد السيِّد ابن طاووس[4]، وقد صرّح بكونه منه في رسالة النجوم وكتاب فلاح السائل[5].

[م]- ومن ذلك كتاب البدع المحدثة لعلي بن أحمد أبي القاسم الكوفيّ صاحب كتاب الأوصياء المتوفّى سنة ٣٥٣، وهذا الكتاب هو المشهور بالاستغاثة في بدع الثلاثة والعلاّمة المجلسي في البحار والحر العاملي في الأمل نسباه إلى

على الشرائع وبعض رسائله وكتب في آخرها نسخة إزاحة العلّة، فرغ من كتابتها في تاسع شعبان سنة ٩٤١ وكتب على ظهرها أنّه للفضل بن شاذان، لكن المقطوع أنّ هذا من سهو قلمه فإنه كتب هكذا: (أنّه للشيخ سديد الدين الفضل بن شاذان بن جبرئيل) فأسقط سهواً لفظ (أبي) قبل (الفضل) وزاد لفظ (ابن) بعده وهذه النسخة رأيتها في مكتبة آية الله المجدد الشيرازي طاب ثراه) . (الذريعة ١: ٥٢٧ رقم ٢٥٧٢)

(١) أمل الآمل ٢: ٣٦٥.

(٢) ذكره المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٥١: ١٠٦بعنوان «مسند سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام».

(٣) أمل الآمل ٢: ١٢٥ رقم ٣٥٦.

(٤) إشارة إلى قول العلاّمة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ١: ١٢.

(٥) أي من قطب الدين الراوندي كما في فرج المهموم: ١١٨، وفلاح السائل: ١٩٥، وقال الشيخ الطهراني رحمه الله بالتعدد في الذريعة، ينظر الذريعة ١٧: ١٠٤ رقم ٥٦٩ وفي ص١٠٥ رقم ٥٧٤.

الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفّى ٦٧٩[١].

وقال شيخنا يوسف البحراني: (ثُمَّ إن ما ذكره شيخنا المذكور من نسبة كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة للشيخ ـ يعني ابن ميثم ـ غلط، قَدْ تبع فيه بعض من تقدّمه ولكن رجع عنه أخيراً فيما وقفت عليه من كلامه، وبذلك صرّح تلميذه العالم الشيخ عبد الله بن صالح البحراني رحمه الله)، انتهى[٢].

وهو مذكور في فهرست النجاشي أيضاً بعنوان كتاب البدع المحدثة، (ويشهد على ما ذكرنا روايته بلا واسطة عن جعفر بن محمّد بن مالك الكوفيّ)[٣].

قال النجاشي: (كان يقول: إنه من آل أبي طالب، وغلا في آخر أمره وفسد مذهبه، وصنّف كتباً كثيرة أكثرها على الفساد، إلى أن قال: توفّي أبو القاسم بموضع يقال له: كرمي من ناحية فسا[٤]، وكانت وفاته سنة ٣٥٢، وقبره بكرمي... إلخ)[٥].

[ن]- ومن ذلك كتاب دفع المناواة عن التفضيل والمساواة: يبحث فيه عن

---

(١) بحار الأنوار ١: ١٩، ٣٧، وأمّا الحر العاملي فإنّه لم يصرّح به في كتابه أمل الآمل، ولعلّه من سهو القلم، ومجمل ما ذكره فيه- أي أمل الآمل- عن ترجمة البحراني هو ما نصّه: (الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحريني، كان من العلماء الفضلاء المدقّقين، متكلماً ماهراً، له كتب منها: كتاب شرح نهج البلاغة كبير ومتوسط وصغير، وشرح المائة كلمة، ورسالة في الإمامة، ورسالة في الكلام، ورسالة في العلم، وغير ذلك، يروي عنه السيِّد عبد الكريم بن أحمد بن طاووس، وغيره) . (ينظر: أمل الآمل ٢: ٣٣٢ رقم ١٠٢٢)

(٢) لؤلؤة البحرين: ٢٦٠.

(٣) هذه الجملة لم ترد في رجال النجاشي، ولم أهتد إلى مصدرها، فلاحظ.

(٤) فسا: بالفتح والقصر كلمة أعجمية وعندهم: بسا، مدينة بفارس أنزه مدينة بها فيما قيل.(معجم البلدان ٤: ٢٦٠) .

(٥) رجال النجاشي: ٢٦٥ رقم ٦٩١، وينظر في صحّة نسبة الكتاب للكوفي: معالم العلماء: ٩٩ رقم ٤٣٦، كشف الحجب والأستار: ٨٢ رقم ٨٢، خاتمة مستدرك الوسائل ١: ١٦٣- ١٧١ رقم ٢٧، الذريعة ٢: ٢٨ رقم ١١٢، وغيرها.

تفضيل الأئمّة على سائر الأنبياء ومساواتهم مع النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع المراتب سوى مرتبة النبوة، وهو مؤلّف جليل لسيِّد المحقّقين السيِّد حسين ابن السيِّد ضياء الدين أبي تراب حسن بن صاحب الكرامات الباهرة والمقامات الزاهرة شمس الدين السيِّد أبي جعفر محمّد الموسويّ الكركي المعروف بالأمير سيِّد حسين، وهو ابن بنت الشيخ علي المحقِّق الثاني، ونازل منزلته من بعده عند الأُمراء والسلاطين، توفّي بالطاعون سنة ١٠٠١ بقزوين، وعندي منه نسخة صحيحة، وقد جعل خطبته باسم السلطان الشاه طهماسب الصفويّ، وفي آخر الكتاب ذكر ما لفظه: (**وفرغ من تسويدها مؤلّفها المذنب الجاني الحسين بن الحسن الحسيني رابع ربيع الأوّل من سنة تسع وخمسين وتسعمائة من الهجرة النبويّة، وقد فرغ كاتبه من استنساخه سنة ٩٦٢**)[١].

وعليه، فلا يمكن رواية المجلسي الأوّل ـ أعني المولى محمّد تقي ـ عنه لتولّده بعد وفاته بسنتين أعني سنة ١٠٠٣، فما في فوائد الأُصول لجدّي العلامة بحر العلوم رحمه الله من أنّ الكتاب المزبور هو للسيِّد القاضي أمير حسين الّذي هو من مشايخ إجازة المجلسيّ الأوّل، وعليه اعتمد في صحّة كتاب فقه الرضا عليه السلام غفلة منه رحمه الله[٢]، بناء على: «**أنَّ الصارم قَدْ ينبو والجواد قَدْ يكبو**»، لما عرفت من تاريخ وفاته الموافق مع طبقة الشهيد الثاني رحمه الله فهو غيره قطعاً.

ومن عجب الاشتباه وغريبه ما رأيت في كتاب أسرار الحكم[٣] للحكيم

---

(١) ينظر عن صحّة نسبة الكتاب له: الذريعة ٨: ٢٣٢ رقم ٩٦٨.

(٢) فوائد الأُصول: ١٤٩ ضمن فائدة ٤٥.

(٣) راجع الفصل الثاني من الباب الثالث في أفعال الله تعالى. (منه رحمه الله) . (ينظر: أسرار الحكم: ٢٣٤)

المحقّق الحاج ملا هادي السبزواري رحمه الله، حيث نقل فيه عن بعض المحقّقين إنكار كون التجريد من كتب المحقّق الخواجة نصير الدين الطوسي طاب ثراه[1]، وبالجملة هذا الكتاب من أشهر كتب هذا المحقّق مضافاً إلى ما صرّح به غير واحد من شرّاح الكتاب المزبور في مبادئ شروحهم من الجزم بنسبة الكتاب المزبور إلى المحقّق المذكور[2]، ومن جملة المعترفين: العلاّمة الحلّي في أوّل شرحه الّذي سماه بكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد[3]، وكذلك الفاضل الملا علي القوشجي، قال ما لفظه: (وإن كتاب التجريد الّذي صنفه في هذا الفن المولى الأعظم والبحر المعظّم، قدوة العلماء الراسخين، أُسوة الحكماء المتألهين، نصير الحقّ والدين محمّد بن محمّد الطوسيّ قدس الله نفسه وطيّب رمسه...)[4].

ومن عجيب ما وقع من المحقّق السبزواري المزبور في كتابه المذكور أنه عبّر عن شرح العلاّمة للتجريد بالأسرار الخفيّة مع تصريح الشارح رحمه الله بأنه سمّاه

(١) مع أن شأن هذا الكتاب أجل من أن يُنسب إلى غيره، غير أن المحقّق التفتازاني لمّا رأى كلمة في بحث الماهية من هذا الكتاب على غير التحقيق لم يرضَ صدور مثل ذلك من مثله فقال: (إن هذا ممّا يصدق نسبة الكتاب إلى غيره، وهذا ممّا يدل على عظم شأن الرجل في نظر العموم. وكفى دليلاً على ذلك أن علماء الإفرنج تمسكوا في الردّ على الإسلام، وإنكار إعجاز القرآن، من حيث عجز الإتيان بمثله، أنه لم يأت أحد بمثل المجسطي أيضاً) . (منه رحمه الله) .

(٢) ينظر: الذريعة ٣: ٣٥٢ رقم ١٢٧٨ فقد ذكر الكتاب وعدد شروحه.

(٣) كشف المراد: ٤.

(٤) القوشجي هو علاء الدين علي بن محمّد ت ٨٧٩هـ له رسالة: مسرة القلوب في دفع الكروب في علم الهيئة.

بكشف المراد[١].

هذا ما وسعني ثبته من الأوهام وهو يسير من كثير، والسبب الوحيد في هذه الاشتباهات هو المسامحة فيما جرى عليه ديدن القدماء في صدر كتبهم، فكانوا يذكرون اسم المؤلِف لتسكين المتعلِّم على ما هو الشأن في مباديء الحال من معرفة حال الأقوال في مراتب الرجال، وإن كان المحقّقون يعرفون الرجال بالحقّ لا الحقّ بالرجال، ولنعم ما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: **«لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال»**[٢] [٣].

[في شرح بعض عبارات المقدمة أيضا]

[٣٧]- قال رحمه الله: «حيث كان من فضل الله تعالى علينا أن أهّلنا لاقتفاء آثارهم، أحببنا الأُسوة بهم في أفعالهم، فشرعنا بتوفيق الله في تأليف هذا الكتاب الموسوم بمعالم الدين وملاذ المجتهدين»[٤].

أقول: يقال: أهّله الله للخير تأهُّلاً إذا جعله أهلاً له.

(١) أسرار الحكم: ٢٣٤.

(٢) شرح مئة كلمة للبحراني: ٦٨.

(٣) ولقد عثرت على مطلب لا تكاد تطاوعني نفسي على تركه، هو أنه ذكر السيِّد عبد اللطيف - من أحفاد السيِّد الجزائري - في تاريخه الفارسيّ الموسوم بتحفة العالم: (أنّ في أكبر آباد من بلاد الهند مكتبة لشاه جهان الهندي مشتملة على ثلاثة لكوك من الكتب الخطية، ومن أحسن الخطوط، لكلّ مائة مجلد منها وكيل خاص يتكفل حفظها، حاوية لأقسام الفنون وأصناف العلوم العربية، والفارسية، والإنكليزية نظماً ونثراً وتاريخاً ودواوين، والقطع التي هي بخط الأساتذة في فن الكتابة من الأوّلين والآخرين وتصاوير المصوَّرين من أهالي إيران، وهند، وروم، والإفرنج، ممّا لا يفي العمر بالإطلاع عليها، قال: وفيها جملة مجلدات من بحار المجلسي بخط يده، قال: وسمعت من بعض المباشرين أنّ فيها سبعمائة مجلَّد كلّها بخط مصنّفيها وقعت بيده من مكتبة السلاطين التيموريّة، قال: والحقّ أنّ قيمة هذه لا تعادل قيمة ما عنده من دفائن وخزائن، وأسباب الذهب والجواهر، بل هي لا تعادل العشر من عشر ذلك) . (منه رحمه الله) .

(٤) معالم الدين: ٤.

والمعالم: جمع مَعلَم وهو موضع العلم ومربطه.

والباء في قوله: (بمعالم الدين) للتقوية[1]؛ لكون العامل ليس أصلاً في العمل لكونه اسماً، والمناسبة بين الاسم والمسمّى واضحة.

[٣٨]- قال رحمه الله: **«وجدّدنا به معاهد المسائل الشرعية، وأحيينا به مدارس المباحث الفقهية، وشفعنا فيه تحرير الفروع بتهذيب الأُصول، وجمعنا بين تحقيق الدليل والمدلول»**[2].

أقول: المعاهد جمع معهد، وهو المكان المعهود فيه الشيء، والمكان الَّذي لا يزال القوم يرجعون إليه، وكلا المعنيين يناسب المقام[3].

ومدارس: جمع مدرسة، محل تعليم العلم.

وشفّعنا: أضفنا وزدنا عليه، وفيه دلالة على أنَّ المقصود بالأصالة من تأليف الكتاب تحرير المسائل الفقهية، والتعرض للأُصول إنما هو من باب المقدِّمة.

وفي قوله: تحرير الفروع بتهذيب الأُصول، من براعة الاستهلال ما لا يخفى لطفه، فإنَّ التحرير من الكتب الفرعية، و التهذيب من الكتب الأُصولية[4]،

---

(١) فيه نظر؛ لأن الباء لم يُعهد أن تكون للتقوية، بل لم أقف فيها على نصّ أو نقل، والعلّة المذكورة لا تُجدي وحدها شيئاً، فالصحيح ـ كما هو المشهور ونصّ عليه نجم الأئمة الشيخ الرضي في شرحه ـ هو: أن الباء زائدة؛ لأن هذه الأفعال (سمّى وأسمى ووسم وكنوت) تتعدى إلى مفعولين صريحين، وقد يقترن ثانيهما بالباء فتكون زائدة، فالباء هنا زيدت في المفعول الثاني ومدخولها مجرور لفظاً منصوب محلاً، أما المفعول الأول فهو الضمير المستتر في الوصف النائب عن الفاعل؛ لأن الوصف اسم مفعول. (السيد محمد الطباطبائي)

(٢) معالم الدين: ٥.

(٣) ينظر: العين ١: ١٠٢.

(٤) أراد المؤلِّف رحمه الله كتابي العلاّمة الحلّي رحمه الله: «تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية» و«تهذيب الوصول إلى علم الأُصول».

وكلاهما للعلامة الحلّي رحمه الله، ولما في لفظ التحرير من الإشارة إلى أنَّ هذا البيان خال من الحشو والزوائد.

والمراد من الدليل: هو الأُصول.

ومن المدلول: هو الفقه.

الإيجاز والإطناب والمساواة

[٣٩]- قال رحمه الله: «بعبارات قريبة من الطباع، وتقريرات مقبولة عند السماع، من غير إيجاز موجب للإخلال، ولا إطناب معقب للملال»[١].

أقول: المقبول من طرق التعبير عن المراد ـ على ما ذكره الخطيب القزويني ـ تأديته بلفظ مساوٍ له، أو ناقص عنه وافٍ به، أو بلفظ زائد على المراد لفائدة[٢].

فالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد.

والمراد بالإيجاز أن يكون اللفظ ناقصاً عنه وافياً به، وهذا النوع ـ أعني الإيجاز ـ اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤهم كثيراً، فإنهم كانوا إذا قصدوا الإيجاز أتوا بألفاظ يستغنون بواحدها عن ألفاظ كثيرة، كأدوات الاستفهام، والشروط وغير ذلك، فقولك: أين زيد؟ مغنٍ من قولك: أزيد في الدار، أم في المسجد، أم في السوق؟ إلى أن تستقرىء جميع الأماكن.

وقولك: من يَقُم أقم معه، مغنٍ عن قولك: إن يقمْ زيد أو عمرو أقم معه.

وما بالدار من أحد، مغنٍ عن قولك: ما فيها زيد ولا عمرو ولا بكر، إلى أن تستقرىء جميع الأشخاص.

---

(١) معالم الدين: ٥.

(٢) شرح المختصر على تلخيص المفتاح: ٢٥٦.

فغالب كلام العرب مبني على الإيجاز، والاختصار، وأداء المقصود بأقل عبارة، ولذا قال ﷺ مفتخراً: «أُوتيت جوامع الكلم»[١].

أي قوة إيجاز في اللفظ مع بسط في المعاني، ثُمَّ إنَّ هذا النوع على ضربين: إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

فإيجاز القصر: اختصار الألفاظ، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[٢] فإن معناه كثير ولفظه يسير؛ لأن المراد به أنَّ الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِل، كان ذلك داعياً إلى أن لا يقدم على القتل، وارتفاع القتل عن الناس حياة لهم.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣]، فإنّه تعالى وعظ فيها بألطف موعظة، وذكّر بألطف تذكرة، واستوعب جميع أقسام المعروف والمنكر، وأتى بالطباق اللفظي والمعنوي، وحسن النسق والتسهيم، وحسن البيان والإيجاز، وائتلاف اللفظ ومعناه، والمساواة وصحَّة المقابلة، وتمكين الفاصلة، ومن ذلك قول الشاعر:

يَا أَيُّهَا المُتَحَلِّي دُونَ شِيمَتِهِ ... إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ[٤]

---

(١) كنز العمال ١: ٣٧١.

(٢) سورة البقرة: من آية ١٧٩.

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) هو لسالم بن واصبة كما في لسان العرب ١٠: ٨٧، وفيه: «غير شيمته»، ينظر العمدة: ١: ٣٩٨.

وإيجاز الحذف: عبارة عن حذف بعض اللفظ لدلالة الباقي عليه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[1] أي: أهل القرية، ومن ذلك قول الشاعر:

«عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً»[2] أي سقيتها ماءً بارداً، فاللفظ الناقص عن المراد غير الوافي به هو الإيجاز المخل، كقول الحارث بن الحِلْزّة اليشكري:

والعيش خيرٌ في ظلالِ النوك ممّن عاش كَدّاً في ظلال العَقْلِ[3]

والمراد: أن العيش في ظلال النَّوكِ أي الحمق والجهالة، خير من العيش الشاق في ظِلال العقل، ولكنّ اللفظ غير واف بهذا المراد.

وأمّا الإطناب المستحسن: فهو أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد لفائدة.

قال الزمخشري: (وكما يجب على البليغ في مظانّ الإجمال أن يجمل ويوجز؛ فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصّل ويشبع)، انتهى[4].

قلت: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5].

---

(١) سورة يوسف: من آية ٨٢

(٢) تكملة البيت كما جاء في لسان العرب ٢: ٢٨٧: «حتى شتت همالة عيناها».

(٣) مختصر المعاني: ١٧١.

(٤) الكشّاف عن حقائق التنزيل ١: ١١٣.

(٥) سورة البقرة: ١٦٤.

أطنَبَ فيها أبلغ إطناب وزاد على المتعارف، وهو أن يقول في وقوع كلّ ممكن على نظام مخصوص لآيات للعقلاء، وما كان زائداً على أصل المراد لغير فائدة، ولا يكون اللفظ الزائد متعيّناً هو الإطناب الممل الغير المستحسن، كقول ابن الأبرش يذكّر غدْر الزبّاء بجَذيمة بن الأبرش[1]:

وقـــدَّدتِ الأَدِيـــمَ لِراهِـــشَيْهِ وألفـــى قَوْلَهـــا كَـــذِباً وَمِـــيْنا[2]

الكذب والمَيْن: بمعنى واحد، ولا فائدة في الجمع بينهما فأحدهما لا على التعيين زائد.

قصة الزباء

ولهذا البيت قصة مذكورة في كتب التاريخ وهي أنَّ عَدي ـ بالفتح ـ بن زيد العبادي يذكر حال الزبّاء مع جَذِيمة الأبرش وجَذِيمة ـ بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ـ والأبرش لقبه؛ لأنه كان به برص فهابت العرب أن تلقبه بالأبرص، فأبدلوا الصاد شيناً، وكان قَدْ ملك العراق.

وقيل: إنّه أوّل من أوقد الشمع في مجلسه، وأوّل من نصب المنجنيق في الحصار من العرب، فكان ملكه قبل المسيح عليه السلام، وقيل: بعده بمدّة يسيرة، وكان من أمره أنّه حارب ملك الجزيرة وأعمال الفرات ومشارق الشام.

ويقال لذلك الملك: عمرو بن الضرب بن حسان العميلقي، فجرى بينه وبين جَذِيمة حروب فانتصر جَذِيمة عليه وقتل عمراً. وكان لعمرو بنت تُدعى

---

(١) هذا القول هو لعدي بن زيد العبادي وليس لابن الأبرش، وإلا فالنص لا يستقيم. (ينظر: التبيان ١: ٢٤٢، أمالي المرتضى ٢: ٢٢٣، الصحاح ٦: ٢٢١٠، لسان العرب ١٣: ٤٢٥، تاج العروس ١٨: ٥٥٨)

(٢) ينظر: ديوان عدي بن زيد العبادي: ١٨٣، وفيه: (وقدّمت الأديم) .

الفارغة- بالفاء والغين- وقيل: نائلة، ولقبها الزبّاء- بالراء المعجمة والباء الموحَّدة المشدَّدة، من الزبب وهو كثرة الشعر- لأنها كانت حسنة الحواجب، طويلة الشعر جداً، وكانت عاقلة فملكت بعده وبنت مدينتين على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي وهما اليوم خراب.

وكان فيما ذُكر قَدْ أسقفت الفرات وجعلته طريقاً بين المدينتين[1]، وأخذت في الحيلة على جَذِيمة وأطمعته بنفسها حَتَّى اغتر وكانت بكراً، فجمع جَذِيمة أصحابه واستشارهم فأشاروا عليه بالمضي إليها، وخالفهم قصير بن سعد- تابع له من لخم[2]، وقيل: كان ابن عمه ووزيره ولم يكن قصيراً؛ ولكن سمّي بذلك لمكره ودهائه- وقال له: لا تفعل، فخالفه وسار نحوها في جماعة يسيرة فاستقبلته، وأحاطوا به وحملوه إلى قصرها فأمرت به فشدّوا بين يديه بسيور من أديم كما يفعله الفصّادون، ثُمَّ قطعت رَواهشه[3] فسال الدم حَتَّى مات.

وكان له ابن أُخت اسمه: عمرو، فملّكوه مكانه، فأتاه قصير وقال: نصحت خالك فخالفني، وأنا أُريد أن تقطع أُذنيَّ وتجدع أنفي وتضربني ضرباً شديداً بالسياط، ودعني والزبّاء، ففعل به ذلك.

---

(١) جاء في كتاب معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج٢ ص ٤٨٥، ما نصّه: (الخانوقة: على وزن فاعولة، هي المدينة التي بنتها الزبّاء على شاطئ الفرات من أرض الجزيرة، وعمدت إلى الفرات عند قلّة مائه فسكّر، ثُمَّ بنت في بطنه أزجاً جعلت فيه نفقاً إلى البرية، وأجرت عليه الماء فكانت إذا خافت عدواً دخلت في النفق وخرجت إلى مدينة أختها الزبيبة) .

(٢) لخم: قبيلة من اليمن نزلت الشام. (ينظر: الأنساب ٥: ١٣٢) .

(٣) رواهشه: أعصاب في باطن الذراع، واحدها: راهش. (ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢: ٢٨٢، لسان العرب ٦: ٣٠٧) .

فهرب قصير على تلك الحالة إلى الزبّاء على أنّه مغاضب لعمرو وأنّه فعل بي ما ترين فصدقت به، ورقت له وأنعمت عليه وقرَّبته، وصار من أخصّائها، وكان يأخذ مالها ويتجر به، ويضيف إليه أضعافاً من عنده، ويظهر أنّه من مال التجارة.

وما زال يدبِّر الأمر حَتَّى احتال عليها، وأدخل إلى قصرها أربعة آلاف رجل بالسلاح، وجعلهم في صناديق وأقفلها من الداخل، وحملهم على الإبل، فلمَّا شاهدت الزبّاء ثقل تلك الأجمال ارتابت منها، وقالت:

ما للجمال مشيها وئيدا أجنْدلاً يحملْن أَمْ حديدا

أَم صرفاناً بارداً شديدا أم الرجال جُثَّماً قُعُودا[1]

فلمّا دخلت الإبل إلى حصن الزبّاء خرجت الرجال من الصناديق، وأخذت المدينة عنوة، فخرجت الزبّاء هاربة من قصرها إلى السرب الَّذي اتخذته تحت الفرات إلى حصن أُختها في الجانب الآخر، وكان قصير قَدْ وقف على طريق السرب، فأبصرت قصيراً ومعه عمرو وبيده السيف، فمصّت خاتماً كان في يدها فيه سمّ ساعة، وقالت: (بيدي لا بيد عمرو) فذهب مثلاً.

وخُرِّبت المدينة، وسبيت الذراري، وأخذ عمرو بثأر خاله جَذِيمة، وطال ملكه إلى أن بلغ مائة سنة، ثُمَّ ملك بعده ابنه امرؤ القيس، وهذه خلاصة القصة[1].

---

(١) الوئيد: السكون والرزانة والتأني والمشي بثقل.(مجمع البحرين ٤: ٤٥٨) ، الجندل: الحجارة والمكان الغليظ (العين ٦: ٢٠٦) ، الصرفان: جنس من تمر (معجم مقاييس اللُّغة ٣: ٣٤٣) ، الجاثم: اللازم لمكانه لايبرح كاللابد (لسان العرب ١٢: ٨٣) .

وإليها أشار ابن دريد في مقصورته حيث يقول:

وقـــد ســـا عمـــرو إلى أوتـــارهِ ... فـــاحتطّ منهـــا كـــل عـــالي المـــستمى

فاسْـــتَنْزَلَ الزبَّـــاءَ قَـــسْراً وهـــيَ مِـــنْ ... عقـــاب لـــوح الجـــو أعـــلى منتمـــى[٢]

فيا لها قصة في شرحها طول.

الكلام على بيت للمتنبي

رجع: وقد يحصل الإطناب بحشو زائد على أصل المراد لغير فائدة، ويكون الزائد متعيّناً وهو على قسمين، لأن الزيادة:

[أ]- إمّا مفسدة للمعنى كقول أبي الطيّب المتنبّي:

ولا فـــضل فيهـــا للـــشجاعة والنّـــدى ... وَصَـــبرِ الفتـــى لـــولا لقـــاء شَـــعوبِ[٣]

والضمير في (فيها): راجع إلى الدّنيا المذكورة فيما قبله[٤].

و(صبر الفتى) أي: على المصائب، وهو بالجر عطف على الشجاعة.

---

(١) الكامل في التاريخ ١: ٥٤٢- ٣٥١ وفيه مجمل القصة، خزانة الأدب ٧: ٢٧٢، الأعلام ٣: ٤١ فإن مؤلِّفه ذكر فيه ملخص القصة عند ترجمته للزبّاء.

(٢) المستمى: الّذي يستمي الوحش، أي يطلها في كنسها، ولا يكون ذلك إلاّ في شدّة الحر. العقاب: طائر معروف، وعقاب اللوح: أعلاه .(ينظر خزانة الأدب ٨: ٢٧١) ، والبيتان هما من مقصورة أبي بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي المشهورة في مدح أبي العبَّاس إسماعيل بن عبد الله بن محمّد بن ميكال، وكان مؤدبه، وخمّسها الشيخ محمّد رضا النحوي، وأورد تخميسها السيِّد الأمين في أعيان الشيعة ٩: ٣١٠.

(٣) ديوان أبي الطيب/ شرح الواحدي ٢: ٦٧٥ رقم القصيدة ٣١.

(٤) البيت الّذي قبله:

ســـبقنا إلى الـــدنيا فلـــو عـــاش أهلهـــا ... منعنـــا بهـــا مـــن جيئـــة وذهـــوب

ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي ٢: ٦٧٥.

والشَعوب: بفتح الشين المعجمة، والعين المهملة، والواو والباء الموحدة كصبور، من أسماء المنيّة، غير منصرف للعلميّة والتأنيث، وإنّما صرفها للضرورة.

والمعنى: أنّه لا فضيلة في الدنيا للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت، وهذا إنّما يصح في الشجاعة والصبر دون العطاء، من حيث إنّ الشجاع إذا تيقّن بالخلود هان عليه الاقتحام في الحروب والمعارك؛ لعدم خوفه من الهلاك، فالفضل في الاقتحام مع خوف الموت، وكذلك الصابر إذا تيقّن بزوال الحوادث والشدائد لخلوده في الدنيا وزوال ما يحدث فيها هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالتخلّص، فالفضل في الصبر مع علمه بقلّة المكث وعدم تيسّر التدارك؛ لعدم مساعدة الدهر وفجأة الموت.

وهذان بخلاف الباذل فإنّه إذا تيقّن بالخلود شقّ عليه بذل المال؛ لاحتياجه إليه دائماً، فالفضل في الإنفاق مع تيقّن الخلود لا مع اليقين بالموت، فذكر الندى في البيت حشو زائد، مفسد للمعنى، هذا خلاصة كلام المحقِّق التفتازاني في(المطوّل)[1].

ثمَّ نقل عن ابن جنّي ما يوجّه به مقصود المتنبي واستظهره، وهو: (أنّ في الخلود وتنقّل الأحوال من عسر إلى يسر، ومن شدّة إلى رخاء، ما يسكّن النفوس ويسهل البؤس، فلا يظهر لبذل المال كثير فضل)، انتهى[2].

---

(١) المطوّل: ٤٨٢ بتفاوت يسير.

(٢) مختصر المعاني: ١٧١، التفسير (شرح ديوان المتنبي لابن جني) ٢: ١٤٥.

قال الواحدي في شرحه: (ويجوز أن يكون المعنى: أنّ الإنسان إنّما يشجع ليدفع الموت عن نفسه، ويجود أيضاً لذلك، ويصبر في الحرب لدفع الموت أيضاً، فلو لم يكن في الدنيا موتٌ لم يكن لهذه الأشياء فضل)، انتهى[(١)].

[ب]- وإمّا غير مُفسدة، كقول زهير بن أبي سلمى:

وأَعلَمُ عِلْمَ اليوم والأمْسِ قَبْلَهُ ... ولكنَّني عَن عِلْمِ مَا بَعده عَمِ[(٢)]

فقوله: قَبْلَهُ، حشو زائد لكنّه لا يفسد المعنى.

تقديم المسند إليه

[٤٠]- قال رحمه الله: «أنا أبتهل إلى الله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأتضرّع إليه أن يهديني حين تضلّ الأفهام إلى النهج القويم، ويثبّتني حيث تزلّ الأقدام على الصراط المستقيم»[(٣)].

أقول: قبل الشروع فيما يتعلّق بشرح عبارة المصنِّف رحمه الله لا بدّ لنا من التنبيه على أمر يكون كالمقدّمة فنقول:

إنّ تقديم المسند إليه قَدْ يفيد التخصيص، يعني: انفراد المسند إليه بالخبر الفعلي ردّاً على من زعم انفراد غيره به، أو مشاركة الغير معه فيه.

نحو: أنا سعيت في حاجتك، لمن زعم أنّ غيرك انفرد بالسعيّ في حاجته، أو كان مشاركاً لك فيه، فيكون على الأوّل: قصر قلب، وعلى الثاني: قصر إفراد،

---

(١) ديوان أبي الطيب/ شرح الواحدي ٢: ٦٧٧ رقم القصيدة ٣١.

(٢) شرح المعلقات السبع: ٧٤، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٣٠.

(٣) معالم الدين: ٥.

ويؤكّد على الأوّل بنحو: لا غيري، وعلى الثاني بنحو: وحدي؛ لأنّ الغرض من التأكيد دفع شبهة خالجت قلب السامع، والشبهة في الأوّل: أنّ الفعل صدر من غيرك.

وفي الثاني: أنّه صدر منك بمشاركة الغير، والحال صريحاً ومطابقة على دفع الأوّل، نحو: لا غيري، وعلى دفع الثاني، نحو: وحدي، دون العكس، ومنه يعرف وجه اختصاص الأوّل بقصر القلب من حيث إنّ الكلام مسوق فيه لقلب اعتقاد المخاطب، بخلاف الثاني فإنّه مسوق لإثبات الانفراد.

هذا وقد يقدّم لتقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع، وتحقيق أنَّ المتكلم بل المسند إليه وإن كان غير المتكلم يفعل فعل المسند، لا أنّ غيره لا يفعل ذلك.

نحو: هذا يعطي الجزاء، وسبب التقوية تكرار الإسناد فيه من حيث إنّ المسند لكونه جملة مشتملة على الإسناد، مع كونها مستندة بأجمعها إلى المسند إليه المتقدِّم.

وهذا كلّه مذكور في مظانّه من كتب المعاني والبيان[1].

إذا عرفت ذلك كلّه فنقول: قال المحقِّق التفتازاني في شرح عبارة الخطيب القزويني وهي قوله: (وأنا أسأل الله من فضله) ما لفظه: (لا يُعرف لتقديم المسند

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢: ١٣٨.

إليه ها هنا جهة حسن؛ إذ لا مقتضى للتخصيص ولا للتقوّي، فكأنّه جعل الواو للحال، فأتى بالجملة الاسمية)، انتهى[1].

الظاهر أنَّ نظره في ما ذكره إلى ما عرفت في المقدِّمة من أن التخصيص والتقوي إنّما يكونان مع الإنكار من المخاطب، وهو لا يناسب مثل المقام؛ إذ لا يحتمله مثل عبارة الخطيب المذكورة في مقام خطبة الكتاب.

نعم، نقل الفاضل الجلبي في حاشيته على كتاب المطوّل: (أنَّ بعض العلماء يجوِّز أن يكون التقديم للتخصيص الحقيقي دون الإضافي، ولا يعتبر فيه رد المخاطب عن الخطأ في الاعتقاد، والمعنى: أنا أسأل الله لا غيري؛ لأنّ ما التفت إليه لا يصلح، أي: لا يليق لأن يلتفت إليه غيري، فضلاً عن أن يسأل النفع به.

فيكون المراد استحقار مؤلِّفه، ويجوز أن يكون القصر إضافياً، أي: أنا أسأل لا معارضِيَّ وحسّادي من علماء الزَّمان.

ثُمَّ قال: وكلاهما ليس بشيء، أمّا الأوّل: فلأنّ استحقار مؤلِّفه بحيث يدّعي عدم صلاحيته لأن يلتفت إليه غيره غير مناسب، لما أسلفه من مدح مختصره، وترجيحه على المفتاح، إلا بتكلّف.

وأمّا الثاني: فلأنّه ليس هاهنا من يعتقد شركة معارضيه وحُسّاده له في السؤال حَتَّى يحتاج إلى التخصيص وتوجد جهة الحسن، وذلك أيضاً ظاهر)، انتهى[2].

ثُمَّ إنّ جدّي الفاضل الصالح المازندراني رحمه الله ذكر هذا المطلب بعينه في حاشية المعالم، ورفع الإشكال عن الأوّل: بأنّ مدح الكتاب بالنظر إلى ذاته لا ينافي استحقاره من حيث كونه منسوباً إلى مؤلِّفه.

---

(١) المطول: ١٣٧.

(٢) حاشية الجلبي: ٨٢ بتفاوت يسير.

وعن الثاني: بأنّه محمول على دعوى مشاركته في الابتهال بناءً على أنَّ ذلك الكتاب بلغ في الكمال ما بلغ حَتَّى ناسب أن يشاركوه فيه، وذلك كما يمدح رجل عدوَّه بالكمال الَّذي بلغ في الظهور حدّاً لا يمكن إخفاؤه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأمّا التقوّي، فلأن يكون إيماء إلى عظمة رجائه من الله. أن يجعله خالصاً؛ لأنّ من رجا شيئاً يجتهد في تحصيله، فاغتنم)[1].

والابتهال: هو التضرُّع ويقال في قوله تعالى: **﴿ثم نبتهل﴾**[2] أي: نخلص في الدعاء.

تحقيق لفظ الهداية

ثمّ المنقول عن حواشي الكشّاف للتفتازاني: **(أنَّ الهداية لفظ مشترك بين المعنيين)**[3]، أعني إراءة الطريق والإيصال إلى المطلوب، وبذلك يرتفع الإشكال عن موارد استعماله في المعنيين، كقوله تعالى: **﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبُّوا العمى على الهدى﴾**[4]، فإنّه مستعمل في الدلالة؛ إذ لا يتصور الضلال بعد الوصول إلى الحقّ.

---

(١) حاشية المعالم: ٦ بتفاوت يسير.

(٢) سورة آل عمران: من آية ٦١.

(٣) حاشية التفتازاني على الكشّاف: مخطوط، عنه اللمعة البيضاء: ٤٣٦.

(٤) سورة فصلت: من آية ١٧، ولا يخفى أن الآية المباركة المذكورة لا تمثل مراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وشاهد قوله في الآية الكريمة: ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد: آية ١٠] كما سيتبين إليك لاحقاً.

وكقوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء﴾[(١)]، فإنّه مستعمل في الإيصال إلى الحقّ، وحاصل ما ذكره: أنَّ الهداية لفظ يتعدّى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه نحو: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[(٢)].

وتارة بالحرف نحو: ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[(٣)].

وعلى الأوّل: معناه الإيصال، وعلى الثاني: إراءة الطريق، وفيه أنَّ قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل...﴾[(٤)] قَدْ تعدّى فيه فعل الهداية إلى المفعول الثاني بنفسه، مع أنّ المراد بها الإراءة كما عرفت.

تحقيق لفظ المقدّمة

[٤١]- قال رحمه الله: «وقد رتّبنا كتابنا هذا على مقدِّمة وأقسام أربعة. والغرض من المقدِّمة منحصر في مقصدين»[(٥)].

أقول: قال الزمحشري في الفائق: (المُقَدِّمة: الجماعة التي تتقدَّم الجيش، من قدَّم بمعنى تقدَّم، وقد استعيرت لأوّل كلّ شيء فقيل منه: مقدِّمة الكتاب بكسر الدال، وفتح الدال خُلف)، انتهى[(٦)].

وقال في المُغرّب: ((قدّم وتقدّم) بمعنى، ومنه (مقدِّمة الجيش)، و(مقدِّمة الكتاب) بالكسر)، انتهى[(١)].

---

(١) سورة القصص: من آية ٥٦.

(٢) سورة الفاتحة: ٦.

(٣) سورة البقرة: من آية ٢١٣.

(٤) سورة الإنسان: آية ٣، ذكرنا مراد المؤلف رحمه الله سابقاً فليراجع.

(٥) معالم الدين: ٥.

(٦) الفائق في غريب الحديث ١: ٤١.

ومثله في مجمع البحرين[٢].

وقال في القاموس: (ومقدِّمة الجيش بكسر الدال، وعن ثعلب فتح داله: متقدموه)، انتهى[٣].

وفي تاج العروس: (هي من قدّم بمعنى تقدّم، قال لبيد:

قـدّموا إذ قيـلَ قـيسٌ قـدّموا وارفعوا المجدَ بأطرافِ الأسَلْ

أراد: يا قيسُ)، انتهى[٤].

ومثله كلام الفيّومي وغيره في المصباح[٥]، وظاهره كون مقدّمة الكتاب مأخوذة من مقدِّمة الجيش، وكون كل منهما مأخوذين من (قدّم) اللازم بمعنى تقدّم فكأنهم مطبقون على ذلك.

وأمّا بحسب القياس، فإمّا أن يكونا مأخوذين من قدَّم بمعنى المتعدي، أو بمعنى تقدّم اللازم، وعلى الأوّل يجوز فيهما الكسر والفتح، ومعنى مقدّمة الجيش بناءً على كسرها: الجماعة الّذين يقدّمون أنفسهم على الجيش، اسم فاعل.

وبناءً على فتحها: الجماعة الّذين قدَّمهم الجيش، فهي اسم مفعول.

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب: ٣٧٣.

(٢) مجمع البحرين: ٣: ٤٧٣.

(٣) القاموس المحيط ٤: ١٦٢.

(٤) تاج العروس ٩: ٢٠.

(٥) المصباح المنير: ١٧٧ مادة (ق. د. م).

ومعنى مقدمة الكتاب بناءً على كسرها: طائفة من الكتاب تقدّم نفسها على المقصود، فإنّها لاشتمالها على سبب التقديم كأنها تقدّم نفسها، أو لإفادتها البصيرة تقدّم من عرفها على من لم يعرفها.

وبناءً على فتحها: طائفة من الكتاب قدّمها المؤلِف أمام الكتاب؛ لاشتمالها على سبب التقديم، وعلى الثاني: لا يجوز إلاّ الكسر، وهذه الوجوه صحيحة على القياس إلا أنّه ربّما يُنسب إلى المشهور كون الفتح خُلفاً كما عرفته من كلام الزمخشري في الفائق.

ولا كلام لنا في مقدّمة الجيش إذا كان المنقول فيها الكسر، حيث إنَّ اللُّغة تابعة للنقل مع أنّ المنقول في عبارة القاموس المتقدّمة الفتح أيضاً.

وأمّا مقدّمة الكتاب فإن استقر بناء أهل الاصطلاح فيها ابتداء على الكسر بأن كانت منقولة من قدَّم بمعنى تقدم اللازم، أو من قدّم المتعدي على وجه الاستعارة من مقدّمة الجيش بناءً على عدم جواز الفتح فيها فلا مشاحة، وإلّا فالفتح جائز أيضاً على القياس كما عرفت.

ثمّ الظاهر من عبارة الزمخشري، بل صريحها أنَّ المقدِّمة مستعارة من مقدّمة الجيش لأوّل كل شيء، فهي مجاز في مقدمة العلم والكتاب، وحقيقة في مقدِّمة الجيش.

والمستفاد من كلام المحقِّق التفتازاني ـ حيث قال: (والمقدِّمة مأخوذة من مقدّمة الجيش للجماعة المتقدِّمة منها، من قدَّم بمعنى تقدّم)[1] ـ أنّها منقولة عنها

---

(١) المطول: ١٣٨.

لمناسبة بينهما ظاهرة، وهي أنَّ كلاً منهما طائفة من الشيء تقدَّمت على ذلك الشيء، فيكون حقيقة اصطلاحية في مقدّمة الكتاب والعلم لتحقق الوضع ثانياً من أرباب الاصطلاح، وأنت خبير بأنَّ مقتضى العبارة المتقدمة عن المُغرّب والمجمع[1]، أنه لا فرعية بين مقدّمة الجيش ومقدّمة الكتاب، بل يكون كلّ منهما أصلاً برأسه.

هذا والتاء فيها للتأنيث كما هو الأصل، باعتبار كون موصوفها مؤنَّثاً وهي الطائفة، أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية بمعنى: أنَّ اللفظ إذا صار بنفسه اسماً لغلبة الاستعمال بعد ما كان وصفاً كانت اسميته فرعاً لوصفيته فيشبّه بالمؤنث لكونه فرعاً للمذكَّر، فتجعل التاء علامة للفرعية كما جُعلت علامة لها في رجل علّامة لكثرة العلم، بناء على أنَّ كثرة الشيء فرع تحقّق أصله، فعلى هذا يلاحظ للمقدّمة موصوف.

إذا عرفت ذلك فاعلم: أنَّ المعنى المستعمل فيه المقدِّمة على لسان أهل العلم مجازاً أو نقلاً كما عرفت متعدّد.

قال المحقِّق التفتازاني في المطوّل: (يقال: مقدِّمة العلم لما تتوقَّف عليه مسائله، كمعرفة حدّه وغايته وموضوعه. ومقدّمة الكتاب لطائفة من كلامه قُدّمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع فيه، سواء توقَّف عليها أم لا)[2].

---

(١) أي كتابي المُغرّب في ترتيب المعرّب ومجمع البحرين.

(٢) المطول: ١٣٨.

وإثبات مقدِّمة الكتاب اصطلاح جديد من المحقِّق المذكور لا نقل عليه في كلامهم، ولا هو مفهوم من إطلاقاتهم، والَّذي حداه على ذلك أمران كما تشهد به عبارته حيث قال: (ولعدم فرق البعض بين مقدّمة العلم ومقدّمة الكتاب أشكل عليهم أمران احتاجوا في التفصّي عنهما إلى تكلُّف.

أحدهما: بيان توقف مسائل العلوم الثلاثة على ما ذكر في هذه المقدِّمة. وقد ذكره صاحب المفتاح في آخر المعاني والبيان.

والثاني: ما وقع في بعض الكتب من أنَّ المقدِّمة في بيان حدّ العلم، والغرض منه، وموضوعه زعماً منهم أنَّ هذا عين المقدِّمة)، انتهى[1].

وحاصل ما رفع به الإشكال الأوّل: هو أنّه ما تتوقَّف عليه مسائل العلوم هو نفس المعرفة المتعلّقة بالأُمور الثلاثة، أعني: الموضوع والحدّ والغاية، بحيث لا يمكن لأحدٍ الشروع في علم من العلوم على وجه الخبرة بدون معرفتها قبل الشروع، ولكن لا يلزم من ذلك ذكر هذه الأُمور في مبادئ العلوم، لإمكان المبادرة إلى تحصيل معرفتها وإن ذُكرت في الخاتمة كما فعله صاحب المفتاح، بل المحقِّق التفتازاني في خاتمة تهذيب المنطق جعل الأُمور الثلاثة من أجزاء العلوم، حيث قال: (خاتمة أجزاء العلوم ثلاثة: الموضوعات وهي التي يبحث في العلم عن عوارضها الذاتية... إلخ)[2].

مع أنَّ مقدِّمات الشيء خارجة عنه فذلك كاشف عن أنها ليست بذاتها مقدّمة، فلا بأس في ذكرها أخيراً وإن لزم معرفتها أوّلاً.

---

(١) المطول: ١٣٨.

(٢) حاشية تهذيب المنطق: ١١٥.

والثاني: بأنَّ توهُّم اتحاد الظرف والمظروف من قول بعض: مقدّمة في تعريف العلم وغايته وموضوعه، إنّما يلزم بزعم أنَّ هذه الأُمور الثلاثة هي عين المقدّمة، ولكن قَدْ عرفت أنّه توهُّم باطل، فقول من قال: مقدّمة في بيان حد العلم والغرض منه وموضوعه، محمول على إرادته مقدّمة الكتاب من ذلك، فإنَّ ذكر هذه الأُمور الثلاثة، وبيان تفاصيلها ـ ممَّا له ربط وانتفاع بالعلم ـ توجب معرفتها زيادة بصيرة، فكأنّه جعل مقدّمة العلم ظرفاً لمقدّمة الكتاب فافهم واغتنم.

[بيان زيادة شرف علم الفقه على غيره]

[٤٢]- قال رَحِمَهُ اللهُ: «المقصد الأوّل: في بيان فضيلة العلم، وذكر نبذ ممَّا يجب على العلماء مراعاته، وبيان زيادة شرف علم الفقه على غيره ووجه الحاجة إليه، وذكر حدّه ومرتبته وبيان موضوعه ومبادئه ومسائله»[١].

أقول: أمّا بيان وجه الحاجة إلى هذا العلم ـ أعني علم الفقه ـ وذكر حدّه... إلخ، فهو موكول إلى محلّه ـ أعني الأصل الأوّل من المقصد الأوّل من هذا الكتاب ـ حسب ما تجده مفصّلاً هناك، فعليك بالمراجعة إليه.

وأمّا بيان فضيلة العلم وما يتبعه ممَّا يجب على العلماء مراعاته، وسائر ما ذكره، فقد أشار إليه المصنّف.

---

(١) معالم الدين: ٧.

[في بيان فضيلة العلم]

[٤٣]- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنّ فضيلة العلم، وارتفاع درجته، وعلوّ رتبته أمر كفى انتظامه في سلك الضرورة مؤنة الاهتمام ببيانه، غير أنّا نذكر على سبيل التنبيه أشياء في هذا المعنى من جهة العقل والنقل كتاباً وسُنّةً، مقتصرين على ما يتأدّى به الغرض، فإنّ الاستيعاب في ذلك يقضي تجاوز الحدّ، ويُفضي إلى الخروج عمّا هو المقصد.

فأمّا الجهة العقلية فهي أنّ المعقولات تنقسم إلى: جماد، ونامٍ[1]، ولا ريب أنّ النامي أشرف، ثُمَّ النامي ينقسم إلى حسّاس وغيره، ولا شك أنّ الحسّاس أشرف. ثُمَّ الحسّاس ينقسم إلى: عاقل وغير عاقل، ولا ريب أنّ العاقل أشرف. ثُمَّ العاقل ينقسم إلى: عالم، وجاهل، ولا شك أنّ العالم أشرف من الجاهل، فالعالِمُ أشرف المعقولات»[2].

أقول: قال بعض المحقِّقين: (إنَّ الأُمور على أربعة أقسام: قسم يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة، وقسم ترضاه الشهوة ولا يرضاه العقل، وقسم يرضاه العقل والشهوة معاً، وقسم لا يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة.

أمّا الأوّل: فهو الأمراض والمكاره في الدنيا.

وأمّا الثاني: فهو المعاصي أجمع.

وأمّا الثالث: فهو العلم.

وأمّا الرابع: فهو الجهل.

---

(١) إنّ المعقولات تنقسم إلى موجود ومعدوم، وظاهرٌ أنّ الشرف للموجود، ثُمَّ الموجود ينقسم إلى جماد ونام...إلخ. (السيد محمد الطباطبائي)

(٢) معالم الدين: ٨

فينزل العلم من الجهل منزلة الجنَّة من النار، فكما أنَّ العقل والشهوة لا يرضيان بالنار فكذلك لا يرضيان بالجهل، كما أنهما يرضيان بالجنَّة فكذا يرضيان بالعلم، فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة، ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنَّة حاضرة، فكلّ من اختار العلم يقال له: تعوَّدت المقام في الجنَّة فادخل الجنَّة، ومن اكتفى بالجهل يقال له: تعوَّدت النار فادخل النار، والَّذي يدل على أنَّ العلم جنَّة والجهل نار: أنَّ كمال اللَّذة في إدراك المحبوب، وكمال الألم في البعد عن المحبوب، والجراحة إنّما تؤلم لأنها تبعد جزءً من البدن عن جزء محبوب من تلك الأجزاء، وهو الاجتماع فلمَّا اقتضت الجراحة إزالة ذلك الاجتماع، فقد اقتضت إزالة المحبوب وبعده، فلا جَرَمَ كان ذلك مؤلماً، والإحراق بالنار إنّما كان أشد إيلاماً من الجرح، لأنَّ الجرح لا يفيد إلاّ تبعيد جزء معيَّن عن جزء معيَّن.

أمّا النار، فإنّها تغوص في جميع الأجزاء فاقتضت تبعيد جميع الأجزاء بعضها عن بعض، فلمَّا كانت التفريقات في الإحراق أشدّ كان هناك أصعب.

أمّا اللذة فهي عبارة عن إدراك المحبوب، فلذة الأكل عبارة عن إدراك تلك الطعوم الموافقة للبدن، وكذلك لذة النظر إنّما تحصل لأنّ القوّة الباصرة مشتاقة إلى إدراك المرئيات، فلا جرم كان ذلك لذّة لها، فقد ظهر بهذا أنّ اللَّذة عبارة عن إدراك المحبوب، والألم عبارة عن إدراك المكروه.

وإذا عرفت هذا فنقول[1]: كلَّما كان الإدراك أغوص وأشدّ، والمدرك أشرف وأكمل، والمدرك أتقن وأبقى، وجب أن تكون اللَّذة أشرف وأكمل. ولا شك أنّ محلَّ العلم هو الروح وهو أشرف من البدن، ولا شك أنّ الإدراك العقلي أغوص وأشرف. وأمّا المعلوم فلا شك أشرف، لأنّه هو الله ربّ العالمين، وجميع مخلوقاته

(١) القول هنا للشهيد الثاني رحمه الله والَّذي أشار إليه المؤلف رحمه الله ببعض المحققين.

من الملائكة والأفلاك، والعناصر والجمادات والنبات والحيوان، وجميع أحكامه وأوامره وتكاليفه، وأيّ معلوم أشرف من ذلك[1].

فثبت أنّه لا كمال ولا لذّة فوق كمال العلم ولذّته، ولا شقاوة ولا نقصان فوق شقاوة الجهل ونقصانه، وممّا يدل على ذلك أنّه إذا سُئل الواحد منا عن مسألة علمية، فإنْ علِمها وقدر على الجواب فرح وابتهج به. وإن جهلها نكس رأسه حياءً من الجهل. وذلك يدل على أنّ اللذّة الحاصلة بالعلم أكمل اللذّات، والشقاء الحاصل بالجهل أكمل أنواع الشقاء)[2].

آية: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة... ﴾

انظر إلى ما في القرآن الكريم إذ يقول عزّ من قائل: ﴿ وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾[3]، فقالت الملائكة: يا ربّ، أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح ونقدّس لك؟ فأجابهم الله تعالى بقوله عزّ من قائل: ﴿إنّي أعلم ما لا تعلمون﴾[4].

وحاصل إشكالهم على الله تعالى: أنّك تجعل آدم خليفتك في الأرض وترجّحه علينا، مع أنّ مقتضى ما فيه من الطبع البشري هو الفساد وسفك الدماء؛ لغلبة القوّة الشهوانية والغضبية، والدواعي النفسانيّة المفضية إلى الفساد، ونحن

---

(١) حكاه الشهيد الثاني في منية المريد: ١٢٦.

(٢) قاله الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب. (تفسير الرازي ٢: ١٨٦)

(٣) سورة البقرة: من آية ٣٠.

(٤) سورة البقرة: من آية ٣٠.

منزّهون عن هذا الاقتضاء، مشغولون بتقديسك وتسبيحك، لا نفتر عن ذلك بحال من الأحوال.

وخلاصة جواب الباري تعالى عن إشكالهم: أنّكم بواسطة قصور علمكم وقلّة فهمكم لاحظتم هذه الجهة، ولم تطّلعوا على سائر الجهات من الأسرار والأنوار التي تعرض النفوس البشرية، والدرجات الرفيعة الحاصلة لها من العلم، فإنّي أعلم مالا تعلمون، ومن ذلك ظهر لهم شرف العلم وأنّه لابد من تفويض الأمر إلى من هو أعلم، فإنّه يعلم بما هو أليق وما ينبغي.

ولأجل مزيد البيان وتفصيل ذلك الجواب المجمل، أخذ تعالى في بيان فضل آدم عليه السلام بما لم يكن معلوماً لهم وذلك بأن: ﴿علّم آدم الأسماء كلّها ثُمَّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾[1]، ولما تبيّن قصورهم عنه في العلم، وأنّ الفضيلة والرجحان والمزية إنّما هو في العلم الّذي هو منبع الكمالات، ومبدأ المحامد وصفة الخالق تعالى، وأنّ مجرد التسبيح والتقديس والإطاعة من صفات المخلوق لا توجب رجحاناً يوجب استحقاق الخلافة: ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم﴾[2].

وفي الآية دلالة على شرف العلم من وجه آخر من حيث إنّه سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلق آدم عليه السلام إلاّ بأن أظهر علمه، فلو كان في الإمكان

---

(١) سورة البقرة: من آية ٣١.

(٢) سورة البقرة: ٣٢.

وجود شيء أشرف من العلم لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم.

ما ورد في العلم نظما ونثرا

ولذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

مَـا الفَـضلُ إلاّ لأَهـلِ العلـمِ إنَّهُـمُ عَـلَى الهُـدى لِمَـنِ اسـتَهْدَى أدلاّءُ[1]

وقال عليه السلام:

رضِـينا قِـسْمَةَ الجَبَّـارِ فينـا لنـا عِلـمٌ وللأعـداءِ مـالُ

فـإنَّ المـالَ بالإنفـاقِ يَفنَـى وإنَّ العلـم بـاقٍ لا يـزالُ[2]

وقال عليه السلام: «العلم وراثة كريمة، والأدب حُلَلٌ مجدّدة، والفكر مرآة صافية»[3].

وإنّما قال: «العلم وراثة»؛ لأن كلّ عالم من البشر إنّما يكتسب علمه من أُستاذ يهذّبه، وموقفٍ يعلّمه، فكأنّه ورث العلم منه كما يرث الابن المال من أبيه.

وكان يقال: عطيّة العالم شبيهة بمواهب الله عزَّ وجلَّ؛ لأنها لا تنفد عند الجود بها، وتبقى بكمالها عند مفيدها.

وكان يقال: الفضائل العلميّة تشبه النخل، بطيء الثمرة بعيد الفساد.

---

(١) تفسير القرطبي ١٦: ٣٤٢، الدر المختار ١: ٤٣.

(٢) بحار الأنوار ٣٤: ٤٣١/ ٧١، وفيه: (فإن المال يفنى عن قريب).

(٣) شرح نهج البلاغة ١٨: ٩٣.

وكان يقال: العلم في الأرض بمنزلة الشمس في الفلك، لولا الشمس لاظلَمَّ الجو، ولولا العلم لاظلمَّ أهلُ الأرض.

وكان يقال: لا حُلّة أجمل من حُلّة أهل العلم والأدب؛ لأن حُلل الثياب تبلى، وحُلل الأدب تبقى، وحُلل الثياب قَدْ يغتصبها الغاصب ويسرقها السارق، وحُلل الآداب باقية مع جوهر النفس[(١)].

ولذا قال عليه السلام: «الناس موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ»[(٢)].

وقال عليه السلام: «قيمة كل أمرئٍ ما يحسنه»[(٣)]، حَتَّى قال الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين) عند ذكر هذه الكلمة: (لو لم نقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزية مُغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصّرة عن الغاية)[(٤)].

ومن كلام بعض الحكماء: (عليكم بالأدب فإنّه صاحب في السَّفر، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلى طلب الحاجة)[(٥)].

وقال سقراط الحكيم: (من فضيلة العلم أنك لا تقدر على أن يخدمك فيه أحد، كما تجد من يخدمك في سائر الأشياء، بل تخدمه بنفسك ولا يقدر أحد على سلبه عنك)[(٦)].

---

(١) شرح نهج البلاغة١٨: ٩٣.

(٢) الدر المختار ١: ٤٣ وصدر البيت: (ففز بعلم ولا تجهل به أبدا).

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٨.

(٤) البيان والتبيين ١: ٦٥.

(٥) شرح نهج البلاغة١٨: ٩٣.

(٦) تفسير الرازي ٢: ١٩٢.

وقيل لبعض الحكماء: (لا تنظر، فغمَّضَ عينيه، وقيل له: لا تسمع، فسدَّ أُذنيه، وقيل له: لا تتكلَّم، فوضع يده على فمه، وقيل له: لا تعلم، فقال: لا أقدر عليه)[(١)].

وقال نافع بن الأزرق لولده: (يا بنيّ، عليك بالأدب، فإنّه دليل على المروءة، وأُنس في الوحشة، وصاحب في الغربة، وقرين في الحضر، وصدر في المجلس، ووسيلة عند انقضاء الوسائل، وغنى عند العُدم، ورفعة للخسيس، وكمال للشريف، وجلال للملك)[(٢)].

وقال الزمخشري:

وكلُّ فضيلةٍ فيها سناءُ وَجدْتُ العِلمَ من هاتيكَ أسنى

فلا تَعْتدَّ غيرَ العلمِ ذُخراً فإنَّ العلمَ كنزٌ ليسَ يَفنى[(٣)]

ومن ذلك قيل: (لا شيء أنفع من العلم، ولا أرفع منه، ولا لأحد غنىً عنه، ومن طعم حلاوته، وتنعَّم بآياته، وسحب ضافي ثوابه، وشرب صافي أكوابه، لم يشتغل بسواه، ولم يعدل عن صُواه، ورآه أنفع شيء ناله في اكتسابه، وأرفع ثواب اكتسى به)[(٤)].

ألم تسمع ما قاله الشاعر المصيب الَّذي نال من العلم أوفى نصيب:

فإنْ رَفَعَ الغنيُّ لواءَ مالٍ لأَنتَ لواءَ عِلمِكَ قَدْ رَفَعْتَا

وإنْ جَلَسَ الغنيُّ على الحشايا لأَنتَ على الكواكِبَ قَدْ جَلَستا

---

(١) تفسير الرازي ٢: ١٩٢.

(٢) تفسير الرازي ٢: ١٩٢، وفيه أنَّ القائل هو ابن عبَّاس لولده، فلاحظ.

(٣) لم أهتد إلى مصدره.

(٤) لم أهتد إلى مصدره.

وَمَهْـمَا افـتضّ أبكـارَ الغـواني فَكَـمْ بكـرٍ مِـنَ الحِكَـمِ افتَضَضْنا

ثمَّ قال بجهل من فضّل المالَ على العلم:

جَعَلْـتَ المـالَ فـوقَ العِلـمِ جَهْـلاً لَعَمْـرُكَ في القـضية مـا عَـدَلتا

وبينَهُما بـنصّ الـوحي بَـوْنٌ سَـتَعْلَمُهُ إذا طـه قرأتـا[١]

يريد قوله تعالى: ﴿وقلْ ربِّ زدني علماً﴾[٢].

وكفى للعلم فضيلة قول رسول الله ﷺ فيما ورد عنه: «نعْمَ وزيرُ الإيمانِ العلمُ، ونِعْمَ وزيرُ العلمِ الحلْمُ، وَنعْمَ وزيرُ الرِّفقِ الصَّبرُ»[٣].

وقديماً ما زال أهل العلم والأدب ينسلون إليه من كلّ حدب، يجتنون أزهاره ويقطعون أثماره، ويستكثرون منه بلحظة، ويؤثرون ولو بلفظة، يدأبون في جمعه وضمِّه، وينصَبونَ في حفظه وفهمه، حَتَّى قيل:

أخـو العلـم حـيٌّ خالِـدٌ بَعْـدَ موتِـهِ وَأَوْصـالُهُ تَحْـتَ الـتُّرابِ رَمـيمُ

وذو الجَهْـلِ مَيْـتٌ وهْـوَ مـاشٍ عـلى الثـرى يُعَـدُّ مـن الأحيـاءِ وَهْـوَ عَـديمُ

وهما لابن السيّد[٤].

---

(١) القصيدة للعلامّة الحلّي رحمه الله يوصي بها ولده بطلب العلم وتعليمه لمستحقيه. (ينظر: مقدمة إرشاد الأذهان ١: ١٦٦، مقدمة قواعد الأحكام ١: ١٤٥، مقدمة مختلف الشيعة ١: ١٤٤، مجلة تراثنا ٨: ٣٢٨)

(٢) سورة طه: من آية ١١٤.

(٣) الكافي ١: ٤٨ ح٣.

(٤) ابن السيّد: هو أبو محمّد عبد الله بن محمّد ابن السيِّد البطليوسي الأندلسي النحوي اللغوي ت ٥٢١هـ (ينظر: وفيات الأعيان ٣: ٩٦ رقم ٣٤٧، الوافي بالوفيات ١٧: ٣٠٧، البداية والنهاية ١٢: ١٤٥) ، وفيها البيتان.

ويروى أنّ سفيان الثوري لمّا قدم عسقلان مكث ثلاثة أيام لا يسأله إنسان عن شيء، فقال: (اكتروا لي حتَّى أخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم)[١].

وقال فتح الموصلي[٢]: (أليس المريض إذا مُنع من الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: نعم. قال: فكذلك القلب إذا مُنعت عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت)[٣].

وينقل عن أبي الدرداء أنه قال: (لأن أتعلّم مسألة من العلم أحب إليَّ من قيام ليلة)[٤].

وفي رواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما استرذل الله عبداً إلا حظر عنه العلم والأدب»[٥].

وقال عليّ عليه السلام في خطبته في نهج البلاغة: «إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم»[٦].

يقال: (أرذل الله عبداً واسترذله، أي: جعله رذلاً، وهو الخسيس الدنيء)[٧].

وفيه دلالة على أنّ الجهالة من الرذالة، وأنّه لا شرف لمن لا علم له.

---

(١) إحياء علوم الدين ١: ١١.

(٢) قوله: (وقال فتح الموصلي) في كتاب (منية المريد للشهيد الثاني رحمه الله)، نسب هذا الكلام إلى بعض العارفين. (مرتضى الطباطبائي)

(٣) إحياء علوم الدين ١: ٧ والمؤلف رحمه الله ذكره باختصار وما أثبتناه من المصدر.

(٤) إحياء علوم الدين ١: ٩.

(٥) مسند الشهاب ٢: ١٧ح ٧٩٥، كنز العمال ١٠: ١٥٧ ح ٢٨٨٠٦.

(٦) نهج البلاغة: ٦٩.

(٧) شرح أُصول الكافي للمازندراني ٢: ٢٠٤.

ولذا قال عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك»[١].

ومن ذلك تفسير الماء في عالم الرؤيا بالعلم، إذ كما يُدفع ألم العطش من النفوس بالماء، كذلك يُدفع ألم الجهل عن النفوس بالعلم[٢].

وقال بديع الزّمان الهمذاني المتوفّى سنة ٣٩٧ في وصف العلم: (العلم شيء بعيد المرام، لا يُصطاد بالسهام، ولا يُقسّم بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبط باللّجام، ولا يورث عن الآباء والأعمام، وزرعٌ لا يزكو إلا متى صادف من الحزم ثرى طيِّباً، ومن التوفيق مطراً صيّباً، ومن الطبع جواً صافياً، ومن الجهد روحاً دائماً، ومن الصبر سقياً نافعاً، وغرضٌ لا يصاب إلا بافتراش المدر، واستناد الحجر، ورد الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السهر، واصطحاب السفر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر)[٣].

[وما قيل فيه نظما أيضا]

ولنعم ما قال مؤيد الدين الإصفهاني المعروف بالطغرائي المتوفّى سنة ٥١٣هـ في أوّل لاميّته المشهورة:

أصالَةُ الرأيِ صانَتني عَنِ الخَطَلِ ... وحِليَةُ الفضلِ زادَتني لَدَى العَطَلِ[٤]

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٢١ ح ٩٤.

(٢) تأويل الآيات ٢: ٥٨٦ ضمن حديث ١٣.

(٣) شرح مقامات بديع الزّمان الهمذاني: ٣١٣.

(٤) البداية والنهاية ١٢: ٢٣٥، والخطل: المنطق الفاسد المضطرب. (ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٥٠، ولسان العرب ١١/٢٠٩ مادة (خطل)، ومجمع البحرين ١/٦٦٦).

وقال ابن سينا رحمه الله:

هَـذّبِ الـنفسَ بـالعُلوم لِتَرقـى وتـرى[1] الكـلَّ فهْـيَ للكُـلّ بَيْـتُ

إنّـما الـنفسُ كالزُّجاجَـةِ والعقـلُ[2] سِراجٌ وحِكمَـةُ الله زَيْـتُ

فـإذا أشرَقَـتْ فإنَّـكَ حَـيٌّ وإذا أظلمَـتْ فإنَّـكَ مَيْـتُ[3]

وقال آخر:

العلـمُ أشرَفُ شيءٍ نالَـهُ رَجُـلٌ مَـن لَمْ يَكُـنْ فيـهِ عِلـمٌ لَمْ يَكُـنْ رَجُـلا

تعلَّـمِ العِلَـمَ واعمَـلْ يـا أُخَـيُّ بـهِ فـالعِلمُ زَيْـنٌ لِمَـنْ بـالعِلمِ قَـدْ عَمِـلا[4]

وقال آخر:

العِلـمُ مُبلـغ قـوْمٍ ذِرْوَةَ الـشّرفِ وصـاحِبُ العِلـمِ محفـوظٌ مِـنَ التّلَـفِ

يـا صـاحبَ العِلـمِ مَهْـلاً لا تُدَنّـسُهُ بالمُوبِقـات فـما للعِلـمِ مِـن خَلَـفِ

العِلـمُ يَرفَـعُ بيتـاً لا عِـمادَ لَـهُ والجَهْـلُ يَهـدِمُ بيـتَ العـزّ والـشَّرفِ[5]

وقال آخر:

---

(١) في بعض المصادر: (وذر).

(٢) في بعض المصادر: (العلم).

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٥٢، وفيات الأعيان ٢: ١٦١، أعيان الشيعة ٦: ٧٩.

(٤) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٤٤٩.

(٥) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٤٤٩.

العلـــم زَيْـــنٌ وتـــشريفٌ لـــصاحبه ... فاطلُـــب هُـــديتَ فنـــونَ العِلـــمِ والأدَبـــا
كـــم ســـيِّدٍ بطـــل آبـــاؤه نُجُـــبٌ ... كـــانوا الـــرُّؤوسَ فأمـــسى بَعـــدَهُم ذَنَبـــا
ومُقـــرفٍ خامِـــلِ الآبـــاءِ ذي أدبٍ ... نـــال المعـــاليَ بـــالآداب والرُّتبـــا
العِلـــمُ كنـــزٌ وذخـــرٌ لا فنـــاءَ لـــه ... نِعـــمَ القـــرينُ إذا مـــا صـــاحِبٌ صـــحبا
قـــد يجمـــع المـــالَ شـــخصٌ ثُـــمَّ يُحرَمُـــهُ ... عـــمَّا قليـــلٍ فَيَلْقـــى الـــذُّلَّ والحَرَبـــا
وجـــامِعُ العلـــمِ مغبـــوطٌ بـــه أبـــداً ... ولا يُحـــاذِرُ منـــه الفَـــوْتَ والـــسَّلبا
يـــا جـــامِعَ العِلـــم نِعْـــمَ الـــذُّخرُ تجمَعُـــهُ ... لا تعـــدِلَنَّ بـــه دُرّاً ولا ذَهبـــا[1]

وقال آخر:

بـــالعلمِ والعقـــلِ لا بالمـــالِ والـــذّهبِ ... يـــزدادُ رَفْـــعُ الفتـــى قَـــدْراً بـــلا طَلَـــبِ
فـــالعِلمُ طَـــوْقُ النُّهـــى يزهـــو بـــه شَرَفـــاً ... والجهـــلُ قيـــدٌ لَـــهُ يَبْليـــه باللَّغَـــبِ[2]
كَـــمْ يَرْفـــعُ العلـــم أشخاصـــاً إلى رُتَـــب ... ويخفِـــضُ الجَهـــلُ أشرافـــاً بـــلا أدبِ
العِلـــمُ كنـــزٌ فـــلا تَفْنـــى ذخـــائرُهُ ... والمـــرءُ مـــا زاد عِلْـــماً زاد بالرُّتَـــبِ

فـــالعلمَ فاطلُـــبْ لكـــي يُجْـــديكَ جَـــوهَرُهُ
كـــالقوتِ للجِـــسمِ لا تطلُـــبْ غنـــى الـــذَّهَبِ[3]

---

(١) القصيدة لأبي الأسود الدؤلي رحمه الله ديوان أبي الأسود الدؤلي: ٣٨٣. (ينظر: تاريخ مدينة دمشق ٢٥: ٢٠٩، جواهر الأدب ٢: ٤٥٠، الكنى والألقاب ١: ١٠).

(٢) اللغب: التعب والعناء. (ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢٥٦/٤)، وقيل: اللغب: الرديء من الكلام. (ينظر: تاج العروس ٤٩٦/١).

(٣) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٤٥٠.

وقال آخر:

العِلمُ زينٌ فكُن للعِلْمِ مُكْتَسِباً وكُنْ لَهُ طالِباً ما عِشْت مُقتَبِسا

اركَنْ إليهِ وثِقْ باللهِ واغنَ بهِ وكُنْ حَليماً رَزِينَ العَقلِ مُحْتَرِسا

وكُنْ فتىً سَالكاً مَحْضَ التُّقى وَرَعاً للدِّين مُغتَنِماً في العِلمِ مُنغَمِسا

فمَنْ تخلَّقَ بالآدابِ ظَلَّ بها رئيسَ قومٍ إذا ما فارَقَ الرُّؤسا[1]

وقال آخر:

العِلمُ يغرسُ كلَّ فضلٍ فاجتَهِدْ ألاَّ يفوتَكَ فَضلُ ذاكَ المغْرسِ

واعلَمْ بأنّ العِلمَ لَيسَ ينالُهُ مَنْ همُّهُ في مَطعَمٍ أو مَلْبَسِ

إلاّ أخو العِلمِ الَّذي يزهُو بهِ في حالَتيهِ عارياً أو مُكتسِي

فاجعَلْ لِنَفسِكَ مِنْهُ حَظّاً وافراً واهجُر بهِ طيبَ الرُّقادِ وعبِّسِ

فلعلّ يوماً إن حَضَرْتَ بمجلسٍ كنتَ الرَّئيسَ وفَخْرَ ذاكَ المجلِسِ[2]

وقال آخر:

يا ساعياً في طلاب[3] المال همَّتهُ إنّي أراكَ ضعيفَ العَقْلِ والدِّينِ

عليكَ بالعِلْمِ لا تطلُبْ لَهُ بَدلاً واعلَم بأنّك فيه غيرُ مَغْبونِ

(١) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٤٥٠.

(٢) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٤٥١.

(٣) في المصدر: (وطلاب المال).

العِلـمُ يُجـدي ويَبقى للفتى أبداً والمـالُ يَفنى وإنْ أجـدى إلى حـينِ
فـذاك عِـزٌّ وذا ذُلٌّ لـصاحِبِهِ مـا زالَ بالبُعـدِ بـين العـزِّ والهُـونِ[١]

وقال آخر:

وفي الجَهـلِ قبـلَ المَـوتِ مـوتٌ لأهلـهِ وأجـسادُهُمْ دونَ القُبـورِ قُبـورُ
وإن امـرءاً لم يَحْـيَ بـالعلِمِ قَلبُـهُ فلـيسَ لَـهُ حَتّـى النُّشورِ نُـشورُ[٢]

وقال آخر:

رأيـتُ العِلـمَ صـاحِبُهُ كـريمٌ ولَـو وَلدتُـه آبـاءٌ لِئـامُ
ولـيسَ يـزالُ يرفَعُـهُ إلى أنْ تُعظّـمَ أمـرَهُ القـومُ الكِـرامُ
فلـولا العلـمُ مـا سَـعِدَتْ رجـالٌ ولا عُـرِفَ الحـلال ولا الحـرامُ[٣]

وبالجملة: إنّ السعادة الأبديّة والكرامة السرمديّة إنّما هما بالترقّي من حضيض الجهالة إلى أوج العلوم، والتحلّي بالشرف والكمال بعد التخلُّص من الرذالة والسفالة بالطبع المشوم، ولهذا الغرض المهم أنّ الله الَّذي علّم بالقلم، وعلّم الإنسان ما لم يعلم، أمرنا باكتساب العلم، وتحصيل أنواعه من المنطوق والمفهوم، وفضّل العالم على الجاهل في كلامه، وهو أصدق قائل، ومن المعلوم

---

(١) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٤٥٠.

(٢) البيتان ينسبان إلى الماوردي كما في الوافي بالوفيات: ٢٩٩/٢١.

(٣) أوردها بثمانية أبيات ابن عبد البر الأندلسي في جامع بيان العلم وأهله ١: ٥٤ أنشدها بعض الأدباء، وكذا في المستخرج على المستدرك: ١٢.

لدى كلّ ذي عقل سليم وفكر مستقيم أنّ العلم هو زيادة العقل، ونور القلب، وعماد الروح وضياء البصر وزينة الأنام، والنور المتلألئ في جنح الظلام، والواسطة المستقلّة لإعلاء كلمة الدين، وإمحاق كيد المفسدين، وهو السبب الوحيد لعمران البلاد، وسعادة العباد.

فعلى العاقل السعي والاجتهاد في تحصيل ما يرقّيه إلى أوج الكمال؛ فإنّ العلم الّذي يكسبه هو الفارق بين الهدى والضلال، وهو الّذي يرفع الصعلوك إلى درجات الملوك.

[حكايات في بيان رفعة المتعلم]

أبو يوسف مع الفقهاء في حكم السارق

(يُحكى أنّ هارون الرشيد كان بحضرته فقهاء، وكان فيهم أبو يوسف، فأُتي برجل فادّعى عليه آخر أنّه أخذ من بيته مالاً بالليل، ثُمَّ أقرّ الآخذ بذلك، فاتّفق الفقهاء على أن تقطع يده. فقال أبو يوسف: لا قطع عليه، قالوا: لِمَ؟ قال: لأنّه أقرّ بالأخذ، وأنّه لا يوجب القطع، بل لا بد من الاعتراف بالسرقة، فصدّقه الكلّ في ذلك، ثُمَّ قالوا للآخذ: أسرقتها؟ فقال: نعم، فأجمعوا على القطع؛ لأنه أقرّ بالسرقة.

فقال أبو يوسف: لا قطع عليه؛ لأنّه وإن أقرّ بالسرقة لكن بعدما وجب الضمان عليه بإقراره بالأخذ، فإذا أقرّ بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الإقرار يسقط الضمان عن نفسه، فلا يسمع إقراره، فتعجّب الكلّ)[1].

قلت: ولا تعجُّب فيه فإنّه موافق لمذهبنا أيضاً، إذ إقراره بالسرقة مرة واحدة لا يوجب القطع عندنا؛ لقول الصادق عليه السلام في رواية جميل: «لا يقطع السارق

---

(١) تفسير الرازي ٢: ١٩٤.

حَتَّى يقرّ بالسرقة مرّتين»[١]، فلا يتصور نفع في إقراره أخيراً إلاّ رفع الضمان عن نفسه الثابت بمقتضى إقراره بالأخذ، وهو منفي بقاعدة إقرار العقلاء على أنفسهم حجّة.

مسألة استبراء الرَّحم

ويُحكى أيضاً: (أنّه اشترى جارية كان تعشّق بها، فلم تطق نفسه على الصبر عليها مدّة الاستبراء، فجمع الفقهاء وطلب منهم العلاج على الوجه الشرعي، فقال أبو يوسف: العلاج منحصر بأن تعتق الجارية، ثُمَّ تعقد عليها حَتَّى يحل لك وطؤها؛ إذ لا يكون الاستبراء للعقد، بل للوطء بملك اليمين، فوافق طبع الخليفة ذلك وصار سبباً لاشتهار أمره وعلو شأنه)[٢].

قلت: من المعلوم أنّ العلَّة في وجوب الاستبراء براءة الرحم من الحمل، ولا تفيد هذه الحيلة قطعاً، وما ورد في أخبارنا ممَّا يوافق ذلك محمول على التقيّة حسبما عرفت من اشتهار القضية في زمن الرشيد، فافهم.

حديث ثابت بن قرة

ومن جملة مزايا العلم: (أنّ ثابت بن قرّة بن مروان الحرّاني كان حكيماً كاملاً، صابئاً مترجماً من أهل حرّان، انتقل إلى مدينة بغداد واستوطنها في دولة المعتضد، وكان يكرمه غاية الإكرام، حَتَّى أنّه طاف في بستان له ويده على يد ثابت، فانتزع

---

(١) الكافي ٧: ٢١٩ ح٢.

(٢) المغني لابن قدامة ٩: ١٥٦، الشرح الكبير لابن قدامة ٩: ١٧٥.

بغتة يده من يد ثابت، ففزع من ذلك ثابت، فقال له: يا ثابت، أخطأت حين وضعت يدي على يدك وسهوت، فإنّ العلم يعلو ولا يعلى)[١].

ومولد ثابت سنة ٢٢١، ووفاته سنة ٢٨٨.

[الحسن والحسين عليهما السلام من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله]

وعن الشعبي قال: (كنت عند الحجّاج فأُتي بيحيى بن يعمر ـ فقيه خراسان ـ من بلخ مكبّلاً في الحديد، فقال الحجاج: أنت زعمت أنّ الحسن والحسين عليهما السلام من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله؟ فقال: بلى.

فقال الحجاج: لتأتيني ببيِّنة واضحة من كتاب الله أو لأُقطعنّك عضواً عضواً؟!

فقال: آتيك ببينة واضحة من كتاب الله يا حجَّاج.

قال: فتعجب من جرأته بقوله يا حجَّاج.

قال: ولا تأتي بهذه الآية: ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم...﴾[٢].

فقال: آتيك بها واضحة من كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان....﴾[٣] إلى قوله: ﴿وزكريا ويحيى وعيسى﴾[٤] فمن أبو عيسى؟ فقد ألحق تعالى عيسى بذرية نوح. فأطرق مليّاً ثُمَّ رفع رأسه فقال: كأنّي لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله، حِلّوا وثاقه، وأعطوه من المال كذا)[٥].

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٢٩٦ بتصرف يسير.

(٢) سورة آل عمران: من آية ٦١.

(٣) سورة الأنعام: من آية ٨٤

(٤) سورة الأنعام: من آية ٨٥

(٥) تفسير الرازي ٢: ١٩٤.

[في كرم الإمام الحسين عليه السلام]

ويُحكى: «أنّ أعرابياً سأل أبا عبد الله الحسين عليه السلام حاجة، وقال: سمعت جدّك يقول: «إذا سألتم حاجة فاسألوها من أحد أربعة: إمّا عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو صاحب وجه صبيح».

فأمّا العرب: فشرفت بجدّك، وأمّا الكرم: فدأبكم وسيرتكم، وأمّا القرآن: ففي بيوتكم نزل، وأمّا الوجه الصبيح: فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا أردتم أن تنظروا إليّ فانظروا إلى الحسن والحسين».

فقال الحسين عليه السلام: ما حاجتك؟ فكتبها على الأرض.

فقال الحسين عليه السلام: «سمعت أبي علياً عليه السلام يقول: «قيمة كلّ امرىء ما يحسنه»، وسمعت جدّي يقول: «المعروف بقدر المعرفة».

فأسألك عن ثلاث مسائل إن أحسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي، وإن أجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي، وإن أجبت عن الثلاث فلك كل ما عندي- وقد حمل إلى الحسين عليه السلام صرّة من العراق-.

فقال: سل ولا قوة إلا بالله.

فقال عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟

قال الأعرابي: الإيمان بالله.

قال عليه السلام: فما نجاة العبد من الهلكة؟

قال: الثقة بالله.

قال عليه السلام: فما يزين المرء؟

قال: علم معه حلم.

قال عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟

قال: فمال معه كرم.

قال عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟

قال: ففقر معه صبر.

قال عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟

قال: فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه.

فضحك الحسين عليه السلام ورمى بالصرّة إليه»[1].

[في مورد ذكر كلمة فصل]

[٤٤]- قال رحمه الله: **«فصل: وأمّا الكتاب الكريم فقد أشير إلى ذلك في مواضع منه»**[2].

أقول: ذكر الفصل هنا غير مناسب؛ لأنّ الفصل إنّما يذكر للحجز بين الشيئين، والانتقال من مطلب إلى غيره، فكان المناسب أن يقول: وأمّا الجهة النقليّة فمن الكتاب الكريم... إلخ.

آية ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق..﴾

[٤٥]- قال رحمه الله: **«الأوّل: قوله تعالى في سورة القلم وهي أوّل ما نزل على نبيّنا صلى الله عليه وآله في قول أكثر المفسرين: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3]»**[1].

---

(١) تفسير الرازي ٢: ١٩٨.

(٢) معالم الدين: ٨

(٣) سورة القلم: ١- ٥.

أقول: سمّاها سورة القلم بمناسبة ذكر القلم فيها، وقد يعبّر عنها بسورة العلق، كما في مجمع البيان أيضاً؛ بمناسبة ذكر العلق فيها[٢]، وقد يقال لها سورة: اقرأ أيضاً بتلك المناسبة، كما في تفسير الجلالين[٣] وعلى كلّ حال، فأكثر المفسرين على أنها أوّل ما نزل من القرآن، وأوّل يوم نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قائم على حراء، أعلمه خمس آيات من أوّل هذه السورة[٤].

وقيل: أوّل ما نزل من القرآن، قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الْمُدَّثِّرُ﴾[٥].

وقيل: أوّل سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب[٦].

قال شيخنا البهائي رحمه الله في (تفسير العروة الوثقى) في وجه تسمية الحمد بسورة الفاتحة: **(إمّا لكونها أوّل السورة نزولاً، كما عليه الجمّ الغفير من المفسرين. أو لما نُقل من كونها مفتتح الكتاب المثبت في اللّوح المحفوظ. أو مفتتح القرآن المنزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا. أو لتصدير المصاحف بها على ما استقر عليه ترتيب السور القرآنية، وإن كان باختلاف الترتيب النزولي. أو لافتتاح ما يُقرأ في الصلاة من القرآن.**

فهذه وجوه خمسة لتسميتها بفاتحة الكتاب، وربّما يُخدش الرابع منها بتقديم تلك التسمية على هذا الترتيب؛ لوقوعها في الحديث النبوي، ووقوعه بعد عصر

---

(١) معالم الدين: ٨.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٣٩٦.

(٣) تفسير الجلالين: ٣٧٤.

(٤) جامع البيان ٣٠: ٣١٧ ح ٢٩١٥١ وما بعده.

(٥) صحيح البخاري ٦: ٧٤، مسند أحمد ٣: ٣٠٦، وغيرهما.

(٦) بحار الأنوار ١٨: ١٧٤.

الرسالة. والخامس بأنّ المراد بالكتاب الكلّ لا البعض، وهي في الصلاة فاتحة البعض لا الكل على أنّ إطلاق الكتاب على البعض من المستحدثات بعد هذه التسمية؛ إذ هو اصطلاح أُصوليّ)، انتهى[1].

والعَلَق[2]: جمع علقة وهي القطعة الجامدة من الدم التي تعلق لرطوبتها بما تمرّ به، فإذا جفّ لا تسمّى علقة، أي: خُلق الإنسان من دم جامد بعد النطفة، وقيل معناه: خلق آدم من طين يعلق باليد، والأوّل أصحّ[3].

الإعراب

اقرأ: فعل أمر مبني على السكون، لكونه صحيح الآخر غير معتل فيبنى على حذف آخره. ولا مسند إلى ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، فيبنى على حذف النون، نحو: قوما، وقوموا، وقومي. الفاعل مستتر فيه وجوباً.

باسم ربّك: الباء زائدة، كما في قول الشاعر:

[هُنَّ الحرائرُ لا ربّاتُ أخمِرَةٍ   سُودُ المَحاجِرِ] لا يَقْرَأنَ بالسُّوَرِ[4]

والتقدير اسم ربّك كقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾[5]، والجار والمجرور في محل النصب ليكون مفعولاً لإقرأ[1].

---

(١) العروة الوثقى: ٣٨٩ بضميمة مشرق الشمسين.

(٢) العلق: الدم الغليظ والقطعة منه علقة. (ينظر: الصحاح ١٥٢٩/٤، ولسان العرب ٢٧٦/١٠ مادة علق).

(٣) مجمع البيان ١٠: ٣٩٩.

(٤) البيت للراعي كما في لسان العرب ٤: ٣٨٦، ومابين المعقوفين منه.

(٥) سورة الأعلى: ١.

واسم: مضافاً إلى ربّ، وربّ مضاف إليه، وهو مضاف إلى الكاف، والكاف مضاف إليه ومجرور محلاً لكون لفظه مبنيّ على الفتح، وقيل: دخلت الباء في الكلام لتنبّه على البداية باسمه في كلّ شيء فهي غير زائدة، وعليه، فيجوز أن يكون الجار والمجرور في محلّ النصب على أن يكون حالاً أي: اقرأ مبتدئاً باسم ربّك.

الَّذي: اسم موصول مبنيّ لشبهه بالحرف في الافتقار؛ لأنّ الحرف كما لا يدل على معنى تام بدون ضم الاسم إليه، فكذلك الموصولات لا تدلُّ على معنى تام حَتَّى يؤتى بالصلة والعائد.

خلق: فعل ماضي مبني على الفتح لعدم اتصاله بواو الجماعة فيبنى على الضم كضربوا، أو بالضمير المرفوع المتحرك فيبنى على السكون كضربْتُ. والفاعل مستتر فيه وجوباً[٢] تقديره هو راجع إلى ربّك، والجملة من الصلة والموصول والعائد في محل الجر على أن يكون صفة للربّ.

---

(١) الظرف إنّما يعتبر مفعولاً به إذا كان الحرف غير زائد، ومفروض كلامه‌رحمه‌الله أنّ الباء زائدة، فلا وجه لاعتبار الجار والمجرور في محل النصب على المفعولية، فالوجه أن يقال: المجرور منصوب محلاً على المفعولية، على أنّ في اعتبار الزيادة نظراً لا يخلو من قوة، وفي التنظير بالشاهدين تأمّل، يدرك بالمراجعة لمظان المسألة في كتب النحو وبعض كتب التفسير. (السيد محمد الطباطبائي)

(٢) الظاهر أن الاستتار جائز لا واجب، ولعله‌رحمه‌الله نظر إلى ما حققّه ابن هشام في توضيحه رداً على ابن مالك وغيره في تقسيم الضمير إلى الواجب والجائز، ومع ذلك لا منافاة بين اعتبار الموازين وبين مفهوم تحقيقه؛ لأنّ النزاع في تعريف كلا القسمين، وقوله‌رحمه‌الله: (والجملة من الصلة والموصول... صفة للرب) خلاف ما عليه المعول لدى حذاق العربيين، وقد نبّه على ذلك ابن هشام في المغني في نظير هذا التعبير في الإعراب عن بعضهم، قال: (والصواب اعتبار الموصل وحده صفة أو خبر أوما شاكل) ، فتنبه. (السيد محمد الطباطبائي)

خلق: فعل ماض مبني على الفتح.

الإنسانَ: مفعول به منصوب على الفتحة.

من علق: جار ومجرور وعلامة جره الكسرة.

اقرأ: فعل أمر كما عرفت.

وربّك الأكرم: الواو للحالية، وجملة ربّك الأكرم مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير اقرأ، وجملة الحال إذا كانت اسمية لابّد أن تكون مرتبطة بالواو أو بالضمير أو بهما معاً[(١)].

الَّذي: موصول كما تقدّم.

علّم: فعل ماض مبني على الفتح، الفاعل مستتر فيه تقديره هو راجع إلى ربّك والجملة صلة الموصول.

بالقلم: جار ومجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة.

علّم الإنسان: فعل وفاعل ومفعول.

ما لم يعلم: (ما) موصولة في محل النصب على أن تكون مفعولاً ثانياً لعلّم.

لم: جازمة.

يَعْلَمْ: فعل مضارع مجزوم بـ(لم) وعلامة جزمه السكون، والقاعدة في حرف المضارعة: أنّه إذا كان ماضيه رباعياً كان مضموماً تقول: تريد، تحسن، تقيم، لأنّ الماضي أراد، أحسن، أقام. وإن كان ثلاثياً، مثل: ضرب، وذهَب. أو

(١) ينظر في رابط الجملة الاسمية الواقعة حالاً: شرح الأشموني ٣٦/٢، وشرح التصريح ٦١٠/١- ٦١١.

خماسياً، مثل: انطلق، واقتتل. أو سداسياً، مثل: استخرج، واحرنجم، فإنّ حرف المضارعة مفتوح في ذلك كلّه.

[٤٦]- قال رَحِمَهُ اللهُ: **«حيث افتتح كلامه المجيد بذكر نعمة الإيجاد، أتبعه بذكر نعمة العلم فلو كانت بعد نعمة الإيجاد نعمة أعلى من نعمة العلم لكانت أجدر بالذكر»**[١].

أقول: ففيه دلالة على ما ذكره في أوّل الوجه العقلي من أنّ الشرف للوجود، وأتبعه بذكر نعمة العلم على وجه المبالغة في كونها نعمة عظيمة، حيث وصف نفسه بالأكرمية، ورتّب عليه التعليم، وترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلّية، أي: يكون الوصف هو العلّة في إثبات الحكم.

فالآية تدل: على أنّه سبحانه تعالى إنّما استحق الوصف بالأكرمية؛ لأنّه أعطى العلم، فلولا أنّ العلم أشرف من غيره لما كانت إفادته أشرف من إفادة غيره.

[٤٧]- قال رَحِمَهُ اللهُ: **«وقد قيل في وجه التناسب بين الآية المذكورة في صدر هذه السورة المشتمل بعضها على خلق الإنسان من علق، وبعضها على تعليم ما لم يعلم، أنّه تعالى ذكر أوّل حال الإنسان، أعني كونه علقة، وهي بمكانٍ من الخساسة، وآخر حاله هي صيرورتهُ عالماً، وذلك كمال الرفعة والجلالة، فكأنّه سبحانه قال: كنت في أوّل الأمر في تلك المنزلة الدنيّة الخسيسة، ثُمَّ صرت في آخره إلى هذه الدرجة الشريفة النفيسة»**[٢].

---

(١) معالم الدين: ٩.

(٢) معالم الدين: ٩.

أقول: الآي جمع آية، كالآيات، والآيا، والآية: العلامة، والأصل أَوَيَة بالتحريك، ففيه تنبيه على أنّ العلم أشرف الصفات الإنسانيّة، كأنّه تعالى يقول: الإيجاد، والإحياء، والقدرة، والرزق كرم وربوبيّة.

أمّا الأكرم: هو الّذي أعطاك العلم، لأنّ العلم هو النهاية في الشرف، ثُمَّ المنقول عن بعض المفسرين أنّ ها هنا نكتة، وهي: (أنّ أوّل هذه السورة دلّ على فضيلة العلم، وبعدها مذمَّة المال، فكفى ذلك مرغّباً في العلم، منفراً عن الدنيا)[1].

في فضل الكتابة

قيل: المراد من قوله عزَّ وجلَّ ﴿علّم بالقلم﴾، الكتابة التي تُعرف بها الأُمور الفانية، والقلم كناية عنها، أو على حذف المضاف، أي: الكتابة بالقلم.

وأوّل من خطّ به إدريس عليه السلام، وكيف كان ففيه تنبيه على فضيلة الكتابة، فأخبر تعالى: أنّه علّم بالقلم؛ إذ وصف نفسه بالكرم إشارة إلى أنّ تعليمها من جزيل نعمه، وإيذاناً بأن منحها من فائض ديمه.

وقال تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين* كراماً كاتبين﴾[2]، فجعل الكتابة من وصف الكرام، كما قَدْ جاء فعلها أيضاً من جماعة الأنبياء. وإنّما منعها النبي صلى الله عليه وآله معجزة قَدْ بيّن تعالى سببها حيث ذكر إلحادهم بقوله: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها...﴾[3].

ويُروى أنّ سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام؟

---

(١) تفسير الرازي: ٣٢: ١٩.

(٢) الانفطار: ١٠- ١١.

(٣) سورة الفرقان: من آية ٥.

فقال: ريح لا يبقى. قال: فما قيده؟ قال: الكتابة بالقلم[١].

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**القلب يتّكل على الكتابة**»[٢].

والمراد بالقلب: النفس الناطقة، والاتكال: الاعتماد.

وفيه أيضاً عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**اكتبوا فإنّكم لا تحفظون حَتَّى تكتبوا**»[٣].

وفيه أيضاً عن عبيد بن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها**»[٤].

وفيه أيضاً عن المفضّل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**اكتب وبُثَّ علمك في إخوانك، فإنْ متَّ فأورث كتبك بنيك، وليقوموا مقامك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلاّ بكتبهم**»[٥].

ففي هذه الأخبار من الحث على الكتابة وعدم الاعتماد على الحفظ ما لا يخفى؛ ولذا أجمع عليه السلف والخلف رضوان الله عليهم، ففي ذلك كمال الشفقة على الأُمَّة؛ إذ لولا ذلك لكانت الأمَّة حائرة في دين الحق وأحكامه، ولا سيّما في مثل هذا العصر.

---

(١) تفسير الرازي ٣٢: ١٧.

(٢) الكافي ١: ٥٢ ح ٨.

(٣) الكافي ١: ٥٢ ح ٩.

(٤) الكافي ١: ٥٢ ح ١٠.

(٥) الكافي ١: ٥٢ ح ١١.

فضل القلم على السيف

وما أحسن ما قيل في فضل القلم على السيف وهو لابن الرومي:

إنْ يخدِمِ القلمُ السيفَ الَّذي خضعَتْ ... لهُ الرقابُ ودانَتْ خوفَهُ الأُمَمُ

فالموتُ والموتُ شيءٌ لا يغالِبُهُ ... ما زال يَتبَعُ ما يجري بهِ القَلَمُ

كذا قضى اللهُ للأقلامِ مُذ بُرِيَتْ ... إنَّ السُّيوفَ لها مُذْ أُرهِفَتْ خَدَمُ[1]

أيضاً في وصف القلم:

وذي عفافٍ راكعٍ ساجِدٍ ... أخو صلاحٍ دَمْعُهُ جاري

ملازِمُ الخَمْسِ لأوقاتِها ... مجتَهِدٌ في طاعَةِ الباري[2]

وقال محمود بن أحمد الأصبهاني:

أخرسُ يُنبيكَ بإطراقِهِ ... عن كُلِّ ما شئتَ مِنَ الأمْرِ

يُذري على قرطاسِهِ دمْعَةً ... يُبدي بها السرَّ وما يدري

كعاشِقٍ أخفى هَواهُ وقَدْ ... نمَّت عليه عَبْرَةٌ تجري

تُبْصِرُهُ في كُلِّ أحوالِهِ ... عُريانَ يكسو الناسَ أو يُعْرِي

يُرى أسيراً في دَواةٍ وقَدْ ... أطلَقَ أقواماً مِنَ الأسْرِ[3]

---

(١) وفيات الأعيان ٥: ١١٧. (ينظر: ديوان ابن الرومي ٦/١٤٩-١٥٠).

(٢) نهاية الأرب ٧: ٢٤.

(٣) ينظر: العقد الفريد ٧: ٢٤، جواهر الأدب ٢: ٣٢٤.

[وقال آخر][١]: (القلم أحدُ اللّسانين، وهو المخاطب للغيوب بسرائر القلوب على لغات مختلفة من معاني معقولة، بحروف معلومة، متباينات الصور، مختلفات الجهات، لقاحها التفكُّر، نتاجها التدبُّر، تخرس منفردات، وتنطلق من درجات، بلا أصوات مسموعة ولا ألسنة محدودة ولا حركات ظاهرة، خلا قلم حرف باريه قطَّته ليطلق المداد به، وأرهف جانبيه ليردّ ما انتشر عنه إليه، وشقّ رأسه ليحتبس المداد عليه، فهناك استمد القلم بشقّه، ونثر في القرطاس بخطه حروفاً أحكمها التفكر، وأولى الأسماع بها الكلام الَّذي سداه العقل، وألحمه اللّسان، ونهشته اللَّهوات، وقطعته الأسنان، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماع عن أنحاء شتى من صفات أسمائه)[٢].

قال البحتري:

طِعانٌ بأطرافِ القوافي كأنّهُ طِعانٌ بأطراف القنا المتكسّرِ[٣]

وقال ابن المعتز: (القلم مُجهز لجيوش الكلام، يخدم الإرادة، ولا يملّ استزادة، يسكت واقفاً، وينطق سائراً، على أرضٍ بياضها مظلم، وسوادها مضيء، وكأنه يُقَبِّل بساط سلطان، أو يفتح نوّار بستان)[٤].

وقال علي بن عبيد: (أصمٌّ يسمع النَّجوى، أعيا من باقل[١]، وأبلغ من سَحبان وائل[٢]، يجهل الشاهد، ويُخبر الغائب، ويجعل الكتب بين الإخوان ألسُناً ناطقة،

(١) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٢) ينظر: جواهر الأدب ١: ٣٣٨.

(٣) ينظر: جواهر الأدب ١: ٣٣٨، وينظر: ديوان البحتري ١/٤٤٥ ورواية الصدر فيه: عتابٌ بأطراف القوافي كأنه.

(٤) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٣٢٤.

وأعيُناً لاحظة، وربّما ضَمَّنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة)[٣].

ومن كلام أبي حفص بن برد الأندلسي: (ما أعجب شأن القلم! يشرب ظلمة ويلفظ نوراً، قَدْ يكون قلم الكاتب أمضى من شباة المحارب، القلم سهم ينفذ المقاتل، وشفرة تطيح بها المفاصل)[٤].

فائدة جليلة

سورة القلم إحدى سور العزائم الأربع التي يجب السجود على من قرأ إحدى آياتها الأربع، والغسل لقراءتها على المجنب إن وجبت عليه، والثلاث الأُخريات هي: سورة (ألم السجدة) وسورة (حم السجدة) وسورة (النجم).

ومن العجب سهو جملة من المتقدِّمين منهم الصدوق رحمه الله في المقنع والفقيه[٥]، وجرى عليه جملة من تأخّر عنه من عدّ سورة (لقمان) عوض (ألم السجدة) مع أنّ سورة (لقمان) ليس فيها سجدة، وإنّما السجدة في السورة التي تليها وهي (ألم السجدة).

---

(١) باقل الإيادي: جاهلي يضرب بعيِّه المثل، قيل اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً فمرّ بقوم فسألوه: بكم اشتريته؟ فمدّ لسانه ومدّ يديه (يريد أحد عشر) فشرد الظبي وكان تحت إبطه. (ينظر: الأعلام ٤٢/٢)

(٢) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة، خطيب يُضرب به المثل في البيان، اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقاًولا يعيد كلمته ولا يقعد حَتّى يفرغ، أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وآله ولم يجتمع به، واقام في دمشق أيام معاوية وله شعر قليل .(الأعلام ٧٩/٣) .

(٣) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٣٢٤.

(٤) ينظر: جواهر الأدب ٢: ٣٢٤.

(٥) المقنع: ٤٠، من لا يحضره الفقيه ١: ٨٦

ثُمَّ الظاهر أنَّ الحكم موضع وفاق كما نصّ عليه في المعتبر والمنتهى[١] إلاّ أنّ جلّ المتأخّرين، بل المشهور مطلقاً أناطوا الحكم بمجموع السورة، حَتَّى البسملة إذا قصد بها إحدى السور الأربع.

ومستندهم في ذلك مارواه الشيخ في (الحسن) عن محمّد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **«الجنب والحائض يفتحان المصحف من وراء الثياب، ويقرآن ما شاءا إلاّ السجدة، ويدخلان المسجد مجتازين، ولا يقعدان فيه، ولا يقربان المسجدين الحرمين»**[٢].

وفي (الموثّق) عنه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: **«الحائض والجنب يقرآن شيئاً؟ قال: نعم، ما شاءا إلاّ السجدة»**[٣].

وأنت خبير بأنَّ مقتضى هاتين الروايتين تحريم نفس آي السجدات الأربع من دون بقيّة سُوَرها، وهو الّذي صرّح به المجلسيّ في مرآة العقول، قال رحمه الله: **(وظاهر الأخبار آية السجدة، ومع عدم الظهور فهي محتملة لها احتمالاً ظاهراً يمنع الاستدلال، لكنَّ الإجماع بحملها على الأوّل أي: حرمة السور)**، انتهى[٤].

قلت: والمناقشة في ظهور الأخبار لعلّه من جهة احتمال كون المراد من لفظ السجدة الواقع فيها بعد أداة الاستثناء سورة (السجدة) على نحو (البقرة)، و(آل عمران) وغيرها من أسماء السور، وهي مردودة بعدم ثبوت الحقيقة

---

(١) المعتبر ١: ١٨٦، منتهى المطلب ١: ٨٦.

(٢) المعتبر ١: ١٨٦، منتهى المطلب ٢: ٢١٦.

(٣) المعتبر ١: ٢٢٣، منتهى المطلب ١: ٤١.

(٤) مرآة العقول ١٣: ١٤٩.

الشرعيّة في أسماء سور القرآن بحيث تحمل عليها إذا وردت في الأخبار، ولاسيَّما بعد اختلاف اسم السورة الواحدة بحسب اختلاف وجه المناسبة كما عرفت سابقاً في وجه تسمية سورة (القلم)، وهو كاشف عن أنّ التسمية ليست شرعيّة، ولا نسلِّم انعقاد الإجماع عليه بعد مخالفة مثل: السيِّد المرتضى، والشيخ الطريحي، وصاحب الحدائق، ناقلين ذلك عن جملة من المتأخّرين، وهو اختيار سيّدنا الأُستاذ رحمه الله في العروة الوثقى[١].

فلا وجه لما ذهب إليه المشهور، ولا سيّما مع معارضة الأصل له هنا، والعمومات من الكتاب والسُنّة الدالّة على استحباب قراءة القرآن، كصحيحة الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سألته أتقرأ النفساء، والحائض، والجنب، والرجل يتغوّط، القرآن؟ قال: يقرأون ما شاؤوا**»[٢].

وصحيحة الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**لا بأس بأن تتلو الحائض والجنب القرآن**»[٣].

وموثّقة بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سألته عن الجنب، يأكل ويشرب ويقرأ القرآن؟ قال: نعم، يأكل ويشرب ويقرأ، ويذكر الله ما شاء**»[٤].

---

(١) الانتصار: ١٤٦، مجمع البحرين ٢: ٣٣٩ ضمن مادة: (س. ج. د) ، الحدائق الناضرة ٣: ١٤٥، العروة الوثقى ١: ٢٨٦ وما بعدها في فصل: (فيما يحرم على الجنب) طبعة قديمة.

(٢) الخلاف ١: ١٠١، الاستبصار ١: ١١٤ح ٣٣٨١.

(٣) الاستبصار ١: ١١٤ح ٢٣٨٠.

(٤) الكافي ٣: ٥٠ ح ٢.

ومقتضى حمل المطلق على المقيّد هو الجمع بينهما بحمل هذه على ما عدا آية (السجدة)، فقد تحقّق من جميع ما ذكرناه أنّ الأظهر قصر الحكم بالتحريم على موضع السجود لا غير.

آية: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات...﴾

[٤٨]- قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الثاني قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا...﴾[1] الآية، فإنّه سبحانه جعل العلم علّة لخلق العالم العلوي والسفلي طراً، وكفى بذلك جلالة»[2].

أقول: الآية في آخر سورة الطلاق، والمعنى: الأمر بمعنى الوحي، أي: ينزل الوحي بين السماوات والأرض، ينزل به جبرئيل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة، لكي تعلموا إذا تفكّرتم في خلقها وما جرى من التدبير فيهما، أنّ من بلغت قدرته هذه المبالغ التي لا يمكن أن تكون لغيره، كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شيء عمّا أراده.

الإعراب:

الله: مبتدأ.

الَّذي: اسم موصول.

خلق: فعل ماضي وفاعله مستتر فيه تقديره هو راجع إلى الله.

---

(١) سورة الطلاق: من آية ١٢.

(٢) معالم الدين: ٩.

سبع: مفعول منصوب بفتحة ظاهرة مضاف إلى السماوات، والجملة صلة الموصول، والموصول مع صلته خبر للمبتدأ.

وقُرئ (مثلَهُنَّ)[١] بالنصب عطفاً على سبع سموات، أي: وخلق من الأرض مثلهن، وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض فهي جملة مستأنفة.

يتنزّل: فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم.

الأمر: مفعول والفاعل مستتر فيه تقديره هو راجع إلى الله[٢].

بين: ظرف مكان منصوب على أنّه مفعول فيه ليتنزّل مضاف إلى (هُنَّ).

لتعلموا: اللام لام (كي).

تعلموا: فعل مضارع منصوب بحذف النون لكونه من الأفعال الخمسة.

السموات والأفلاك على رأي أهل الهيئة

تفصيل: المراد بالسماوات السبع الأفلاك السيَّارات، فإنَّ الفلكين الآخرين يسمّيان بلسان الشرع: عرشاً وكرسيّاً، وفي لسان أهل الهيئة أنّ الأفلاك تسعة دائرة

---

(١) قرأ الجمهور: (مثلَهُنّ) بالنصب وقرأ المفضل وعصمة عن أبي بكر عن عاصم، وأبو حاتم عن عاصم واللؤلؤي والرؤاسي كلاهما عن أبي عمرو (مثلُهنّ) بالرفع على الابتداء أو بالظرف. (ينظر: مختصر شواذ القراءات: ١٥٨، وتفسير الرازي ٤٠/٣٠، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ٥٩٧/٢ والبحر المحيط ٢٧٨/٨ ومعجم القراءات القرآنية ٥١٣/٩) .

(٢) الأمر: فاعل مرفوع علامة رفعه الضمة والجملة في محل نصب حال، والمذكور أعلاه هو على قراءة عيسى بن عمر وأبو عمرو: يُنزِّل الأمر، وهي خلاف القراءة المشهورة، فليلاحظ.

قال السيِّد محمد الطباطبائي: (هذا الإعراب لا يصح على قراءة (يتَنزلُ) مضارع تنزّل من باب التفعُّل؛ لأنه لازم لا ينصب مفعولاً. فالصواب: إنَّ الأمرَ مرفوعٌ فاعل (يتنزل) ، وأما على قراءة (يُنزِّل) مضارع نزّل مشدداً، فالأمر مفعوله، والفاعل ضمير مستتر يعود. والقراءة الأولى هي قراءة الجمهور، والثانية هي قراءة عيسى وأبي عمرو في رواية عنه) .

بعضها على بعض، كطبقات البصلة يمسّ سطحها المقعَّر من كلّ طبقة السطح المحدّب للآخر الَّذي في جوفه.

الأوّل: فلك الأفلاك المحيط بجميع الأفلاك، ويقال له: الفلك الأعظم؛ لكونه أوسع الأفلاك، والفلك الأطلس؛ لكونه خالياً عن الكواكب كالأطلس الخالي عن النقش، وهو الفلك المحيط بجميع الأجسام لتناهي الأبعاد، ووجوب وجود جسم محيط بجميع الأجسام محدّد للجهات بناءً على ما قاله بطليموس: إنّا لا نثبت في السماوات فصلاً لا يحتاج إليه، وليس وراء هذا الفلك شيء، لا خلا لامتناعه، ولا ملأ لما عرفت من كلام بطليموس.

الثاني: فلك البروج، وفيه الثوابت وهي ما عدا السيّارة.

الثالث: فلك زحل المسمّى بكيوان أيضاً، وهو النحس الأكبر.

الرابع: فلك المشتري وهو السعد الأكبر.

الخامس: فلك المريخ المسمّى بالأحمر أيضاً، وهو النحس الأصغر.

السادس: فلك الشمس وهي النيِّر الأعظم.

السابع: فلك الزهرة الملقَّب بالسعد الأصغر.

الثامن: فلك عطارد المسمّى بالكاتب أيضاً.

التاسع: فلك القمر وهو المنيّر الأصغر.

والمشهور بينهم مبدأ حساب الأفلاك من فلك القمر، فيكون فلك الأفلاك هو الفلك التاسع، وتنتهي إلى فلك القمر.

ومن الأرض مثلهن، قيل: في الخلق لا في العدد. وقيل: في العدد فإنّ الأرض سبع طبقات، بعضها فوق بعض لا فرجة بينها.

وقيل: بينها فرجة مسيرة خمسمائة عام.

وفي كلّ طبقة مخلوقات، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[(١)]، واستيعاب الكلام فيما يتعلّق بشرح هذه الآية يتوقف على رسم أُمور:

الأمر الأوّل: اعلم أنّ ما ذكرناه من وضع الأفلاك ما يختاره علماء الهيئة، وأمّا ما دلّت عليه الأخبار ونطقت به الآثار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام فهو على خلاف ما ذكروا، فقد روى العياشي بإسناده عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «**بسط كفَّه اليسرى، ثُمَّ وضع اليمنى عليها، فقال: هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قُبَّة، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا، والسماء الثانية فوقها قُبَّة، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية، والسماء الثالثة فوقها قُبَّة، حَتَّى ذكر الرابعة، والخامسة، والسادسة، فقال: والأرض السابعة فوق السماء السادسة، والسماء السابعة فوقها قُبَّة، وعرش الرحمن فوق السماء السابعة. وهو قوله: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[(٢)]**»[(٣)].

إذا قالَتْ حَذامِ فصدِّقوها فإنّ القولَ ما قالَتْ حَذامِ[(٤)]

ولذا قال الطبرسي: (لا خلاف في السماوات أنّها سماء فوق سماء.

---

(١) سورة المدثر: من آية ٣١.

(٢) سورة الطلاق: من آية ١٢.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٠٣ح ٣ والرواية فيها غير تامة، عنه مجمع البيان ٩: ٢٥٤ والرواية فيه تامة، وعنه بحار الأنوار ٥٧: ٧٤.

(٤) البيت لِلُجَيمْ بن صعب. (ينظر: العقد الفريد ٣/٣٢٩، ومجمع الأمثال ١/٣٩٧)

وأمّا الأرضون فقال قوم: إنّها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات؛ لأنها لو كانت مصمتة لكانت أرض واحدة، وفي كلّ أرض خلقٌ خلقهم الله كما شاء.

وروى أبو صالح عن ابن عبّاس: «إنّها سبع أرضين ليست بعضها فوق بعض، تفرق بينهنّ البحار وتضلّ جميعهن السماء، والله سبحانه أعلم بصحّة ما استأثر بعلمه، واشتبه على خلقه»[1].

الأمر الثاني: لا ريب في حقيّة علم الهيئة أعني ما يتعلق الكلام فيه بالأجرام من الكواكب والأفلاك، وكيفية أجسامها وكمّيتها، وترتيب علو بعضها على بعض، وسرعة حركاتها وبطئها، وسائر كيفياتها وأوضاعها، ومحالّ الكواكب، وتشخُّص حالاتها المختلفة بالاعتبارات المختلفة من المقارنة والتربيع، والتثليث، والمقابلة، والهبوط، والصعود إلى غير ذلك ممّا هو من قبيل تشخيص حالاتها وكيفياتها وأوضاعها، وهو المسمّى بعلم الكلّ في اصطلاحهم، وربّما يسمّى بعلم الهيئة.

ولا مجال لإنكاره ودعوى عدم حقيّته بالمرّة؛ فإنّه راجح تعلّمه ومحتاج إليه في كثير من المسائل الشرعيّة، كالوقت والقبلة والقمر في العقرب والنيروز ـ بمعنى تحويل الشمس إلى برج الحمل ـ وحقيّته في البعض مستلزم لحقيّة أغلبها ضرورة.

إنّ حقيّة تحويل الشمس في ساعة كذا إلى برج الحمل مستلزم لحقيّة ترتيب البروج، وسير الشمس فيها إلى حركة التوالي، وتعيين مقدار حركة

---

(١) مجمع البيان ١٠: ٥٠.

الشمس في الليل والنهار، ودرجات البروج ومساحتها المتوقّف ذلك على صحَّة التعديلات الموقوفة على ثبوت الأفلاك المعدّة لها من الممثل وخارج المركز والحامل والتدوير ونحوها، وجملة من أُصولها مبرهن عليها في الكتب الهندسية بالأدلة العقليّة.

ونرى صدق ما أثبتوه في الزيج المستخرج من الرصد المشخص لترتيباتها بالعيان في حكمهم بمقتضى تلك الحسابات والتراصيد بالخسوف والكسوف والأهلّة، وتعيين الفصول المرتبطة بتحويلات الشمس إلى البروج المعيَّنة، ولو كان شيء من قواعده على غير ما ذكروه لامتنعت الموافقة في شيء منها أو أكثرها؛ لارتباط بعضها ببعض كما لايخفى على ممارسه، وتخلف حكمهم أحياناً في نحو الهلال والكسوف ناشئ من غلط المحاسب الَّذي يستخرج التقويم من الزيج، بل مثل السيِّد المرتضى والكراجكي المشنّعين على القول بحقيّة النجوم، أجابا عن استناد المثبتين لذلك بالإصابة في الحكم بالخسوف ووقته ومقداره والأهلَّة.

ولا فرق بين ذلك وغيرها من أحكام النجوم بأنّ الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالاتها من تسيير الكواكب له أُصول صحيحة وقواعد سديدة.

وبالجملة، استعمال هذا العلم متعارف لدى العلماء المتشرّعين من السلف والخلف.

قال شيخنا المفيد رحمه الله فيما حكي عنه: (إنّ الاستدلال بحركات النجوم على كثير ممّا سيكون لا يمنع العقل منه، ولسنا نمنع أن يكون الله عزّ وجلّ علّمه بعض أنبيائه، وجعله علماً على صدقه)، انتهى[1].

قال شيخ المتكلّمين محمود بن علي الحمصي رحمه الله في ذكر علم النجوم: (إنّا لا نردّ علمهم فيما يتعلق بالحساب في تسيير النجوم واتصالاتها التي يذكرونها، فإنّ ذلك ممّا لا يهمّنا، ولا هو ممّا يقابل بإنكار ورد)، انتهى[2].

وستسمع من العلاّمة في (المنتهى) و(التحرير) ومن الشهيد رحمه الله في (الدروس) التصريح بعدم المنع من ذلك، بل في الأخير التصريح باستحباب تعلّمه لما فيه من الاطّلاع على حكم الله وعظم قدرته[3].

الأمر الثالث: (الظاهر أنّه لا يحرم الإخبار عن الأوضاع الفلكيّة المبتنية على سير الكواكب- كالخسوف الناشئ عن حيلولة الأرض بين النيِّرين، والكسوف الناشئ عن حيلولة القمر أو غيره- ممّا سمعت، بل يجوز الإخبار بذلك جزماً أو ظناً حسب ما يحصل للمخبر، وكذا لا يحرم الإخبار بحدوث الأحكام عن الاتصالات المذكورة، بأن يحكم بنزول المطر في المستقبل عند الوضع المعيَّن من القرب والبعد والمقابلة والاقتران، إذا كان على وجه الظن المستند إلى تجربة محصّلة، أو منقولة في وقوع تلك الحادثة بإرادة الله عند الوضع الخاص من دون اعتقاد ربط بينهما أصلاً، بل الظاهر جواز الإخبار على وجه القطع إذا استند إلى تجربة قطعيّة؛ إذ لا حرج ولا

---

(١) حكاه العلاّمة المجلسيّ عن الشيخ الكراجكي رحمه الله في بحار الأنوار ٥٥: ٢٩٧.

(٢) بحار الأنوار ٥٥: ٢٩٨.

(٣) منتهى المطلب ٢: ١٠١٤، تحرير الأحكام ١: ١٦١، الدروس ٣: ١٦٥.

مانع شرعاً في ذلك، بل على ما ستعرف من معنى التنجيم يكون ذلك خارجاً منه)، كما صرَّح بذلك كلّه العلامة الأنصاري رحمه الله[1].

مسألة التنجيم

إذا عرفت ذلك فنقول: التنجيم هو الإخبار عن أحكام النجوم باعتبار الحركات الفلكيّة، والاتصالات الكوكبيّة التي مرجعها إلى القياس والتخمين.

وحاصله: هو البحث عمّا يتعلّق بالحكم بآثار معتبرة من الخير والشر، والنفع والضرر، لعموم الخلق أو لخصوص بعضهم في العالم السفليّ بحصول حالات معينة للكواكب والأجسام الفلكيّة، باعتقاد أنّ الأجرام العلويّة مؤثرات بنحو الإرادة والاختيار في الكون، بحيث تمنع التخلف عنها امتناع تخلُّف المعلول عن العلّة العقليّة المقتضي لثبوت الحياة لها، والتنجيم بهذا المعنى هو محل البحث، والظاهر حرمته بل كفر من يعتقد ذلك وهو المشار إليه في جملة من الأخبار المصرِّحة بالنهي عن تصديق المنجمين.

[في جملة من الأخبار المصرحة بالنهي عن تصديق المنجمين]

فعن النبي صلى الله عليه وآله مرسلاً: **«أنّه من صدّق منجِّماً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل الله على محمّد صلى الله عليه وآله»**[2].

وفي رواية نصر بن قابوس المروية في الخصال، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: **«المنجّم ملعون، والكاهن ملعون، والساحر ملعون، والمغنيّة ملعونة، ومن آواها وأكل كسبها ملعون»**[1].

---

(١) المكاسب ١: ٢٠١- ٢٠٤.

(٢) المكاسب ١: ٢٠٥.

وقال عليه السلام: «المنجّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار»[(٢)].

وفي الخصال أيضاً بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أربعة لا تزال في أُمّتي إلى يوم القيامة: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وإنّ النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[(٣)].

وفيه أيضاً مسنداً: «أنّه نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن خصال... إلى أن قال: وعن النظر في النجوم»[(٤)].

وفيه أيضاً مسنداً، قال: «دخل رجل على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له علي بن الحسين عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا منجّم.

قال: فأنت عرّاف؟ قال: فنظر إليه ثُمَّ قال: هل أدلُّك على رجل قَدْ مرّ مذ دخلت علينا في أربعة عشر عالماً أكبر من الدنيا ثلاث مرات، ولم يتحرك من مكانه؟

قال: من هو؟ قال: أنا، وإن شئت أنبأتك بما أكلت، وما ادَّخرت في بيتك»[(٥)].

---

(١) الخصال: ٢٩٧ ح ٦٧.

(٢) الخصال: ٢٩٧ ح ٦٧.

(٣) الخصال: ٢٢٦ ح ٦٠.

(٤) الخصال: ٤١٧ح ١٠.

(٥) ليس في الخصال، وهو في بصائر الدرجات ٤٢٠ ح١٣، الاختصاص: ٣١٩، دلائل الإمامة: ٢١٠ح ٢٣/١٣٣.

وفي مجالس الصدوق رحمه الله بإسنادٍ عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، قال: «لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجّم، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ولمَ ذاك؟ قال: لأنّك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت وظهرت وأصبت كلّما طلبت.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: تدري ما في بطن هذه الدابة، أذكرٌ أم أنثى؟

قال: إن حسبت علمت.

قال له أمير المؤمنين عليه السلام: من صدّقك على هذا القول كذّب بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

ما كان محمّد صلى الله عليه وآله يدّعي ما ادّعيت، أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، والساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟

من صدّقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عزَّ وجلَّ في ذلك الوجه، وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه، وينبغي له أن يوليك الحمد دون ربّه عزَّ وجلَّ، فمن آمن لك بهذا فقد اتَّخذك من دون الله نداً وضدّا.

ثُمَّ قال عليه السلام: اللهُمَّ لا طير إلاّ طيرك، ولا ضير إلاّ ضيرك، ولا خير إلاّ

---

(١) سورة لقمان: ٣٤.

خيرك، ولا إله غيرك. ثُمَّ التفت إلى المنجم، فقال: بل نكذِّبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي نَهيت عنها»[١].

ويقال: إنّ الَّذي قال له ذلك هو عفيف بن قيس أخو الأشعث، وكان يتعاطى علم النجوم[٢].

وفي رواية عبد الملك بن أعين المروية في الفقيه: **«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي قَدْ ابتليت بهذا العلم فأُريد الحاجة، فإذا نظرت إلى الطالع ورأيت الطالع الشر جلست ولم أذهب فيها، وإذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة. فقال لي: تقضي؟ قلت: نعم. قال: احرق كتبك»**[٣].

قال في البحار: (قوله عليه السلام: (تقضي) على بناء المعلوم أي: تحكم بالحوادث وتخبر بالأُمور الآتية والغائبة، وتحكم بأنّ للنجوم تأثيراً، أو أنّ لذلك الطالع أثراً، أو بناء على المجهول، أي: إذا ذهبت في الطالع تُقضى حاجتك وتعتقد ذلك؟ ثُمَّ قال: والأوّل عندي أظهر.

ثمّ قال: هذا خبر معتبر يدل على أظهر الوجوه، على أنّ الإخبار بأحكام النجوم، والاعتناء بسعادة النجوم والطوالع محرَّم يجب الاحتراز عنه)، انتهى[٤].

وفي نهج البلاغة من كلام له عليه السلام لبعض أصحابه لمّا عزم على المسير إلى الخوارج، وقد قال له: **«إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت أن لا**

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٠٠ ح ١٦/٦٨٧.

(٢) فرج المهموم: ٥٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٦٧ ح ٢٤٠٢.

(٤) بحار الأنوار ٥٥: ٢٧٢.

تظفر بمرادك عن طريق علم النجوم، فقال عليه السلام: أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صُرِف عنه السوء، وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟ فمن صدق بهذا فقد كذّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربّه؛ لأنّك بزعمك أنّك هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضرّ؟ ثُمَّ أقبل عليه السلام على الناس، فقال: أيُّها الناس إيَّاكم وتعلُّمَ النجوم إلاّ ما يُهتَدَى به في برٍّ أو بحر؛ فإنّها تدعو إلى الكهانة، والمنجِّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، سيروا على اسم الله»[1].

بيان:

قوله عليه السلام: «فقد كذّب القرآن»؛ لأنّ المنجم إذا حكم لنفسه مثلاً بأن يصيب كذا في وقت كذا فقد ادّعى أنّ نفسه تعلم ما تكسب غداً وبأيّ أرضٍ تموت، وقد قال الله تعالى: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث...﴾ الآية[2].

وأيضاً الأحكام النجوميّة إخبارات عن أُمور ستكون، وهي تشبه الاطّلاع على الأُمور الغيبيّة وهو مختص به تعالى، لقوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾[3] ولقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلى هو﴾[4].

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٢٨ ح ٧٩.

(٢) سورة لقمان: من آية ٣٤.

(٣) سورة النمل: من آية ٦٥.

(٤) سورة الأنعام: من آية ٥٩.

وقوله عليه السلام: «**واستغنى...إلخ**»، لأنّه يفزع إليه في كلّ أمر يهتم به، ويجعله عمدة له، فيعرض عن الفزع إلى الله؛ إذ يعتمد على الكواكب والأوقات، ويشتغل بالفزع إلى ما يستند إلى الكواكب وإلى ملاحظتها.

قوله عليه السلام: «**أن يوليك الحمد...إلخ**»، لأنّ كلّ من زعم ذلك أهّل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدّقه دون الله.

قوله عليه السلام: «**تدعوا إلى الكهانة**»، أي إلى أن يُصيّر نفسه كالكاهن في دعوى الإخبار عمّا سيكون، ثُمَّ أكّد كونه داعية إلى التشبيه بالكاهن، انتهى.

واعلم أنَّ الكاهن يتميّز عن المنجّم بكون ما يخبر عنه من الأُمور الكائنة إنّما هو عن نفسانيّة له، وظاهر أنّ ذلك أدعى إلى الفساد في أذهان الناس وإغوائهم لزيادة اعتقاداتهم فيه.

وأمّا الساحر فيتميّز عن الكافر بأنّ له قوة على التأثير في أمر خارج عن بدنه بآثار خارجة عن الشريعة مؤذية للناس كالتفريق بين الزوجين ونحوه، وتلك زيادة شرٍّ آخر على الكاهن أدعى لفساد أذهان الناس، وزيادة اعتقادهم وانفعالهم عنه خوفاً ورغبة.

وأمّا الكافر فيتميّز عن الساحر بالبعد الكثير عن الله وعن دينه، وإن شاركه في أصل الانحراف عن سبيل الله، وحينئذ صار الضلال والفساد في الأرض مشتركاً بين الأربعة، إلاّ أنه مقول عليهم بالتشكيك[1].

---

(١) الفروق اللغوية: ٢٣٧ بتصرف.

ولذا جعلعليه السلام الأقوى أصلاً في النسبة، وقد لاح لك أيضاً أنّ وجه الشبه في الكلّ الانحراف عن طريق الله، وهذا قياس مفصول النتائج يستنتج منه: أنّ المنجِّم في النار.

وعلى تقدير تفصيله، فالنتيجة الأُولى كون المنجِّم كالساحر، وهي مع قوله: «**والساحر كالكافر**» ينتج: أنَّ المنجِّم كالكافر وهذه النتيجة مع قوله: «**والكافر في النار**» ينتج المطلوب.

والقياسان الأوّلان من قياس المساواة، وإذا حُمل على القياس الصحيح فتقديره: المنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر، ومشبه الكاهن المشبه للساحر مُشبه للساحر، فينتج: أنّ المنجِّم يشبه الساحر.

وهكذا في القياس الثاني: المنجِّم يشبه الساحر المُشبه للكافر، ومُشبه الساحر المشبه للكافر يشبه الكافر، فالمنجم يشبه الكافر، والكافر في النار. فالمنجم كذلك وهو القياس الثالث.

هذه هي الأخبار التي دلَّت على حرمة التنجيم بالمعنى المعروف، ولذا أفتى به جملة من فقهائنا الأساطين من المتقدِّمين والمتأخّرين، وإنْ شئت الاطّلاع على كلماتهم، فنحن نتلو عليك جملة ممَّا عثرنا عليه ممَّا هو صريح في ذلك، وأقوى شاهد على ما هنالك:

[أ]- قال السيِّد المرتضى علم الهدى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر في أجوبة المسائل السلارية:

(ما القول فيما يخبره المنجّمون من وقُوع حادث، يضيفون ذلك إلى تأثيرات النجوم؟ وما المانع من أن تؤثّر الكواكب على حدّ تأثير الشمس الأُدْمَةَ فينا؟ وإن كان

تأثير الكواكب مستحيلاً فما المانع من أن تكون التأثيرات من فعل الله تعالى بمجرَى العادة عند طلوع هذه الكواكب وانتقالها؟ فليُنْعم ببيان ذلك، فإنّ الأنفسَ إليه متشوقة. وكيف نقول: إنّ المنجمين حادسون، مع أنّه لا يفسد من أقوالهم إلا القليل حَتَّى أنهم يخبرون بالكسوف ووقته ومقداره فلا يكون إلاّ على ما أخبروا بـه، فـأيّ فـرق بـين إخبارهم بحصول هذا التأثير في هذا الجسم، وبين حصول تأثيرها في أجسامنا؟

الجواب: اعلم أنّ المنجمين يذهبون إلى أنّ الكواكب تفعـل فـي الأرض ومَـنْ عليها أفعالاً يُسندونها إلى طباعها، وما فيهم أحدٌ يـذهب إلـى أنّ الله تعـالى أجـرى العادة بأن يفعل عند قرب بعضها من بعض أو بعده أفعالاً من غير أن يكون للكواكب أنفسها تأثير في ذلك، ومن ادّعى هذا المذهب الآن منهم فهو قائل بخلاف ما ذهبت القدماء في ذلك، ومتجمِّل بهذا المذهب عند أهل الإسلام، ومتقرب إلـيهم بإظهـاره. وليس هذا بقول أحد ممّن تقدّم.

وكأن الَّذي كان يجوز أن يكـون صـحيحاً- وإن دلّ الـدليل علـى فـساده- لا يذهبون إليه، وإنّما يذهبون إلى المحال الَّذي لا يمكن صحَّته، وقد فـرغ المتكلِّمـون من الكلام في أنّ الكواكب لا يجوز أن تكون فينا فاعلة.

وتكلّمنا نحن أيضاً في مواضع على ذلك، وبيّنّا بطلان الطبـائع للَّـذين يهـذون بذكرها، وإضافة الأفعال إليها، وبيّنّا أنّ الفاعل لا بد أن يكون حيّاً قادراً، وقـد علمنـا أنّ الكواكب ليست بهذه الصفة، فكيف تفعل وما يصحح الأفعال مفقود فيهـا!؟ وقـد سطّر المتكلِّمون طرقاً كثيرة في أنها ليست بحيّة ولا قادرة)، انتهى[(١)].

[ب]- وقال العلاّمة رحمه الله في المنتهى:

---

(١) غرر الفوائد ٢: ٣١٩، رسائل المرتضى ٢: ٣٠١ رسالة رقم ٢٦.

(التنجيم حرام، وكذا تعلُّم النجوم مع اعتقاد أنها مؤثرات أو أنّ لها مدخلاً في التأثير بالنفع والضرر، وبالجملة كلّ من يعتقد ربط الحركات النفسانيّة والطبيعيّة بالحركات الفلكيّة والاتصالات الكوكبيّة كافر، وأخذ الأُجرة على ذلك حرام. أمّا من يتعلّم النجوم وقدر سير الكواكب وبُعدها وأحوالها من التربيع والكسف وغيرها فإنّه لا بأس به) انتهى[١].

ومثله في التحرير و القواعد[٢].

[ج]- وقال الشهيدرحمه الله في القواعد:

(كلّ من اعتقد في الكواكب أنَّها مدبّرة لهذا العالم وموجدة ما فيه فلا ريب كافر، وإن اعتقد أنها تفعل الآثار المنسوبة إليها، والله سبحانه هو المؤثّر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطئ، إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي. وبعض الأشعرية يكفِّرون هذا كما يكفِّرون الأوّل.

قال: وأمّا ما يقال من أنّ إسناد الأفعال إليها كاستناد الإحراق إلى النار وغيرها، ومن العاديّات، بمعنى أنّ الله أجرى عادته أنها إذا كانت على شكل مخصوص، أو وضع مخصوص يفعل ما ينسب إليها، ويكون ربط المسببّات بها كربط مسبِّبات الأدوية والأغذية بها مجازاً، باعتبار الربط العادي لا الفعلي الحقيقي، فهذا لا يكفر معتقده، ولكنَّه مخطئ أيضاً، وإن كان أقل خطأً من الأوّل؛ لأنَّ وقوع هذه الآثار عندنا ليس بدائم ولا أكثري)، انتهى[٣].

[د]- وقال في الدروس:

---

(١) منتهى المطلب ٢: ١٠١٤.

(٢) تحرير الأحكام ١: ١٦١، قواعد الأحكام ٢: ٩.

(٣) القواعد والفوائد ٢: ٣٥.

(ويحرم اعتقاد تأثير النجوم مستقلة، أو بالشركة والإخبار عن الكائنات بسببها. أمّا لو أخبر بجريان العادة أنّ الله تعالى يفعل كذا عند كذا لم يحرم، وإن كره على أنّ العدة فيها لا تطَّرد إلا فيما قلّ، أمّا علم النجوم فقد حرّمه بعض الأصحاب ولعلّه لما فيه من التعرض للمحظور من اعتقاد التأثير، أو لأنّ أحكامه تخمينيّة، وأمّا علم هيئة الأفلاك فليست حراماً، بل ربّما كان مستحبّا لما فيه من اطّلاع على حِكَمِ الله، وعِظَمِ قدرته)، انتهى[١].

[هـ]- وقال المحقِّق الكركي:

(اعلم أنّ التنجيم مع اعتقاد أنّ للنجوم تأثيراً في الموجودات السفلية ولو على جهة المدخلية حرام. وكذا تعلُّم النجوم على هذا الوجه، بل هذا الاعتقاد كفر بنفسه، نعوذ بالله.

أمّا التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرّز عن الكذب فإنّه جائز، فقد ثبت كراهية التزويج وسفر الحج في العقرب وذلك من هذا القبيل، نعم، هو مكروه، ولا ينجرُّ إلى الاعتقاد الفاسد، وقد ورد النهيُّ عنه مطلقاً حسماً للمادة)، انتهى[٢].

[و]- وقال في البحار:

(لا نزاع بين الأمَّة في أنّ من اعتقد أنّ الكواكب هي المدبِّرة لهذا العالم، وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور، فإنّه يكون كافراً على الإطلاق)، انتهى[٣].

---

(١) الدروس ٣: ١٦٥.

(٢) جامع المقاصد ٤: ٣٢.

(٣) بحار الأنوار ٥٦: ٣٠٠.

وقال في موضوع آخر: (بل القول بكونها علّة فاعلية بالإرادة والاختيار ـ وإن توقّف تأثيرها على شرائط أُخر ـ كفرٌ)، انتهى[1].

[ز]- وقال في الوسائل:

(قَدْ صرّح علماؤنا بتحريم علم النجوم والعمل به، وبكفر من اعتقد تأثيرها أو مدخليتها في التأثير، وذكروا أنّ بطلان ذلك من ضروريات الدين)، انتهى[2].

[ح]- وقال شيخنا البهائي رَحِمَهُ الله في رسالته (الحديقة الهلاليّة):

(ما يدّعيه المنجّمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالأجرام العلويّة، إن زعموا أنّ تلك الأجرام هي العلّة المؤثرة في تلك الحوادث بالاستقلال، أو أنها شريكة في التأثير فهذا لا يحل للمسلم اعتقاده. وعلم النجوم المبتني على هذا كفرٌ والعياذ بالله. وعلى هذا يُحمل ما ورد في الحديث من التحذير عن علم النجوم والنهي عن اعتقاد صحّته.

وإن قالوا: إنّ اتصالات تلك الأجرام وما يعرض لها من الأوضاع علامات على بعض هذا العالم ممّا يوجده الله سبحانه بقدرته وإرادته، كما أنّ حركات النبض واختلافات أوضاعه علامات يستدلّ بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصحّة واشتداد المرض ونحو ذلك، وكما يستدل باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبلة، فهذا لا مانع منه، ولا حرج في اعتقاده، وما رُوي من صحّة علم النجوم وجواز نقله محمول على هذا المعنى)، انتهى[3].

---

(١) بحار الأنوار ٥٥: ٣٠٨.

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ١٤١.

(٣) الحديقة الهلالية: ١٣٩.

بل يظهر من ابن أبي الحديد في شرحه أنّ الحكم كذلك عند علماء العامّة أيضاً[١].

[الأخبار الدالة على صحة علم النجوم]

وما أشار إليه شيخنا البهائي رحمه الله من الأخبار الدالة على صحَّة علم النجوم كثيرة منها:

[أ]- ما هو المروي في روضة الكافي عن عبد الرحمن بن سيابة، قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت لك الفداء، إنّ الناس يقولون: إنّ النجوم لا يحل النظر فيها، وهي تعجبني فإن كانت تضرّ بديني فلا حاجة لي في شيء يضرّ بديني، وإن كانت لا تضرّ بديني فو الله إنّي لأشتهيها وأشتهي النظر فيها؟**

فقال عليه السلام: ليس كما يقولون: لا تضرّ بدينك، ثُمَّ قال: إنّكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك وقليله لا ينتفع به، تحسبون على طالع القمر.

ثُمَّ قال: أتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة؟ قلت: لا والله.

قال: أفتدري كم بين الزهرة وبين القمر من دقيقة؟ قلت: لا.

قال: أفتدري كم بين الشمس وبين السكينة من دقيقة؟

قلت: لا والله ما سمعته من أحد من المنجِّمين قطُّ.

فقال: أفتدري كم بين السكينة واللوح المحفوظ من دقيقة؟ قلت: لا، ما سمعته من منجِّم قطُّ.

قال: ما بين كلّ منهما إلى صاحبه ستون دقيقة.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦: ٢٠٠ وما بعدها.

ثُمَّ قال: يا عبد الرحمن هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عرف القصبة التي وسط الأجمة، وعدد ما عن يمينها، وعدد ما عن يسارها، وعدد ما عن خلفها، وعدد ما عن أمامها، حَتَّى لا يخفى عليه من قصب الأجمة واحدة»(١).

قال المجلسي رحمه الله: (تحسبون على طالع القمر: يظهر منه أنّه كان مدار أحكام هؤلاء على حركات القمر وأوضاعه. وكانوا لا يلتفتون إلى أوضاع سائر الكواكب، كم بين المشتري والزهرة، أي بحساب الدرجات والأوضاع الحاصلة من الحركات، أو بعد فلك أحدهما عن الآخر، والأوّل أظهر.

وبين السكينة: هو اسم كوكب غير معروف عند المنجِّمين، له مدخل في الأحكام وفي بعض النسخ السنبلة، والأوّل أنسب بقوله: «ما سمعته من منجِّم»)(٢).

[ب]- وعن محمّد بن يحيى الخثعمي، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم حقّ؟ قال لي: نعم، قلت له: وفي الأرض من يعلمها؟ قال: نعم، وفي الأرض من يعلمها»(٣).

[ج]- وفي المناقب لابن شهر آشوب عن أبي بصير قال: «رأيت رجلاً يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم، فلمَّا خرج من عنده قلت له: هذا علْمٌ له أصل؟ قال له: نعم. قلت: حدثني عنه. قال: أُحدِّثك بالسعد، ولا أُحدِّثك بالنحس، إنّ الله جلّ اسمه فرض صلاة الفجر لأوّل ساعة، فهي فرض وهي

(١) الكافي ٨: ١٩٥ ح ٢٣٣.
(٢) بحار الأنوار ٥٥: ٢٤٢.
(٣) فرج المهموم: ٩١.

سعد، وفرض الظهر لسبع ساعات، وهو فرض وهي سعد، وجعل العصر لتسع ساعات وهو فرض وهي سعد، وجعل المغرب لأوّل ساعة من الليل، وهو فرض وهي سعد، والعتمة لثلاث ساعات، وهو فرض وهي سعد»[١].

بيان: لعلّ غرضه عليه السلام أنّ ذلك العلم له أصل، لكن لا ينبغي لك أن تطلب منه إلاّ بقدر ما تعلم به أوقات الفرائض. أو المعنى: أنّ أوقات الفرائض لها سعادة لوقوع عبادة الله فيها[٢].

[د]- وعن علي عليه السلام: **«من اقتبس علماً من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به إيماناً ويقيناً ثُمَّ تلا: ﴿إنّ في اختلاف الليل والنهار﴾[٣]»**[٤].

[هـ]- وفي ربيع الأبرار: عن ميمون بن مهران: **«إيّاكم والتكذيب بالنجوم، فإنّه علم من علوم النبوّة»**[٥].

[و]- وفيه أيضاً عن علي عليه السلام: **«يكره أن يسافر الرجل أو يتزوّج في محاق الشهر، وإذا كان القمر بالعقرب»**[٦].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٧٧.

(٢) بحار الأنوار ٥٥: ٢٥٠.

(٣) سورة يونس: من آية ٦.

(٤) فرج المهموم: ١١٢.

(٥) ربيع الأبرار ١: ١٠٠ ح٧٤، عنه فرج المهموم: ١١٢.

(٦) ربيع الأبرار ١: ١٠٠ ح٧٥، عنه فرج المهموم: ١١٢.

[ز]- وذكر الخطيب في تاريخ بغداد حديثاً أسنده إلى تميم بن الحارث، عن أبيه، عن علي عليه السلام: «أنّه يكره أن يتزوّج الرجل أو يسافر إذا كان القمر في محاق الشهر، أو العقرب»(١).

[ح]- وفي ربيع الأبرار أيضاً، فيما رواه عن مولانا علي عليه السلام، ويُروى أنّ رجلاً قال له: «إني أُريد الخروج في تجارة لي وذلك في محاق الشهر، فقال: أتريد أن يمحق الله تجارتك، تستقبل هلال الشهر بالخروج»(٢).

[ط]- وفيه: (كان علماء بني إسرائيل يسترون من العلوم علمين: علم النجوم، وعلم الطب. فلا يعلّمونهما أولادهم؛ لحاجة الملوك إليهما؛ لئلا يكونا سبباً في صحبة الملوك والدنو منهم، فيضمحل دينهم)(٣).

[ي]- وروى عبد الله بن الصلت في كتاب التواقيع - من أُصول الأخبار- أنّه: كتب مصقلة بن إسحاق إلى عليّ بن جعفر عليه السلام رقعة يُعلمه فيها أنّ المنجِّم كتب ميلاده، ووقّت عمره وقتاً، وقد قارب ذلك الوقت وخاف على نفسه، فأحبّ أن يسأله أن يدلّه على عملٍ يعمله يتقرّب به إلى الله عزَّ وجلَّ. فأمره بما يقدر عليه من الصيام وصلاة الليل والاستغفار، وقراءة القرآن وأن يجعل أبواباً في الصدقة والعتق(٤).

---

(١) تاريخ بغداد ٧: ٣٠٧ رقم ٣٨٠٥ في ترجمة الحسن بن الحسين النحوي، عنه فرج المهموم: ١١٣.

(٢) ربيع الأبرار ١: ١٠٠ ح٧٥، عنه فرج المهموم: ١١٣.

(٣) ربيع الأبرار ١: ١٠٢ ح٧٩، عنه فرج المهموم: ١١٣.

(٤) فأمره: أي إمام زمانه موسى بن جعفر عليه السلام بعد إيصال الرقعة إليه من قبل أخيه علي بن جعفر عليه السلام، والحديث أورده المؤلِف مختصراً وهو في: مسائل علي بن جعفر عليه السلام: ٣٤٦ ح٨٦٤، فرج المهموم: ١١٤، عنه بحار الأنوار ٥٥: ٢٥٥ح ٤٦.

[ك]- وروى محمّد بن خالد البرقي في (قصص الأنبياء)، فقال ما هذا لفظه: (عبد الله بن سنان، عن عمّار بن أبي معاوية، قال: وفُتحت مدائن الشام على يد يوشع بن نون حين انتهى إلى البلقاء، فوجد فيها رجلاً يقال له: بالق - به سمّيت البلقاء- فجعلوا يخرجون يقاتلونه فلا يقتل منهم رجلاً، فسأل ذلك فقيل: إنّ في مدينته امرأة منجِّمة تستقبل الشمس بفرجها، ثُمَّ تحسب، ثُمَّ يعرض عليها الخيل فلا يخرج يومئذ رجل حضر أجله.

فصلّى يوشع بن نون ركعتين ودعا ربّه أن يؤخر الشمس، فاضطرب عليها الحساب. فقالت لبالق: انظر ما يعرضون عليك فأعطهم، فإنّ حسابي قَدْ اختلط عليَّ، قال: فتصفحي الخيل فاخرجي فإنّه لا يكون إلاّ بقتال.

قال: فتصفحت وأخرجت فقتلوا قتلاً لم يقتله قوم، فسألوا يوشع الصلح فأبى حتّى يدفع إليه المرأة، فأبى بالق أن يدفعها.

فقالت: ادفعني إليه، فصالحها ودفعها إليه.

فقالت: هل تجد فيما أوحي إلى صاحبك قتل النساء؟

قال: لا، قالت: أليس إنّما تدعوني إلى دينك؟

قال: بلى، قالت: فإنّي دخلت في دينك)[1].

هذا آخر لفظه في حديثه، والمراد باستقبال الشمس بالفرج: المواجهة لها؛ لتعلم مقدار حركتها وهي عبارة شائعة.

---

١) فرج المهموم: ١٤٣ وفيه: (عمار بن معاوية)، عنه بحار الأنوار ٥٥: ٢٥٦ح ٤٧، ورواه الراوندي بسند عن ابن بابويه في قصص الأنبياء: ١٧٦ ح ٢٠١.

فهذا جملة ما اطلعنا عليه من الأخبار التي تدلّ على صحَّة علم النجوم وجواز التنجيم. وأنت خبير بوجه الجمع بين هذه وما تقدّم من الأخبار المانعة بحمل ما دل منها على المنع على ما ذكرناه واخترنا حرمته من معنى التنجيم في صدر العنوان ممَّا يرجع محصله إلى إنكار الصانع أو تعطيله عن التصرف، وتفويض التدبير إلى الحركات الفلكيّة وغير ذلك ممَّا علم من الدين ضرورة أو أنها تفعل الآثار المنسوبة إليها والله سبحانه هو المؤثر الأعظم، ومحصّله أن الكواكب فاعلة مختارة باختيار هو عين اختيار الله وإرادته، صادرة عن أمره كالآلة بزيادة الشعور وقيام الاختيار بها، بحيث يصدق أنّ الفعل فعلها وفعل الله، فإنّ ظاهر أكثر العبارات التي قدّمنا ذكرها أيضاً تعطي بكفر من يدّعي ذلك ـ وإن كان الأقوى عندي عدمه تبعاً لشيخنا الشهيد رحمه الله في القواعد كما تقدّمت الإشارة إليه في عبارته ـ وكذلك العلاّمة الأنصاري في مكاسبه؛ لأنّ القدر المتيَّقن الَّذي قامت به الضرورة عدم نسبة الخلق والرزق والإحياء والإماتة وغيرها إلى غير الله من فاعل مختار باختيار مستقل كما هو ظاهر قول المفوّضة.

وأمّا استنادها إلى الفاعل بإرادة الله المختار بعين مشيّته واختياره حَتَّى يكون كالآلة بزيادة الشعور وقيام الاختياريّة، بحيث يصدق أنّه فعله وفعل الله فلا؛ إذ المخالف للضرورة إنكار نسبة الفعل إلى الله تعالى على وجه الحقيقة، لا إثباته لغيره أيضاً بحيث يصدق أنّه فعله ولو مجازاً.

نعم، لا دليل على ذلك فالقول به تخرّص ونسبة فعل الله إلى غيره بلا دليل وهو قبيح ومحرّم، أو حملها على من يدّعي كون الكواكب كالآلة من غير شعور فيها، لكنها مجبولة على الحركة طبق اختيار الصانع جلّت قدرته. فمن جهة

كونها كالآلة تستند إليها آثارها، وظاهر كلمات كثير ممّن تقدّم كون هذا الاعتقاد كفراً، وشيخنا الشهيد رحمه الله فيما تقدّم من عبارته صرّح بعدمه وهو الأقوى؛ لعدم ثبوت كون ذلك مخالفاً لضرورة الدين؛ إذ ليس المراد منه العليّة التامّة التي استقرت الضرورة من الدين على بطلانه.

فالقول به بلا دليل حرام، والقائل به مخطئ، وحمل ما دلّ فيها على الجواز على صورة دعوى ربط الحركات بالحوادث من قبيل ربط الكاشف بالمكشوف، على وجه تكون الحركات علامات ودلالات على الحوادث.

والظاهر أنّ هذا الاعتقاد لم يكن كفراً كما صرّح به العلاّمة الأنصاري رحمه الله أيضاً، وقبله شيخنا البهائي؛ إذ لا مانع ولا حرج فيه، بل الظاهر من العلاّمة رحمه الله خروجه من مورد طعن العلماء على المنجّمين. ففي البحار نقلاً عن شرح فصّ الياقوت للعلاّمة والمتن للشيخ إبراهيم بن نوبخت، أنّه قال: (**اختلف قول المنجِّمين على قولين: أحدهما قول من يقول: إنها حيّة مختارة. الثاني: قول من يقول: إنها موجبة. والقولان باطلان**). انتهى[1].

وهذه العبارة ظاهرة بأن مورد الطعن على المنجّمين منحصر في فريقين كلاهما قائلان بكون النجوم فاعلة، غاية ما هناك أنّ أحدهما يقول: بكونها فاعلة مختارة، والآخر يقول: بكونها فاعلة موجبة. وعلى هذا فيخرج القائل بكونها علامات عن زمرة المنجِّمين.

هذا تمام الكلام فيما يتعلّق بفقه المسألة، والله الموفّق للصواب.

---

(١) بحار الأنوار ٥٥: ٢٨١.

كروية الأرض

الأمر الثالث: إنّ الأفلاك كلّها كرويّة الأشكال، صحيحة الاستدارة تحديباً وتقعيراً؛ لعدم المانع منها على أُصولهم، وهذه الكرات يحيط بعضها ببعض، والأرض ساكنة في الوسط بحيث ينطبق حجمها على مركز العالم؛ لثقلها المطلق.

والّذين أنكروا كرويّة الأرض فقد أنكروا تحقُّقها، ولم نطّلع على شبهة في ذلك فضلاً عن دليل، والدلائل المذكورة في المجسطي[1] وغيره شاهدة بكرويَّتها، وقد يتوهم أنّ القول بكرويَّتها خلاف ما عليه أهل الشرع، وربّما استند بعض الآيات الكريمة كقوله: ﴿الّذي جعل لكم الأرض فراشا﴾[2]، وقوله جلّ شأنه: ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾[3]، ولا دلالة في شيء منها على ما ينافي الكرويّة، والمفسّرون من العامّة والخاصة متفقون على كرويّة الأرض، بل ذهب إليه غير واحد من الفقهاء[4].

قال صاحب الكشّاف في تفسير الآية الأُولى: (**فإن قلت: هل فيه دليل على أنّ الأرض مسطّحة وليست بكرويّة؟ قلت: ليس فيه إلاّ أنّ الناس يفترشون على الأرض كما يفعلون بالمفارش، وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع؛ لعظم حجمها، واتّساع جرمها، وتباعد أطرافها،**

---

(١) معجم البلدان ١: ٢٠.

(٢) سورة البقرة: من آية ٢٢.

(٣) سورة الغاشية: ٢٠.

(٤) ينظر في إثبات كرويتها: بحار الأنوار ٥٧: ٩٥، البيان في تفسير القرآن: ٧٤، وغيرها من المصادر.

وإذا كان سهلاً في الجبل - وهو وتد من أوتاد الأرض- فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل)، انتهى[١].

وقال الفخر الرازي: (ومن الناس من زعم أنّ الشرط في كون الأرض فراشاً أن لا تكون كرة، فاستدل بهذه الآية على أنّ الأرض ليست كرة، هذا بعيد جداً؛ لأنّ الكرة إذا عظمت جداً كانت كل قطعة منها كالسطح). انتهى[٢].

وكيف يتوهَّم متوهِّم أنّ القول بكرويّة الأرض خلاف ما عليه أهل الشرع، وقد ذهب إليه كثير من علمائنا، وممَّن قال به صريحاً من فقهائنا: العلاّمة وولده فخر الدين.

قال العلاّمة في التذكرة: (إنّ الأرض كرة، فجاز أن يُرى الهلال في بلد ولا يظهر في آخر؛ لأنّ حدبة الأرض مانعة لرؤيته. وقد رصد ذلك أهل المعرفة، وشوهد بالعيان خفاء بعض الكواكب الغربية لمن جدَّ في السير نحو المشرق وبالعكس)، انتهى[٣].

وقال فخر المحقّقين في الإيضاح: (الأقرب أنّ الأرض كرويّة؛ لأنّ الكواكب تطلع في المساكن الشرقية قبل طلوعها في المساكن الغربية، وكذا في الغروب فكلّ بلد غربي بَعُدَ عن الشرقي بألف ميل، يتأخَّر غروبه عن غروب الشرقي بساعة واحدة. وإنّما عرفنا ذلك بأرصاد الكسوفات القمرية حيث ابتدأت في ساعة أقل من ساعات بلدنا في المساكن الغربية، وأكثر من ساعات بلدنا في المساكن الشرقية. فعرفنا أنّ

---

(١) الكشّاف عن حقائق التنزيل ١: ٢٣٤، بتفاوت يسير.

(٢) تفسير الرازي ٢: ١٠٤.

(٣) تذكرة الفقهاء ١: ٢٦٩.

غروب الشمس في المساكن الشرقية قبل غروبها في بلدنا، وغروبها في المساكن الغربية بعد غروبها في بلدنا. ولو كانت الأرض مسطحة لكان الطلوع والغروب في جميع المواضع في وقت واحد، ولأنّ السائر على خط من خطوط نصف النهار إلى الجانب الشمالي يزداد عليه ارتفاع القطب الشمالي وانخفاض الجنوبي وبالعكس). انتهى كلامه[1].

وهو خلاصة ما ذكره المجسطي وغيره في هذا الباب، ولا يخفى أنّ قوله رحمه الله: «**لأن السائر... إلى آخره**» من تتمة الدليل؛ لأنّ اختلاف المطالع والمغارب لايستلزم كرويّة الأرض، بل استدارتها فيما بين الخافقين فقط، فيتحقّق لو كانت اسطوانية الشكل ـ مثلاً ـ كما لا يخفى.

---

(١) إيضاح الفوائد ١: ٢٥٢.

آية: ﴿ومن يؤت الحكمة...﴾

[٤٩]- قال رحمه الله: «الثالث: قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فُسِّرت الحكمة بما يرجع إلى العلم»[١].

أقول: الآية واقعة في سورة البقرة[٢].

الإعراب

[أ]- بناء على قراءة (يُؤْتَ)[٣] بضم الياء وفتح التاء وهي قراءة [العشرة] ما عدا يعقوب من القرّاء[٤].

من: جازمة تجزم فعلين، أحدهما شرط والآخر جزاء، وهي اسم في محل الرفع بالابتداء.

يؤت: فعل مضارع مبني للمفعول مجزوم بـ(من)، وعلامة جزمه حذف حرف العلّة؛ لأنّ أصله يؤتى بالألف، كـ: يحيى، ونائب فاعله مستتر فيه يعود إلى (من).

والحكمة: مفعول ثاني منصوب بالفتحة.

---

(١) معالم الدين: ٩.

(٢) سورة البقرة: من آية ٢٦٩.

(٣) قرأ الجمهور (يُؤتَ) مبنياً للمفعول الَّذي لم يُسمّ فاعله. (ينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ٤٥٧، والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٣١، والبحر المحيط: ٢/ ٣٢٠، والدر المصون: ١/ ٦٤٨، ومعجم القراءات القرآنية: ١: ٣٩١).

(٤) التبيان ٢: ٣٤٨، مجمع البيان ٢: ١٩٣، ومابين المعقوفين من المصدر.

فقد: الفاء رابطة بين الجزاء والشرط، كما هي القاعدة في كلّ جزاء يمتنع جعله شرطاً، فإنّ الفاء لازمة له، وخصّت بذلك بما فيها من معنى السببية، ولمناسبتها للجزاء معنى، حيث إنّ معناها التعقيب من غير فصل، كما أنّ الجزاء يتعقّب الشرط وهذا ضابط حسن في ضبط ما يدخله الفاء، وقد صرّح بذلك ابن مالك في الألفية، حيث قال:

وَاقْرُنْ بِفَا حَتْماً جَوَاباً لَوْ جُعِلْ   شَرْطاً لإنْ أَوْ غَيْرِهَا لَمْ يَنْجَعِلْ[1]

قال أبو حيّان: (وهو أحسن وأقرب ممّا ذهب إليه بعض أصحابنا من تعداد ما يدخله الفاء). انتهى.

وقد عدّدنا المواضع المذكورة في شرحنا أسرار العارفين[2].

قد: حرف تحقيق.

أوتي: فعل ماض مجهول مبني على الفتح في محل الجزم على الجزائية[3] لفعل الشرط المتقدم، والضمير المستتر مفعول أول نائب عن الفاعل.

وخيراً: مفعول ثاني منصوب بالفتحة.

كثيراً: منصوب على أن يكون صفة له وهذه الجملة في محل الرفع على الخبرية، ولا ينافي كون محلها مجزوماً على الجزائية؛ إذ يكون لمحلّ الجملة

---

(١) ألفية ابن مالك: ٧٠٢.

(٢) أسرار العارفين: ٢٩٤.

(٣) كذا ظاهر العبارة، وليس بصحيح؛ لأنّ الجملة مقرونة بالفاء يحكم لموضعها بالجزم لا الفعل وحده صرَّح به ابن هشام في المغني، فتنبه. (السيد محمد الطباطبائي)

إعرابان باعتبارين. ونظيره قولك: مررت بالَّذي أكرمك. فإنّ الموصول في محل الجر بالباء، وفي محل نصب على المفعولية للفعل الَّذي قبله.

[ب]- وبناء على القراءة بكسر التاء[1] فهو مبني للفاعل، والمعنى: (ومن يؤته الله الحكمة)، ففاعل (يؤت) الضمير المستكن فيه العائد إلى الله.

ومَن: في موضع نصب بـ(يؤت).

ويؤتِ: مجزوم بـ(من)، وعلامة جزمه حذف آخره، أعني: الياء، فإنّ أصله يؤتي بالياء، كـ: يرمي، فحذفت بالجزم فقد عمل فيما عمل فيه.

وقوله رحمه الله: «فسرت الحكمة بما يرجع إلى العلم» إشارة إلى ما ذكره الطبرسي في تفسيره من وجوه معنى الحكمة.

قيل: إنّه علم القرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، مقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وقيل: هو الإصابة في القول والفعل.

وقيل: إنّه علم الدين.

وقيل: هو النبوَّة.

وقيل: هو المعرفة بالله.

وقيل: هو الفهم والعقل، كما فسّرت بذلك في الرواية قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾[1].

---

(١) قرأ الزهري ويعقوب والأعمش والوليد بن حسان (يؤتِ) بكسر التاء في حال الوصل مبنياً للفاعل. (ينظر: مختصر ابن خالويه: ١٧، والمحتسب: ١/ ١٤٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٣٥/٢، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١٦٤، ومعجم القراءات: ١/ ٣٩١) .

وقيل: هو القرآن والفقه، كما هو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام.

وقيل: هو العلم الَّذي تعظم منفعته وتجلّ فائدته.

وقيل: هو ما أتاه الله أنبياءه وأُممهم من كتابه وآياته ودلالاته التي يدلّهم بها على معرفة به وبدينه. وإنّما قيل للعلم حكمة؛ لأنّه يمنع به عن القبيح؛ لما فيه من الدعاء إلى الحسن والزجر عن القبيح.

ويُروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«إنّ الله قَدْ آتاني القرآن، وآتاني من الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلاّ كان خراباً. ألا فتفقّهوا، وتعلّموا فلا تموتوا جهّالا»**[٢].

ومن حيث كون مآل الحكمة المصير إلى السعادة الأبدية، صار خيراً كثيراً.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية، قال: **«طاعة الله ومعرفة الإمام عليه السلام»**[٣]، وهذا القول منه عليه السلام إشارة إلى أنّ الحكمة النظرية والعملية هما خروج النفس من القوّة والاستعداد إلى حقيقة العلم؛ لأنّ معرفة الإمام إشارة إجمالية إلى معرفته على ما ينبغي، ومعرفة الرسول وما جاء به، ومعرفة الله وما يليق به، وهذه المعارف عبارة عن الحكمة النظرية، وطاعة الله إشارة إلى تخلية الظاهر والباطن عن الرذائل، وتحليتها بالفضائل، وهذه هي الحكمة العمليّة.

ويرجع إلى هذا التفسير قول القاضي هي: تحقيق العلم والعمل.

---

(١) سورة لقمان: من آية ١٢.

(٢) مجمع البيان ٢: ١٩٤.

(٣) الكافي ١: ١٨٥ح ١١.

وقول صاحب الكشّاف: هي العلم والعمل به، والحكيم عند الله هو العالم العامل.

وقول المازري: (هو العلم النافع المصحوب بإنارة البصيرة وتهذيب النفس).

وقول ابن دريد: (هي كلّ ما يؤدي إلى مكرمة، ويمنع من قبيح)[1].

وعن الصادق عليه السلام أيضاً: «معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار»[2].

والقمّي قال: (الخير الكثير معرفة أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام)[3].

وفي مصباح الشريعة، عنه عليه السلام: (الحكمة ضياء المعرفة، وميزان التقوى، وثمرة الصدق، ولو قلت: ما أنعم الله على عبدٍ بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة للقلب، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[4]، أي: لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلا من استخلصته لنفسي، وخصصته بها، والحكمة: هي الكتابة، وصفة الحكيم: الثبات عند أوائل الأُمور، والوقوف عند عواقبها وهو هادي خلق الله إلى الله)[5].

وفي الكافي عن النبي صلى الله عليه وآله: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ لقيه ركب، فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون

---

(١) شرح أُصول الكافي ١: ١٣٦.

(٢) الكافي ٢: ٢٨٤ ح ٢٠.

(٣) تفسير القمي ١: ٩٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٥) مصباح الشريعة: ١٩٨.

يارسول الله، قال: فما حقيقة إيمانكم.

قالوا: الرضا بقضاء الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين، فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الَّذي إليه ترجعون»[١].

وقال الشيخ البهائي رحمه الله: (الحكمة هي ما يتضمَّن صلاح النشأتين، أو صلاح النشأة الأُخرى، وأمّا ما يتضمَّن صلاح الحال في الدنيا فقط فليس من الحكمة في شيء)، انتهى[٢].

والمعنى العام لكلّ ذلك هو: أنّ الحكمة عبارة عن تحقيق العلم وإتقان العمل.

خيراً كثيراً: التنكير للتعظيم والتكثير جميعاً، والوصف بالكثرة للمبالغة والتأكيد، وكثرته باعتبار اشتماله على خير الدنيا والآخرة. وفيه دلالة على كمال العلم وعلو منزلته وعموم فوائده، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[٣] لأنّ قلَّته بالنسبة إلى علم الواجب لا ينافي كثرته بالنظر إلى ذاته، ومدة بقائه وبقاء السعادة اللازمة له[٤].

---

(١) الكافي ٢: ٥٣ ح١.

(٢) شرح أُصول الكافي للمازندراني ١: ١٢٦.

(٣) سورة الإسراء: من آية ٨٥

(٤) شرح أُصول الكافي للمازندراني ١: ١٣٧.

آية: ﴿هل يستوي الذين يعلمون...﴾

[٥٠]- قال رَحِمَهُ اللهُ: «الرابع: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾»[١].

أقول: الآية واقعة في سورة الزمر[٢].

الإعراب

هل: حرف استفهام لا محل لها من الإعراب مبنية على السكون، والاستفهام للإنكار.

يستوي: فعل مضارع مرفوع لتجرُّده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء حذفت؛ لثقلها.

الَّذين: اسم موصول في محل الرفع على الفاعلية.

يعلمون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون في آخره؛ لكونه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة صلة الموصول.

والَّذين: الواو عاطفة.

الَّذين: اسم موصول.

لا: نافية.

يعلمون: فعل مضارع مع فاعله الَّذي هو عائد صلة الموصول.

---

(١) معالم الدين: ٩.

(٢) سورة الزمر: من آية ٩.

المعنى: الَّذين يعلمون هم القانتون الموصوفون بالصفات المحمودة المذكورة فيما قبلها.

أي: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[١]، والَّذين لا يعلمون هم: التاركون لتلك الصفات.

وهذه الآية على هذا التفسير بيان للسابق، وإشارة إلى[أنّ] منشأ تلك الصفات هو العلم، ومنشأ عدمها هو الجهل. وتنبيه على شرف العلم وفضله، وفضل العلماء على الجهّال، ونفي استواء الفريقين باعتبار القوّة العلمية، كما أنّ السابق نفي لاستوائها باعتبار القوّة العملية للإشعار بأنّ الحقيقة الإنسانية إنّما تتسم بالنباهة والجلال، وتتصف بالفضيلة والكمال باعتبار العلم والعمل. فمن لم يتصف بهما ليس له من وصف الإنسانية إلاّ الاسم، ولا من حقيقتها إلاّ الرسم. وإنّما أُخّر العلمُ عن العمل مع أنّه تابع له متوقّف عليه للتنبيه على أنّ العمل هو الغرض الأصلي من العلم، حَتَّى أنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه كانت الحجّة عليه أعظم، والحسرة عليه أدوم.

ثمّ بين عزَّ وجلَّ: أنّ هذا التفاوت العظيم بين العالم والجاهل، وبين القانت وغيره، لا يعرفه إلاّ ذوو العقول الكاملة عن غواشي الأوهام؛ لأنَّهم القادرون على التمييز بين الحقّ والباطل بما لهم من بصيرة عقليّة وقوة روحانية، دون غيرهم ممن كان على بصرهم غشاوة، وفي صفحات قلوبهم قساوة[٢].

---

(١) سورة الزمر: من آية ٩.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ١: ١٤١.

ولفظة (إنّما) تفيد إثبات الشيء الَّذي يذكر بعدها ونفي ما عداه على نحو قول الشاعر:

وإنّما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي[(١)]

وإنّما: كانت لإثبات الشيء ونفي ما سواه من جهة أنَّ (إنّ) لمّا كانت للتوكيد، وانضاف إليها (ما) للتوكيد أيضاً، أكَّدت (إنّ) من جهة التحقيق للشيء، وأكَّدت (ما) من جهة نفي ما عداه، فإذا قلت: إنّما أنا بشر. فكأنّك قلت: ما أنا إلاّ بشر. وفي هذا التفسير دلالة على شرف العلم ومزيّته[(٢)].

آية: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾

[٥١]- قال ﵀: «الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾»[(٣)].

أقول: الآية واقعة في سورة الملائكة[(٤)].

الإعراب

إنّما: كاف ومكفوف جيء بها لإفادة الحصر.

يخشى: فعل مضارع مرفوع للتجرد وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف.

الله: مفعول منصوب بفتحة ظاهرة.

من عباده: جار ومجرور وعلامة جره كسرة ظاهرة متعلق بـ(يخشى).

العلماء: فاعل لـ(يخشى). وتقرأ الآية:

---

(١) ينظر: ديوان الفرزدق ٢: ٧١٢، ورواية الصدر فيه: أنا الضامن الراعي عليهم وإنّما.

(٢) مجمع البيان ١: ٤٧٥.

(٣) معالم الدين: ٩.

(٤) سورة فاطر: من آية ٢٨، وسورة الملائكة اسم من أسماء هذه السورة المباركة.

[أ]- برفع الله ونصب العلماء، على معنى: (إنما يعظم الله من عباده العلماء)، كما هو المحكى عن عمر بن عبد العزيز، وأبي حنيفة[١].

[ب]- والمعنى على القراءة المشهورة: أنّه ليس يخافه حق خوفه، ولا يحذر معاصيه خوفاً من نقمته إلاّ العلماء الَّذين يعرفونه حقّ معرفته.

وفي مجمع البيان: أنّه رُوي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «**يعني بالعلماء من صدق قوله فعله، ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم**».

وعن ابن عبَّاس، قال: (يريد: إنّما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّتي وسلطاني).

وفي الحديث أيضاً: «**أعلمكم بالله أخوفكم لله**».

قال مسروق: (كفى بالمرء علماً أنْ يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه).

وإنّما خصّ سبحانه العلماء بالخشية؛ لأنَّ العالم أحذر لعقاب الله من الجاهل، حيث يختصُّ بمعرفة التوحيد والعدل ويصدّق بالبعث، والحساب، والجنّة، والنار.

ومتى قيل: فقد نرى من العلماء من لا يخاف الله، ويرتكب المعاصي.

فالجواب: إنّه لا بد من أن يخافه مع العلم به، وإن كان ربّما يؤثر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللَّذة[١].

---

(١) تفسير القرطبي ١٤: ٣٤٤، وقرأ بذلك أيضاً أبو حيوة. (ينظر: الكشّاف ٥٧٧/٢، وتفسير الرازي ٢١/٢٦، والبحر المحيط ٣١٢/٧، والنشر في القراءات العشر ١٦/١، والاتحاف: ٧٠، ٢٠٥).

وفي الكافي عن السجاد عليه السلام: «وما العلم بالله والعمل إلا إلفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه، وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله. وإنّ أرباب العلم وأتباعهم الّذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه، وقد قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾»(٢).

وعن الصادق عليه السلام: «إنّ من العبادة شدّة الخوف من الله- ثُمَّ تلا هذه الآية»(٣).

وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام: «ودليل الخشية التعظيم لله تعالى، والتمسُّك بخالص الطاعة في أوامره، والخوف والحذر مع الوقوف عن محارمه، ودليلها العلم - ثُمَّ تلا هذه الآية»(٤).

وقال جدّي الفاضل الصالح فيما يتعلّق بالآية: (ذكر الله تعالى أوّلاً شيئاً من عجائب مخلوقاته، وغرائب مخترعاته من إنزال الماء، وإحياء الأموات، وإيجاد الثمرات، وغيرها من اختلاف ألوان الجبال، والناس، والدواب، والأنعام. ثُمَّ عقبها بهذه الآية الشريفة تنبيهاً على أنّه لا يصلح للنظر في دلائل وحدته، والمشاهدة لبراهين معرفته، والقيام بأداء طاعته وعبادته إلاّ العالمون، لا يخشاه إلاّ الراسخون في

---

(١) مجمع البيان ٨: ٢٤٢، فائدة: ذكر الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٥٢، ما نصّه: «أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، أخبرنا أبو بكر الجرجرائي، حدّثنا أبو أحمد البصري، حدّثنا أحمد بن موسى الأزرق، حدّثنا محمّد بن هلال، حدّثنا نائل بن نجيح، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال: يعني علياً كان يخشى الله ويراقبه».

(٢) الكافي ٨: ١٦ ح٢.

(٣) الكافي ٢: ٦٩ح ٧.

(٤) مصباح الشريعة: ٢٢.

العلم، كما لا يخشى السلطان إلاّ المقربون، لأن الخشية على حسب العلم بالله، وبنعوت كماله، وصفات جلاله. وكلّما كان العلم به أقوى كانت الخشية له أشد كما رُوي: «إنّ أعلمَكُم بالله أشدُّكُم خشيةً له».

وفي تقديم المفعول دلالة على أنّ الّذين يخشون من بين عباده هم العلماء دون غيرهم. ولو أخّر لكان المفاد أنّ العلماء لا يخشون إلاّ الله، وهذا أيضاً صحيح. إلاّ أنّ في الأوّل من المبالغة في مدح العلم ما ليس في الثاني)، انتهى[1].

ولذا قالعليه السلام: «يعني بالعلماء من صدَّق قولُه فعلَه»، فإنّ هذا التصديق من آثار العلم والخشية ولوازمهما، لأنّ العلم إذا صار ملكة راسخة في النفس مستقرة فيها صارت النفس نوراً إلهياً، وضوءاً ربانياً، تنقاد لها القوّة الشهوانيّة والغضبيّة وسائر القوى الحيوانية، وينقطع عنها الهوى والوساوس الشيطانيّة، فترى بنورها عالم الكبرياء والجلال والعظمة الإلهيّة، فيحصل لها من مشاهدة ذلك خوف وخشية وهيبة موجبة للعمل له، والجدّ في العبادة، وغاية الخضوع، وعدم الإهمال بشيء من أنحاء التعظيم، ويخاف أن يأمر بشيء ولا يعمل به، لأنّ ذلك إثم وخيانة ونفاق، فيكون فعله مُصدِّقاً لقوله قطعاً[2].

وربّما يُفرق به الخوف والخشية بما يناسب الآية من تخصيصها بالعلماء، من أنّ الخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحقّ وهيبته وخوف الحجب عنه. وهذه حالة لا تحصل إلاّ لمن اطّلع على حال الكبرياء، وذاق لذّة القرب، بخلاف الخوف، فإنّه تألم من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المعصية والتقصير في

(١) شرح أُصول الكافي للمازندراني ٢: ٦٧.

(٢) شرح أُصول الكافي للمازندراني ٢: ٦٨.

الطاعة، وهو يحصل لأكثر الخلق، وإن كانت مراتبه متفاوتة، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للأوحدي من الناس[1].

آية: ﴿شهد الله أنه لا إله...﴾

[٥٢]- قال رحمه الله: «السادس: قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾»[2].

أقول: الآية واقعة في أوائل سورة آل عمران[3].

الإعراب

شهد: فعل ماضٍ مبني على الفتح.

الله: فاعل مرفوع بضمّة ظاهرة.

أنه: من الحروف المشبّهة مع اسمها.

لا: نافية للجنس.

إله: اسمها مبني على الفتح لتركُّبه مع (لا)، وخبرها محذوف تقديره موجود، أو ممكن.

إلا: حرف استثناء.

هو: مستثنى منصوب محله على الاستثنائية، والجملة أعني الأداة مع المستثنى في محل الرفع على الخبرية لـ (أنّ)[1].

---

(١) أوصاف الأشراف: ٦٤، عنه بحار الأنوار ٦٧: ٣٦٠.

(٢) معالم الدين: ٩.

(٣) سورة آل عمران: من آية ١٨.

والملائكة: عطف على الفاعل.

وأُولو العلم: عطف عليه أيضاً، وهو مضاف ومضاف إليه.

المعنى: شُبّهت دلالته على وحدانيته بالأفعال والآيات بشهادة الشاهد، ووجه الشبه البيان والكشف؛ لأنّ الدلالة مبيّنة للدعوى كاشفة عن صحّتها كالشهادة. كذلك شبه إقرار الملائكة وأُولي العلم بذلك- أي: بالتوحيد- واحتجاجهم عليه بالشهادة، ثُمَّ استعمل (شهد) بدل (دلّ) و(أقرّ) فهي استعارة مصرَّحة تبعية[٢].

وتضمنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلماء؛ لأنه تعالى قرن العلماء بالملائكة، وشهادتهم بشهادة الملائكة، وخصّهم بالذكر كأنّه لم يعتقد بغيرهم.

آية: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله...﴾

[٥٣]- قال رَحِمَهُ اللهُ: «السابع: قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾»[٣].

---

(١) قَدْ ذكر رَحِمَهُ اللهُ أن الخبر محذوف، فما معنى الجملة في محل الرفع على الخبرية؟ ثُمَّ إنّ قوله: (هو مستثنى منصوب محله على الاستثنائية، والجملة ـ أعني الأداة ـ مع المستثنى في محل الرفع) تضمَّن أخطاء فاحشة، وخلطاً شنيعاً، لا يقرره نحوي، فليحرر. (السيد محمد الطباطبائي)

(٢) الاستعارة المصرحة هي التي يُصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه، وأمّا المصرحة التبعية فيكون فيها اللفظ المستعار فعلاً أو اسم فعل أو اسماً مشتقاً أو حرفاً أو اسماً مبهماً، ينظر جواهر البلاغة: ١٨٦، ١٨٩-١٩٠.

(٣) معالم الدين: ١٠.

أقول: الآية واقعة في أوّل سورة آل عمران، وأوّلها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِين فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾[1].

الإعراب

ما: نافية غير عاملة لدخولها على الفعل.

يعلم: فعل مضارع مرفوع لتجرُّده، وعلامة رفعه ضمٌّ آخره، والفاعل مستتر فيه تقديره أحد[2].

تأويله: مضاف ومضاف إليه مفعول ليعلم.

إلاّ: حرف استثناء.

الله: مستثنى من الفاعل المستتر- أعني: أحد فهو مستثنى مفرّغ- وإعرابه بحسب ما يقتضيه العامل وهو الرفع.

والراسخون: معطوف على الله على معنى أنّ تأويل المتشابه لا يعلمه إلاّ الله والراسخون في العلم، وقيل: إنّ الواو للاستئناف، فعلى هذا يكون المتشابه لا يعلمه إلاّ الله تعالى، والوقف عند قوله: ﴿إلّا الله﴾ فتكون جملة ﴿والراسخون في العلم﴾، وما بعدها مبتدأ وخبر.

---

(١) سورة آل عمران: من آية ٧.

(٢) الصحيح أن يقال: الفاعل هو ما بعد إلا؛ لأنَّ الاستثناء مفرغ، فهو بحسب موقعه من الإعراب. (السيد محمد الطباطبائي)

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام، قال: «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله»[١].

[تفسير المحكم والمتشابه]

ثمّ اختلف في تفسير المحكم والمتشابه، قال الشيخ البهائي رحمه الله في شرح الأربعين: (المحكم في اللُّغة: هو المضبوط المتقن، ويُطلق في الاصطلاح على ما اتّضح معناه، وظهر لكلّ عارف باللُّغة مغزاه، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما معاً، وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلاّ وجهاً واحداً ويقابله بكلّ واحد من هذه المعاني المتشابهة)[٢].

ثمّ قال [جدّي الفاضل الصالح بعد إيراد الكلام المتقدِّم][٣]: (والمعنى الأوّل وهو أنّ المحكم ما اتّضح معناه وانتفى عنه الاشتباه، والمتشابه نقيضه، رجّحه الغزالي؛ لأنّ المحكم اسم مفعول من أحكم، والإحكام الضبط والإتقان، ولا شك أنّ ما كان واضح المعنى مضبوطاً متقناً لا اشتباه فيه)، انتهى[٤].

وهذا هو مراد من فسّر المحكم بما علم المراد بظاهره من غير قرينة، والمتشابه ما لم يعلم المراد بظاهره حَتَّى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه.

وأمّا المعنى الأخير فهو الَّذي يلوح من كلام الزمخشري في الكشّاف، وحاصله: أنّ المحكم ما كان محفوظاً من الاحتمال بأن يكون له معنى، ولا

---

(١) الكافي ١: ٢١٣ ح١.

(٢) الأربعون حديثاً: ٢٩٣.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة منا لبيان من القائل.

(٤) عن شرح أُصول الكافي للمازندراني ٢: ٣٠٩.

يكون له احتمال معنى آخر، والمتشابه ما يكون له معنى ويكون له احتمال معنى آخر[١].

فاللفظ المفيد للمعنى إن لم يحتمل معنى آخر فهو المحكم، وإن احتمل فهو المتشابه، وهو خلاف ما عليه أئمّة الأُصول، كما صرّح بذلك المحقّق التفتازاني في حواشي الكشّاف[٢]، بل هذا الّذي ذكره في معنى المحكم لا ينطبق على غير النصّ.

حجّية ظواهر الكتاب

إذا عرفت ذلك فنقول: ذمّ الله تعالى في هذه الآية على اتباع المتشابه من القرآن دون المحكم منه، ولو كان اتّباع المحكم مثله لما كان كذلك، ومن ذلك صحّ لنا الاستدلال بظاهر القرآن، بل أطبق السلف وتبعهم الخلف على جواز العمل به كالنصّ.

وبعبارة أُخرى أطبقوا على حجّية ظواهر الكتاب، حتّى أنّ الشيخ رحمه الله قد طرح الرواية في مقابل العام الكتابي، محتجّاً بما ورد عنهم عليهم السلام ممّا لا خلاف فيه: **«إذا جاءكم عنّا حديث فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فخذوه، وإلاّ فردوه واضربوا به عرض الحائط»**[٣].

نعم، خالف في ذلك أصحابنا الأخباريون، فإنّهم اقتصروا على العمل بنصّه، والدليل لنا على ذلك ما عرفت من الإجماع من وجهين.

---

(١) الكشّاف عن حقائق التنزيل ١: ٣٢٢ بتفاوت يسير.

(٢) حاشية التفتازاني على الكشّاف: مخطوط.

(٣) عدة الأُصول ١: ٣٥٠.

الوجه الأول: الآيات القرآنية منها:

[أ]- قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[(١)] ذم الله تعالى على ترك تدبّره، والإضراب عن التفكر فيه، ولا ريب أنّ المراد من ذلك الحث على العمل بمقتضاها؛ إذ الشيء إنّما يكون مطلوباً لغايته.

[ب]- ومنها قوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾[(٢)]، ومن المعلوم أنّ الغرض وصفه بوضوح المعنى.

[ج]- ومنها قوله تعالى: ﴿لعلمه الَّذين يستنبطونه منهم﴾[(٣)]، فأثبت للعلماء استنباطاً، ومعلوم أنّه وراء المسموع منهم عليهم السلام.

[د]- ومنها قوله تعالى: ﴿هو الَّذي أنزل عليك الكتاب...﴾ الآية[(٤)]، بالتقريب المتقدّم.

[هـ]- ومنها قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول﴾[(٥)].

والردّ إلى الله هو الردّ إلى محكم كتابه كما جاءت به الرواية، لا يقال: يتطرّق القدح إلى الاستدلال بهاتين الآيتين بأن أقصى ما فيهما الدلالة على وجوب اتّباع المحكم وذمّ اتّباع المتشابه.

---

(١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٥.

(٣) سورة النساء: من آية ٨٣

(٤) سورة آل عمران: من آية ٧.

(٥) سورة النساء: من آية ٥٩.

ونحن في شبهة من دخول الظاهر تحت المحكم لإمكان أنّه المتشابه، بل ربّما صرَّح بذلك فلا يتم التقريب إلاّ ببيان كونه من المحكم ومن غير المتشابه لأنّا نقول: يدل على ذلك أمران:

الأول: لو لم يكن الظاهر من المحكم لوجب أن يكون من المتشابه، لكنّ اللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان: الملازمة امتناع كون أنّ الشيء لا قسماً ولا قسيماً.

وبيان بطلان اللازم أنّ المتشابه لغةً وعرفاً: المتمايل الَّذي لا يمتاز عن صاحبه إلاّ في يسير من المخالفة، وبه صرّح أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿وأُتوا به متشابها﴾[1]. ومن المعلوم أن لا تماثل ولا اشتباه بين المعنى الظاهر من اللفظ وغيره؛ إذ أحدهما راجح والآخر مرجوح فكيف الاشتباه، لا يقال: لعلّه حاصل من جهة الإرادة خصوصاً في العام؛ لما اشتهر من أنّه ما من عام إلاّ وقد خُصّ، لأنّا نقول: يجب الفحص عن المخصّص، ومع عدم الظفر به يترجح انتفاؤه فيعمل بالراجح، لا يقال: لعل التمسُّك بالعام مشروط بالقطع بعدم المخصّص، وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود؛ لأنّا نقول اللازم من ذلك تعطيل أكثر الأدلّة من العمومات وغيرها من الكتاب وغيره.

الثاني: إنّ أقصى ما قيل في معنى المحكم: هو ما يلوح من كلام الزمخشري في الكشّاف[2] ـ حسب ما تقدّم نقله ـ من أنّه لا يحتمل من التأويل

---

(١) سورة البقرة: من آية ٢٥.

(٢) الكشّاف عن حقائق التنزيل ١: ٣٢٢ بتفاوت يسير.

إلاّ وجهاً واحداً، والظاهر كذلك احتمال غيره من جهة الإرادة لا من جهة الدلالة، لا يقال: المحكم على ما صرّح به الشيخ البهائي رحمه الله هو المضبوط المتقن[١]، ولا شيء من الألفاظ كذلك سوى النصّ، فيكون المحكم منحصراً به؛ لأنّا نقول: الواجب في كلام الشارع حمله على المعاني الشرعية، فمخالفة المعنى اللُّغوي غير قادحة، مضافاً إلاّ أنّه إنْ أُريد من ذلك ما لا يمكن تطرق التغيير إليه في الدلالة، وإنْ تغيَّر بالنسخ لزم كون المنسوخ محكماً وهو باطل إجماعاً، وإلاّ لوجب العمل به. وإنْ أُريد منه ما لم يتطرق في دلالته تغيير أصلاً مع إمكان التطرق، وجب شموله الظاهر المحفوظ من النسخ المطابق للحق، لا يقال: ردُّ المتشابه إلى المحكم إنّما يكون بالتأويل، والتأويل فيه يختص علمه بالله على قراءة من يقف على ﴿إلا الله﴾[٢] من قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾، ويبتدئ بقوله: ﴿والراسخون في العلم﴾، أو يختص بالأئمة عليهم السلام على القراءة المشهورة لما ورد عنهم عليهم السلام في جملة من الروايات من أنّهم: «**هم الراسخون في العلم**».

وقد تقدّم عن الكافي رواية ذلك عن الصادق عليه السلام؛ لأنّا نقول: المستفاد من كلامهم: أنّ الصواب كون (الراسخون) عطفاً لا استئنافاً، ويحمل قولهم: «**نحن الراسخون**» على كمال الرسوخ فيه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذين إِذَا

---

(١) الأربعون حديثا: ٢٩٣.

(٢) الوقف في هذه الآية فيه ثلاثة مذاهب: ١- الوقف على ﴿إلا الله﴾، ٢- الوقف على ﴿الراسخون في العلم﴾، ٣- جوّز الأمرين كثير من الأئمة. (ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢٦/٣، ودقائق التفسير ٣٢٩/١).

ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[١]، لا يقال هو مجاز؛ لأنّا نقول: يدل عليه أمرهم عليهم السلام بردّ المتشابه إلى المحكم، ويؤيّده ما روي عنهم عليهم السلام: **«يرفع الله بهذا القرآن والعلم بتأويله، وبموالاتنا أهل البيت، والتبرّي من أعدائنا أقواماً»**[٢].

الوجه الثاني: ممّا يدل على ظاهر الكتاب الأخبار الواردة المتضمّنة للأمر بالأخذ به، فمنها ما رواه في الكافي بسنده إلى محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى، عن داود بن الحصين، عن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين- أو ميراث-... إلى أن قال: **«ينظر، فما وافق حكمه حكم الكتاب والسُّنّة وخالف العامّة فيؤخذ به»**[٣]، حيث أمر الأخذ به على الإطلاق، خرج منه المتشابه بالإجماع، وبقي ما عداه تحت وجوب الأخذ فيشمل الظاهر أيضاً.

فإن قلت: في سند هذا الحديث ضعف؛ لما قاله الشهيد رحمه الله في شرح مقدمة الدراية: **(من أنّه إنّما وسموه بالمقبول؛ لأنّ في طريقه محمّد بن عيسى، وداود بن الحصين، وهما: ضعيفان.**

وعمر بن حنظلة: لم ينص الأصحاب فيه بجرح ولا تعديل)[٤].

قلت: أمّا محمّد بن عيسى فقد ظن فيه التضعيف لاستثناء محمّد بن الحسن بن الوليد إياه في رجال نوادر الحكمة، ولا دلالة في ذلك على الضعف، وله عدّة

---

(١) سورة الأنفال: من آية ٢.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ١٥ح ٢.

(٣) الكافي ١: ٦٧ح ١٠.

(٤) الرعاية في علم الدراية: ١٣١.

دلائل ناهضة بتوثيقه، كما صرّح به في الرواشح[١]، وانتظر لشرح حاله مفصَّلاً في فصول الأخبار وشرح ما يتعلّق بها.

[داود بن الحصين]

وأمّا داود بن الحصين بالحاء المهملة المضمومة، والصاد المفتوحة فقد ذكر الشيخ وابن عقدة: أنّه واقفي[٢].

وتوقَّف العلاّمة رحمه الله في الخلاصة في روايته[٣].

ولكن يكفينا قول النجاشي فيه: (أنه ثقة)[٤]، فإن قول النجاشي فيه: (ثقة) لا يعارضه قول الشيخ وغيره بأنّه واقفي؛ لأنَّ الضعف بالمعنى المصطلح لا ينفي الصحَّة عند القدماء حَتَّى عند الشيخ نفسه؛ لدعواه الإجماع على عمل الفرقة بما يرويه ثقاة الواقفية والفطحية[٥]، مع أن المعهود من سيرة النجاشي على ما يشهد به التتبع، ونص عليه بعض من لا يجازف في الكلام من الأجلّة الأعلام: أنّه إذا كان فيمن يذكره طعن يورده لا محالة في ترجمته أو في ترجمة غيره، وعدم تعرضه لذلك آية سلامة المذكور عنده من كلّ طعن، بل الظاهر تقديم قوله ولو كان ظاهراً على قول غيره من أئمّة الرجال في مقام المعارضة في الجرح والتعديل ولو كان نصّاً.

---

(١) الرواشح السماوية: ١٦٥.

(٢) رجال الطوسي: ٣٣٦ رقم٥٠٠٧/٥.

(٣) خلاصة الأقوال: ٣٤٥ الفصل ٨ باب ١ رقم١.

(٤) رجال النجاشي: ١٥٩ رقم ٤٢١.

(٥) عدة الأُصول ١: ١٣٣.

قال الشهيد الثاني رحمه الله في المسالك: (**وظاهر حال النجاشي أنّه أضبط الجماعة، وأعرفهم بحال الرجال**)[١].

وقال الشيخ محمّد في شرح الاستبصار بعد كلام النجاشي والشيخ في سُماعة: (**والنجاشي يقدّم على الشيخ في هذه المقامات كما يعلم بالممارسة**)[٢].

وقال الميرزا محمّد [الاسترابادي][٣] في ترجمة سليمان بن صالح: (**ولا يخفى تخالف ما بين طريقي الشيخ والنجاشي، ولعلّ النجاشي أضبط**)[٤].

وقال جدّي العلاّمة بحر العلوم طاب ثراه: (**وبتقديمه - أي النجاشي- صرّح جماعة من الأصحاب، نظراً إلى كتابه الّذي لا نظير له في هذا الباب، والظاهر أنّه الصواب**)[٥].

وقال الأغا البهبهاني رحمه الله في تعليقة الرجال: (**ويروي عنه - أي عن داود- صفوان بن يحيى، وجعفر بن بشير، وابن أبي نصر، وكلّ واحد منها[٦] أمارة الوثاقة، ورواية الأجلاّء أمارة الجلالة**)[٧].

---

(١) مسالك الأفهام ٧: ٤٦٧.

(٢) عن خاتمة المستدرك ٣: ١٤٧، وهو للشيخ محمّد بن جمال الدين أبي منصور ابن الشهيد الثاني رحمه الله واسم كتابه استقصاء الاعتبار في شرح الاستبصار وهو مخطوط.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٤) منهج المقال: ١٧٤.

(٥) الفوائد الرجالية ٢: ٤٦.

(٦) كذا والسياق يقتضي: (منهم).

(٧) تعليقة على منهج المقال: ١٦٩.

وهذا يرجِّح كلام النجاشي مع أنّه أضبط من الشيخ، ولعلّه لذلك كلّه قال في الرواشح: (وأمّا داود بن الحصين الأسدي فموثَّق اتفاقاً، نعم، قَدْ قيل فيه بالوقف ولم يثبت)(١).

وقال في موضع آخر: (لم يثبت عندي وقفه، بل الراجح جلالته عن كلّ غميزة وشائبة)(٢). (مع أنّه إذا تعارض الجرح والتعديل فالأحق بالاعتبار في الجارح والمعدِّل قوة التمهُّر، وشدة التبصُّر، وتعود التمرُّن على استقصاء الفحص، وإنفاق المجهود، وما يقال: إنّ الجرح أولى بالاعتبار لكونه شهادة بأمر وجودي بخلاف التعديل ضعيف؛ إذ التعديل أيضاً شهادة بحصول ملكة وجودية هي العدالة، إلاّ أن يكتفي في العدالة بعدم الفسق من دون ملكة إلى الكفّ والتنزُّه)(٣). وهو كما ترى.

[عمر بن حنظلة]

وأمّا عمر بن حنظلة فيكفي في قبول روايته قول المحقِّق الداماد في الرواشح من أنّ المقبول: (هو الَّذي تلقَّوه بالقبول، وساروا على العمل بمضمونه من غير التفات إلى صحَّة الطريق وعدمها صحيحاً كان، أو حسناً، أو موثوقاً، أو قوياً، أو ضعيفاً، ومقبولات الأصحاب كثيرة، منها: مقبولة عمر بن حنظلة التي هي الأصل عند أصحابنا في استنباط أحكام الاجتهاد، وكون المجتهد العارف بالأحكام منصوباً من قبلهم عليهم السلام، وستعرف ذلك حيث يحين حينه)(٤).

---

(١) الرواشح السماوية: ١٦٥.

(٢) الرواشح السماوية: ١٦٣-١٦٥ بحث المقبول بتصرف.

(٣) الرواشح السماوية: ١٠٤.

(٤) الرواشح السماوية: ١٦٤.

قال الماتن رحمه الله: (أنه وجد بخط والده الشهيد رحمه الله ما صورته: عمر بن حنظلة غير مذكور بجرح ولا تعديل، ولكنّ الأقوى عندي أنّه ثقة لقول الصادق عليه السلام في حديث الوقت «إذاً لا يكذب علينا»)[1].

وقال العلاّمة المجلسي رحمه الله في مرآة العقول: (إنّ هذا الحديث - يعني حديث عمر بن حنظلة- موثّق تلقاه الأصحاب بالقبول)[2].

وبذلك كلّه يظهر جبران ضعف الرواية بما لا مزيد عليه.

[رواية ابن حنظلة بتمامها]

وهذا أوان الشروع في ذكر الرواية بتمامها حتّى نشير إلى ما يستفاد منها من الفوائد المهمّة والأحكام الجمّة.

قال عمر بن حنظلة: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟

قال: من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنّما يأخذه سحتاً وإن كان حقّه ثابتاً له؛ لأنّه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾[3]. قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران من كان منكم ممّن قَدْ روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً،

---

(١) منتقى الجمان ١: ١٩.

(٢) مرآة العقول ١: ٢٢١.

(٣) سورة النساء: من آية ٦٠.

فإنّي قَدْ جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما استخفَّ بحكم الله، وعلينا ردَّ، والرادُّ علينا الرادُّ على الله، وهو على حدِّ الشرك بالله. قلت: فإن كان كلُّ رجل يختار رجلاً من أصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقّهما، واختلفا فيهما حكماً، ماحُكمهما وكلاهما اختلفا في حديثكم؟ قال: الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر. قال: قلت: فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منهما على الآخر؟ قال: فقال: ينظر إلى ما كان من روايتهم عنّا في ذلك الَّذي حكما به، المجمع عليه من أصحابك، فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الَّذي ليس بمشهور عند أصحابك، فإن المجمع عليه لا ريب فيه، وإنّما الأُمور ثلاثة: أمر بيّنٌ رشدُه فيتَّبع، وأمر بيّنٌ غيُّه فيُجتنب، وأمر مشكل يُردّ علمه إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حلال بيّن، وحرام بيّن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرَّمات، ومن أخذ بالشبهات وقع في المحرَّمات وهلك من حيث لا يعلم. قال: قلت: فإن كان الخبران عنكم مشهورين قَدْ رواهما الثقات عنكم؟ قال: فما وافق حكمه حكم الكتاب والسُنّة وخالف أهل العامَّة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكم الكتاب والسُنّة ووافق العامّة؟ قلت: جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسُنّة، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامَّة، والآخر مخالفاً لهم بأيّ الخبرين يؤخذ؟ قال: ما خالف أهل العامّة ففيه رشاد. فقلت: جعلت فداك فإن وافقهما الخبران جميعاً؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل حكّامهم وقضاتُهم فيترك ويؤخذ بالآخر. قلت: فإن وافق حكّامهم الخبرين جميعاً؟ قال: فإذا كان كذلك

فارجه حَتَّى تلقى إمامك، فإنَّ الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[١].

ما يستفاد منها من الأحكام

وفوائد هذا الخبر الشريف كثيرة ومهمّة جداً:

الأُولى: دلّ الخبر على المنع في الجملة من التحاكم إلى سلاطين الجور من العامّة وقضاتهم، وأنّ ما يؤخذ بحكمهم فهو حرام وسحت، وعليه قَدْ دلّت الآية الشريفة: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ**﴾[٢]، وقد صرّح جملة من الأصحاب بانسحاب الحكم أيضاً إلى فسقة الشيعة ممن يأخذ الرُّشا على الأحكام ونحوه، بل غير المأذون من جهتهم عليهم السلام مطلقاً، ويدل عليه ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**كلّ حاكم يحكم بغير قولنا أهل البيت فهو طاغوت**»[٣].

الثانية: ظاهر المحقّق الأردبيلي رحمه الله تخصيص التحريم في الخبر المذكور بالتحاكم في الدَّين دون العين، وهو المنقول عن الشيخ الحر[٤]، وهذا خلاف ظاهر قوله عليه السلام في الخبر: «**فإنّما يأخذه سحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً**» فإنّه بظاهره يفيد عدم الفرق بين الدَّين والعين، وإن كان ربّما يفرق بينهما بأن المأخوذ عوضاً عن الدين مال للمنكر انتقل إلى المدعي بحكم الطاغوت فلا يجوز له الأخذ ولا

---

(١) الكافي ١: ٦٧ ح١٠.

(٢) سورة النساء: من آية ٦٠.

(٣) دعائم الإسلام ٢: ٥٣٠ ح ١٨٨٣.

(٤) مجمع الفائدة ١٢: ١٠.

التصرُّف فيه، بخلاف العين فإنّها مال للمدَّعي وحقٌ له وإن حرم عليه أخذها بحكم الطاغوت، لكن يجوز له التصرُّف فيها فلا يحرَّم المأخوذ.

وبعبارة أُخرى: إنّ الدَّين أمر كلي ثابت في الذمة لا يتشخَّص في عين مخصوصة إلاّ برضا صاحبه، أو جبر الحاكم الشرعي وتعيينه، وهما منفيان في المقام.

وأمّا العين فهي مستحقة لصاحبها لا يحتاج في تعيينها إلى من هي بيده، ولا إلى حاكم شرعي فيجوز لصاحبها أخذها متى تمكَّن منها، والتوصُّل إلى أخذها بحكم الجائر، وهذا هو المشهور، وفيه أنّ الرواية صريحة في ذكر الميراث وهو أعم كما لا يخفى.

فالأحوط ـ حينئذ ـ أن يقصد التقاصّ فيما لو كان المتنازع دَيناً، وربّما قيل: بجواز التوسل بهم إلى أخذ الحق المعلوم اضطراراً مع عدم إمكان الترافع إلى الفقيه العدل، ويجوز الاستعانة بهم في إجراء حكم الفقيه وأيّد ذلك بقوله تعالى: ﴿يريدون أن يتحاكموا﴾[1].

فإن الترافع على وجه الاضطرار ليس تحاكماً على الإرادة، ولا يخلو عن الوجه، ولا سيّما بملاحظة أدلة العسر والحرج؛ فإنّ حرمة الأخذ مع انحصار الطريق حكم حرجي مرفوع في الدين.

الثالثة: ظاهر الإضافة في قولهعليه السلام: «**روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا**»، هو العموم، فيقتضي أن يكون النائب عنهمعليهم السلام

---

(١) سورة النساء: من آية ٦٠.

مطّلعاً على جميع أخبارهم، عارفاً بجميع أحكامهم إلاّ أنّه لما كان ذلك ممّا يتعذّر غالباً، فالظاهر أنّ المراد ما تيسر بحسب الإمكان، أو القدر الوافي منها، أو ما يتعلق بتلك الواقعة، ويؤيده ما في رواية أبي خديجة، وقوله فيها: «**يعلم شيئاً من قضايانا**»[1].

وعلى كل حال فالمراد من المعرفة إمّا الفعلية أو القوّة القريبة منها. وهذا هو المعبّر عنه بالفقيه الجامع لشرائط الفتوى والحكومة بين الناس. ولا يجوز لمن نزل عن هذه المرتبة التصدّي للحكومة، وإن اطّلع على فتوى الفقهاء بلا خلافٍ ممَّن يعتبر بكلامه، عدا بعض المتقدِّمين، كالشيخ في المبسوط، وبعض المتأخّرين كالسيد الجزائري، والمحقِّق القمي، وصاحب الجواهر[2].

قال السيِّد الجزائري في الأنوار: (**وقوله عليه السلام: «فإنّي قَدْ جعلته عليكم حاكماً فليرضوا به»، ممَّا استدل به الأصحاب على أنّ المجتهدين منصّبون من قبله عليه السلام للقضاء، فهم وكلاؤه والمعبِّرون عنه في هذه الأعصار**).

ثُمَّ قال: (**أقول: بل فيه دلالة أيضاً على أنّ من روى الأحاديث، وعرف مواقعها كان له منصب القضاء، وإن لم يكن مجتهداً بالمعنى الجديد للمجتهد، فإنّ المعنى المعروف منه في الصدر السالف هو من بذل جهده وطاقته في دراية الأحكام**

---

(١) تهذيب الأحكام ٦: ٢١٩ ح ٥١٦/ ٨، وإليك تمام الخبر: عن أبي خديجة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإني قَدْ جعلته قاضياً فتحاكموا إليه**».

(٢) المبسوط ٨: ٩٩-١٠١، جامع الشتات: فارسي عنه كتاب القضاء للكلبايكاني معرباً ١: ٢٦، القضاء، الأنوار النعمانية ٣: ٥٤، جواهر الكلام ٤٠: ١٥- ٢٠.

والاطلاع عليها، حَتَّى إنّ أقوال الحلبيين بوجوب الاجتهاد عيناً يرجع إلى هذا الاجتهاد لا الاصطلاحي، كما لا يخفى) انتهى[١].

ولو أردت الزيادة فعليك بمراجعة الجواهر[٢].

الرابعة: قولهعليه السلام: «الحكم ما حكم به أعدلهما، وأفقههما، وأصدقهما، وأورعهما». يدل على أنّه لا بد للحاكم من أن يتصف بالعدالة، والفقاهة، والصدق، والورع.

فمن اتَّصف بهذه الصفات الأربع فهو أهل للحكومة، ومنصوب من قبلهمعليهم السلام. ومن لم يتَّصف بشيء منها، أو بعضها لا يجوز له الحكم بين الناس. وإن تعدَّد المتصف بها ووقع الاختلاف بينهما في الحكم أو المستند، فظاهر هذا الخبر يفيد تقديم من اتّصف بالزيادة في جميعها، وتقديم من اتّصف بالزيادة في بعضها على من اتصف بالنقصان في ذلك البعض بعينه مع تساويهما في الباقي؛ لأنّ مناط الحكم هو غلبة الظن به، وهي في المتَّصف بالزيادة أقوى وبه يثبت وجوب تقليد الأعلم.

وأمّا إذا اتّصف أحدهما بالزيادة في بعض والآخر بالزيادة في بعض آخر، ففيه إشكال لتعارض الرجحان وتقابل الزيادة والنقصان، ولا دلالة فيه على تقديم أحدهما على الآخر حَتَّى قيل بالتخيير، واستظهره بعض محقِّقي المتأخّرين[٣].

---

(١) الأنوار النعمانية ٣: ٥٤.

(٢) جواهر الكلام ٤٠: ١٥- ٢٠.

(٣) المستظهر لهذا القول هو الفاضل المازندراني في كتابه شرح أصول الكافي ٢: ٣٣٨.

الأقوى عندي هنا: تقديم الأفقه على الأعدل، وإن كان الأوّل مظنون الأفقهية والثاني مقطوع الأعدلية، بعد أن كان الظن بالأفقهية معتبراً ولو من باب العسر والحرج؛ لاشتراكهما حينئذ في أصل العدالة المانعة من المحارم. وتبقى زيادة الفقاهة الموجبة لزيادة غلبة الظن خالية من المعارض، وهو اختيار بعض الأصحاب، ومع تساويهما في الفقاهة يقدم الأعدل؛ لثبوت الرجحان له كما هو اختيار سيّدنا الأُستاذ طاب ثراه في العروة، بل وهو الأشهر[1]. ولأنَّ اشتراكهم في أصل الأهليَّة بالنظر إلى أنفسهم لا يقتضي تساويهم بالنظر إلى الغير، ولأنّ الظنَّ بقول ذي المزيّة أقوى، وهو ظاهر الحديث ونظائره، المراد من الأعلم: الأعلم بالشرعيات والأحاديث لا غيرهما كما هو ظاهر.

ويستفاد أيضاً من رواية داود بن حصين، حيث قال الإمامعليه السلام: **«ينظر إلى أفقههما، وأعلمهما بأحاديثنا»**.

الخامسة: إنّ هذا الخبر حجّة لمن ذهب من الأُصوليين والفقهاء إلى أنّ الشهرة حجّة عند تعارض الدليلين، واستدل به بعض العلماء على حجية الإجماع، وفيه أن النزاع في جعل الإجماع دليلاً مستقلاً، وهذا الخبر لا يدلُّ عليه.

السادسة: دل هذا الخبر على أنّ المراد بالشبهات المشكل- أعني: ما لا يظهر وجه حلّيّته، ولا وجه حرمته- كما هو مقتضى قوله، وشبهات بين ذلك، لا المتنازع فيه مطلقاً كما زعم.

---

(١) العروة الوثقى ١: ٨٠١ مسألة ١٨ في شرائط إمامة الجماعة.

السابعة: مقتضى قوله: «**من أخذ بالشبهات ارتكب المحرَّمات وهلك**»، هو وجوب الاحتياط.

الثامنة: دل هذا الخبر بمقتضى قوله: «**فما وافق حكم الكتاب...**»، على حجّية ظواهر الكتاب، وهو المقصود بالاستدلال بهذا الخبر فيما نحن فيه، ولا يخفى أنّ هذا القسم من الترجيح في غاية الصعوبة؛ لتوقُّفه على العلم بسرائر الكتاب وخفيَّاته وعمومه وخصوصه.

التاسعة: مقتضى قوله: «**الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما**»، أنّه يجب تقليد الأعلم إذا خالف رأيه رأي غير الأعلم، وأمّا مع العلم بالموافقة أو الشك في الموافقة والمخالفة فيجوز تقليد غير الأعلم، ولكنَّ الأحوط وجوب تقليد الأعلم مطلقاً؛ لأنّ العمدة في دليل هذه المسألة - أعني: وجوب تقليد الأعلم- هو عدم العموم أو الإطلاق في الأدلة الدالة على حجّية قول المجتهد مطلقاً، بل القدر المتيقّن من ذلك هو قول الأعلم، وقول غير الأعلم مشكوك الحجِّية، والشك في الحجية كاف في عدم الحجِّية. نعم، مع العلم بالموافقة غالباً لا أثر لقول الأعلم وهو مطلب آخر.

وعليك بالتأمل في هذا الحديث لعلَّك تستفيد منه ما لم نستفد منه.

ومنها: ما رواه الصدوق رحمه الله في الفقيه عن الصادق عليه السلام في جواب من قال له: «**إنّ لي جيراناً ولهم جوار يتغنين ويضربن بالعود فربّما دخلت المخرج فأطيل الجلوس استماعاً منِّي لهُنَّ؟ فقال له الصادق عليه السلام: لا تفعل، فقال: والله ما هو شيء آتيه برجلي إنّما هو سماع أسمعه بأذني، فقال الصادق عليه السلام: تالله**

أنت، أما سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1]»[2].

فإنّه ظاهر في التوبيخ على ترك العمل بظاهر القرآن.

ومنها: ما رواه الصدوق رحمه الله أيضاً بسند صحيح عن زرارة، قال: **«قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت وقلت: إنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك عليه السلام وقال: يا زرارة قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، ونزل به الكتاب من الله عزَّ وجلَّ، قال: ﴿فاغسلوا وجوهكم﴾. فعرفنا أنَّ الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثُمَّ قال: ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا أنّه ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين، ثُمَّ فصل بين الكلامين فقال: ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ فعرفنا حين قال: ﴿برؤوسكم﴾ أنّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء. ثُمَّ وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه، فقال: ﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾[3]، فعرفنا حين وصلهما بالرأس أنّ المسح على بعضهما، ثُمَّ فسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله للناس فضيَّعوهُ»**.

وهذا الحديث وقع في الكافي والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه[4].

---

(١) سورة الإسراء: من آية ٣٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٨٠ ح ١٧٧، وإليك ذيل الحديث: «فقال الرجل: كأنني لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله عزَّ وجلَّ من عربي ولا عجمي، لا جرم أنّي قَدْ تركتها، وأنا أستغفر الله تعالى، فقال له الصادق عليه السلام: قم فاغتسل وصلِّ ما بدا لك، فلقد كنت مقيماً على أمر عظيم ما كان أسوأ حالك لو مُتَّ على ذلك ! استغفر الله تعالى واسأله التوبة من كل ما يكره فإنّه لا يكره إلاّ القبيح والقبيح دعه لأهله فإنّ لكلٍّ أهلاً».

(٣) سورة المائدة: من آية ٦.

(٤) الكافي ٣: ٣٠ ح ٤، تهذيب الأحكام ١: ٦١ ح ١٦٨/١٧، من لايحضره الفقيه ١: ١٠٣ ح ٢١٢.

مجيء الباء للتبعيض

واعلم أنّ الرازي قال: (إن دخلت الباء على فعل غير متعد بنفسه أفادت الإلصاق، و إن دخلت على فعل متعد بنفسه أفادت التبعيض كقوله تعالى: ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ أمّا الأوّل فللإتفاق عليه، وأمّا الثاني فللفرق بين: (مسحت يدي بالمنديل وبالحائط) وبين: (مسحت المنديل والحائط) فإنّه يستفاد التبعيض في الأوّل، والشمول في الثاني)، انتهى[١].

وقال العلاّمة في التهذيب: (إنّ سيبويه أنكر كونها للتبعيض في سبعة عشر موضعاً من كتابه)[٢]. – مع تقدمه في علم الأدب، ومعرفته بلغة العرب– ويؤكد ذلك قول ابن جني: (كون الباء للتبعيض شيء لا يعرفه أهل اللُّغة)[٣].

وأجاب عن حُجّة فخر الدين بأنّ: (المسح المقرون بالباء يجعل المنديل والحائط آلة في المسح، والعاري عنها يجعلهما ممسوحين لا ما ذكره. فإنّ الأوّل: عين المتنازع فيه، فيكون مصادرة على المطلوب. والثاني: ممنوع.

وأيضاً الفعل مع المفعول الأوّل وهو: (يدي) لا يتعدّى بنفسه إلى المنديل، وهو خارج عن المتنازع فيه، ولو حذف لفظ يدي وجعل المنديل ممسوحاً منعنا الفرق)، انتهى[٤].

---

(١) المحصول ١: ٣٧٩.

(٢) تهذيب الأُصول: ١٨.

(٣) عن المحصول ١: ٣٨٠، منتهى المطلب ٢: ٤٠ وغيرها. (وينظر: رأي ابن جني في سر صناعة الأعراب ١: ١٢٣).

(٤) بما أنّ المؤلّف رحمه الله ذكر ملخص ما نصّه فخر الدين محمّد بن عمر الرازي في كتابه المحصول ج ١ ص ٣٧٩ رأيت من الفائدة أن أذكر تمامه وهو كما يأتي: (المسألة الخامسة: الباء إذا دخلت على فعل يتعدى بنفسه كقوله تعالى: ﴿وامسحوا برءوسكم﴾ تقتضي التبعيض خلافاً للحنفيّة، وأجمعنا على أنّها إذا دخلت على فعل لا يتعدى بنفسه كقولك: (كتبت بالقلم) و(مررت بزيد) فإنها لا تقتضي إلاّ مجرد الإلصاق لنا أنا نعلم بالضرورة الفرق بين أن يقال:

وأنت بعد اختبارك بالحديث الصحيح تعلم أنّه لا اعتبار بإنكار سيبويه وغيره، والعجب كلّ العجب من العلاّمة رحمه الله كيف اعتبر كلام سيبويه وإنكاره مع وجود هذا النصّ، وذكره له في كتبه الاستدلالية كالمنتهى وغيره[١].

ولعلّه طاب ثراه غفل عنه حال تصنيف التهذيب، ولم يتنبّه له أحد من الشراح الّذين اطّلعت على شروحهم، ولهذا قال الشيخ البهائي رحمه الله في الحبل المتين عند الكلام على هذا الحديث: (**وأمّا قول سيبويه في سبعة عشر موضعاً من كتابه إنّ الباء لا تجيء للتبعيض في لغة العرب، فمع كونها شهادة على النفي يكذّبه إصرار الأصمعي**[٢] **على مجيئها له، وهو أشدُّ أُنساً بكلام العرب، وأعرف بمقاصدهم من سيبويه، ثُمَّ قال: وناهيك بما تضمّنه هذا الحديث حجّة عليهم**)، انتهى[٣].

وقال في المحصول في الجواب عن ذلك: (**إنّ الشهادة على النفي غير مقبولة فلنا أن نخطئ ابن جنّي بالدليل الظاهر الّذي ذكرناه**)[٤].

(مسحت يدي بالمنديل وبالحائط) وبين أن يقال: (مسحت المنديل والحائط) في أنّ الأوّل يفيد التبعيض والثاني يفيد الشمول، واحتج المخالف بأمرين الأوّل: أنّ القائل إذا قال: (مررت بزيد) و(كتبت بالقلم) و(طفت بالبيت) عقلوا منه إلصاق الفعل بالمفعول به، فدلّ على أنّ مقتضى اللفظ ليس إلاّ إلصاق الفعل بالمفعول به. الثاني: أنّ أبا الفتح ابن جنّي ذكر أنّ الّذي يقال: من أنّ الباء للتبعيض شيء لا يعرفه أهل اللُّغة. والجواب عن الأوّل: أنّ قولهم (مررت بزيد) و(كتبت بالقلم) إنّما أفاد ذلك لأنّه لا يتعدى بنفسه، فلا يجوز أن يقال: (مررت زيداً) و(كتبت القلم) فلذلك أفاد ما قالوه بخلاف ما ذكرنا، وأمّا الطواف فهو عبارة عن الدوران حول جميع البيت؛ ولهذا لا يسمّى من دار ببعضه طائفاً، بخلاف ما نحن فيه فإنّ من مسح بعض الرأس يسمّى ماسحاً. وعن الثاني: أنّ الشهادة على النفي غير مقبولة فلنا أن نخطئ ابن جنّي بالدليل الظاهر الّذي ذكرناه) .

(١) منتهى المطلب ٣: ٣٩.

(٢) ينظر: رأي الأصمعي في الجنى الداني: ٤٣، ومغني اللبيب ١: ١٠٥.

(٣) الحبل المتين: ١٦.

(٤) المحصول ١: ٣٨٠.

قلت: واختار كون الباء للتبعيض غير واحد من اللُّغويين أيضاً، كـ: صاحب القاموس[(١)]، وجماعة من النحويين كـ ابن كيسان[(٢)]، وابن مالك في الألفية[(٣)]، وجلال الدين السيوطي[(٤)]، وابن الناظم في شرحيهما على الألفية، وأبي الحجاج يوسف بن محمّد البلوي في كتاب الألف باء.

وقال الفيّومي في المصباح: (وأمّا قولهم الباء للتبعيض فمعناه أنها لا تقتضي العموم، فيكفي أن تقع على ما يصدق عليه أنّه بعض، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾، وقالوا: الباء هنا للتبعيض على رأي الكوفيين[(٥)].

ونصّ على مجيئها للتبعيض ابن قتيبة في أدب الكاتب[(٦)]، وأبو علي الفارسي[(٧)]، وابن جنّي[(٨)]. ونقله الفارسي عن الأصمعي، وقال ابن مالك في شرح التسهيل: وتأتي الباء موافقة من التبعيضية[(٩)].

وقال ابن قتيبة أيضاً في كتابه الموسوم بمشكلات معاني القرآن: وتأتي الباء بمعنى: (مِنْ)، تقول العرب: شربت بماء كذا. أي: منه، وقال تعالى: ﴿عينا يشرب بها

---

(١) القاموس المحيط ٤: ٤٠٨.

(٢) شرح ابن عقيل ٢: ٢٢.

(٣) شرح ابن عقيل ٢: ٢٢.

(٤) ينظر: شرح ابن الناظم: ٢٦٣، البهجة المرضية في شرح الألفية: ٢٧٥.

(٥) ينظر رأي الكوفيين في: ارتشاف الضرب ٢: ٤٢٧، والجني الداني: ٤٣، وائتلاف النصرة: ١٦١.

(٦) أدب الكاتب: ٤٠٨.

(٧) ينظر رأي الفارسي في: ارتشاف الضرب ٢: ٤٢٧، والجني الداني: ٤٣.

(٨) ابن جني من المنكرين كما صرّح في الصفحة السابقة وكما ورد في سر صناعة الأعراب ١: ١٤٦.

(٩) شرح التسهيل ٢: ٢٢.

عباد الله﴾[١]، أي: منها، ومثله: ﴿يشرب بها المقربون﴾[٢]، أي: يشرب منها. و﴿تجري بأعيننا﴾[٣]، والمراد: أعين الأرض[٤].

وقال ابن السراج في جزء له في معاني الشعر: ووضع (الباء) موضع (مع).

ونقل عن ابن السكّيت: أنّ (الباء) تقع موقع (من) و (عن).

وحكى أبو زيد الأنصاري من كلام العرب: (سقاك الله تعالى ماء من كذا. أي: به. فجعلوهما بمعنى، وذهب إلى مجيء (الباء) بمعنى التبعيض الشافعي[٥] - وهو من أئمّة اللسان- وقال بمقتضاه: أحمد، وأبو حنيفة حيث لم يوجبا التعميم، بل اكتفى أحمد بمسح الأكثر في رواية، وأبو حنيفة بمسح الربع، ولا معنى للتبعيض غير ذلك، وجعلها في الآية الكريمة بمعنى التبعيض أولى من القول بزيادتها؛ لأنّ الأصل عدم الزيادة، ولا يلزم من الزيادة في موضع ثبوتها في كلّ موضع، بل لا يجوز القول به إلاّ بدليل.

فدعوى الأصالة دعوى تأسيس وهو الحقيقة، ودعوى الزيادة دعوى مجاز، ومعلوم أنّ الحقيقة أولى.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾[٦]، قال ابن عبّاس: (الباء) بمعنى: (من)، فالمعنى: من نعمة الله، قاله: الحجّة في التفسير.

ومثله قوله تعالى: ﴿فاعلموا إنما أنزل بعلم الله﴾[٧]، أي: من علم الله، وقال آخر:

---

(١) سورة الإنسان: من آية ٦.

(٢) سورة المطففين: من آية ٢٨.

(٣) سورة القمر: من آية ١٤.

(٤) تأويل مشكل القرآن: ٥٧٥.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦: ٨٧.

(٦) سورة لقمان: من آية ٣١.

(٧) سورة هود: من آية ١٤.

شَرِبْـنَ بـماءِ البحـرِ ثُـمَّ ترَفَّعَـتْ مَتـى لُجـجٍ خُـضْرٍ لَهُـنَّ نَئِـيجُ

أي: من ماء البحر، وهو لأبي ذؤيب الهذلي، واسمه خويلد بن خالد، يصف فيه السحاب، واستشهد به صاحب المغني على مجيء (الباء) بمعنى (من) التبعيضية[1]، وقال جميل:

فَلَثمْـتُ فاهـا آخِـذاً بِقُرونِهـا شَرَفُ النزيـفِ بِـبَرْدِ مـاءِ الحَـشْرَجِ

أي: من برد.

وقال النحاة: الأصل أن تأتي للإلصاق، ومثّلوها بقولك: مسحت يدي بالمنـديل. أي: ألصقتها به. والظاهر: أنّه لا يستوعبه، وهـو عـرف الاسـتعمال ويلـزم مـن هـذا الإجماع على أنّها للتبعيض)، انتهى ما أردنا نقله من المصباح بتغيير ما[2].

هذا تمام الكلام فيما يتعلّق بحجّية ظواهر الكتاب الّذي خالفنا فيـه أصـحابنا الأخباريون.

هلا كان القرآن كله محكما

رجع: فإن قلت: هلاّ كان القرآن كلّه محكماً؟ قلت: لو كانت الآيـات كلّهـا محكمات تعلق الناس بها، واقتصروا عليها فـي الاعتقـادات والأعمـال، فأعرضـوا عـن أئمّـة الـدين صـلوات الله علـيهم أجمعين، وعـن طريـق النظـر والاسـتدلال، فيبقون في ظلمات التقليد ولم يهتدوا إلى معرفة الله التي لا تحـصل إلاّ بـالرجوع

---

(١) مغني اللبيب ١: ١٢٦.

(٢) المصباح المنير ١: ٦٩، مادة (ب.ع.ض).

إلى أوليائه، والنظر إلى الاستدلال. بخلاف ما إذا كانت بعض الآيات متشابهات، فإنّ معرفة المتشابه محوجة إلى النظر والاستدلال.

مثلاً: إذا تأمّلنا قوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾[1]، وأردنا أن نعرف أنّ ليس المراد من اليد الجارحة، فلا بد من الاستدلال على أنّ الله ليس بجسم بالدليل العقلي الموقوف على النظر؛ لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحقّ والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة، والعلوم الجمّة، ونيل الدرجات من عند الله؛ ولأنّ المؤمن المعتقد أنّ لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره، ففتح الله عليه وتبيّن مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده، وقوة في إيقانه[2].

فهذه أربعة وجوه في الإتيان بالمتشابهات، فاغتنم.

آية: ﴿قل كفى بالله شهيدا...﴾

[٥٤]- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الثامن: قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾»[3].

أقول: الآية واقعة في آخر سورة الرعد[4].

---

(١) سورة الفتح: من آية ١٠.

(٢) الكشّاف عن حقائق التنزيل ١: ٣٣٣ بتفاوت يسير.

(٣) معالم الدين: ١٠.

(٤) سورة الرعد: من آية ٤٣.

الإعراب

قل: فعل أمر مبني على السكون، والخطاب للنبي ﷺ والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره أنت.

كفى: فعل ماضٍ مبني على فتحة مقدرة على الألف.

بالله: جار ومجرور متعلق بـ(كفى) في محل رفع على الفاعلية، وقيل: هو فاعل ومجرور.

شهيدا: حال من الفاعل منصوب بالفتحة الظاهرة.

بيني: ظرف مكان مضاف إلى ياء المتكلّم في محل نصب، ليكون صفة لـ(شهيدا)[1].

وبينكم: معطوف عليه.

ومَن عنده: يقرأ بفتح الميم[2] وهو بمعنى الَّذي، وفي موضعه وجهان:

أحدهما: رفع عطفاً على محل لفظ الجلالة أي: كفى الله، وكفى من عنده.

---

(١) على مقتضى كلامه يكون الموصوف هو الحال، وأنت خبير بأن الحال ـ جامدة كانت أو مشتقة ـ لا تدل على الذات بنفسها، وإنّما تدل على هيئة الذات، والهيئة غير قابلة لأن توصف؛ فبطل كون الظرف صفة لشهيدا، وتعيّن إما كونه حالا للضمير المستتر في شهيدا فيكون حالاً متداخلاً، أو حالا من لفظ الجلالة فتكون حالا مترادفة، أو مفعولاً فيه للفعل كفى أو للوصف شهيداً، فهذا من باب التعلق والظرف لغو وعلى الأولين يكون مستقراً، فافهم. (السيد محمد الطباطبائي)

(٢) وهي قراءة الجماعة وهي الرواية عن النبي ﷺ، ينظر: المحتسب ١: ٢٥٨، ومعاني القرآن للفراء ٢: ٦٧، والبحر المحيط ٥: ٤٠٢.

والثاني: جر عطفاً على لفظ اسم الجلالة، فعلى هذا (علم الكتاب): مرفوع بالظرف، لأنّه اعتمد بكونه صلة، ويجوز أن يكون الظرف خبراً، والمبتدأ (علم الكتاب).

وقرأ: (ومِن عنده علم الكتاب)[١] بكسر الميم على أنّه حرف جر، و(علم الكتاب) على هذا مبتدأ أو فاعل الظرف.

ويقرأ: (عُلِمَ الكتاب)[٢] على أنّه فعل لم يسم فاعله وهو العامل في (من) والمراد من هذه الشهادة: أنّه تعالى أظهر المعجزات والأدلة على وفق دعواه، ولا شهادة أعظم من هذه؛ لأنّ الشهادة القولية هنا لا تفيد إلاّ غلبة الظن، وهذه تفيد القطع بصحَّة نبوّته.

﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ أي: من حصل عنده علم القرآن، وفهم معانيه، واشتماله على دلائل الإعجاز من النظم الأنيق، والأُسلوب العجيب الَّذي لا يقدر عليه البشر، فمن علم القرآن على هذه الوجه شهد بأنّه معجز قاهر، وأنّ الَّذي ظهر هذا المعجز عليه نبي حق أو رسول مصدّق.

---

(١) وهي قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عبّاس وأُبي بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وآخرين. (ينظر: مختصر ابن خالويه: ٦٧، والمحتسب ١: ٣٥٨، وايضاح الوقف والابتداء: ٧٣٨، والكشّاف ٢: ١٧٠، وتفسير الرازي ١٩: ٢٧٢).

(٢) وهي قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام ومحمد بن السمفيع وابن جبير ومجاهد وابن عبّاس وابن أبي عبلة وأبي حيوة. (ينظر: مختصر ابن خالويه: ٦٧، المحتسب ١: ٢٥٨، البحر المحيط ٥: ٤٠٢، والاتحاف: ٢٧٠).

وفي تفسير الصافي نقلاً عن الكافي والخرائج والعياشي: عن الباقرعليه السلام: «إيّانا عُني، وعليٌّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله»[١].

وفي مجمع البيان عن الصادق عليه السلام مثله[٢].

وفي الاحتجاج: سأل رجل علي بن أبي طالب عليه السلام عن أفضل منقبة له؟ فقرأ الآية، وقال: «إياي عُني بمن عنده علم الكتاب»[٣].

وفي المجالس عن النبي صلى الله عليه وآله: أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: «ذاك أخي عليّ بن أبي طالب»[٤].

والعياشي عن الباقرعليه السلام: أنّه قيل له: هذا ابن عبد الله بن سلاّم يزعم أنّ أباه الَّذي يقول الله: ﴿كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[٥]؟ قال: كذب، هو: علي بن أبي طالب»[٦].

وعنه عليه السلام: «نزلت في عليّ عليه السلام، إنّه عالم هذه الأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله»[٧].

والقمّي عن الصادق عليه السلام: «هو أمير المؤمنين»، وسئل عن الَّذي عنده علم من الكتاب أعلم، أم الَّذي عنده علم الكتاب؟ فقال: «ما كان علم الَّذي عنده

---

(١) تفسير الصافي ٣: ٧٧، الكافي ١: ٢٢٩ح ٦، الخرائج والجرائح ٢: ٧٩٩، تفسير العياشي ٢: ٢٢٠ح ٧٦.

(٢) مجمع البيان ٦: ٥٤.

(٣) الاحتجاج ١: ٢٣٢.

(٤) أمالي الصدوق: ٦٥٩ ح ٣/٨٩٢.

(٥) سورة الرعد: من آية ٤٣.

(٦) تفسير العياشي ٢: ٢٢٠ ح، فائدة: قال القرطبي في تفسيره ج ٩ ص ٣٣٦ ما نصّه: «وقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾؟ قال: هو عبد الله بن سلام. قلت: وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكيّة وابن سلام ما أسلم إلاّ بالمدينة؟ ! ذكره الثعلبي ».

(٧) تفسير العياشي ٢: ٢٢١ ح ٧٩.

علم من الكتاب عند الّذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذه البعوضة بجناحها من ماء البحر»[١].

وفي الكافي عنه عليه السلام: «فهل وجدت فيما قرأت في كتاب الله: ﴿كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾... ثُمَّ ذكر ما يقرب ممَّا ذكر بنحو أبسط وقال في آخره: علمُ الكتاب ـ والله ـ كلُّه عندنا، علم الكتاب ـ والله ـ كلّه عندنا»[٢].

آية ﴿يرفع الله الذين آمنوا...﴾

[٥٥]- قال رحمه الله: «التاسع: قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذين آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذين أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾»[٣].

أقول: الآية واقعة في سورة المجادلة[٤].

الإعراب

يرفع: فعل مضارع مرفوع لتجرده.

الله: فاعل مرفوع بالضمة.

الَّذين: اسم موصول في محل النصب على المفعولية.

آمنوا: فعل ماض مبني على الضمة لاتصاله بواو الجماعة، والفاعل مستتر فيه تقديره هم[١]، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

---

(١) تفسير القمّي ١: ٣٦٧.

(٢) الكافي ١: ٢٥٧ح ٣.

(٣) معالم الدين: ١٠.

(٤) سورة المجادلة: من آية ١١.

منكم: جار ومجرور وعلامة جره كسرة مقدرة.

والَّذين:

الواو: عاطفة.

الَّذين: معطوف على الموصول قبله، فهو أيضاً في محل النصب.

وأوتوا: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر فيه تقديره هم، وهو العائد. العلم: مفعول [به ثان] منصوب بالفتحة، والجملة مع العائد صلة الموصول فلا محل لها من الإعراب.

درجات: مفعول ليرفع منصوب[٢] بالكسرة لكونه من الجمع المؤنَّث السالم.

المعنى: يرفع الله الَّذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله درجة، والَّذين آمنوا وأُوتوا العلم هم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنّة، وقيل: درجات في مجلس رسول الله ﷺ فأمر الله سبحانه أن يقرب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الَّذين لا يعلمون العلم، فيبين فضل العلماء على غيرهم.

وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء وجلالة قدرهم؛ ولذا يقال: لا شبهة في أنّ علم العالم يقتضي لطاعته من المنزلة ما لا يحصل للمؤمن، ولذلك فإنّه يُقتدى بالعالم في كل أفعاله، ولا يُقتدى بغير العالم؛ لأنّه يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات ومحاسبة النفس مالا يعرفه غيره، ويعلم في كيفية الخشوع والتذلُّل في العبادة مالا يعرفه غيره، ويعلم من كيفية التوبة وأوقاتها وصفاتها ما لا

---

(١) كذا، ولعمري ليس في هذا القول ما يبرر الخطأ على عظمه فتنبه. (السيد محمد الطباطبائي)

(٢) كذا والحال أنه مفعول منصوب بنزع الخافض بالكسرة.

يعرفه غيره، ويتحفظ فيما يلزمه من الحقوق مالا يتحفظ منه غيره، ولكنَّه كما تعظم منزلة أفعاله من الطاعات في درجة الثواب فكذلك يعظم عقابه فيما يأتيه من الذُّنوب لمكان علمه حَتَّى لا يمتنع في كثير من صغائر غيره أن يكون كبيراً منه.

آية: ﴿وقل رب زدني علما﴾

[٥٦]- قال رَحِمَهُ اللهُ: «العاشر: قوله تعالى مخاطباً لنبيِّه آمراً له مع ما آتاه من العلم والحكمة: ﴿وقل ربّ زدني علما﴾»[١].

أقول: الآية واقعة في أواخر سورة طه[٢].

الإعراب

قل: فعل أمر مبني على السكون والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره أنت، والخطاب للنبيّ.

ربّ: منادى محذوف منه حرف النداء تقديره ياربّ، وفيه خمسة أوجه أحسنها:

[أ]- أن تحذف الياء وتبقى الكسرة للدلالة عليها، كما هو الثابت في المصاحف.

[ب]- ويليه: أن تثبتها ساكنة.

[ج]- وإن شئت فاقلب الكسرة فتحة، والياء ألفاً، واحذفها.

---

(١) معالم الدين: ١٠.

(٢) سورة طه: من آية ١١٤.

[د]- وأحسن منه أن لا تحذف.

[هـ]- وأحسن من هذا ثبوت الياء محرّكة، و إلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

وَاجْعَلْ مُنَادَىً صَحَّ إِنْ يُضَفْ لِيَا كَعَبْدِ عَبْدِي عَبْدَ عَبْدَا عَبْدِيَا[١]

[و]- وزاد في شرح الكافي[٢] سادساً، وهو: الاكتفاء من الإضافة بنيَّتها، وجعل المنادى مضموماً كالمفرد، ومنه: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾[٣].

وزدني: فعل أمر مبني على السكون، النون للوقاية، والياء ضمير المفعول.

علما: مفعول ثان منصوب بالفتحة[٤].

المعنى: أي استزد من الله سبحانه علماً إلى علمك.

ففي (المجمع) روت عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقرِّبني إلى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمسه**».

وقيل معناه: زدني علماً بقصص أنبيائك، ومنازل أوليائك.

وقيل: زدني قرآناً لأنّه كلّما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علماً، انتهى[٥].

---

(١) ألفية ابن مالك: ٤٠.

(٢) يبدو أنه ليس كتاب الكافي الحديثي وإنما هو الكافي في النحو، وهذا العنوان ألف فيه أربعة هم: أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) ، وأبو جعفر محمد بن قادم الكوفي (٢٥١هـ) ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ) ، وشرف الزاهد المرسي، وشرحه عمر بن الحسين الآمدي وسماه (الوافي والدرر في شرح الكافي في النحو) .

(٣) سورة يوسف: من آية٣٣، لم أعثر عليه في شرح المازندراني، ومع احتمال التصحيف كذلك لم أجده في شرح الكافية، ولا أعلم مراده رحمه الله أي شرح من شروح الكافي.

(٤) كذا والحال أنه تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة.

(٥) مجمع البيان ٧: ٦٠.

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**فضل العلم أحبّ إلى الله من فضل العبادة**»[(١)].

قال جدّي الفاضل الصالح: (إنّ هذا الأمر متضمن للتواضع والشكر لله تعالى، أي: علّمني يا ربّ علماً جزيلاً وأدباً جميلاً. ومن فضائل العلم وشرفه وشرف أهله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ما أمر بطلب الزيادة في شيء إلاّ في العلم)، انتهى[(٢)].

آية: ﴿بل هو آيات بيّنات...﴾

[٥٧]- قال رحمه الله: «**الحادي عشر قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾**»[(٣)].

أقول: الآية واقعة في سورة العنكبوت[(٤)].

الإعراب

بل: حرف إضراب مبني على السكون.

هو: مبتدأ مرفوع المحلّ.

آيات: خبر مرفوع بالضمة.

بيّنات: صفة له.

في صدور: جار ومجرور متعلق بعامل محذوف تقديره كائن أو حاصل.

الّذين: موصول في محل الجر بإضافة صدور إليه.

---

(١) الخصال: ٤ ح ٩.

(٢) حاشية المعالم: ١٠.

(٣) معالم الدين: ١٠.

(٤) سورة العنكبوت: من آية ٤٩.

أُوتوا: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر فيه تقديره هم وهو العائد.

العلم: مفعول ثان لـ(أُوتوا)، والجملة من الفعل ونائب الفاعل الَّذي هو العائد، والمفعول صلة الموصول لا تحتاج إلى محل من الإعراب.

المعنى: بل القرآن آيات ومعجزات واضحات، من حيث إنّ معانيه غير محصورة ومتباينة غير مقدورة لنا، ﴿في صدور الَّذين أُوتوا العلم﴾، قيل: هم الحفّاظ والقرّاء، والحقّ: أنّهم الأئمّة المعصومون عليهم السلام؛ لأنّ الكل إنّما هو في صدورهم، وأمّا في صدور غيرهم ليس إلاّ قليلا.

وتروى في الكافي روايات متكثرة على أنّهم هم الأئمّة عليهم السلام، ففيه عن أبي بصير، قال: «**سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ فأومأ بيده إلى صدره**»[1].

وعنه أيضاً قال: «**قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، ثُمَّ قال: أما والله ـ يا أبا محمّد ـ ما قال بين دفّتي المصحف.**

قلت: مَنْ هُم جُعِلتُ فداك؟ قال: مَنْ عسى أن يكونوا غيرنا»[2].

أما: بالتخفيف، حرف استفتاح.

وأبو محمّد: كنية أخرى لأبي بصير.

---

(١) الكافي ١: ٢١٣ح ١.

(٢) الكافي ١: ٢١٤ح ٣.

وكلمة (ما) في قوله: «ما قال» نافية، أي: لم يقل إنّ الآيات بين دفتي المصحف - أي: جلديه الّذين يحفظان أوراقه- بل قال: ﴿في صدور الّذين أُوتوا العلم﴾؛ ليُعلَمَ أنّ للقرآن حملة يحفظونه عن التحريف في كلّ زمان، وهم الأئمّة عليهم السلام.

وبسنده عن هارون بن حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، قال: «هم الأئمّة خاصة»[1].

وبسنده أيضاً عن محمّد بن الفضيل، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، قال: «هم الأئمّة عليهم السلام خاصة»[2].

آية: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس...﴾

[٥٨]- قال رحمه الله: «الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾»[3].

أقول: الآية واقعة في سورة العنكبوت[4].

الإعراب

الواو: عاطفة.

تلك: اسم إشارة مرفوع المحل على الابتدائية.

(١) الكافي ١: ٢١٤ح ٤.

(٢) الكافي ١: ٢١٤ح ٥.

(٣) معالم الدين: ١٠.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٣.

والأمثال: خبره مرفوع بالضمة[1].

ونضرب: فعل مضارع مرفوع بالضمة لتجرده، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره نحن.

والهاء: ضمير مفعول في محل النصب.

والجملة في محل النصب على الحالية من الأمثال لكونه مفعولاً في المعنى المستفاد من (تلك)، كقوله تعالى: ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾[2].

ويجوز أن تكون (الأمثال) صفة لتلك، وجملة نضربها في محل الرفع على الخبرية للمبتدأ.

للناس: جار ومجرور متعلق بـ(نضربها).

وما يعقلها:

الواو: عاطفة.

ما: نافية.

يعقل: فعل مضارع مرفوع للتجرد، والفاعل مستتر فيه تقديره أحد.

والهاء: ضمير متصل في محل النصب على المفعولية.

إلاّ: حرف استثناء [ملغى].

العالمون: مستثنى مرفوع لكونه من المستثنى المفرغ، فيكون إعرابه بحسب العامل[1].

(١) كذا والحال أنها بدل أو عطف بيان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

(٢) سورة هود: من آية ٧٢.

المعنى: الأمثال هي الأشباه والنظائر، يعني: أمثال القرآن نضربها للناس ونذكرها لهم لتدعوهم إلى المعرفة والتوحيد، وتعرِّفهم قبح ما هم فيه من عبادة الأصنام. وما يفهمها إلاّ من يعلم وجه الشبه بين المثل والممّثل به.

قال جدّي الفاضل الصالح رحمه الله: (ولمّا كان قريش يسخرون في ضرب المثل بالذباب والبعوض والعنكبوت ونحوها؛ لعتوِّهم أو لجهلهم بحسن موقعه ومورده وفوائده؛ نزلت الآية لبيان أنَّ تلك الأمثال والتشبيهات لا يعقل وجه حسنها إلاّ العالمون؛ لأنّها وسائل في المعاني المحتجبة عن العقول.

قال بعض الحكماء: والعلم إذا كان حدسياً يعرفه العاقل، وأمّا إذا كان فكرياً فلافتقاره إلى مقدمات سابقة ـ والمثل ممّا يفتقر في إدراك صحَّته وحسن موقعه إلى أمور سابقة ولاحقة يعرف بها تناسب مورده وفائدته ـ فلا يعقل صحَّته إلاّ العلماء)[٢].

معنى السنة والطريقة

[٥٩]- قال رحمه الله: «فصل: وأمّا السُنّة فهي في ذلك كثيرة لا تحصى فمنها ما أخبرني به إجازةً عدّةٌ من أصحابنا»[٣].

أقول: قَدْ عرفت أنّه لا مناسبة بمقتضى النسق ذكر الفصل هنا.

والسُنّة في اللُّغة: الطريقة والسير مطلقاً، والجمع سُنن، كغرفة وغرف.

---

(١) كذا، والحال أنها فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم والجملة استئنافية لا محل لها من الإعراب.

(٢) حاشية المعالم: ١٠- ١١.

(٣) معالم الدين: ١٠.

وفي الصناعة: هي طريقة النبيّ أو الإمام أو مطلق المعصوم المحكية إلينا بقوله، أو فعله، أو تقريره، فتسمية ذلك سُنّة من باب نقل العام إلى الخاص، كما إليه الإشارة في كلام الطريحي حيث عبر عنها في الصناعة بالطريقة دون نفس أحد الثلاثة، فكان كلٌّ من قول المعصوم، أو فعله، أو تقريره طريقة يجب أن يجري المكلّف عليها؛ لأنها حجّة عليه[1].

والظاهر أنّ حكاية الحديث القدسي في لسان المعصوم داخلة في قوله، فيندرج بذلك في السُنّة فلا يلزم تخميس الأدلّة، وخروج نفس الحديث القدسي عن الكتاب والسُنّة كما هو الظاهر غير قادح في التربيع بعد انحصار طريقه في حكاية المعصوم المندرج بذلك في السُنّة، وحينئذ فحكاية هذا الحديث عن حكاية المعصوم داخلة في الحديث، كحكاية قوله، وفعله، وتقريره.

وجوه الرواية

ثُمَّ اعلم انّه لا بدّ للراوي من مستند تصحُّ له من أجله رواية الحديث، ويُقبل منه بسببه، وهو في الرواية عن المعصوم نفسه ظاهر، وأمّا في الرواية عن الراوي ـ كما في هذا الزّمان الخالي من مشاهدة الإمام عليه السلام ـ فله وجوه سبعة:

أوّلها: وهي أعلاها السماع عن الشيخ، إمّا بإملاء من حفظه، أو بقراءة في كتابه، وهو أعلى مراتب التحمُّل بينهم، حتّى القراءة على الشيخ على المشهور.

وثانيها: القراءة على الشيخ، وهي التي عليها المدار في هذه الأعصار، ويقال لها: العرض؛ لعرض القارئ حاله على الشيخ، وفي كونها كالسماع، أو أعلى منه،

(١) مجمع البحرين ٢: ٤٣٦.

أو دونه خلاف أشهره الثالث؛ لما في الأول مزية بأن الشيخ أعرف بوجوه ضبط الخبر من غيره، ولما فيه من المماثلة لتحديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام أصحابهم.

وثالثها: الإجازة، بأن يجيز له رواية كتاب ونحوه، بأن يقول الشيخ له: أجزت لك أن تروي عنّي ما صح عندك أنّه من مسموعاتي أو لك ولغيرك فلان- وفلان من الموجودين المعنيين.

ورابعها: المناولة، وهو أن يقول الشيخ مشيراً إلى كتاب بعينه يعرف ما فيه: سمعت ما فيه، فهو يصير بذلك محدِّثاً، وللسامع أن يروي عنه ما في ذلك الكتاب، سواء قال له: ارو عنّي، أو لا.

ولو قال: (حدِّث عنّي ما فيه) دون (سمعته) فلا يصير محدِّثاً، وليس للسامع أن يروي عنه، وإذا سمع الشيخ نسخة من كتاب مشهور، فليس له أن يشير إلى نسخة منه إلاّ إذا علم مطابقتها.

وخامساً: المكاتبة، وهو أن يكتب إليه وهو غائب: أنّ ما في هذا الكتاب، أو ما صحَّ من الكتاب الفلاني هو من مسموعاتي. فلذلك الغائب أن يعمل بكتابه إذا علم، أو ظن أنّه كتابه؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يأمر بإنفاذ الكتاب، وكذا الأئمّة عليهم السلام وهو يقول حين الأداء: كاتبني بكذا، أو: أخبرني مكاتبةً.

وسادسها: الإعلام من الشيخ بأنّ هذا الكتاب روايته، أو سماعه من شيخه.

وسابعها: الوِجادة بالكسر، وهو في العرف أن يوجد كتاب، أو حديث رواه إنسان بخطّه، وليس للواجد منه إجازة ولا نحوها. والعبارة عن ذلك: وجد بخطّ فلان كذا، ونحوها، واختلف في جواز العمل بها لو كانت ممَّا يوثق بها، والجواز قريب لانسداد باب العمل لولاها.

فيما تعرف به العدالة

[٦٠]- قال رحمه الله: «منهم السيِّد الجليل نور الدين عليّ بن الحسين بن أبي الحسن الحسينيّ الموسويّ أدام الله تأييده، والشيخ الفاضل عزّ الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثيّ قدَّس الله روحه بحقّ روايتهم إجازةً عن والدي السعيد الشهيد زين الملّة والدين رفع الله درجته كما شرَّف خاتمته، عن شيخه الأجل نور الدين علي بن عبد العالي العاملي الميسي، عن الشيخ شمس الدين محمّد ابن المؤذّن الجزيني، عن الشيخ ضياء الدين علي ابن شيخنا الشهيد، عن والده قدَّس الله سره، عن الشيخ الإمام العلاّمة جمال الملّة والدين الحسن بن يوسف ين المطهَّر، عن والده رحمه الله، عن شيخه المحقِّق السعيد نجم الملّة والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد قدَّس الله نفسه، عن السيِّد الجليل شمس الدين فخار بن معدّ الموسويّ، عن الشيخ الإمام أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمّي، عن الشيخ الفقيه العماد أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبريّ، عن الشيخ أبي علي الحسن ابن الشيخ السعيد الفقيه أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ رحمه الله، عن والده رحمه الله، عن الشيخ الإمام المفيد محمّد بن محمّد النعمان، عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، عن الشيخ الجليل الكبير أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون القداح»[1].

أقول: وقبل الشروع في ترجمة هؤلاء الأعلام والأجلة الكرام زاد الله تعالى لهم الإكرام وخصَّهم بمزيد الإنعام، لا بدّ لنا من التنبيه على أمرٍ نبيه، وهو أنّه ذكر شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله في شرح بداية الدراية: (أنّه تُعرف العدالة المعتبرة في الراوي بتنصيص عدلين عليها، أو بالاستفاضة. بأن تشتهر عدالته بين أهل النقل،

---

(١) معالم الدين: ١٠.

أو غيرهم من أهل العلم، كمشايخنا السالفين من عهد الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني وما بعده إلى زماننا هذا.

لا يحتاج أحد من هؤلاء المشايخ المشهورين إلى تنصيص على تزكية ولا بيِّنة على عدالة؛ لما اشتهر في كلّ عصر من ثقتهم وضبطهم وورعهم زيادة على العدالة. وإنّما يتوقف على التزكية غير هؤلاء من الرواة الّذين لم يشتهروا بذلك ككثير ممن سبق على هؤلاء، وهم طرق الأحاديث المدونة في الكتب غالباً. وفي الاكتفاء بتزكية الواحد العدل في الرواية: قول مشهور لنا ولمخالفينا، كما يكتفي به ـ أي: بالواحد ـ في أصل الرواية. وهذه التزكية فرع الرواية، فكما لا يعتبر العدد في الأصل فكذا في الفرع)، انتهى كلامه[1].

وقال السيِّد الداماد رحمه الله في الرواشح: (ممّا يجب أن يعلم ولا يجوز أن يذهل عنه: أنَّ مشيخة المشايخ الّذين هم كالأساطين والأركان، أمرهم أجلُّ من الاحتياج إلى تزكية مزكٍّ، وتوثيق موثِّق)، انتهى[2].

أقول: لا يخفى أنّ العدالة ـ بناء على تفسيرها بالملكة ـ من الأُمور الباطنية لا تثبت إلاّ بكاشف قطعي أو شرعي، ومنه كفاية مطلق الطريق الظنّي في ذلك، كالاختبار بالمعاشرة، والصحبة الكاشفة بالاطّلاع على جملة من أحواله الدالّة على ذلك، وباشتهاره بين الناس خصوصاً العلماء والمحدِّثين، بحيث تعاملوا معه معاملة العدل بالرجوع إليه، وأخذ رواياته، وإن لم يصرّحوا بتوثيقه كالصدوق رحمه الله، وبحسن الظاهر.

---

(١) الرعاية في علم الدراية: ١٩٢.

(٢) الرواشح السماوية: ٢٦١.

كلّ ذلك لما تقرر في محلّه من أنّ التعديل ممَّا يتوفر به الدواعي وتعمُّ به البلوى. فلو اقتصر فيه على العلم لزم المخالفة القطعية في كثير ممَّا ترتّب عليه من الأحكام، فيجري فيه نظير دليل الانسداد، كما في نظائره من الضرر والنسب ونحوها، فيكفي فيه مجرد الظن القوي البالغ درجة السكون والاطمئنان، مضافاً إلى ما تحقق من أنّ الظنون الرجالية معتبرة بقول مطلق عند من يعمل بمطلق الظن في الأحكام، من غير حاجة إلى أنّ التعديل من باب الشهادة أو الرواية، وذلك لأنّ الظن في باب الرجال يوجب الظن بالحكم الفرعي الكلّيّ، فيعتبر من هذه الجهة وإن كان ظناً في الموضوع غير معتبر في حدّ نفسه، مضافاً إلى ما يظهر من تتبُّع أحوال السلف من النبيﷺ والأئمةعليهم السلام حيث جرت سيرتهم على حسن الظن وإلى الأخبار الظاهرة في ذلك.

وبالجملة، لا عبرة بما هو المعروف في هذا الشأن من بناء المسألة على الخلاف في أنَّ التزكية هل هي من باب الشهادة حَتَّى يعتبر فيها التعدُّد، أو من باب الرواية حَتَّى يُكتفى بواحد؟ بل المدار في باب التزكية على صيرورة الخبر موثقاً به من أي سبب كان، من غير اختصاص بتزكية العدل الواحد فضلاً عن عدلين، بل تكفي تزكية غير الإمامي أيضاً لو أفاد قوله الظن، كعليّ بن الحسن بن فضّال، وكذلك في باب الجرح، بل بطريق أولى؛ لأنّ الأصل عدم حجّية الخبر، وما عن شيخنا البهائي رحمه الله من قبول تزكية غير الإمامي دون جرحه[1] لعلّه

---

(١) قال الميرزا القمّي في كتابه (قوانين الأُصول ص ٤٧٣) ، ما نصّه: (ونقل عن المحقّق البهائيرحمه الله قول بالفرق بين التزكية والجرح إذا صدر عن غير الإمامي فيقبل الأوّل دون الثاني) .

ناظر إلى حصول الظن بالأول؛ لأنَّ الفضل ما شهدت به الأعداء دون الثاني؛ لأن الخصم لا عبرة بقدحه.

ترجمة صاحب المعالم

إذا عرفت ذلك فالحري بنا أن نقدِّم ترجمة شيخنا الماتن رحمه الله وذكر أحواله فإنّه مقدمة هذا الجيش فهو: المحقّق جمال الدين أبو منصور، كان فاضلاً محقّقاً، ومتقناً مدقّقاً، وزاهداً تقياً، وعالماً رضياً، وكاملاً ذكياً، بلغ من التقوى والورع أقصاهما، ومن الزهد والعبادة منتهاهما، ومن الفضل والكمال ذروتهما وأسناهما، وحقّ على ابن الصقر أن يشبه الصقرا.

كان لا يحوز قوت أكثر من أُسبوع أو شهر[1]؛ لأجل القرب إلى مساواة الفقراء أو البعد عن التشبُّه بالأغنياء، والشاهد على فضله ما حرَّره من التصانيف وحقّقه من التآليف، فمن عرفها حقّ المعرفة أذعن بثبوت دعوى هذه الصفة.

كان رحمه الله ينكر كثرة التصنيف مع عدم تحريره، ويبذل جهده في تحقيق ما ألّفه وتحبيره، تضلَّع من علوم الحديث والرجال والفقه والأُصول مستغنياً بما يحتاج إليه ممَّا سواها من المعقول والمنقول.

كان هو والسيّد الجليل صاحب المدارك السيِّد محمّد ابن أُخته - قدَّس الله روحيهما- في التحصيل كفرسي رهان ورضيعي لبان، وكانا متقاربين في السنّ، وبقي بعد السيِّد محمّد بقدر تفاوت ما بينهما في السن تقريباً، وكتب على قبر السيِّد محمّد: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ

---

(١) قال حفيده الشيخ علي بعد نقل هذه العبارة: الشك منّي فيما نقلت عن الثقات.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[1]، وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٠٠٩هـ ورثاه بأبيات كتبها على قبره، وهي قوله:

لهفي لِرَهْن ضريحٍ صارَ كالعَلَمِ — للجودِ والمجدِ والمعروفِ والكَرَمِ
قد كانَ للدينِ شمساً يُستضاءُ به — مُحَمّدٌ ذو المزايا طاهرُ الشِّيَمِ
سقى ثراهُ وهنَّاهُ الكرامَةَ والـ — رَيْحانَ والرَّوحَ طُرّاً بارئُ النَّسَمِ

والحق أنّ بينهما فرقاً في الدقّة والنظر يظهر لمن تأمّل مصنّفاتهما، وأنّ صاحب العنوان رحمه الله كان أدقّ نظراً وأجمع من أنواع العلوم، وكانا مدّة حياتهما إذا اتفق سبق أحدهما إلى المسجد وجاء الآخر بعده يقتدي به في الصلاة، وكان كلٌّ منهما إذا صنّف شيئاً يرسل أجزاءه إلى الآخر وبعد ذلك يجتمعان على ما يوجبه البحث والتحرير.

وكان مولده الشريف في العشر الأخيرة من شهر رمضان سنة ٩٥٩، ووجد بخطه رحمه الله نقلاً عن خط والده الشهيد رحمه الله بعد ذكر تواريخ إخوته ما هذا لفظه: **(وُلد أخوه حسن أبو منصور جمال الدين عشية الجمعة، سابع عشر شهر رمضان المعظَّم سنة ٩٥٩ هـ والشمس في ثالثة الميزان والطالع زحل، اللهُمَّ اجعل خاتمتنا إلى خير يامن بيده كلُّ خير).**

وكان سنّه عند وفاة والده أربع سنين وأشهراً، وقرأ على السيِّد علي الصائغ، والسيد علي نور الدين الكبير والد السيِّد محمّد صاحب المدارك، والشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي، وعمدة تحصيله على السيِّد علي الصائغ في أكثر العلوم

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

من المعقول والمنقول والفروع والأُصول والعربي والرياضي، وعلى مولانا عبد الله اليزدي صاحب حاشية المنطق، وكان المولى المزبور هو يقرأ عليه الفقه والحديث.

ثُمَّ سافر هو وصاحب المدارك إلى العراق وحضرا عند المولى أحمد المقدّس الأردبيلي، وقرأ عليه عدّة كتب في الأُصول والمنطق والكلام وغيرها.

ولمّا رجع من العراق اشتغل بالتدريس والتصنيف وقرأ عليه جملة من الفضلاء: كولده الشيخ محمّد، والسيّد نور الدين، والشيخ نجيب الدين، والشيخ حسين ابن الظهير، والشيخ عبد اللطيف الجامعي صاحب الرجال وشرح الاستبصار وغيرهما، وغيرهم.

وينقل عن الخليفة سلطان العلماء صاحب الحاشية أنّه قال يوماً ما معناه: **(كنت أسمع أنّ الشيخ حسن توفّي في أثناء تصنيف المنتقى أو المعالم، ومن كان هكذا فكره وتحقيقه ليس عجباً وفاته في مثل هذا التصنيف والفكر فيه).**

وله - قدّس سرّه - مصنّفات وفوائد ورسائل وخُطَب، منها كتاب (منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان) مجلدان، وكتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) [وكتابنا هذا الَّذي بين يديك هو شرح لـ][1] أُصول مقدمته، وبرز من فروعه مجلَّد وهو الَّذي رمنا شرح خطبته وبلغنا فيه هذا المقام، نسأله تعالى التوفيق للإتمام، و(حاشية على مختلف الشيعة) للعلاّمة في مجلد، وكتاب (مشكاة القول السديد في تحقيق معنى الاجتهاد والتقليد)، وكتاب (الإجازات)،

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

و(التحرير الطاووسي) في الرجال مجلد، والرسالة (الاثنا عشرية) في الطهارة والصلاة، وله (ديوان شعر)، و(مجموع) يحتوى على نفائس الشعر والفرائد له ولغيره، و(مجموع) آخر بخطه انتخب فيه من فصول (نسيم الصبا) عشرة فصول، وفيه فوائد وحكايات وأشعار.

انتقل إلى جوار الله تعالى سنة ١٠١١ هـ ودُفن في بلدة (جبع)، فيكون سنّه اثنتين وخمسين سنة[١].

قال الشيخ علي حفيده في (الدر المنثور): (**كان ذا شعر رائق وأسلوب فيه فائق، كالماء الزلال، والسحر الحلال، بلفظ حسن رقيق، ومعنى جيد رشيق، ما بين مواعظ وألغاز، وغزل ومراثٍ ومديح**).

ومنه قوله رحمه الله:

واعجباً منّي وما إنْ أرى ... تعجُّبي مِنّيَ يجديني
أُطيعُ نفسي إنْ دَعَتني إلى ... أمرٍ بهِ تُؤذَى وَتُؤذيني
وحيثُ أدعوها إلى مطلَبٍ ... تنجو به حَقّاً وتُنْجيني
فمَنْ عذيري أو شفيعي إذا ... نادَيْتُها يوماً تُلبِّيني
أو مَنْ معيرٌ لِيَ نفساً بِها ... اعتاضُ عن نفسي وتكفيني

ومن شعره لمّا كان بالعراق، وقد شاهد ركباً متوجِّهاً من العراق إلى الشام:

قِفْ بالديارِ وسَلْها عن أهاليها ... عسى تردُّ جواباً إذ تُناديها
واستفهِمَنْ مِن لسانِ الحالِ ما فَعَلَتْ ... أيدي الخُطوبِ وماذا أبرَمَتْ فيها

---

(١) الدر المنثور ٢: ١٩٩، تكملة أمل الآمل: ١٣٨ رقم ٩٣ بتصرف يسير.

فَسَوْفَ تُنبيكَ أنّ القوم قَدْ رَحَلوا　　ولَمْ تَكُنْ بَلَغَتْ مِنهُم أمانيها

وغادَرَتْها صروفُ الدهرِ خاليةً　　قَدْ هُدِّمَتْ أسفاً مِنها مغانيها

وأصبَحَت بالنَّوى والبين في ظمأٍ　　وما سوى القُربِ مِنهُم لَيْسَ يَرويها

وأظلَمَتْ بعدَهُم أيامُها وَلَقَدْ　　كانَت بِهِم أشرَقَتْ بيضاً لياليها

وبانَ عَنْ عِزّها ذُلُّ الكآبةِ إذْ　　تغيَّرَتْ بَعْدَما بانوا معانيها

ولهُ أيضاً في هذا الشأن:

فؤادي ضاعنٌ إثرَ النِّياقِ　　وجسمي قاطِنٌ أرضَ العِراقِ

ومِنْ عَجَبِ الزَّمانِ حياةُ شَخْصٍ　　ترحَّلَ بعضُهُ والبعضُ باقِ

وحَلَّ السُّقمُ في جسمي فأمسى　　لهُ ليلُ النَّوى لَيلُ المَحاقِ

وصبري راحلٌ عمّا قليلٍ　　لشِدّةِ لَوعَتي ولَظى اشْتياقي

وفرطُ الوجدِ أصبحَ لي حَليفاً　　ولمّا يَنْوِ في الدنيا فِراقي

وتعَبثُ نارُه بالروحِ حيناً　　فيوشِكُ أن يُبلِّغَها التراقي

وأظمأني النَّوى وأراق دمعي　　فلا أروى ولا دمعي بِراقِ

أبى اللهُ المهيمنُ أن تراني　　عيونُ الخَلْقِ مَحلولَ الوَثاقِ

أبيتُ مدى الزَّمانِ بنارِ وجدٍ　　على جمرٍ يزيدُ بهِ احتراقي

وما عيشُ امرىءٍ في بحرِ غمٍّ　　يُضاهي كربُهُ كَرْبَ السِّياقِ

يودُّ من الزَّمانِ صفاءَ يومٍ　　يلوذُ بظلِّهِ ممّا يُلاقي

سَقَتني نائباتُ الدهر كأساً　　مريراً من أباريقِ الفراقِ

ولم يَخْطُر ببالِيَ قبلَ هذا　　لِفَرْطِ الجَهلِ أنّ الدهرَ ساقِ

وفاضَ الكأسُ بَعْدَ البينِ حَتّى　　لَعَمْري قَدْ جرت مِنهُ سواقي

فلـــيس لـــداء مـــا ألقـــى دواءٌ يؤمَّـــلُ نفعُـــهُ إلاّ التَّلاقـــي

ومن شعره وهو بالعراق متشوقاً إلى وطنه رحمه الله:

طـولُ اغـترابي بفـرطِ الـشوق أضـناني والبـينُ في غمـراتِ الوجـدِ ألقـاني

يـا بارقـاً مـن نـواحي الحـيِّ عارَضَـني إليـكَ عنِّـي فقـد هيَّجْـتَ أشـجاني

فـما رأيتُـكَ في الآفـاق معترضـاً إلا وذكرتنـي أهـلي وأوطـاني

ولا سـمعتُ شـجى الورقـاء نائِحَـةً في الأيـكِ إلا وشـبَّت منـهُ نـيراني

كَـمْ ليلـةٍ مـن ليـالي البـينِ بـتُّ بهـا أرعـى النجـومَ بطـرفي وَهْـيَ ترعـاني

كـأنَّ أيـدي خطـوبِ الـدهرِ حـين نـأوا عـن نـاظِرَي كَحَلـتْ بالـسُّهدِ أجفـاني

ويـا نـسيماً سرى مـن حـيِّهم سَـحَراً في طيِّـه نـشْر ذاكَ الرنـدِ والبـانِ

أحييـتَ مَيْتـاً بـأرض الـشامِ مُهجَتُـهُ وفي العـراقِ لَـهُ تخييـلُ جُـثمانِ

وكَـمْ حييـتُ وكَـمْ قَـدْ مِـتُّ مـن شـجني مـا ذاك أوَّلُ إحيـاءٍ ولا الثـاني

شـابَتْ نـواصِيَّ مِـنْ وَجـدي فـوا أسـفي عـلى الـشبابِ فـشيبي قَبْـلَ إبّـاني

وا لهْـفَ نفـسي حـصونُ البـينِ عـامِرَةٌ ورَبْـعُ قـربِ التَّلاقـي مالـه بـاني

يـا لائِمـي كَـمْ بهـذا اللَّـومِ تُزعِجُنـي دعنـي فلومُـكَ قَـدْ واللهِ أغـراني

لا يـسكن الوجـدُ مـا دام الـشتاتُ ولا تـصفو المـشارِبُ لي إلّا بلبنـانِ

في ربـع أُنـسي الَّـذي حـلّ الـشبابُ بـهِ تمـائمي وبـهِ صـحبي وخِـلّاني

كَـمْ قَـدْ عهِـدْتُ بهاتيـكَ المعاهِـدِ مِـنْ إخـوانِ صـدقٍ لَعَمـري أيُّ إخـوانِ

وكَـمْ تقـضّتْ لنـا بـالحيِّ أزمَنَـةٌ عـلى المـسرَّة في كـرمٍ وبُـستانِ

لَمْ أدرِ حـالَ النَّـوى حَتَّـى علِقْـتُ بـه فغمـرتي مـن وقـوعي قبـل عرفـاني

حتّـامَ دهـري عـلى ذا الهـون يمـسكني هـلّا جنحـتُ لتـسريحٍ بإحـسانِ

أقسمت لولا رجاءُ القربِ يُسعفني فكلَّما مِتُّ بالأشواقِ أحياني
لكدت أقضي بها نحبي ولا عجبٌ كَمْ أهلَكَ الوجدُ من شيبٍ وشبَّانِ
يا جيرةَ الحيِّ قلبي بَعْدَ بعُدِكُمُ في حيرةٍ بين أوصابٍ وأشجانِ
يمضي الزَّمانُ عليهِ وَهْوَ ملتزمٌ بحُبِّكم لم يدنسه بِسُلوانِ
باق على العهد راع للذمام فما يسوم عهدَكُم يوماً بنسيانِ
فإن يراني سقامي أو نأى رشدي فلا عِجُ الشوقِ أوهاني وألهاني
وإنْ بَكَتْ مقلتي بعد الفراقِ دَمَاً فمِن تَذكُرِكُمْ يا خيرَ جيرانِ

وله قدس سره في صدر كتابة:

سلامٌ عليكم لا أرى العيشَ والنَّوى يجاذِبُنا ثوبَ الحياةَ يطيبُ
هلِ البينُ إلّا شرٌّ داءٍ إذا اعترى فليس له غيرُ اللِّقاءِ طَبيبُ

وله طاب ثراه:

سَقَوني في الهوى كأساً معاني حُسنِهم راحَهْ
فلي في مهجتي أصلٌ لوجدي أينَ شرّاحَهْ

وله طاب ثراه:

عرِّج على الأحباب يا ذا الحادي أنبئهُمُ أنّي على الميعادِ
وقلِ الكئيبُ لِبُعدِكُمْ غادَرْتُهُ كالميِّتِ مُلقىً بينَ أهلِ البادي
ذا مقلةٍ أجفانُها قَدْ كُحِّلتْ بعد التفرُّقِ والفلا بِسُهادِ
ويقول من ظمأٍ به واحسرتي حَتَّى متى يُروى غليلُ الصادِ
بَعُدَت ديارُ أحبَّتي فلنا بهم قدح الزناد مسعَّر بفؤادي
ولقد نذرتُ صيامَ يومِ لقائِهم مَعَ أنّه مِنْ أكبرِ الأعيادِ

روحي الفدا لأحبةٍ من وصلِهِمْ ذهبَ الزّمانُ وما بَلَغْتُ مُرادي
أشكو الزّمانَ وأهلَهُ فكأنّما خُلِقَ الزّمانُ وأهلُهُ لِعِنادي
لكنّني متمسّك بهدايتي لولاءِ أصحابِ الكسا الأمجادِ
أهلِ النّبوةِ والرسالةِ والهُدى للحقِّ بَعْدَ الشرك والإلحادِ
أعني النبيّ المصطفى المبعوث من أُمِّ القرى بالحقّ للإرشاد
والطاهرَ الحبرَ الإمامَ المرتضى زوجَ البتولِ أخا النبي الهادي
والبضعةَ الزهراءَ والحسنينِ سا داتِ الورى فيهم وبالسجادِ
ومحمّدٍ وبجعفرٍ وبكاظمٍ ثُمَّ الرضا ومحمّدٍ والهادي
والعسكريّ ونجله المهديّ من نرجوه يروي غَلّة الأكبادِ
ننجو إذا وضع الكتاب ولا نرى نفعاً من الأموالِ والأولادِ
يا آلَ أحمَدَ حُبُّكُم لي منهجٌ خَلَفٌ عن الآباءِ والأجدادِ
أرجو به عند النزول بحفرتي أُنساً وذخري أنتُمُ لِمَعادي

وله طاب ثراه:

صَدَّ دلالاً وانثنى مُعْرِضا فأرسَلَ الصّدغَ على خالِهِ
لَئِنْ أبى عن أن تراه فقد أنبأنا المُرسَلُ عن حالِهِ

وله أيضاً:

اختلف الأصحابُ في محنتي وما الّذي أوجَبَ لي البلوى
فقيل طولُ النأي والبعدُ عن نيلِ المُنى مِنْ وصلِ مَنْ أهوى
وقيلَ لا بَلْ صدغُهُ لم يزل بالسِّحرِ يرمي القلبَ بالأسوا
وقيل سهما لحظه إذ رنا لم يتخطا جسدي عُضوا

وقيل ضعف الطرف والحصر إذ عليه قلب الصبّ لا يقوى
وقيل بل كلٌّ له مدخل فيها وعندي أنّه أقوى

وقال الشيخ علي الحفيد في كتاب (الدر المنثور): (إنّه سمعت من بعض مشايخنا... وغيرهم أنّه لما حج كان يقول لأصحابه: نرجو من الله سبحانه أن نرى صاحب الأمر عليه السلام، فإنّه يحجُّ في كلّ سنة.

فلمّا وقف بعرفة أمر أصحابه أن يخرجوا من الخيمة ليتفرغ لأدعية عرفة، ويجلسوا خارجها مشغولين بالدعاء، فبينما هو جالس إذ دخل عليه رجل لا يعرفه، فسلّم وجلس، قال: فبُهِتُّ منه، ولم أقدر على الكلام، فكلّمني بكلام نقل لي ولا يحضرني الآن. فلمّا قام وخرج خطر ببالي ما كنت أرجوه، وقمت مسرعاً فلم أره، وسألت أصحابي فقالوا: ما رأينا أحداً دخل عليك. وهذا معنى ما سمعته والله أعلم)، انتهى[1].

وذكره صاحب السلافة فقال: (الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الشامي العاملي، شيخ المشايخ الجلّة، ورئيس المذهب والملّة، الواضح الطريق والسنن، والموضّح الفروض والسنن، يمّ العلم الَّذي يفيد ويفيض، وجمّ الفضل الَّذي لا ينضب ولا يغيض. المحقِّق الَّذي لا يراع له يراع، والمدقّق الَّذي راق فضله وراع، المتفنن في جميع الفنون، والمفتخر به الآباء والبنون، قام مقام والده في تمهيد قواعد الشرائع، وشرح الصدور بتصنيفه الرائق وتأليفه الرائع، فنشر للفضائل حللاً مطرزة الأكمام، وأماط عن مباسم أزهار العلوم لثام الأكمام، وشنف المسامع بفرائد الفوائد، وعاد على الطلاب بالصلات والعوائد.

(١) الدر المنثور ٢: ٢٠٤- ٢٠٩.

وأمّا الأدب: فهو روضه الأريض، ومالك زمام السجع منه والقريض، والناظم لقلائده وعقوده، والمميّز عروضه من نقوده، وسأُثبت منه ما يزدهيك إحسانه، وتطيبك خرائده وحسانه، وأخبرني من أثق به أنّ والده السعيد لمّا ناداه داعي الأجل على يد الشقي العنيد، فألقى السمع وهو شهيد، كان للشيخ المذكور من العمر اثنتا عشرة سنة، وذلك في سنة ٩٦٥، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٠١١، ومن مصنّفاته كتاب (منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان)، وكتاب (المعالم)، و(الاثني عشرية)، و(منسك الحج)... وغير ذلك.

ومن شعره قوله:

أبهضني حَمْلُ النَّصَبْ ونالني فَرْطُ التَّعَبْ
إذْ مُرَّ حالاتِ النَّوى عليّ دهري قَدْ كَتَبْ
لا تعجبوا من سقمي إنّ حياتي لَعَجَبْ
عاندني الدهرُ فما يجودُ لي إلاّ العَطَبْ
وما بقاءُ المرءِ في بحرِ هومٍ وكُرَبْ
لله أشكو زمناً في طرقي الختر نَصَبْ
فَلَسْتُ أغدو طالباً إلّا ويعييني الطَّلَبْ
لو كُنْتُ أدري علّةً توجبُ هذا أو سببْ
كأنّه يحسبني في سلكِ أصحابِ الأدبْ
أخطأتَ يا دهرُ فلا بَلَغْتُ في الدنيا إرَبْ
كَمْ تألف الغدرَ ولا تخافُ سُوءَ المُنْقَلَبْ
غادرتني مطّرحاً بين الرزايا والنُّوَبْ

مـــن بعـــد مـــا ألبـــستني ثـــوبَ عنـــاءٍ وَوَصَـــبْ
في غربـــــةٍ صـــــمّاء إن دعـــوت فيهـــا لَم أُجَـــبْ
وحـــاكِمُ الوجـــدِ عـــلى جميـــلِ صـــبري قَـــدْ غَلَـــبْ
ومـــؤلِمُ الـــشوقِ لـــه قلبـــي المعنَّـــى قَـــدْ وَجَـــبْ
ففـــي فـــؤادي حُرقَـــةٌ منهـــا الحـــشا قَـــدِ التَهَـــبْ
وكـــل أحبـــابي قَـــدْ أودعـــتُهُم وســـطَ الـــتُّرِبْ
فـــلا يلمنـــي لائـــمٌ إنْ ســـالَ دمعـــي وانـــسَكَبْ
واليـــومَ نـــائي أجـــلي مـــن لـــوعتي قَـــدْ اقـــتربْ
إذ بـــان عنّـــي وطنـــي وعيـــلَ صـــبري وانـــسَلَبْ
ولم يـــدع لي الـــدهر مـــن راحلتـــي ســـوى القَتَـــبْ
لم تـــرض يـــا دهـــري بـــما صرفُـــك عنّـــي قَـــدْ نَهَـــبْ
لم يبـــقَ عنـــدي فِـــضَّةٌ أُنفِقُهـــا ولا ذَهَـــبْ
واســـترجع الـــصفو الَّـــذي مـــن قبـــلُ كـــان قَـــدْ ذَهَـــبْ
تبَّـــت يـــداهُ مثـــلَ مـــا تبَّـــت يـــدا أبي لَهَـــبْ[1]

وله في رثاء الحسين عليه السلام:

أليلـــةَ الحَـــشْرِ لا بـــل ليـــلُ عاشـــورِ أنفخـــةَ الـــصُّور لا بـــل نَفْـــثُ مـــصدورِ
ليـــلٌ بـــه خـــسفت بـــدر الهـــدى أســـفاً وأصـــبح الـــدينُ فيـــه كاســـفَ النـــورِ
يـــومٌ بـــهِ ذَهَبَـــتْ أبنـــاءُ فاطمـــةٍ للبـــينِ مـــا بـــينَ مقتـــولٍ ومأســـورِ

---

(١) سلافة العصر: ٣٠٤-٣٠٨، أعيان الشيعة ٥: ٩٩.

فأيُّ دمعٍ عليهم غيرُ مُنهَمِلِ ... وأيُّ قلبٍ عليهم غيرُ مفطورِ
يا وقعةَ الطّفِّ خلَّدتِ القلوبَ أسى ... كأنّما كلُّ يومٍ يومُ عاشورِ
يا وقعةَ الطّفِّ هل تدرين أيَّ فتىً ... أوقفتِهِ رَهْنَ تعقيرٍ وتعفيرِ
هذا الحسينُ قتيلاً رَهْنَ مَصرَعِهِ ... يبكي له كلُّ تهليلٍ وتكبيرِ[1]

السيّد علي نور الدين الكبير

وأمّا السيِّد نور الدين: فهو علي بن الحسين بن أبي الحسن الحسيني الموسوي العاملي الجبعي، كان من أعيان العلماء في عصره، جليل، من تلامذة الشهيد الثاني، تزوج ابنته في حياته فأولدها السيِّد محمّد صاحب المدارك، ثُمَّ تزوج بعد موته والدة شيخنا الماتن رَحِمَهُ الله فأولدها السيِّد عليّ نور الدين المعروف بـ(الصغير) امتيازاً عن أبيه المذكور المعروف بالسيّد علي نور الدين الكبير.

وستأتي ترجمة الولد بعد الفراغ من ترجمة الوالد، ولم أقف على من ذكر له شيئاً من التصانيف ولا على تأريخ وفاته، نعم، كان هو والسيّد علي الصائغ المتقدِّم ذكره قَدْ توليّا تربية شيخنا الماتن رَحِمَهُ الله.

قال الشيخ محمّد العودي في رسالة أحوال الشهيد رَحِمَهُ الله خلال ذكر تلامذته، منهم: **(السيِّد الإمام العلاّمة، خلاصة السادة الأبرار، وعين العلماء الأخيار، وسلالة الأئمّة الأطهار، السيِّد العالم، الفاضل، الكامل، ذو المجدين علي ابن الإمام السيِّد البدل، أوحد الفضلاء، وزبدة الأتقياء السيِّد المرحوم عزّ الدين حسين بن أبي الحسن العاملي أدام الله شريف حياته. ربّاه كالوالد لولده، ورقّاه إلى المعالي بمفرده، وزوّجه**

---

(١) لم أهتد إلى مصدره.

ابنته رغبة فيه، وجعله من خواص ملازميه. قرأ عليه جملة من العلوم الفقهيّة، والعقليّة، والأدبيّة وغيرها، وأجازه إجازة عامّة)[١].

ويروي عنه الأمير فيض الله التفريشي والمحقّق الداماد، قال في مستند بعض الأحراز المرويّة عن الأئمّة عليهم السلام: (ومن طريق آخر رويته عن السيِّد الثقة الثبت المركون إليه في فقهه، المأمون في حديثه، علي بن أبي الحسن العاملي قراءة وسماعاً، سنة ٩٨٨ من الهجرة المباركة النبويّة في مشهد سيّدنا ومولانا أبي الحسن الرضا صلوات الله وتسليماته عليه بسناباد طوس، عن زين أصحابنا المتأخّرين زين الدين أحمد بن علي بن أحمد بن محمّد بن علي بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح بن شرف العاملي رفع الله قدره في أعلى مقامات الشهداء الصدِّيقين) انتهى[٢].

وهذا السيِّد يعبَّر عنه: بالسيّد علي بن أبي الحسن الموسوي تارة، وبالسيّد علي بن الحسين بن أبي الحسن كما في المتن تارة أخرى، وربّما ظنّ بعضهم اتّحاده مع ولده المذكور لاتّحادهما في اللقب وهو غلط[٣].

السيّد علي نور الدين الصغير

وهاك ترجمة الولد: هو السيِّد نور الدين الصغير علي ابن السيِّد نور الدين الكبير علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي الحسيني، وهو أخو الشيخ الماتن رحمه الله من أُمِّه، وأخو السيِّد محمّد صاحب (المدارك) من أبيه، وذكره السيِّد

---

(١) الدر المنثور ٢: ١٩٢، تكملة أمل الآمل: ٢٨٩.

(٢) بحار الأنوار ٩١: ٣٦٩، تكملة أمل الآمل: ٢٨٩ رقم ٢٦٨.

(٣) آمل الآمل ١: ١١٨ ـ وهو الّذي ظنّ بالاتحاد كما في الرياض ـ تكملة أمل الآمل: ٢٨٩ رقم ٢٦٨، إحياء الداثر: ١٤٧.

علي خان في السلافة بما لفظه: (طود العلم المنيف، وعضد الدين الحنيف، ومالك أزمَّة التحقيق والتصنيف، الباهر بالرواية والدراية، والرافع لخميس المكارم أعظم راية، فضل يعثر في مداه مقتفيه، ومحل يتمنّى البدر لو أشرق فيه، وكرم يُخجل المزن الهاطل، وشيم يتحلّى بها جيد الزمن العاطل، وصيت من حسن السمعة بين السَّحر والنحر:

فسارَ مسيرَ الشَّمسِ في كُلّ بلدةٍ وَهَبَّ هُبوبَ الريحِ في البَرِّ والبَحرِ

حَتَّى كأن رائد المجد لم ينتجع سوى جنابه، وبريد الفضل لم يقعقع سوى حلقة بابه، وكان له في مبدأ أمره بالشام مجال لا يكذبه بارق العزّ إذا شام، بين إعزاز وتمكين، ومكان في جانب صاحبه مكين، ثُمَّ انثنى عاطفاً عنانه وثانيه، فقطن بمكّة شرّفها الله تعالى وهو كعبتها الثانية، تُستلم أركانه كما تُستلم أركان البيت العتيق، وتُستنشم أخلاقه كما يُستنشم المسك العبيق، يعتقد الحجيج قصده من غفران الخطايا، وينشد بحضرته تمام الحج أن تقف المطايا.

وقد رأيته بها وقد أناف على التسعين، والناس تستعين به ولا يستعين، والنور يسطع من أسارير جبهته، والعزّ يرتع في ميادين جلهته، ولم يزل بها إلى أن دعي فأجاب، وكأنّه الغمام أمرع البلاد فانجاب، وكانت وفاته لثلاث عشرة بقين من ذي الحجّة الحرام سنة ١٠٦٨ رحمه الله. وله شعر يدل على علو محلّه، وإبلاغه هدي القول إلى محلِّه)، انتهى[(١)].

وهذا السيِّد قَدْ قرأ على أبيه المتقدِّم ذكره، وعلى أخويه شيخنا الماتن والسيّد صاحب (المدارك)، له كتاب (شرح المختصر النافع) جيد قَدْ أطال فيه

(١) سلافة العصر: ٣٠٢.

البحث والاستدلال، إلاّ أنه لم يتمّ، وكتابه (الفوائد المكيّة في الرد على الفوائد المدنيّة)، و (شرح الاثني عشريّة البهائيّة) التي في الصلاة، وغير ذلك من الرسائل، ومن شعره الرائق قوله متغزلاً:

يا مَنْ مضَوا بفؤادي عندما رحلوا ... من بعد ما في سويدِ القلبِ قَدْ نزلوا

جاروا على مهجتي ظلماً بلا سببٍ ... يا ليتَ شعري إلى مَنْ في الهوى عَدَلوا

وأطلقوا عبرتي من بعد بُعدِهُم ... والعين أجفانُها بالسُّهدِ قَدْ كحلوا

يا مَنْ تعذَّب من تسويفهم كبدي ... ما آن يوماً لقطع الحبل أن تصلوا

جادوا على غيرنا بالوصل متصلاً ... وفي الزَّمان علينا مرَّة بخلوا

كيفَ السبيلُ إلى من في هواهُ مَضَى ... عُمري وما صدَّني عن ذكرهِ شُغُلُ

واحَيْرتي ضاعَ ما أوليتُ من زمنٍ ... إذ خابَ في وصلِ من أهواهُمُ الأملُ

في أيِّ شرعٍ دماءُ العاشقينَ غَدَتْ ... هدراً وليس لهم ثارٌ إذا اقتتلوا

ياللرجال من البيضِ الرِّشافِ أما ... كفاهُمُ ما الَّذي بالناس قَدْ فعلوا

مَن منصفي من غزالٍ ما له شُغُلُ ... عنّي ولا عاقني عن حبِّه عَمَلُ

قَضَيتُ أشراك صيدي في مراتِعِهِ ... الصَّيدُ فنّي ولي في طُرقِهِ حِيَلُ

فصاحَ بي صائحٌ: خفِّض عليك فقد ... صادوا الغزالَ الَّذي تبغيهِ يا رَجُلُ

فَصِرْتُ كَالوالِهِ الساهي وفارَقني ... عقلي وضاقَتْ عليَّ الأرضُ والسُّبُلُ

وقلت: باللهِ قُلْ لي أينَ سارَ بهِ ... مَنْ صادَهُ؟ عَلَّهُم في السَّيرِ ما عَجَلوا

فقال لي كيفَ تلقاهُمْ وقَدْ رَحَلُوا ... من وقتِهِم واستجدَّت سيرَها الإبِلُ

وقوله مادحاً بعض الأُمراء، وهي من غرر كلامه:

لكَ الفخرُ بالعليا لكَ السعدُ راتبُ ... لكَ العِزُّ والإقبالُ والنَّصرُ غالِبُ

لكَ المجدُ والإجلالُ والجودُ والعطا ... لكَ الفضلُ والنُّعمى لك الشكر واجبُ

سموتَ على هام المجرَّة رفعةً ودارَتْ على قُطْبَي عُلاكَ الكواكِبُ

فيا رتبةً لو شِئْتَ أن تبلغَ السُّهى بها أقبلت طوعاً إليكَ المطالِبُ

بلغتَ العُلا والمجدَ طفلاً ويافِعاً ولا عَجَبٌ فالشِّبلُ في المهدِ كاسِبُ

سَمَوْتَ على قُبِّ السراحين صائلاً فَكَلَّتْ بكفيكَ القنا والقواضِبُ

وحُزْتَ رهانَ السَّبقِ في حَلْبَةِ العُلا فأنتَ لها دونَ البريَّةِ صاحِبُ

وجُلْتَ بِحَوماتِ الوغى جَولَ باسمٍ فرُدَّتْ على أعقابِهِنَّ الكتائِبُ

فلا الذارعاتُ المعتِياتُ تكنُّها ملابِسُها لَمّا تَجِنُّ المضارِبُ

ولا كثرةُ الأعداءِ تغني جُموعَها إذا لَمَعَتْ مِنكَ النُّجومُ الثواقِبُ

خُضِ الحتفَ لا تخشَ الردى واقهَرِ العدا فليسَ سُوى الإقدامِ في الرأيِ صائِبُ

وشمِّر ذيولَ الحزمِ عن ساقِ عزمِها فما ازدَحَمَتْ إلّا عليكَ المراتِبُ

إذا صدقت للناظرين دلائِلٌ فدع عنكَ ما تبدي الظنونُ الكواذِبُ

ببيض المواضي يُدرِكُ المرءُ شأْوَهُ وبالسُّمرِ إن ضاقَت تهونُ المَصاعِبُ

لأسلافِكَ الغرِّ الكرام قواعد على مثلها تبنى العُلى والمناصِبُ

زكوتَ وحزتَ المجدَ فرعاً ومحتِداً فآباؤك الصيدُ الكرامُ الأطائِبُ

ومن يزك أصلاً فالمعالي سَمَتْ به ذرى المجدِ وانقادت إليه الرَّغائِبُ

بنو عمِّكُم لَمّا أضاءَت مشارِقٌ بِكُم أشرقَتْ مِنّا علينا مغارِبُ

وفيكُمْ لنا بدرٌ من الغَربِ طالِعٌ فلا غروَ إن كانت لديه العجائِبُ

هو الفخرُ مدَّ اللهُ في الأرض ظِلَّهُ ولا زال تُجلى مِنْ سناهُ الغياهِبُ

إلى حَلَبِ الشهباءِ منِّي بشارةٌ تعطِّرُها حَتَّى تفوحَ الجوانِبُ

إذا ما مضى من بعد عشر ثلاثةٌ من الدور فيها تُستَتَمُّ المآرِبُ

لقد حدَّثت عنها أُولو العلم مثلَها جرى وانقَضَتْ تِلكَ السنونُ الجواذِبُ

بدا سعدُها لَمّا عليٌّ بدا لها ويا طالَما قَدْ أُنحِسَتْ وهوَ غارِبُ

وفــوزُ عـــلـيٍ بـــالعلى فوزُهـــا بـــه ... فكـــلٌّ إلى كـــلٍّ مـــضافٌ مناسِـــبُ

كـــأنّي بـــسيفِ الدولـــةِ الآنَ وارداً ... إليهـــا يلاقـــي مـــا جَنَتـــهُ الثعالِـــبُ

لقــد جاءَهــا صــوبُ الحيــا بعــد مَحْلِهــا ... وشرَّفهـــا مَـــنْ أحكَمَتْـــهُ التجـــارِبُ

كــريمٌ إذا مـــا أمحــلَ الغيـــثُ أمطَـــرَتْ ... أياديـــهِ جُـــوداً مِنـــهُ تـــصفو المـــشارِبُ

أريـــبٌ أديـــبٌ لـــو تجـــسَّمَ لفظُـــهُ ... أصـــابَتْهُ عِقـــداً للنُّحـــور الكواعِـــبُ

فيـــا أيُّهـــا المنـــصور بُـــشراك رتبـــةً ... بهـــا الـــسَّعدُ حقّـــاً والـــسرورُ مواظِـــبُ

مَـــدَحْتُكُمُ والمـــدحُ فـــيكم تجـــارَةٌ ... بهـــا تثمـــر النُّعمـــى وتغلـــو المكاسِـــبُ

إلى بـــاب عليـــاكُم شـــددتُ رواحـــلي ... ويـــا طالمـــا شُـــدَّتْ إليهـــا الركائِـــبُ

بهـــا الفـــضلُ منـــشورٌ بهـــا الجـــودُ واتـــرٌ ... بهـــا فـــتحُ مـــن سُـــدَّتْ عليـــهِ المـــذاهِبُ

ومـــاذا عـــسى أنْ يبلـــغَ الوصـــفُ فـــيكُمُ ... إلى غايـــةٍ هـــل يُـــنقِصُ البحـــرَ شـــارِبُ

فـــلا زلـــتم في أكمـــلِ الـــسَّعدِ والهَنـــا ... مـــدى الـــدَّهر مـــا مالَـــتْ وماسَـــتْ ذوائِـــبُ[1]

الشيخ حسين والد البهائي

وأمّا عز الدين: فهو حسين بن عبد الصمد ابن شمس الدين محمّد بن علي بن حسين بن صالح الجبعي العاملي، الحارثي الهمداني، والد شيخنا البهائي رحمه الله، ينتهي نسبه إلى الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني المشهور، الّذي هو من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وله عليه السلام فيه هذه الأشعار كما صرّح به ولده النحرير في حاشية (شرح الأربعين):

يـــا حـــارِ همـــدانَ مَـــنْ يَمُـــتْ يـــرني ... مِـــنْ مُـــؤمِنٍ أو مُنـــافِقٍ قُـــبُلا

(١) ينظر ترجمته وأشعاره في: بحار الأنوار ١٠٦: ١١٢، أمل الآمل ١: ١٢٤ رقم١٣٣، أعيان الشيعة ٨: ٢٨٩، الغدير ١١: ٢٩١-٢٩٩، معجم رجال الحديث ١٣: ١٠٦ رقم ٨٣٤١

يَعرِفُنـــي شخــــصُهُ وأعرفـــــه بعينـــــه واســـمه ومـــا فَعَــــلا

وأنـــتَ عنـــد الـــصراطِ تعرِفُنـــي فـــلا تَخَـــفْ عثـــرةً ولا زَلَـــلا

أَقـولُ للنـار حـينَ توقَــفُ للعـرضِ ذريــــهِ لا تقــــربي الــــرَّجُلا

ذريـــــه لا تقربيــــــه إنَّ لـــــه حـــبلاً بحبـــلِ الـــوصيِّ مُتَّـــصلا

أســـقيكَ مـــن بـــاردٍ عـــلى ظمـــأٍ تخالُـــــهُ في الحـــلاوَةِ العَــــسَلا[1]

وكان ذلك بعد أن قال له الحارث وهو في مرض موته وكان أمير المؤمنين عليه السلام قَدْ عاده: يا مولاي، إنّي في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وإني أخاف من الفزع الأكبر، ولا أدري ما يفعل بي، وأخاف من النزع والعبور على الصراط.

قيل: فبكى الحارث، وقال: الحمد لله الَّذي جعلني من شيعتك يا أمير المؤمنين، ثُمَّ انصرف وفارق الحارث الدنيا[2].

ولله در من قال بالفارسية في هذا المعنى:

أيكـة گفتـي كـه مـن يمـت يـرني جـــان فـــداي كـــلام دل جويـــت

كـــاش روزي هـــزار مرتبـــه مـــن مرادمـــىء تابـــد يـــد مـــي رويـــت

---

(١) لم أعثر عليه في كتاب (الأربعون) المطبوع ولعل المنقول من نسخة مخطوطة فيها حواشي وزيادات، وذكرنا في المقدمة أن للمؤلف رحمه الله نسخة الحاشية على أربعين الشيخ البهائي للسيد عبد الله بن نور الدين ابن المحدث الجزائري (ت ١١٧٣ هـ)، أكبر من الأربعين بثلاث مرات.

(ينظر عن النسخة: ماضي النجف وحاضرها: ١: ١٦٨، موسوعة العتبات المقدسة: ٧: ٢٩٨)

(٢) أمالي المفيد: ٣، أمالي الطوسي: ٦٢٥ ح٥/١٢٩٢ بتقديم وتأخير في الشعر، وفيهما أن الحارث الهمداني هو الَّذي دخل على أمير المؤمنين عليه السلام، ولعل المؤلِف رحمه الله نقل الحديث بالمعنى، فتأمَّل.

وفي بعض المواضع: (أنه لما خرج من عنده أمير المؤمنين عليه السلام، دخل عليه الشعبي الملعون ـ الَّذي هو رابع أربعة لم يؤمنوا بعلي ـ فسأله عن حاله فشرح له حديث أمير المؤمنين وما قال له، فقال الشعبي: أما إنَّ حبَّه لا ينفعك، وبغضَهُ لا يضرُّك)[1].

حضور علي عليه السلام عند المحتضر

(هداية): المنقول عن السيِّد المرتضى رحمه الله: (أنه أنكر حضور أمير المؤمنين عليه السلام حين سؤال النكيرين؛ نظراً منه رحمه الله إلى القواعد الكلاميّة، أوجبت له الشبهة في ذلك، فاعترض بأنه إذا مات ألف مؤمن في لحظة واحدة فكيف السبيل؟

وقال: معنى أن المحتضر يرى علياً عليه السلام أنه يعلم صحَّة ولايته، ويتحقق وجوب إمامته علماً ضرورياً، والرؤيا هنا بمعنى العلم، كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾[2]، أي: ألم تعلم، انتهى ما نقل منه)[3].

---

(١) في كتاب اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٢٩٩ ح١٤٢ في ترجمة الحارث الأعور ما نصّه: «... عن أبي عمر البزاز، قال: سمعت الشعبي، وهو يقول ـ وكان إذا غدا إلى القضاء جلس في مكاني فإذا رجع جلس في مكاني ـ فقال لي ذات يوم: يا أبا عمر إن لك عندي حديثاً أحدثك به؟ قال قلت له: يا أبا عمرو ما زال لي ضالة عندك، قال، قال لي: لا أمّ لك فأيّ ضالة تقع لك عندي، قال، فأبى أن يحدثني يومئذ. قال: ثُمَّ سألته بعد، فقلت: يا أبا عمرو حدّثني بالحديث الَّذي قلت لي؟ قال: سمعت الحارث الأعور وهو يقول: أتيت أمير المؤمنين علياً عليه السلام ذات ليلة، فقال: يا أعور ما جاءك؟ قال: فقلت يا أمير المؤمنين جاء بي والله حبك، قال، فقال: أما إني سأحدثك لشكرها، أما إنه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حَتّى يراني حيث يحب، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حَتّى يراني حيث يكره. قال، ثُمَّ قال لي الشعبي بعد: أما إن حبه لا ينفعك وبغضه لا يضرك».

(٢) سورة الفجر: آية ٦.

(٣) رسائل المرتضى ١: ٢٨٠، ٣: ١٣٣، تنزيه الأنبياء: ١٧٧.

ولا بد من التعرُّض لذكر ما يزيل هذه الشبهة والارتياب، ويرفع لك الستر والحجاب، فأقول: إن من المسلَّم عند الرياضيين تحديد سرعة الفلك الأعلى بمقدار ما يقول أحد: واحد، يتحرك ألفاً وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخاً من مقعَّره، أو ألفين وأربعمائة فرسخ على الخلاف، والله أعلم بما يتحرك من محدَّبه[1].

فالقادر على تحريك مثل هذا الجسم العظيم بهذه السرعة لقطع هذه المسافة، هو القادر على تسيير إنسان واحد في آن واحد من المشرق إلى المغرب، وإن المتشرعة تقول: إن الملك ليسير في طرفة عين ألف سنة.

وقال الدميري في (حياة الحيوان) في البراق ـ أعني الدابة التي ركبها سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله ليلة المعراج ـ: **(الصحيح أنه دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، يضع خطوه عند أقصى طرفه، ويؤخذ من هذا أنه أخذ من الأرض إلى السماء في خطوة وإلى السموات في سبع خطوات.**

قال: وبه يرد على من استبعد من المتكلِّمين إحضار عرش بلقيس في لحظة واحدة، وقال: إنه أُعدِمَ ثُمَّ أوجد، وعلَّله بأن المسافة البعيدة لا يمكن قطعها في هذه اللَّحظة، وهذا أوضح دليل في الردَّ عليه)[2].

وروى الكليني والصدوق رحمهما الله... وغيرهما، في أخبار كادت أن تكون متواترة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام: **«أنه ما من مؤمن يموت إلاّ ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فإذا رآهما استبشر»**[1].

(١) بحار الأنوار ٥٥: ١١١.

(٢) حياة الحيوان ١: ١٤٧ (مادة: البراق).

ولحسن بن سليمان الحلّي تلميذ الشهيد رحمه الله كتاب سماه (المحتضر) - بالمهملة والضاد المعجمة - في تحقيق معاينة المحتضر النبيّ والأئمّة وقت الاحتضار، وهو غير كتابه (المختصر) بالخاء المعجمة والصاد المهملة[٢].

وفي (الخرائج) عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «**أعظم الناس ذنباً، وأكثرهم إثماً على لسان محمّد صلى الله عليه وآله: الطاعن على عالم آلِ محمّد صلى الله عليه وآله، والمكذّب ناطقهم، والجاحد معجزاتهم**».

ثمّ قال: «**إن من أنكر المعجزات لعلي وأولاده الأحد عشر عليهم السلام مع إثباتها للنبي صلى الله عليه وآله فإنه جاهل بالقرآن، وقد أخبرنا الله سبحانه عن آصف بن برخيا وصي سليمان عما أتى به من المعجزات من عرش ملكة اليمن، وكان سليمان يومئذ في بيت المقدس، فقال وصيه هذا: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾**[٣].

وارتداد الطرف لا يتوهم فيه ذهاب زمان، ولا قطع مسافة، وبين بيت المقدس والموضع الَّذي فيه العرش باليمن مسير خمسمائة فرسخ ذاهباً وخمسمائة فرسخ راجعاً فأتاه به من هذه المسافة قبل ارتداد الطرف[٤].

فإذا كان آصف وصي سليمان عليه السلام بهذا المنزلة مع أنه ما كان يعلم إلاّ

---

(١) الكافي: ٣: ١٣٣ ح٦، من لايحضره الفقيه: ١: ١٣٥ح ٣٦١.

(٢) الشيخ الفقيه العلاّمة عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد الحلّي الَّذي كان حياً سنة ٨٠٣ هـ وهو من تلامذة الشهيد الأول، وكتابه (المختصر) هو مختصر لبصائر الدرجات معروف ومطبوع أكثر من مرة.

(٣) سورة النمل: من آية ٤٠.

(٤) الخرائج والجرائح: ١: ١٧ باختلاف يسير.

اسما واحداً من الأسماء العظام؛ فكيف بأمير المؤمنين عليه السلام الَّذي هو وصي محمّد صلى الله عليه وآله خاتم النبيين وكان يعلم اثنين وسبعين اسماً من الأسماء العظام، بل هو الاسم الأعظم»[١].

وفي (الخرائج) أيضاً عن صفوان بن يحيى قال: «قال لي العبدي: قالت لي أهلي: قَدْ طال عهدنا بالصادق عليه السلام فلو حججنا وجدَّدنا به العهد.

فقلت لها: والله ما عندي شيء أحجُّ به.

فقالت: عندنا كسوة وحُلِيّ، فبع ذلك وتجهز به، ففعلت، فلمَّا صرنا قرب المدينة مرَضت مرضاً شديداً حَتَّى أشرفت على الموت، فلمَّا دخلنا المدينة خرجت من عندها وأنا آيس منها فأتيت الصادق عليه السلام، وعليه ثوبان ممصَّران، فسلَّمت عليه، فأجابني وسألني عنها، فعرفته خبرها.

فقلت: إني خرجت منها وقد آيست منها، فأطرق ملياً ثُمَّ قال لي: يا عبدي أنت حزين بسببها؟ قلت: نعم.

قال: لا بأس عليها، فقد دعوت الله لها بالعافية، فارجع إليها فإنك تجدها قَدْ أفاقت وهي قاعدة، والخادمة تلقمها الطبرزد[٢].

---

(١) في الكافي ج١ ص٢٣٠ ح١، ما نصّه: «عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حَتَّى تناول السرير بيده ثُمَّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(٢) الطبرزد: السكر الأبيض. (مجمع البحرين ٣: ٣٦)

قال: فخرجت إليها مبادراً فوجدتها قَدْ أفاقت وهي قاعدة والخادمة تلقمها الطبرزد، فقلت: ما حالك؟ قالت: قَدْ صبّ الله عليَّ العافية صبّاً، وقد اشتهيت هذا السكر.

فقلت: قَدْ خرجت من عندك آيساً، فقد سألني الصادقعليه السلام عنك فأخبرته بحالك، فقال: لا بأس عليها، ارجع إليها فهي تأكل السكَّر.

قالت: خرجت من عندي وأنا أجود بنفسي، فدخل رجل وعليه ثوبان ممصَّران. قال: مالك؟ قلت: أنا ميِّتة وهذا ملك الموت قَدْ جاء لقبض روحي. فقال: يا ملك الموت؟ قال: لبَّيك أيُّها الإمام.

قال: ألست أُمرت بالسمع والطاعة لنا؟ قال: بلى.

قال: فإني آمرك أن تؤخّر أمرها عشرين سنة، قال السمع والطاعة.

قال: فخرج هو وملك الموت من عندي فأفقت من ساعتي»[1].

وفي رجال ميرزا محمّد الكبير بسند عن حفص التمّار، قال: دخلت على أبي عبد اللهعليه السلام أيام طلب المعلَّى بن خنيس، فقال لي: «يا حفص! إني أمرت المعلَّى فخالفني فابتلى بالحديد، إني نظرت إليه يوماً وهو كئيب حزين فقلت: يا معلَّى! كأنك ذكرت أهلك وعيالك؟ قال: أجل.

قلت: ادنُ منّي، فدنا منّي فمسحت على وجهه، فقلت: أين تراك؟ فقال: أراني في أهل بيتي، وهذه زوجتي، وهذا ولدي. قال: فتركته حَتَّى تملّى منهم

---

(١) الخرائج والجرائح: ١: ٢٩٤ ح ٢باختلاف يسير.

[واستترت منه]، حَتَّى نال ما ينال الرجل من أهله، ثُمَّ قلت: ادنُ منّي، فدنا منّي، فمسحت وجهه، فقلت: أين تراك؟ فقال: أراني معك في المدينة.

قال، قلت: يا معلّى! إن لنا حديثاً من حفظه علينا حفظه الله على دينه ودنياه، يا معلّى ! لا تكونوا أُسراءَ في أيدي الناس بحديثنا، إن شاءوا أمَّنوا عليكم، وإن شاؤوا قتلوكم... الحديث»[١].

وفيه أيضا نقلاً عن الكشي: «أنه وجد في كتاب محمّد بن شاذان بن نعيم بخطه، رُوي عن حمران بن أعين، أنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يحدِّث عن أبيه، عن أبائه عليهم السلام: أنَّ رجلاً كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام مريضاً شديد الحمّى، فعاده الحسين بن علي عليه السلام، فلمَّا دخل من باب الدار طارت الحمّى من الرجل. فقال له: قَدْ رضيت بما أوتيتم به حقاً حقاً، والحمّى لتهرب منكم.

فقال عليه السلام: والله ما خلق الله شيئاً إلا أمره بالطاعة لنا، يا كناسة ! قال: فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول: لبيك.

قال: أليس أمرك أمير المؤمنين عليه السلام أن لا تقربي إلاّ عدواً أو مذنباً؛ لكي يكون كفارة لذنوبه؟ فما بال هذا؟ وكان الرجل المريض عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي»[٢].

وفيه أيضاً في ترجمة زيد بن علي بن الحسين بن زيد: روى محمّد بن علي، قال: «أخبرني زيد بن علي بن الحسين بن زيد، فقال: مرضت فدخل

---

(١) منهج المقال: ٣٣٨، بصائر الدرجات: ٤٢٣ ح٢، الاختصاص: ٣٢١، اختيار معرفة الرجال: ٢: ٦٧٦ ح٧٠٩، نوادر المعجزات: ١٥٠ ح ١٨ باختلاف يسير، ومابين المعقوفين من المصدر.

(٢) منهج المقال: ٢٠٥، اختيار معرفة الرجال: ٢٩٨ ح ١٤١ باختلاف يسير.

الطبيب عليَّ ليلاً، ووصف لي دواء آخذه في السَّحر كذا وكذا يوماً، فلم يمكنّي تحصيله من الليل، وخرج الطبيب من الباب، وورد صاحب أبي الحسن عليه السلام في الحال، ومعه صرَّة فيها ذلك الدواء بعينه. فقال لي: أبو الحسن عليه السلام يقرئك السلام، ويقول: خذ هذا الدواء كذا وكذا يوماً، فأخذته، فشربت وبرئت.

قال محمّد بن علي: فقال لي زيد بن علي: يا محمّد ! أين الغلاة من هذا الحديث، قاله المفيد في (الإرشاد)»، انتهى[١].

ومن المسلّم عندنا أن إمامنا الجواد عليه السلام قام بأمر الإمامة وهو ابن ستّ سنين[٢]، وفي أوّل سنة إمامته حجَّ بيت الله الحرام، وقد اجتمعت عليه الشيعة من الأطراف؛ لأجل التشرُّف بخدمته، وكان أكثرهم من الفضلاء المشهورين، وفي ثلاثة أيام منى وردت عليه ثلاثون ألف مسألة كلامية وغير كلامية، وأجاب عنها على نهج الحقّ بحيث حارت عقولهم، فأقروا بفضله وإمامته[٣].

والحجّة صلوات الله وسلامه عليه وعجل الله تعالى فرجه تلّبس بالإمامة وهو ابن خمس سنين أو أربع سنين أو ثلاث سنين.

---

(١) منهج المقال: ١٥٣، الكافي: ١: ٥٠٢ ح٩، الإرشاد: ٢: ٣٠٨.

(٢) دلائل الإمامة: ٣٨٨.

(٣) ينظر: الكافي ١: ٤٩٦ ح٧، وكان عمره حين أجاب عشر سنين بمقتضى النصّ الوارد فيه.

وفي غيبته الصغرى كانت السُّفراء تتشرَّف بخدمته، وتأخذ منه الأحكام، وتظهر منه المعجزات، ومن أوّل إمامته إلى آخر غيبته الصغرى أربعٌ وسبعون سنة، وفي سنة ٣٢٩ توفّي علي بن محمّد السيمري[١]، فوقعت الغيبة الكبرى.

وبالجملة فالمستفاد من مجموع هذه الأخبار، وسائر ما لم نذكره: أنه ينبغي أن نعتقد في أئمّتناعليهم السلام أن أجسامهم كأجسامنا ولا نقيس أطوارهم وأحوالهم بأنفسنا، وما أحسن من قال:

كار باكان را قياس ازخود مگير	گرچه با شد در نوشتن شير شبر
هست يك شيري كه آدم ميخورد	شيرديگرهست كه آدم ميخورد

وفي الأخبار الكثيرة ما يدلّ على تفويض بعض الشرائع إليهم، بمعنى كونهم نوّاباً عن الله تعالى فيه بحسب ما تقتضيه عقولهم المقدّسة، بل ربّما ظهر من كثير منها عموم التفويض حتّى من غير الشرائع أيضاً كما صحّ: أنّ أمير المؤمنينعليه السلام قسيم الجنة والنار[٢]، بل قاسم الأرزاق بين العباد، كما ورد ذلك في بعض الملائكة أيضاً[٣].

وليس هذا من التفويض الّذي تقوله (المفوّضة) لعنهم الله، فإنّهم يقولون: **(إنّ الله خلق محمّداًصلى الله عليه وآله وفوّض إليه أمر خلق الدنيا، وهو الخلّاق لما فيها، وبعض منهم يقول: فوّض ذلك إلى عليّعليه السلام، بل ربّما نَسب بعضهم ذلك إلى سائر الأئمّة أيضاً)**[٤].

---

(١) كذا ضبط في بعض المصادر كجامع الرواة والمشهور: (السمري)، فتأمّل.

(٢) ينظر: بصائر الدرجات: ٤٣٤ ففيه بابٌ خاصٌ لهذا الحديث.

(٣) ينظر: بحار الأنوار ٥٦: ٢٠٤.

(٤) تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ٤٠٠ في معنى المفوضة.

وربّما أُشير إلى ما ذكرنا بما ورد في الحديث: أنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلاّ عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلاّ صدور أمينة، وأحلام رزينة[١].

فشبهة السيّد رحمه الله الّذي يقول: لا يمكن حلول جسم واحد في مكانين ترتفع بحديث العبدي المتقدِّم، وأمثال هذه الأحاديث المعتبرة كثيرة لا يسعها شرحنا.

الجسد المثالي

هذا وإذا قال السيّد رحمه الله إن ما ذكر في الأخبار كلّها معجزات لهم عليهم السلام.

قلنا: تعلُّق أرواحهم بأبدان متعددة، أو تكوين أبدان متعددة في آن واحد أيضاً من معجزاتهم، وقد ذكرنا فيما تقدّم في بحث (التنجيم) رواية (الخصال) عن علي بن الحسين عليه السلام وإخباره المنجّم بأنه عليه السلام قَدْ دخل أربعة عشر عالماً ولم يتحرَّك من مكانه[٢].

وفي (الخرائج) أيضاً: أنه لما حضرت الولادة لخديجة دخل عليها ثلاث نسوة، فارتاعت، فقلن: لا تخافي ولا تحزني نحن رُسُلُ اللهِ إليك، هذه: حوّاء أم البشر، وهذه: مريم بنت عمران، وأنا: آسيا بنت مزاحم؟جئنا لنعينك على أمرك[٣].

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٢٩.

(٢) لم يرد في الخصال كما تقدّم ذكره في محله، وهو في بصائر الدرجات ٤٢٠ ح١٣، الاختصاص: ٣١٩، دلائل الإمامة: ٢١٠ح ٢٣/١٣٣.

(٣) الخرائج والجرائح ٢: ٥٢٤ باختصار، وفيه أن النسوة أربع وهن: سارة وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وكلثم بنت عمران.

فأين كانت حواء ومريم وآسيا وهنَّ في أماكن شتّى، وليس إلا ظهور الأرواح الإلهية في القوالب البرزخية.

وروى ابن طاووس رحمه الله: (أن رجلاً من أصحاب عمر بن سعد - لعنه الله- رأى في الليلة التي قُتل فيها الحسين عليه السلام: أن أبواب السماء فتحت ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الملائكة حتَّى نزل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، فأين كان الأنبياء حتَّى نزلوا بكربلاء[١]، وقد دفنوا في بقاع شتّى وأجسادهم مودعة في قبورهم إلى يوم القيامة).

وعن الحسن بن علي عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال له وللحسين: «إذا وضعتماني في الضريح فصليا عليَّ ركعتين قبل أن تهيلا عليَّ التراب وانظرا ما يكون.

فلمَّا وضعاه في الضريح وفعلا ما أمرهما، فإذا الضريح مغطى بثوب من سندس، فكشف الحسن عليه السلام ممَّا يلي الوجه فوجد: رسول الله صلى الله عليه وآله وآدم وإبراهيم يتحدثون مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكشف الحسين عليه السلام ممَّا يلي رجليه فوجد: الزهراء عليها السلام ومريم وحوّاء وآسيا ينحن على أمير المؤمنين ويندبنه»[٢].

فأين كان محمّد صلى الله عليه وآله وإبراهيم في نجف الكوفة.

وروى ابن عبَّاس: «أن النبي صلى الله عليه وآله رأى علياً وفاطمة والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام في السماء، وسلّم عليهم وقد فارقهم في الأرض»[٣].

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٠٠ باختصار، وفيه أنَّ حادثة الرؤيا وقعت في طريق السير إلى الشام.

(٢) بحار الأنوار ٤٢: ٣٠١ عن مشارق الأنوار.

(٣) مائة منقبة: ٣٣، أمالي الصدوق: ٥٧، مناقب آل أبي طالب ٣: ٦٠.

وهذه الصور بأسرها في العوالم المثالية التي تبقى بها الأرواح بعد خلع الأجساد العنصرية، فإن كل ميِّت مات فإنه لا يقوم بهذا الجسد إلاّ يوم القيامة ويوم قيام القائم عليه السلام، وقد ورد بهذا المضمون جملة من الأخبار.

ورُوي في (الكافي) بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قلت له: جعلت فداك، يروون أنَّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش؟ فقال** عليه السلام: **«لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، ولكنْ في أبدان كأبدانهم»**[١].

قال خالنا العلامة المجلسي رحمه الله في الجزء الثالث من كتاب (مرآة العقول) في ما يقع على الإنسان بعد الموت في القبر وعالم البرزخ: (**ثُمَّ تتعلق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية، فينعَّم ويعذَّب فيها، ولا يبعد أن تصل إليه آلام بعض ما يقع على الأجساد الأصلية لسبق تعلق الروح بها، كبيتٍ كان لرجل وخرج منه وخرب، فإنَّ له تعلُّقاً ما بذلك البيت ويتألَّم بما يقع عليه.**

وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتّساع القبر وضيقه، وحركة الروح وطيرانه في الهواء، وزيارته لأهله، ورؤية الأئمة عليهم السلام **بأشكالهم وصورهم، ومشاهدة أعدائهم معذَّبين وسائر ما ورد في أمثال ذلك، وهذا يتمُّ على تجسُّم الروح وتجرُّده**)، انتهى[٢].

---

(١) الكافي ٣: ٢٤٤ ح١/٤٧٣٦.

(٢) مرآة العقول ١٤: ٢١٥.

التناسخ الباطل

وقال عند بيان تعلُّق الروح بالأبدان المثالية عند شرح ما يتعلَّق برواية (الكافي) المتقدِّمة ما لفظه ـ بعد حكمه بحسن الحديث ـ: (ويدل على انتقال الأرواح بعد الموت إلى الأجساد المثالية وبه تستقيم كثير من الآيات والأخبار الواردة في أحوال الروح بعد البدن، وقد وردت به أخبار مستفيضة لا محيص عن القول به، وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء؛ إذ التناسخ لم يتم دليل عقلي على امتناعه وأكثرها عليلة مدخولة، ولو تمَّت لا تجري أكثرها فيما نحن فيه كما لا يخفى على من تدبّر فيها، والعمدة في نفيه: إجماع المسلمين وضرورة الدين، ومعلوم أنَّ هذا غير داخل فيما انعقد الإجماع والضرورة على نفيه، كيف وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد وغيره من المتكلِّمين والمحدِّثين بل لا يبعد القول بتعلّق الروح بالأجساد المثالية عند النوم أيضاً كما يشهد به ما يرى في المنام، وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها)، انتهى[(١)].

وقال شيخنا البهائي رحمه الله في شرح الأربعين: (قَدْ يتوهّم أنّ القول بتعلق الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح أُخَر كما دلَّت عليه الأحاديث قول بالتناسخ.

وهذا توهُّم سخيف؛ لأنَّ التناسخ الَّذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلّق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجساد أُخرى في هذا العالم... وأمّا القول بتعلُّقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدَّة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى، فتعود إلى أبدانها

---

(١) مرآة العقول ١٤: ٢٢١.

الأولية بإذن مبدعها إمّا بجمع أجزائها المتشتّتة، أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أوّل مرة ، فليس من التناسخ في شيء)، انتهى[١].

وقال الإمام الفخر الرازي في ما نقل عنه من كتابه (نهاية العقول): **(إنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردها إلى الأبدان لا في هذا العالم، والتناسخية يقولون: بقدمها وردها إليها في هذا العالم، وينكرون الآخرة والجنَّة والنار، وإنَّما كفروا من أجل هذا الإنكار)، انتهى[٢].**

ولو أردنا أن نسرد عليك أمثال هذه العبارات من كتب المحقّقين لطال عليك المقام، وفيما أوردناه كفاية لما رمنا إثباته، فاغتنم.

بقية ترجمة والد البهائي

فلنرجع إلى ترجمة صاحب العنوان الّذي هو المقصود بالبيان فنقول: وحسبه منقبة وفضلاً ما هو المنقول عن الشهيد الثاني في إجازته له من قوله رحمه الله: **(إن الأخ في الله المصطفى في الأُخوَّة، المختار في الدين، والمترقّي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ الإمام العالم الأوحد ذا النفس الطاهرة الزكية والهمة الباهرة العليَّة، والأخلاق الزاهرة الإنسية، عضد الإسلام والمسلمين، عزّ الدنيا والدين: حسين ابن الشيخ الصالح، العالم العامل، المتقن المتفنن، خلاصة الأخيار، الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمّد الشهير بالجبعي الحارثي الهمداني، أسعد الله جَدَّه، وجدَّد سعدَه وكبَتَ عدوَّه وضدَّه، ووفَّقه للعروج على معارج العاملين وسلوك مسالك المتقين ممن انقطع بِكُلِّيتِهِ إلى طلب المعالي ووصل يقظة الأيام**

---

(١) الأربعون حديثا: ٥٠٥ ضمن شرح حديث الأربعين.

(٢) عنه مجمع البحرين ٤: ٣٠٣، بحار الأنوار ٦: ٢٧٨، شرح أصول الكافي للمازندراني ١٢: ٣١٥.

بإحياء الليالي، حَتَّى أحرز قصب السبق في مجارى ميدانه، وحصل بفضله السبق على سائر أترابه وأقرانه، وصرف برهة من زمانه في تحصيل هذا العلم، و حصل منه على أكمل نصيب وأوفر سهم، فقرأ على هذا الضعيف كتباً كثيرة في الفقه، والأُصول، والمنطق ...وغيرها إلى آخر ما قَدْ فصله فيها)(١).

وكان رَحِمَهُ اللهُ مطّلعاً على التواريخ، ماهراً في اللُّغات، مستحضراً للنوادر والأمثال، وكان رَحِمَهُ اللهُ ممن جدد قراءة كتب الأحاديث في بلاد العجم، وله مؤلفات جليلة ورسائل جميلة منها: (شرح القواعد)، و(حاشية الإرشاد) لم يتم، و(شرح الألفية) لم يعمل مثله، وكتاب (وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار) و(درايته في الحديث)، وكتاب (الأربعين)، و(الرسالة الطهماسية في بعض المسائل الفقهية)، ورسالتي (الرضاعية) و(الوسواسية)، وله أيضاً (تعليقات) كثيرة على كتب الرياضي، ورسالة سمّاها (تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان) ردَّ فيها على الشيخ علي الكركي حيث أمرهم أن يجعلوا الجدي ما بين الكتفين وغيّر محاريب كثيرة، سافر إلى خراسان، وأقام بهراة ثُمَّ انتقل إلى البحرين فمات بها ودفن، وكان تولده أوّل شهر محرم الحرام سنة ٩١٨ ووفاته سنة ٩٨٤ ثامن ربيع الأول وعمره ستاً وستين سنة(٢).

ومن نثره ما كتبه للشهيد الثاني في سفره لبلاد العجم، وهي رسالة عجيبة في نهاية الحسن والبلاغة، منها قوله: ولطالما كانت تصفح على نشوة الإقبال والقبول، ويهزني مرة الوصول إلى المأمول، فأترنم بأبيات يكشف عندها الهواء،

---

(١) بحار الأنوار ١٠٥: ١٤٦.

(٢) تكملة أمل الآمل: ١٨٢ رقم ١٤٥.

وتقف لديها الأهواء وأثبتها في رسالتي هذه ليلثم شمسها ببدرها، ويمتزج عذل زهرها بفوائض بحرها، وتتشرف بنظرك ومجلسك الرحيب، ويثبت لها قدم صدق عند كل لبيب، وهي هذه:

ومرسِلِ صِدغٍ قَدْ دعا الناس للهوى ... جهاراً فآمنّا وإنْ لم يدع أمنّا
أرانا هوى يولي هوانا لذي النهى ... ولم يولنا يمناً بيسرى ولا يمنى
وأسلَمَنا للموت عمداً ولم يَكُنْ ... ليحيي بالحُسنى وقد ملك الحسنى
أقول وقد أبدى من الشعر منطقاً ... بوعدٍ وما هنّا غرامي ولا هنّا
يُمنّي بوصل لا يمنُّ ببذله ... بنفسي مَنْ مَنَّى زمانا ولا منَّا
نعِمْنا به لكِن مُنِعْنا من المُنى ... وإذ صدَّ عنَّا قبلَ نيلِ المنى عنَّا
وسل لدينا الموت إذ سلَّ جفنه ... فيا حُسْنَ ما سلّا ويا حُسْنَ ما سنّا
نسيمُ الهوى إن أنّ من لوعَةِ الهوى ... فلا تعجبوا أنّي أئِنُّ وقد أنَّا
وليلُ الجفا والصدِّ جنّا وأظلما ... فلا بد إذْ جنّا لمثلي إذ جُنَّا
وأسقمنا ذاكَ الجفا بل أماتَنا ... فيا ليلتي عودي فإنْ عدتُما عُدنا
ويا قومَ لُبنى لا بَعدتُم فإنّنا ... إلى قربِكُم أُبنا وإن بَعُدَت لبنى[1]

وله أيضاً من المؤلفات سوى ما ذُكِر: رسالة في (الرحلة) يذكر فيها وقائع ما اتفق له في أسفاره، ورسالة في (مناظرته مع بعض علماء حلب) في مسألة الإمامة، و(شرح آخر على ألفية الشهيد) كما عن (الرياض)[2] يناقش فيه مع

(١) لم أهتد إلى مصدره.

(٢) رياض العلماء ٢: ١١٥.

الشهيد الكركي، ورسالة في (عينية الجمعة)، ورسالة في (الاعتقادات الحقّة)، وتعليقات له على (الصحيفة الكاملة)، و(خلاصة الرجال) للعلاّمة، وكثير من كتب الحديث والفقه، وكتاب (الغرر والدرر)، بل (ديوان شعر) كبير.

الشهيد الثاني

وأمّا زين الدين: فهو علي بن أحمد بن محمّد بن علي بن جمال الدين تقي بن صالح الجبعيّ، العامليّ الشاميّ، ويعرف بابن الحجّة، المشتهر بالشهيد الثاني.

جلالة قدره أجل من أن يوصف، روى عن جماعة كثيرة من الفريقين في الشام ومصر، وبغداد وقسطنطينة... وغيرها، وآباؤه الكرام من الأعلام وكذلك أبناؤه الفخام.

وقد صنَّف تلميذه الشيخ محمّد بن علي بن الحسن العودي الجزّيني العاملي في أحوال شيخه وأُستاذه تاريخاً سمّاه (بغية المريد من الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد)[1]، وقال في مقدمته التي جعلها في وصفه بالكمال على الإطلاق، وما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق: حاز من خصال الكمال محاسنها ومآثرها، وتردّى من أصنافها بأنواع مفاخرها، كانت له نفس عليَّة تزهي بها الجوانح والضلوع، وسجية سنيّة يفوح منها الفضل ويضوع، كان شيخ الإمامية وفتاها، ومبدأ الفضائل ومنتهاها.

ملك من العلوم زماما، وجعل العكوف عليها إلزاما، فأحيا رسمها وأعلى اسمها، ولم يصرف لحظة من عمره إلا في اكتساب فضيلة، ووزع أوقاته على ما

---

(١) أدرج هذه الرسالة الشيخ علي حفيد الشهيد الثاني في كتابه الدر المنثور المطبوع.

يعود على نفسه نفعه في اليوم والليلة، أمّا النهار ففي تدريس ومطالعة وتصنيف ومراجعة، وأمّا الليل فله فيه استعداد كامل لتحصيل ما يبتغيه من الفضائل.

هذا مع غاية اجتهاده في التوجّه إلى مولاه، وقيامه بأوراد العبادة حَتَّى تكلّ قدماه، وهو مع ذلك قائم بالنظر في أحوال معيشته على أحسن نظام، وقضاء حوائج المحتاجين بأتمّ قيام، يلقى الأضياف بوجه مسفر عن كرم كانسجام الأمطار [وبشاشة تكشف عن شمم كالنسيم المعطار]، يكاد يبرح بالروح وترتاح إليه النفوس كالغصن المروح[1]، إن رآه الناظر على أُسلوبٍ ظنّ أنه ما يعاطي سواه، ولم يعلم أنه بلغ من كل فنٍّ منتهاه، ووصل منه إلى غاية أقصاه، فجاء نظامه أرق من النسيم للعليل، وآنق من الروض البليل.

أمّا الأدب فإليه كان منتهاه، ورقى فيه حَتَّى بلغ سما سهاه، وأمّا الفقه فقد كان قطب مداره وفلك شموسه[2] وأقماره، وكأنه هوى نجم سعوده في داره.

وأمّا الحديث فقد مد فيه باعاً طويلا، وذلل صعاب معانيه تذليلاً، وشعشع القول فيه وروقه، ومد في ميدان الإعجاز مطلقه، حَتَّى صار نصب عينيه عياناً، وجعل للسالكين في طرقه تبياناً، أدأب نفسه في تصحيحه وإبرازه للناس حَتَّى فشا، وجعل ورده في ذلك غالباً فيما بين المغرب والعشاء، وما ذاك إلا لأنه ضبط أوقاته بتمامها، وكانت هذه الفترة بغير ورد فزيّن الأوراد بختامها.

---

(١) المروح: المطيب بالمسك. (لسان العرب ٢: ٤٥٨)

(٢) في الأصل: (فتلك شموسه).

وأمّا المعقول فقد أتى فيه من الإبداع ما أراد وسبق فيه الأنداد والأفراد، إن تكلم في علم الأوائل بهج الأذهان والألباب وولج منها كل باب.

وأمّا علوم القرآن العزيز وتفاسيره من البسيط والوجيز فقد حصل على فوائدها وحازها، وعرف حقائقها ومجازها، وعلم إطالتها وإيجازها.

وأمّا الهيئة والهندسة والحساب والميقات فقد كانت له فيها يد لا تقصر عن الآيات.

وأمّا السلوك والتصوف فقد كان له فيه تصرف وأي تصرف.

وبالجملة فهو عالم الأوان ومصنّفه، ومقرظ البيان ومشنّفه، بتآليف كأنَّها الخرائد، وتصانيف أبهى من القلائد، صنعها في فنون مختلفة وأنواع، وأقطعها ما شاء من الإتقان والإبداع، وسلك فيها مسلك المدقّقين، وهجر طريق المتشدّقين، إن نطق رأيت البيان متسرباً من لسانه، وإن أحسن رأيت الإحسان منتسباً إلى إحسانه.

جدَّد شعائر السنن الحنيفية بعد إخلاقها، وأصلح للأُمَّة ما فسد من أخلاقها، وبه اقتدى من رام تحصيل الفضائل، واهتدى بهداه من تحلَّى بالوصف الكامل، عمّر مساجد الله وأشاد بنيانها، ورتّب وظائف الطاعات فيها، وعظَّم شأنها، كم أمر بالمعروف ونهى عن المنكر؟ وكم أرشد من صلّى وصام وحجّ واعتمر؟

كان لأبواب الخيرات مفتاحاً، ولظلمة عتمى الأُمَّة مصباحا، منه تعلَّم الكرم كلٌّ كريم، وبه استشفى من الجهالة كلٌّ سقيم، واقتفى أثره في الاستقامة كلٌّ مستقيم، لم تأخذه في الله لومة لائم، ولم يثن عزمه عن المجاهدة في تحصيل العلوم الصوارم، أخلص لله أعماله فأثّرت في القلوب أقواله.

أعزّ ما صرف همّته فيه خدمة العلم وأهله، فحاز الحظ الوافر لما توجَّه إليه بكلّه، ولقد كان مع علو رتبته وسمو منزلته على غاية من التواضع ولين الجانب، ويبذل جهده مع كل وارد في تحصيل ما يبتغيه من المطالب، إذا اجتمع بالأصحاب عدّ نفسه كواحد منهم، ولم تمل نفسه التميُّز بشيء عنهم، حَتَّى كأنه يتعرض إلى ما يقتضيه الحال من الاشتغال من غير نظر إلى حال من الأحوال، ولا ارتقاب لمن يباشر عنه ما يحتاج إليه من الأعمال.

ولقد شاهدت منه سنة ورودي إلى خدمته أنه كان ينقل الحطب على حمار في الليل لعياله، ويصلّي الصبح في المسجد، ويشتغل بالتدريس بقية نهاره، فلمَّا أشعرت منه بذلك كنت أذهب معه بغير اختياره، وكنت استفيد من فضائله، وأرى من حسن شمائله ما يجعلني على حبّ ملازمته، وعدم مفارقته.

وكان يصلّي العشاء جماعة، ويذهب لحفظ الكرم، ويصلّي الصبح في المسجد، ويجلس للتدريس والبحث كالبحر الزاخر، ويأتي بمباحث يعجز عنها الأوائل والأواخر.

ولعمري قَدْ اشتمل على فضيلة جميلة ومنقبة جليلة، تفرَّد بها عن أبناء جنسه، وحباه الله بها تزكية لنفسه، وهي: أنه من المعلوم البيّن أنّ العلماء (رحمهم الله) لم يقدروا على أن يروّجوا أُمور العلم، وينظّموا أحواله، ويفرغوه في قالب التصنيف والترصيف، حَتَّى يتفق لهم من يقوم بجميع المهمات ويكفيهم كل ما يحتاجون من التعلُّقات، ويقطع عنهم جميع العلائق، ويزيل عنهم جميع الموانع والعوائق: إمّا من ذي سلطان يسخره الله لهم، أوذي مروَّة وأهل خير يُلقي الله في قلبه قضاء مهمّاتهم؛ لِئلاّ يحصل الإخلال باللطف العظيم، ويتعطل السلوك إلى

المنهج القويم، ومع ذلك كانوا في راحة من الخوف بالأمان، وفي دعة من حوادث الزَّمان، ولكل منهم وكلاء قوامون بمصالح معيشتهم ونظام دنياهم، بحيث لا يعرفون إلاّ العلم وممارسته، ولم يبرز عنهم من المصنفات في الزَّمان الطويل إلا القليل، ومن التحقيقات إلاّ اليسير، وإن كان بعضهم خارجاً عمّا ذكرنا، فلا غرو مع ما كان فيه من تمام التوفيق الموصل إلى غاية مدارك التحقيق.

وكان شيخنا المذكور ـ روَّح الله روحه ـ مع ما عرفت، يتعاطى جميع مهماته بقلبه وبدنه، حَتَّى لو لم تكن إلاّ مهمّات الواردين عليه ومصالح الضيوف المتردّدين إليه، مضافا إلى القيام بأحوال الأهل والعيال ونظام المعيشة، وإتقان أسبابها من غير وكيل ولا مساعد يقوم بها، حَتَّى أنه ما كان يعجبه تدابير أحد في أُموره، ولا يقع على خاطره ترتيب مرتّب لقصوره عمّا في ضميره.

ومع ذلك كلّه فقد كان غالب الزَّمان في الخوف الموجب لإتلاف النفس والتستر والاختفاء الَّذي لا يسع الإنسان معه أن يفكّر في مسألة من الضروريات البديهية، ولا يحسن أن يعلّق شيئاً يقف عليه من بعده من ذوي الفطن النبيهة.

وسيأتي ـ إن شاء الله ـ في عدّ تصانيفه ما ظهر عنه في زمن الخوف من غزارة العلوم المشبهة بنفائس الجوهر المنظوم، وقد برز عنه مع ذلك من التصنيفات والأبحاث والتحقيقات والكتابات والتعليقات ما هو ناشٍ عن عين فكر صافٍ، وغارف من بحار علم وافٍ، بحيث إذا فكّر مَنْ تفكَّر في الجمع بين هذا وبين ما ذكرنا تحيّر، وهذه فضيلة يشهد له بها كلٌّ من كان له به أدنى مخالطة، ولا يمكن لأحد فيها مغالطة.

ومن الشاهد الواضح البيّن أنّ الواحد منّا مع قلّة موانعه وتعلّقاته، وتوفر دواعيه وأوقاته، لو بذل الجهد في استقصاء كتابة مصنفاته وما برز من تحقيقاته، فما رأينا أحداً من أصحابه استقصاها ولا بلغ منتهاها، وكفاه بذلك نبلاً [وفخرا]. انتهى ما أردنا نقله من عبارة الرسالة للشيخ محمّد العودي، ولقد آثرنا نقلها بطولها؛ رعاية لحقّ صاحب العنوان، ورجاء أن يقتدي به علماء أبناء زماننا[١].

ونقل المجلسيّ الأول في (حديقة المتقين): (أنه ربَّما اضطر إلى الصلاة الإيجارية فكانت أجرته في السنة ما يساوي بحساب هذه الأيام أربع قرانات أو أقل)[٢].

وأمّا شكله فقد كان ربعة من الرجال في القامة معتدل الهامة، وفي آخر أمره كان إلى السمن أميل، بوجه صبيح مدور، وشعر بسط يميل إلى الشقرة مع ما هو من سواد العين والحاجبين، وكان له خال على أحد خديه، وآخر على أحد جبينيه، وبياض اللون ولطافة الجسم، عبل الذراعين والساقين، وكأن أصابع يديه أقلام فضة، إذا نظر الناظر في وجهه وسمع عذوبة لفظه لم تسمح نفسه بمفارقته، وتسلّى عن كل شيء بمخاطبته، تمتلئ العيون من مهابته، وتبتهج القلوب لجلالته، وأيم الله إنه لفوق ما وصفت، وقد اشتمل من حميد الخصال على أكثر ممّا ذكرت[٣].

---

(١) الدر المنثور ٢: ١٥٣-١٥٧، ومابين المعقوفين من المصدر.

(٢) لم أهتد إلى مصدره.

(٣) الدر المنثور ٢: ١٥٧.

كان مولده الشريف في يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر شوال سنة ٩١١، اشتغل بعد فراغه من قراءة القرآن العزيز بالفنون العربية والفقه على والده، إلى أن توفّي في العشر الأواسط من شهر رجب يوم الخميس سنة ٩٢٥، وكان من جملة ما قرأ عليه من كتب الفقه: (مختصر الشرائع)، و(اللمعة الدمشقية).

فارتحل في تلك السنة مهاجراً إلى (ميس)[١] في طلب العلم، فاشتغل على شيخنا الجليل الشيخ علي بن عبد العالي، ثُمَّ انتقل إلى (كرك نوح عليه السلام) ـ و(كرك) كلمة سريانية معناها الحصن، يقولون إن بها قبر نوح وهو الآن يزار، وطول القبر زهاء أربعين ذراعاً، وبناه الملك الظاهر (البندر قدار) من بلاد جبل عامل خرج منها كثير من علماء الشيعة ـ وقرأ بها على السيِّد حسن ابن السيِّد جعفر المتوفّى في السادس من شهر رمضان سنة ٩٣٣ جملة من الفنون، وكان ممَّا قرأ عليه: (قواعد المرام في علم الكلام) للشيخ ميثم البحراني، و(تهذيب العلاَّمة في الأُصول)، و(العمدة الجليَّة في الأُصول الفقهية) من مصنّفات السيِّد [حسن ابن السيد][٢] جعفر المذكور، و(الكافية في النحو).

ثُمَّ ارتحل إلى دمشق، واشتغل بها على الشيخ الفاضل المحقّق الفيلسوف: شمس الدين محمّد بن مكي[٣]، المتوفّى سنة ٩٣٨ في شهر جمادى الأُولى، فقرأ عليه من كتب الطب (شرح الموجز النفيسي)، و(غاية القصد في معرفة الفصد) من مصنّفات الشيخ المذكور، و(فصول الفرغاني في الهيئة)، وبعض (حكمة

---

(١) ميس: قرية من قرى جبل عامل من بلاد لبنان.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٣) هو غير الشهيد الأول المتوفّى ٧٨٦هـ والمشترك معه بالاسم.

إشراق العين) للسهروردي ـ أعني: الشيخ أبا حفص عمر بن محمّد المتوفّى في شهر محرَّم الحرام سنة ٦٣٣ ـ وقرأ في تلك المدّة بها على المرحوم الشيخ أحمد بن جابر (الشاطبية) في علم القراءات، وقرأ القرآن بقراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم.

ثُمَّ رجع إلى (جبع) سنة ٩٣٨، ثُمَّ ارتحل إلى مصر في أول سنة ٩٤٢ لتحصيل ما أمكن من العلوم، واجتمع هناك بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفيّ وقرأ عليه جملة من الصحيحين، وأجازه في روايتهما مع ما يجوز له روايته.

ثُمَّ ارتحل من مصر إلى الحجاز في السابع عشر من شهر شوال سنة ٩٤٣، ورجع إلى وطنه الأول بعد قضاء الواجب من الحج والعمرة والتمتُّع ، وزيارة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأصحابه.

وكان قُدِّسَ سِرُّهُ قَدْ رأى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في منامه بمصر ووعده بالخير، فلمَّا وقف على القبر المقدّس وزاره خاطبه وأنشده:

صلاةٌ وتسليمٌ على أشرفِ الورى ... ومَنْ فضلُهُ ينبو عن الحدِّ والحصرِ

ومَنْ قَدْ رقى السبعَ الطباقَ بنعلِهِ ... وعوَّضَهُ اللهُ البراقَ عنِ المُهرِ

وخاطبَهُ اللهُ العليُّ بحبِّهِ ... شِفاهاً ولم يحصل لعبد ولا حُرِّ

عُدولِيَ عن تعدادِ فضلِكَ لائِقٌ ... يَكِلُّ لساني عنهُ في النَّظمِ والنَّثرِ

وماذا تقولُ الناسُ في مدحِ مَنْ أتتْ ... مدائِحُهُ الغرَّاءُ في مُحكَمِ الذكرِ

سَعَيْتُ إليه عاجِلاً سعيَ عاجزٍ ... بعبء ذُنوبٍ جمَّةٍ أثقلَتْ ظَهري

ولكنَّ ريحَ الشَّوقِ حرَّك همَّتي ... وروحُ الرَّجا مَعْ ضعفِ نفسي ومَعْ فقري

ومن عادةِ العُربِ الكرامِ بِوَفدِهِمْ إعادَتُهُ بالخيرِ والجبرِ والوفرِ
وإنْ يكُ وفدٌ قَدْ وَفَوا لِنزيلِهِم فكيفَ وقَدْ أوعدتَني الخيرَ في مصرِ
فَحقِّق رجائي سيِّدي في زيارتي بِنَيلِ مُنائي والشفاعَةِ في حَشري

ثم رجع من زيارة النبيﷺ ووصل إلى (جبع) في الرابع عشر من شهر صفر سنة ٩٤٤، ثُمَّ عمَّر داره التي أنشأها بجبع ومدحها الشيخ محمّد العودي المتقدِّم الذكر رَحِمَهُ الله:

فيالكِ بقعةً قَدْ نِلتِ خَيراً وشرَّفَكِ الإلهُ بِمَن وطيكِ
لقد أصبحتِ تفتخرينَ بُشراً بزينِ الدين إذْ قَدْ حَلَّ فيكِ
فكيف ولا افتخارَ وصرتِ ظرفاً ونبعُ العلمِ مسكوبٌ بِفيكِ
تمنَّى الواردون بأن يكونوا مكانكِ في سِمار مُسامِريكِ
لينتفعوا غرائبَ كلِّ فنٍّ من الأقطارِ قَدْ جُمِّعْنَ فيكِ
فلا زالَ السُّرورُ بكلِّ يومٍ يخاطِبُ بالتحيَّةِ ساكنيكِ

ومن شعر صاحب العنوان رَحِمَهُ الله:

لقد جاءَ في القرآنِ آيةُ حِكمَةٌ تُدمِّرُ آياتِ الضَّلالِ ومَنْ يجبرْ
وتخبرُ أنَّ الاختيارَ بأيدينا فمَنْ شاءَ فليُؤمِنْ ومَنْ شاءَ فَليَكْفُرْ[1]

وأمّا مصنفاته رَحِمَهُ الله، وما أفاده من التحقيقات:

---

(١) الدر المنثور ٢: ١٥٧-١٨٢.

فشرحه على (الإرشاد)[1] الموسوم بـ(روض الجنان) خرج منه مجلَّد ضخم، وكتاب (الطهارة والصلاة) وهو أوّل ما برز منه، و(المقاصد العليّة في شرح الألفيّة)، و(حاشية) وسطى عليها، وأُخرى مختصرة ـ تكتب على الهامش لتقييد الفتوى، وغالب العبارات ـ و(شرح النفليّة).

و(الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة) مجلَّدان، قال الشيخ عليّ الحفيد في (الدرّ المنثور): كتب في أوّل المجلد الأوّل ابتداء تصنيفه، ومع تاريخه في آخره تكون مدّة ذلك ثلاثة أشهر وأيّاماً.

و(مسالك الإفهام في شرح شرائع الإسلام) قَدْ حوى دورة الفقه تماماً، و(تمهيد القواعد الأُصوليّة والعربيّة لتفريع الأحكام الشرعية) سلك فيه مسلكاً بديعاً، ومنهجاً غريباً ما سبق إليه أحد، رتّبه على قسمين:

أحدهما: في تحقيق القواعد الأُصوليّة وتفريع ما يلزمها من الأحكام الفرعيّة.

والثاني: في تقرير المطالب العربيّة، وترتيب ما يناسبها من الفروع الشرعيّة، واختار من كلّ قسم منها مائة قاعدة متفرقة من أبواب مضافة إلى مقدّمات وفوائد ومسائل لا نظير لها في ردّ الفروع إلى الأُصول، ووضَعَ له فهرساً مشتملاً على جدول لطيف تستخرج منه المطالب.

و(حاشية على قطعة من عقود الإرشاد) مشتملة على تحقيقات مهمّة.

---

(١) أي إرشاد الأذهان للعلامة الحلي قدّس سرّه.

(وحاشية على قواعد العلاَّمة إلى آخر كتاب التجارة)، و(منية المريد في آداب المفيد والمستفيد).

و(حاشية مختصرة على الشرائع) تشتمل على فتوى خلافيات الشرائع.

وحاشية على المختصر النافع.

ورسالة في أسرار الصلاة.

ورسالة في أحكام نجاسة البئر بالملاقاة وعدمها، جمع فيها الأقوال، وحرَّر فيها الحال.

ورسالة فيما إذا تيقن بالطهارة والحدث وشك في السابق منهما.

رسالة في حكم حدث المجنب في أثناء غسل الجنابة حدثاً أصغرَ.

ورسالة في تحريم الطلاق للحائض الحامل الحاضر زوجها عندها المدخول بها.

ورسالة صلاة الجمعة في زمان الغيبة.

ورسالة أُخرى في الحث على صلاة الجمعة، ورسالة نفيسة في حكم المسافر إذا نوى إقامة عشرة أيام، وإذا خرج ناوي العشرة إلى مادون المسافة، سمّاها (نتائج الأفكار في حُكمِ المقيمين في الأسفار).

و(مناسك الحج والعمرة)، ورسالة لطيفة في نيّتهما.

ورسالة في ميراث الزوجة غير ذات الولد.

ورسالة في أجوبة ثلاث مسائل لبعض الأفاضل: إحداها في شخص على بدنه مني واغتسل في ماء كثير، والثانية في قطعة جلدة منفصلة عن بدن الإنسان،

والثالثة: في شخص مرض مرضاً بالغاً أراد الوصية فعرض عليه بعض أصحابه أن يجعل عشرين توماناً من ماله خمساً، فقال: اجعلوا.

ورسالة في عشرة مباحث في عشرة علوم صنَّفها في اصطنبول، وعقد في كل مبحث إشكالاً لا ينحل.

ورسالة مسكّن الفؤاد في فقد الأحبة والأولاد، ورسالة في الغِيبة.

ورسالة في عدم جواز تقليد الأموات، صنّفها برسم الفاضل المرحوم السيِّد حسين بن أبي الحسن جدّ صاحب (المدارك) قدس سرهم.

ورسالة البداية في علم الدراية وشرحها.

وكتاب غنية القاصدين في معرفة اصطلاح المحدِّثين.

وكتاب الرجال والنسب.

وكتاب منار القاصدين في أسرار معالم الدين.

ورسالة في الدنيا مزرعة الآخرة.

وكتاب في تحقيق الكفر والإيمان.

ورسالة في تحقيق النيَّة.

ورسالة في الولاية وأنَّ الصلاة لا تقبل إلاّ بها، وذكرها في شرح الإرشاد.

ورسالة في طلاق الغائب.

ورسالة في المختار من مواضع الخلاف من اللُّمعة.

ورسالة في تحقيق الإجماع.

وكتاب الإجازات حاشية على الإرشاد إلى آخره.

ومنظومة في النحو وشرحها، ورسالة في شرح (بسم الله الرحمن الرحيم).

وسؤالات الشيخ زين الدين وأجوبتها.

وسؤالات الشيخ أحمد.

وفتاوى الإرشاد.

وبغية المريد مختصر منية المريد.

ومبرّد الأكباد مختصر مسكّن الفؤاد.

ومختصر الخلاصة.

وفتاوى المختصر.

رسالة في تحقيق قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون﴾[١].

رسالة في تحقيق العدالة.

وجواب المباحث النَّجفية.

وجواب المسائل الهندية.

وجواب المسائل الشامية.

الرسالة الاصطنبولية في الواجبات العينية.

البداية في سبيل الهداية.

فوائد خلاصة الرجال.

رسالة في دعوى الإجماع في مسائل من الشيخ الطوسي ومخالفة نفسه.

قال الشيخ علي الحفيد: وسمعت من بعض مشايخنا أنَّ مصنفاته بلغت ستين مصنّفاً.

---

(١) سورة التوبة: من آية ١٠٠.

قال: ورأيت بخط جدّي المبرور الشيخ حسن قدس سره ما صورته: تولّد الوالد (قدّس الله نفسه) في يوم الثلاثاء في الثالث عشر من شوال سنة ٩١١، واستشهد في سنة ٩٦٥، انتهى.

وللشيخ بهاء الدين قدس سره تاريخ لوفاته، وهو قوله رحمه الله:

تاريخُ وفاةِ ذلكَ الأوّاهِ الجنَّةُ مستقرُّهُ والله[1]

وقال في (لؤلؤة البحرين): (وجدت في بعض الكتب المعتمدة في حكاية قتله رحمه الله ما صورته: قبض شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله بمكّة المشرَّفة بأمر السلطان سليم، ملك الروم، في خامس شهر ربيع الأول سنة ٩٦٥، وكان القبض عليه بالمسجد الحرام بعد فراغه من صلاة العصر، وأخرجوه إلى بعض دور مكّة، وبقي محبوساً هناك شهراً وعشرة أيام، ثُمَّ ساروا به على طريق البحر إلى قسطنطين، وقتلوه بها في تلك السَّنة، وبقي مطروحاً ثلاثة أيام ثُمَّ ألقوا جسده الشريف في البحر)، انتهى[2].

وفي أجوبة مسائل السيِّد حسين بن شدقم الحسيني المدني من الشيخ حسين والد الشيخ البهائي رحمهم الله: (ما يقول مولانا فيما يروى عن الشهيد الثاني أنه مرّ بموضع في اصطنبول ومولانا الشيخ معه، فقال: يوشك أن يقتل في هذا الموضع رجل له شأن، أو قال شيئاً قريباً من هذا المعنى، ثُمَّ استشهد رحمه الله في ذلك الموضع، ولا ريب أنَّ هذه من كراماته رحمه الله.

(١) الدر المنثور ٢: ١٨٣-١٨٨.

(٢) لؤلؤة البحرين: ٣٤.

الجواب: نعم، هكذا وقع له قدّس الله روحه، وكان الخطاب للفقير، وبلغنا أنه استشهد في ذلك الموضع، وذلك ما كشف لنفسه الزكية، حشره الله مع الأئمة الطاهرين عليهم السلام)[١].

وقال السيِّد الجزائري رحمه الله في (مقامات النجاة): (إنه كان يقرأ في سطور دمه من يعرف حاله ورسمه: الله، الله. فبنوا عليه بناء خارج اسطنبول يسمى (ميرزا زين الدين))[٢].

وفي (الأمل): (وكان سبب قتله- على ما سمعته من بعض المشايخ ورأيته بخط بعضهم- أنه ترافع إليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر، فغضب المحكوم عليه وذهب إلى قاضي صيدا واسمه معروف، وكان الشيخ مشغولاً في تلك الأيام بتأليف شرح اللمعة، فأرسل القاضي إلى (جبع) من يطلبه، وكان مقيماً في كرم له مدة منفرداً عن الناس، متفرّغاً للتأليف.

فقال له بعض أهل البلد: قَدْ سافر عنّا منذ مدة عديدة ـ وفي رواية كتب فيما أرسله إليه: أيُّها الكلب الرافضي. فكتب إليه الشيخ في جوابه: إنَّ الكلب معروف[٣] ـ فكتب القاضي إلى سلطان الروم: أنه وجد ببلاد الشام رجلاً مبدعاً خارجاً عن المذاهب الأربعة، فأرسل السلطان رجلاً في طلب الشيخ، وقال له: ايتني به حياً أجمع بينه وبين علماء بلادي فيطلعوا على مذهبه، ويخبروني فأحكم عليه بما يقتضيه مذهبي.

(١) الدر المنثور ٢: ١٩٠ بالهامش.

(٢) مقامات النجاة، مخطوط .

(٣) ما بين الشارحتين ليس في الأمل المطبوع.

فجاء الرجل فأُخبر أنّ الشيخ توجَّه إلى مكة، فذهب في طلبه فاجتمع به في طريق مكة، فقال له: تكون معي حَتَّى نحجَّ بيت الله ثُمَّ افعل ما تريد، فرضي بذلك.

فلمّا فرغ من الحجّ سافر معه إلى بلاد الروم، فوصل قسطنطين، رآه رجل فسأله عن الشيخ، فقال: هذا رجل من علماء الشيعة، أُريد أن أُوصله إلى السلطان. فقال: أو ما تخاف أن يخبر السلطان بأنّك قَدْ قصرت في خدمته وآذيته وله هناك أصحاب يساعدونه، فيكون سبباً لهلاكك؟ بل الرأي أن تقتله وتأخذ برأسه إلى السلطان، فقتله في مكانه من ساحل البحر.

وكان هناك جماعة من التركمان فرأوا في تلك الليلة أنواراً تنزل من السَّماء وتصعد، فدفنوه هناك وبنوا عليه قُبَّة.

وأخذ الرجل رأسه إلى السلطان فأنكر عليه، وقال: إني أمرتك أن تأتيني به حيّاً فقتلته؟

وسعى عبد الرحيم العبَّاسي في قتل ذلك الرجل، فقتله السلطان)، انتهى[1].

وعبد الرحيم هو ابن السيِّد عبد الرحمن ابن السيِّد أحمد العبَّاسي، العبادي، الشافعي، المتوفّى سنة ٩٦٣، صاحب كتاب (معاهد التنصيص في شواهد التلخيص).

المحقق الكركي

وأمّا الشيخ علي بن عبد العال، فهو نور الدين علي بن عبد العالي الميسي العاملي، زوج خالة الشهيد الثاني، ووالد زوجته الكبرى.

---

(١) أمل الآمل ١: ٩٠.

قال الشهيد في إجازته الكبيرة بعد عدّ مؤلّفات الشهيد الأول: (فإنّي أرويها عن عدّة مشايخ بطرق عديدة أعلاها سنداً عن شيخنا الإمام الأعظم، بل الوالد المعظَّم، شيخ فضلاء الزَّمان ومربّي العلماء الأعيان، الشيخ الجليل الواعظ المحقِّق، العابد الزاهد الورع التقي، نور الدين علي بن عبد العالي الميسي العاملي)[١].

وفي (الأمل): (له (شرح صيغ العقود والإيقاعات)، و(شرح الجعفرية)، ورسائل متعدّدة)[٢].

وعن (رياض العلماء): (رأيت بِهَراة بخط الشيخ حسين بن عبد الصمد، والد الشيخ البهائي في مجموعة هكذا: توفّي شيخنا الإمام العلاَّمة التقي الورع: الشيخ علي بن عبد العالي الميسي أعلى الله نفسه الزكية، ليلة الأربعاء عند انتصاف الليل، ودخل قبره الشريف بجبل صديق النبي، ليلة الخميس، الخامس ـ أو السادس ـ والعشرين من شهر جمادى الأُولى سنة ٩٣٨.

وظهرت له كرامات كثيرة قبل موته وبعده، وهو ممَّن عاصرته وشاهدته، ولم أقرأ عليه شيئاً؛ لانقطاعه وكبره.

وهو يروي عن جماعة من المشايخ العظام:

الأول: محمّد بن محمّد بن داود المؤذّن العاملي الجزّيني.

الثاني: الشيخ محمّد بن أحمد الصهيوني العاملي، الفاضل، العالم، الورع، المحقِّق الثالث. ـ والمحقِّق الثاني: علي بن عبد العالي الكركيّ ـ وله إجازة منه، وفيها عند ذكره: سيّدنا الشيخ الأجل، العالم، الفاضل الكامل، علاّمة العلماء، ومرجع الفضلاء، جامع الكمالات النفسانية، حاوي محاسن الصفات الكاملة العليَّة، متنسم

---

(١) بحار الأنوار ١٠٥: ١٤٩.

(٢) أمل الآمل ١: ١٢٣ رقم ١٣١.

ذرى المعالي بفضائله الباهرة، ممتطي صهوات المجد بمناقبه السنيَّة الزاهرة، زين الملة والحقّ والدين، أبي القاسم علي ابن المبرور المرحوم المقدّس المتوّج المحبور، الشيخ الأجل، العالم الكامل، تاج الحق والدين: عبد العالي الميسي، أدام الله تعالى ميامن أنفاسه الزكية بين الأنام، وأعاد على المسلمين من بركات علومه الشافية)، انتهى[١].

والميسي: نسبة إلى ميس بكسر الميم، ثُمَّ الياء المثناة من تحت، إحدى قرى جبل عامل.

ويجدر أن نذكر ترجمة المجيز رحمه الله فهو: نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي، العاملي الكركي، الملقّب تارة بالشيخ العلائي، وأُخرى بالمحقِّق الثاني، أجلّ من أن يوصف ويمدح.

وكان صاحب الجواهر رحمه الله يقول: **(من كان عنده (جامع المقاصد)، و(الوسائل)، و(الجواهر) ـ يعني مؤلّفه ـ لا يحتاج بعده إلى كتاب آخر للخروج عن عهدة الفحص الواجب على الفقيه في آحاد المسائل الفرعية)**[٢].

سافر أوائل أمره إلى بلاد مصر، وأخذ من علمائها بعد الأخذ من علماء الشام، وسافر إلى العراق وأقام بها زماناً طويلاً، ثُمَّ سافر إلى بلاد العجم، في زمن سلطنة الشاه إسماعيل سنة غلبة السلطان على شاه بيك خان، ملك الأزبك، وذلك بعد ظهور دولته بعشر سنين.

---

(١) بحار الأنوار ١٠٥: ٤١ ضمن إجازته.

(٢) جواهر الكلام ١: ١٤.

وبعد دخوله هراة دخل عليه الشيخ بها واتّصل بصحبته، وكان المولى سيف الدين أحمد بن يحيى ابن محمّد بن المولى سعد الدين التفتازاني المعروف ـ يومئذ ـ شيخ الإسلام بها، وكان في جملة من علماء السنة الّذين جمعوا في دار الإمارة بهراة لتعيين المنزل لحضرة الشاه إسماعيل الماضي الصفوي يوم وصل خبر فتحه إلى هراة، وغلبته على شاه بيك خان ملك الأزبك وقهره وقتله.

ثم إن الشاه إسماعيل أمر بقتل المولى سيف الدين المذكور لأجل تعصّبه في مذهب التسنُّن فقُتل سنة ٩١٦.

وقد دخل هراة خاتم المجتهدين، الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، واعترض عليهم في قتلهم إيّاه، وخطّأهم في ذلك، وقال: لو لم يقتل لأمكن أن يتم عليه الحجج العقلية والنقلية، بحقّية مذهب الإمامية، وبطلان مذهب التسنُّن، ويذعن لإلزامه جميع أهل ما وراء النهر، وخراسان بحقّية مذهب الشيعة الإثني عشرية؛ ولذلك كان الشيخ المذكور متأسّفاً دائماً[١].

وبالجملة: وكانت له عند السلطان المذكور، وعند السلطان الشاه طهماسب منزلة عظيمة، وعين له وظائف وإدارات كثيرة ببلاد العراق العربية، وجعله حاكماً في الأُمور الشرعية لجميع بلاد إيران، وأعطاه بذلك حكماً وكتاباً يقضي منه العجب[٢].

(١) خاتمة المستدرك ٢: ٢٧٨.

(٢) رياض العلماء ٣: ٤٥٥.

وفي (رياض العلماء): (أنَّ بعد الخواجة نصير الدين في الحقيقة لم يسع أحد أزيد ممَّا سعى الشيخ علي الكركي هذا في إعلاء أعلام المذهب الحقّ الجعفري، ودين الأئمّة الإثني عشرية.

وكانت له في منع الفَجَرة والفَسَقة وزجرهم، وقلع قوانين المبتدعة ومنعها، وفي إزالة الفجور والمنكرات، وإراقة الخمور والمسكرات، وإجراء الحدود والتعزيرات، وإقامة الفرائض والواجبات، والمحافظة على الجمعة والجماعات، وبيان أحكام الصيام والصلوات، والفحص عن أحوال الأئمة والمؤذّنين، ودفع شرور المفسدين والمؤذين، وزجر مرتكبي الفسوق والفجور ـ حسب المقدور ـ مساعٍ جميلة، ورغّب عامَّة العوام في تعلّم الشرائع وأحكام الإسلام، وكلّفهم بها)، انتهى[1].

وفي التاريخ الفارسي الموسوم بـ(جهان آرا في أحوال الصفوية): (أنه قدس سره مات في مشهد علي عليه السلام، في الثامن عشر من شهر ذي الحجّة، وهو يوم الغدير سنة ٩٤٠هـ في زمن السلطان شاه طهماسب)[2].

وقال الشيخ محمّد العودي: (وهذا الشيخ ـ يعني المحقِّق المذكور ـ يروي عنه شيخنا بواسطة، توفّي مسموماً في الثاني عشر من ذي الحجة الحرام سنة ٩٤٠، وهو في الغري على مشرِّفه السلام)[3].

وعن (رياض العلماء) بعد نقل جملة من الألقاب: (الشهداء الثلاثة هم على المشهور: الشيخ محمّد بن مكي الشهيد الأول، والشيخ زين الدين الشهيد الثاني، والمولى عبد الله الخراساني الشهيد ببخارى.

(١) لم أعثر عليها في الرياض، عنه خاتمة المستدرك ٢: ٢٧٩.

(٢) تاريخ جهان آرا، عنه رياض العلماء ٣: ٤٤٨.

(٣) الدر المنثور ٢: ١٦٠.

وباصطلاح والد الشيخ البهائي: هما الأولان مع الشيخ علي بن عبد العالي الكركي)، انتهى[(١)].

وقال الشيخ يحيى البحراني في (رسالة مشايخ الشيعة) بعد الثناء عليه وعدّ مصنفاته: (وقد لازمته مدة من الزّمان، وبرهة من الأحيان، فاستفدت من لطائف أنفاسه، وأخذت من غرائب أغراسه، أسكنه الله تعالى بحبوحات الجنان، بمحمّد سيِّد بني عدنان، وآله المعصومين أُولي العرفان. وشيخه علي بن هلال الجزائري المذكور، مات بالغري من نجف الكوفة سنة ٩٣٧، وله من العمر ما ينيف على السبعين)[(٢)].

والغرض من هذه الإطالة الردّ على صاحب الروضات، حيث أنكر شهادة المحقِّق المزبور مستدلاً بعدم نقل ذلك من أحد[(٣)].

ومصنفاته مشهورة منها: (جامع المقاصد) شرح قواعد العلامة إلى بحث التفويض من النكاح.

ومنها: (الرسالة الجعفرية).

ومنها: (رسالة الرضاع).

ومنها: (رسالة الخراجية).

و(رسالة الأراضي المندرسة).

و(رسالة صيغ العقود).

والرسالة المسمّاة بـ(نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت).

---

(١) عنه خاتمة المستدرك ٢: ٢٦٩.

(٢) عنه رياض العلماء ٣: ٤٤٤.

(٣) روضات الجنات ٤: ٣٥٨.

و(شرح الشرائع).

و(رسالة الجمعة).

و(شرح الألفية).

و(حاشية الإرشاد).

و(حاشية المختلف).

و(رسالة السجود على التربة الحسينية بعد افخارها بالنار)، وقد رد فيها على الشيخ إبراهيم القطيفي المعاصر له، المانع عن السجود عليها، وفرغ من تأليفها في النَّجف الأشرف في الحادي من شهر ربيع الأول سنة ٩٣٣.

و(رسالة السبحة).

و(رسالة الجنائز).

و(رسالة أحكام السلام).

و(المنصورية).

و(رسالة في تعريف الطهارة)[(١)].

ابن المؤذن الجزيني

وأمّا الشيخ شمس الدين فهو: محمّد بن محمّد بن محمّد بن داود، المشتهر بابن المؤذّن الجِزّيني ـ بكسر الجيم، وبعدها زاي مشددة مكسورة، ثُمَّ ياء مثناة من تحت نون نسبة إلى (جزّين) قرية من ولاية الشام ـ وهو ابن عمّ الشهيد الثاني، وابن بنت الشيخ أبي القاسم علي بن علي بن جمال الدين محمّد بن طيّ

(١) ينظر: رياض العلماء ٣: ٤٤٦، أمل الآمل ١: ١٢١ رقم١٢٩.

العاملي الفقعاني، العالم، الفاضل، الأديب، المعروف، صاحب الكتاب المعروف بـ(مسائل ابن طيّ) وتنقل عنه الطائفة كثيراً، المتوفّى سنة ٨٥٥

كان نبيلاً شاعراً، يروي عن الشيخ ضياء الدين علي بن [محمّد بن مكي العاملي عن أبيه، وكان ابن عمّ الشهيد كما ذكره] الشهيد [الثاني] في بعض إجازاته[١].

ويروي أيضاً عن السيِّد الأجلّ علي بن دقماق مؤلّف كتاب (نزهة العشّاق) في الأدب، ودقماق معرب طخماق[٢].

ابن العشرة

وعن: عز الدين أبي المكارم الحسن بن أحمد بن يوسف بن علي الكركي، المعروف بابن العشرة، أعني: الفقيه العالم الفاضل الكامل الزاهد، الَّذي يعبر عنه تارة بـ(عزّ الدين)، وأُخرى بـ(ابن العشرة).

وفي مجموعة الشهيد: **(وكان من العلماء الفضلاء، وأولاد المشايخ الأجلاّء، وحجّ بيت الله كثيراً نحو أربعين حجّة، وكان له على الناس مبار ومنافع، وقرأ على السيِّد حسن بن نجم الدين الأعرج ـ من تلامذة الشهيد ـ وغيره في حدود سنة ٨٦٢، ومات بكرك نوح عليه السلام بعد أن حفر لنفسه قبراً، وكان كثير الورع والدعاء)**[٣].

أُمُّه ولدت في بطن واحد عشرة أولاد في غشاء من جلد رقيق، فعاش منهم واحد ومات الباقي؛ فلذلك سمي بابن العشرة[٤].

---

(١) أمل الآمل ١: ١٧٩ ومابين المعقوفين منه .

(٢) خاتمة المستدرك ٢: ٢٧٤.

(٣) خاتمة المستدرك ٢: ٢٧٥.

(٤) روضات الجنات ١: ٧٣ والحادثة أقرب للخرافة.

[أولاد الشهيد الأول رحمه الله]

وأمّا الشيخ ضياء الدين أبو القاسم ـ وقيل: أبو الحسن ـ علي، ثقة، يروي عن أبيه وعن بعض مشايخه، ولم أعثر على من ذكر له شيئاً من المصنّفات، ولا من ذكر تاريخ وفاته.

وأُخت علي هذا أيضاً كانت فاضلة فقيهة، وكان الشهيد رحمه الله يثني عليها ويأمر النساء بالرجوع إليها في أحكام الحيض والصلاة، وكنيتها أُمُّ الحسن، سمعت من المشايخ، أخذت عن أبيها، وعن السيِّد ابن معيّة إجازة.

قال الشهيد الثاني في إجازته الكبيرة: (ورأيت خط هذا السيِّد المعظم ـ يعني: تاج الدين ابن معيّة ـ بالإجازة لشيخنا الشهيد شمس الدين محمّد بن مكي ولولديه محمّد وعلي، ولأُختهما أمّ الحسن فاطمة المدعوّة بستّ المشايخ)، انتهى[1].

أقول: محمّد هذا المذكور مع أخيه صاحب العنوان، هو الشيخ رضي الدين أبو طالب محمّد بن محمّد بن مكي الشهيد، يروي عن أبيه الشهيد[2].

والظاهر أنّ صاحب العنوان أفضل من أخيه المزبور، من حيث رواية مثل ابن المؤذّن ـ المعتمد عليه عند الكل ـ عنه، كما هو الواقع في المتن.

ولهم أخ ثالث، هو الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن محمّد بن مكي، فاضل، محقّق، فقيه، يروي عن أبيه وقد أجاز له ولأخويه المذكورين، كما صرَّح بذلك صاحب أمل الآمل[3].

---

(١) بحار الأنوار ١٠٥: ١٥٢ضمن إجازته لوالد الشيخ البهائي.

(٢) ينظر: أمل الآمل ١: ١٧٩ رقم ١٨٤.

(٣) ينظر: أمل الآمل ١: ٦٧ رقم ٥٨.

هذا ومن أحفاد الشيخ ضياء الدين علي المزبور الشيخ خير الدين بن عبد الرزاق بن مكي بن عبد الرزاق بن ضياء الدين علي.

فمن (الرياض): (هو من أجلَّة أحفاد شيخنا الشهيد، فاضل، عالم، فقيه، متكلِّم، محقِّق، مدقِّق، جامع للعلوم العقلية والنقلية، والأدبية والرياضية، وكان معاصراً للشيخ البهائي رحمه الله وهو قَدْ سكن بشيراز مدّةً طويلة، وقد نقل: أنه لما ألَّف البهائي كتاب (الحبل المتين)، أرسله إليه بشيراز ليطالع فيه، ويستحسنه، وكان البهائي يعتقد فضله ويمدحه، وبعد ما طالعه، كتب عليه تعليقات، وحواشي، وتحقيقات، بل مؤاخذات أيضا.

ولهذا الشيخ أولاد وأحفاد، وهم إلى الآن موجودون يسكنون في بلدة طهران، ومنهم الشيخ خير الدين المعاصر لنا، وهو أيضاً رجل مؤمن فاضل، صالح، لا بأس به.

وبالجملة: سلسلته خلف عن سلف، كانوا أهل الخير والبركة، اسماً ورسماً)، انتهى[1].

الشهيد الأول

وأمّا والده قدس سره فهو: شمس الملَّة والدين، أبو عبد الله محمّد ابن الشيخ جمال الدين مكي ابن الشيخ شمس الدين محمّد بن حامد بن أحمد النباطي العاملي الجزّيني المطَّلبي، أفقه الفقهاء عند جماعة من الأساتيذ، جامع فنون الفضائل، وحاوي صنوف المعالي، وصاحب النفس الزكية القدسية القوية، التي ينبئ عنها ما ذكره السيِّد الجليل السيِّد حسين القزويني ـ من مشايخ جدّي بحر

---

(١) رياض العلماء ٢: ٢٦٠.

العلوم ـ في مقدمات شرحه على (الشرائع)، قال: (وجدت بخط الشيخ السيِّد السعيد صاحب (حدائق الأبرار)، من أحفاد الشارح الفاضل الشهيد الثاني، قال: وجدت بخط الشيخ ناصر البويهي، وهو من الفقهاء المتبحِّرين، والعلماء المتَّقين، ما هذا لفظه: أنه رأى في منامه كأنَّه في قرية جزّين، التي هي قرية الشيخ شمس الدين محمّد بن مكي الشهير بالشهيد الأول، في سنة ٩٥٥، قال: ذهبت إلى باب بيت الشيخ فطرقته فخرج الشيخ إليّ، فطلبت منه الكتاب الَّذي صنّفه الشيخ جمال الدين بن المطهَّر في الاجتهاد، فدخل بيته وأتاني بالكتاب ومعه كتاب آخر، وأظنُّه في الروايات، فناولنيهما واستيقظت وهما معي)، انتهى[1].

ولد رحمه الله سنة ٧٣٤، واستشهد في سنة ٧٧٦ فكان عمره الشريف اثنين وخمسين سنة، وصرَّح في أربعينه: (أنَّ فخر المحقِّقين أجازه في داره بالحلَّة سنة ٧٥١، وكذا السيِّد عميد الدين في الحضرة الحائرية، وابن نما بعد هذا التاريخ بسنة، وكذا ابن معيَّة بعده بسنة، والمطارآبادي بعده بسنة، فعلم أنه رحمه الله ارتحل إلى العراق وتلمَّذ على تلامذة العلاّمة رحمه الله أوائل بلوغه، وهم جماعة كثيرة نشير إلى أساميهم الشريفة)، انتهى[2].

ويروي عن نحوٍ من أربعين شيخاً من علماء العامّة من أهل مكَّة والمدينة، ودار السلام (بغداد)، ومصر، ودمشق، وبيت المقدس، ومقام الخليل عليه السلام.

ومن تأمَّل في مدَّة عمره الشريف، ومسافرته إلى تلك البلاد، وتصانيفه الرائقة في الفنون الشرعية، وأنظاره الدقيقة، وتبحُّره في الفنون العربية والأشعار

---

(١) عن خاتمة المستدرك ٢: ٣٠٢.

(٢) عن خاتمة المستدرك ٢: ٣٠٣.

والقصص النافعة، يعلم أنه من الَّذين اختارهم الله تعالى لتكميل عباده وعمارة بلاده، وأنَّ كل ما قيل أو يقال في حقِّه فهو دون مقامه ومرتبته[1].

وقد تلمَّذ على كثير من فضلاء الفريقين، وروى عن جمٍّ غفير منهم، وله كتب منها:

(الذكرى) خرج منه الطهارة والصلاة.

وكتاب (الدروس) خرج منه أكثر الفقه.

وكتاب (غاية المراد في شرح نكت الإرشاد).

وكتاب (جامع البين في فوائد الشرحين) جمع فيه بين شرحي (تهذيب الأُصول) المعروف بالعميدي، وشرح السيِّد ضياء الدين.

وكتاب (البيان في الفقه).

ورسالة (الباقيات الصالحات).

و(اللُّمعة الدمشقية) في الفقه.

و(الأربعون حديثاً).

و(الألفية) و(النفلية) وهما في الواجبات والمستحبات المتعلقة بالصلاة.

و(رسالة في قصر من سافر بقصد الإفطار والتقصير).

و(خلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار).

وكتاب (القواعد).

و(رسالة التكليف).

---

(١) عن خاتمة المستدرك ٢: ٣٠٣.

و(إجازة مبسوطة حسنة).

وكتاب (المزار) و(الدرَّة الباهرة) اقتصر فيه على إيراد الكلمات القصار من النبيّ والأئمّة عليهم السلام.

وكتاب (المسائل المقداديات).

و(شرح قصيدة الشيخ أبي الحسن علي بن الحسين الشهفيني العاملي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام) مجنّساً.

سبب قتله

وسبب قتله على ما ذُكِر: **(أنه قتل في دولة [بيدر وسلطنة] برقوق، بفتوى القاضي برهان الدين المالكي، وعبّاد بن جُماعة الشافعي، بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة الشام)**[1].

وكان سبب حبسه وقتله على ما ذكره المولى محمّد تقي المجلسي رحمه الله في (شرح الفقيه): أنّه لما ذكرهُ رحمه الله في الألفية من أنَّ الإقرار بالنبوة وإمامة الأئمّة الإثني عشر شرط في صحَّة الصلاة، وأنَّ من لم يعتقد بذلك فلا صلاة له.

فتأثرت العامَّة من ذلك، وقالوا: إنه يلزم من ذلك بطلان سائر عباداتنا، فقتلوه بذلك[2].

وقيل: إنه وشى به رجل من أعدائه وكتب محضراً يشتمل على مقالات شنيعة عند العامّة من مقالات الشيعة وغيرهم، وشهد بذلك جماعة كثيرة وكتبوا

---

(١) أمل الآمل ١: ١٨٢، ومابين المعقوفين منه.

(٢) لم أعثر عليه في روضة المتقين ولعله في شرحه الفارسي، وينظر عن شهادته بالتفصيل: روضات الجنات ٧: ١٠- ٢١.

عليه شهادتهم، وثبت ذلك عند قاضي صيدا، ثُمَّ أتوا به إلى قاضي الشام فحبس عنده سنة، ثُمَّ أفتى الشافعي بتوبته، والمالكي بقتله، فتوقف في التوبة خوفاً من أن يثبت عليه الذنب، وأنكر ما نسبوه إليه للتقية.

فقالوا: قَدْ ثبت ذلك عليك، وحكم القاضي لا ينقض، والإنكار لا يفيد، فغلب رأي المالكي لكثرة المتعصّبين عليه، فقُتل، ثُمَّ صُلب، ورُجم، ثُمَّ أُحرق.

وذكر بعضٌ: أنه وجده بخط المقداد تلميذه رحمه الله[(١)].

سيف الدين برقوق

وبرقوق هذا الَّذي قُتل في أيام سلطنته، هو: الملك الظاهر سيف الدين برقوق، وإنما سمِّي برقوق؛ لجحوظٍ في عينيه، وهو أوّل ملوك الجراكسة بمصر والشام، وكان ابتداء دولتهم سنة ٧٨٤، وانقراضهم في سنة ٩٢٢، فمدة ملكهم ١٣٨ سنة، وعددهم ثلاثة وعشرون ملكاً، وكان وفاة برقوق ليلة الجمعة في خامس عشر شوال سنة ٨٠١[(٢)].

كتابة الملك علي بن مؤيد إلى الشهيد الأول

وفي شرح (اللُّمعة) أن الشهيد رحمه الله كتب (اللُّمعة) بالتماس شمس الدين محمّد الآوي الَّذي هو من أصحاب السلطان علي بن مؤيّد ملك خراسان وما والاها في ذلك الوقت، إلى أن استولى على بلاده تيمورلنك فصار معه قسراً، إلى أن توفّي - أي: السلطان علي بن مؤيد - في حدود سنة ٧٩٥ بعد أن استشهد المصنِّف (قدَّس الله سرّه) بتسع سنين، وكان بينه وبين المصنِّف (قدَّس الله سرّه)

---

(١) أمل الآمل ١: ١٨٣.

(٢) ينظر ترجمته في: الأعلام ٢: ٤٨.

مودة ومكاتبة على البعد إلى العراق، ثُمَّ إلى الشام. وطلب منه أخيراً التوجّه إلى بلاده في مكاتبة شريفة أكثر فيها من التلطُّف والتعظيم والحث للمصنِّف رحمه الله على ذلك، فأبى واعتذر إليه.

وصنَّف له هذا الكتاب بدمشق في سبعة أيام لا غير، على ما نقله عنه ولده المبرور أبو طالب محمّد، وأخذ شمس الدين الآوي نسخة الأصل، ولم يتمكَّن أحد من نسخها منه لضنّته[1] بها، وإنَّما نسخها بعض الطلبة وهي في يد الرسول تعظيماً لها، وسافر بها قبل المقابلة فوقع فيها بسبب ذلك خلل، ثُمَّ أصلحه المصنِّف بعد ذلك بما يناسب المقام، وربما كان مغايراً للأصل بحسب اللفظ، وذلك في سنة ٧٨٢.

ونقل عن المصنف رحمه الله أن مجلسه بدمشق في ذلك الوقت ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور؛ لخلطته بهم وصحبته لهم.

قال: (فلمَّا شرعت في تصنيف هذا الكتاب كنت أخاف أن يدخل عليَّ أحد منهم فيراه، فما دخل عليَّ أحد منهم منذ شرعت في تصنيفه إلى أن فرغت منه، وكان ذلك من خفيِّ الألطاف.

قال رحمه الله: وهو من جملة كراماته قُدِّس سرُّه ونُوِّرَ ضريحه)، انتهى[1].

أقول: وعلي بن مؤيد كان من الشيعة الخُلَّص لأهل البيت عليهم السلام، وكان حسن السيرة يجتنب المسكرات، ويعظِّم العلماء والسادات إلى الغاية، وكان في كل

(١) ضَنَّ (بالضاد): بمعنى (حرص).

(١) الروضة البهية ١: ٢٣٨.

صباح ينتظر ظهور الحجّة عجَّل الله فرجه، ويخرج خيله وركابه استعداداً لنصرته، وكان يحمل الجوشن تحت ثيابه، وكان كريماً للغاية.

ولمّا دخل تيمور كور (كان خراسان) حضر مجلسه علي بن مؤيد فلازم خدمته، فاشفق عليه تيمور وأنفذه على ما كان تحت تصرُّفه من بلاد خراسان وما والاها، فكان علي بن مؤيد لا يفارق جيش تيمور في الأسفار إلى أن توفّي سنة ٧٨٣، وكان هو الثاني عشر من ملوك (سربداران) وانتهت به ملوكيَّتهم.

وهذه صورة ما كتبه إلى الشهيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(سلامٌ كَنَشْرِ العَنْبَرِ المُتَضَوّعِ ... يُخلِّفُ رِيحَ المِسْكِ في كُلِّ مَوْضِعِ
عَلَى شَمْسِ دِيْنِ الحقِّ دامَ ظِلالُهُ ... بجدٍّ سَعيدٍ في نَعيمٍ مُمَتَّعِ

أدام الله تعالى مجلس المولى الإمام، العالم، الفاضل الكامل، السالك الناسك، رضيّ الأخلاق، وفيّ الأعراق، علاّمة العالم، مرشد طوائف الأُمَم، قدوة العلماء الراسخين، أُسوة الفضلاء المحقِّقين، مفتي الفرق، الفاروق بالحق للحقّ، حاوي فنون الفضائل والمعاني، حائز قصب السبق في حلبة الأعاظم والأعالي، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، محيي مراسم الأئمة الطاهرين، سرّ الله في الأرضين، مولانا شمس الملّة والحق والدين، مد الله أطناب ظلاله بمحمّد وآله في دولة راسية الأوتاد، ونعمة متصلة الأمداد، إلى يوم التناد.

وبعد: فالمحب المشتاق مشتاق إلى كريم لقائه غاية الاشتياق، وأن يتشرف بعد البعاد بقرب التلاق.

حُرِمَ الطَّرْفُ عَنْ مُحَيّاكَ لَكِنْ ... قَدْ حَظى القَلْبِ مِنْ مُحَيّاكَ رَيّا

وينهي إلى ذلك الجناب، لا زال مرجعاً لأُولي الألباب، أنّ شيعة خراسان (صانها الله عن الحدثان)، متعطّشون إلى زلال وصاله، والاغتراف من بحر فضله وأفضاله، وأفاضل هذه الديار قَدْ مزق شملهم أيدي الأدوار، وفرق جلّهم، بل كلهم صنوف صروف الليل والنهار.

وقال أمير المؤمنين (عليه سلام رب العالمين): «ثلمةُ الدين موتُ العلماء». وإنّا لا نجد فينا من يوثق به على علمه في فتياه، أو يهتدي الناس برشد هداه، فيسألون الله شرف حضوره والاستضاءة بنوره، والاقتداء بعلومه الشريفة، والإهداء برسومه المنيفة، واليقين بكرمه العميم، وفضله الجسيم، أن لا يُخيِّبَ رجاءهُم ولا يَرُدَّ دعاءهم، ويُسعِفَ مسؤولهم، وينجح مأمولهم نظم:

إِذَا كَانَ الدُّعَاءُ لَمَحْضِ خَيْرٍ عَلَى أَيْدي الكَرِيْمِ فَلَا يردُّ

امتثالاً بما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾(١).

ولا شك أنَّ الأرحام أولى بصلة الرحم الإسلامية الروحانية، وأحرى القرابات بالرعاية القرابة الإيمانية ثُمَّ الجسمانية، فهما عقدتان لا تحلُّهما الأطوار والأدوار، بل شعبتان لا يهزمهما إعصار الأعصار، ونحن نخاف غضب الله تعالى على هذه البلاد لفقد المرشد، وعدم الإرشاد.

والمسؤول من إنعامه العام، وإكرامه التام، أن يتفضَّل علينا، ويتوجَّه إلينا، متوكِّلا على الله القدير، غير متعلّل بنوع من المعاذير. فإنَّا بحمد الله نعرف قدره، ونستعظم أمره، إن شاء الله تعالى.

---

(١) الرعد: ٢١.

والمتوقَّع من مكارم أخلاقه، ومحاسن ذاته، إسبال ذيل العفو على هذا الهفو، والسلام على أهل الإسلام)، انتهى[١].

وفي جميع ما ذكرناه دلالة واضحة على بطلان ما في (أمل الآمل) من كون تأليف (اللمعة) في سنة حبس الشهيد، وهي آخر سنيّ حياته الزاهرة التي كانت بوجوده عامرة[٢].

[أشعاره رحمه الله]

وربما ينسب إليه من الشعر ما هو في مقام العرفان:

بالشوقِ والذوقِ نالوا عزَّة الشرفِ ... لا بالدُّلوفِ ولا بالعُجبِ والصَّلَفِ

ومذهبُ القوم أخلاقٌ مطَّهَرة ... بها تخلَّقتِ الأجسادُ في نُطَفِ

صبرٌ وشكرٌ وإيثارٌ وتخَمَصَةٌ ... وأنفُسٌ تقطعُ الأنفاسَ باللَّهفِ

والزهدُ في كلِّ فانٍ لا بقاءَ له ... كما مضت سُنَّةُ الأخيارِ والسَّلفِ

قومٌ لتصفيةِ الأرواحِ قَدْ عَمِلوا ... وأسلموا عَرَضَ الأشباحِ للتلفِ

ما ضرَّهُمْ رثُّ أطمارٍ ولا خَلَقٍ ... كالدرِّ حاضِرُهُ مخلولِقُ الصَّلَفِ

لا بالتخلُّقِ بالمعروفِ تعرفُهُم ... ولا التكلُّف في شيء من الكَلَفِ

يا شقوتي قَدْ تولَّت أُمَّةَ سَلَفت ... حَتَّى تخلَّفتُ في خلفٍ مِنَ الخَلَفِ

ينمِّقون تزاويرَ الغُرورِ لنا ... بالزُّورِ والبَهتِ والبُهتان والسَّرفِ

ليسَ التصوُّفُ عُكّازاً ومِسبَحةً ... كلّا ولا الفقرُ رؤيا ذلِكَ الشَّرفِ

وإن تروحُ وتغدو في مرقَّعةٍ ... وتحتَها موبقاتُ الكبرِ والسَّرفِ

---

(١) مقدمة الروضة البهية ١: ١٤٣، مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢٣٧، الشهيد الأول حياته وآثاره: ١٩٥.

(٢) أمل الآمل ١: ١٨١ رقم ١٨٨.

وتظهرُ الزهدَ في الدنيا وأنتَ على عكوفِها كعُكوفِ الكلبِ في الجِيَفِ
الفقر سرٌّ وعنك النفسُ تحجبُه فارفع حجابَكَ تجلُ ظلمَةَ التلفِ
وفارقِ الجنسَ واقرِ النفسَ في نَفَسٍ وغِبْ عن الحُسنِ واجلِبْ دمعَةَ الأسَفِ
وَاتلُ المثاني ووحِّدْ إن عزمتَ على ذكرِ الحبيبِ وصِفْ ما شئت واتّصفِ
واخضَعْ له وتذلَّل إذ دعيتَ لهُ واعرِف محلَّكَ من آباكَ واعترِفِ
وقِفْ على عرفاتِ الذلِّ منكسراً وحولَ كعبةِ عرفانِ الصَّفا فَطُفِ
وادخل إلى خلوة الأفكار مبتكراً وعُدْ إلى حانة الأذكار بالصُّحُفِ
وإنْ سقاكَ مُديرُ الراحِ من يدهِ كأسَ التجلّي فَخُذْ بالطاسِ واغتَرِفِ
واشربْ وسَقِّ ولا تبخَلْ على ظمأ فإنْ رجعتَ بلا ريٍّ فوا أسفي[1]

ومن شعره ما كتبه إلى الشيخ شمس الدين محمّد بن عبد العالي الكركي العاملي حين قدومه من مكّة المشرفة:

قدمتَ بطالعِ السعدِ السعيدِ فحيّاكَ القريبُ مع البعيدِ
وأحييتَ القلوبَ وكان كلٌّ من الأصحابِ بعدَك كالفقيدِ
وزرتَ المُصطفى وبنيهِ حقّاً وبُلِّغتَ الأمانيَ في الصُّعودِ
نَعِمتَ بحجِّ بيتِ اللهِ حتّى وصلتَ إلى المكارِمِ والسُّعودِ
وعاودت الأقارِبَ في نعيمٍ من الرحمنِ أُتبِعَ بالخُلودِ
ودامَ لك الهنا بِهِمُ وداموا مع الأيام في رَغمِ الحَسودِ
فلو حلفتَ حاكيتَ المثاني بطاعَةِ والدٍ بَرٍّ ودودِ

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٦٣.

وإنّي مـــشفقٌ والعـــزمُ منّـــي   لقـــاؤك مـــن قـــصيرٍ أو مديـــدِ[(١)]

ووجد بخطه رحمه الله: هكذا أنشدني السيِّد أبو محمّد عبد الله بن محمّد الحسيني أدام الله أفضاله وفوائده لابن الجوزي:

أقـــسمتُ بـــالله وآلائـــهِ   أليّـــةً ألقـــى بهـــا ربّي

أنَّ عـــليَّ بـــن أبي طالـــب   إمـــامُ أهـــلِ الـــشرقِ والغـــربِ

مَـــنْ لم يَكُـــنْ مذهَبُـــهُ مـــذهبي   فإنَّـــه لـــيس بـــذي لُـــبِّ

قال الشيخ محمّد بن مكي فعارضته تماماً له:

لأنَّـــه صـــنوُ نبـــيِّ الهـــدى مَـــن   ســـيفُهُ القـــاطِعُ في الحَـــرْبِ

وقـــد وقـــاه مـــن جميـــع الـــردى   بنفـــسه في الخـــصبِ والجَـــدْبِ

والـــنصُّ في الـــذكر وفي إنَّـــما   ولـــيُّكم كـــافٍ لـــذي لُـــبّ[(٢)]

ومنها أيضاً في مناقضة هذين البيتين لبعض النواصب، أو ربماينتسب الجواب إلى السيِّد المرتضى رحمه الله:

قـــولُ الـــروافضِ: (نحـــنُ أطيـــبُ مولـــداً)   قـــولٌ جـــرى بخـــلافِ ديـــنِ مُحَمَّـــدِ

نكحـــوا النـــساء تمتُّعـــاً فولـــدن مـــن   ذاكَ النكـــاحِ فـــأينَ طيـــبُ المولِـــدِ؟

[فأجابه رحمه الله][(٣)]:

إنَّ التمتُّـــع ســـنَّة مفروضـــة   ورد الكتـــابُ بهـــا وســـنَّة أحمَـــدِ

وروى الـــرواة بـــأن ذلـــك قَـــدْ جـــرى   مـــن غـــير شـــكٍّ في زمـــانِ مُحَمَّـــدِ

---

(١) بحار الأنوار ١٠٤: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار ١٠٤: ١٨باختلاف يسير.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

ثــــم اســـــتمرَّ الحـــــال في تحليلهـــــا قَــدْ صــحَّ ذلــك في الحــديث المُــسنَدِ
عــن جــابرٍ وعــن ابــنِ مــسعودِ التَّقــي وعــن ابــنِ عبَّــاسٍ الكــريم المَولِــدِ[1]

مسألة المتعة

وبالحري بالمقام أن نذيّل الكلام بذكر شطرٍ من أخبار المتعة، وإثبات حلّيتها، فنقول:

المتعة: هو النكاح المنقطع، وهو عبارة عن أن يستأجر الرجل امرأة بمال معيّن إلى أجل معيّن فيجامعها[2]، ولا خلاف بين الإماميّة في أنَّ شرعيتها مستمرة إلى الآن[3].

والأخبار بشرعيتها من طريق أهل البيت عليهم السلام بالغة - أو كادت أن تبلغ - حدّ التواتر؛ لكثرتها، حتَّى أنّه مع كثرة اختلاف أخبارنا ـ الَّذي أكثره بسبب التقيّة ـ وكثرة مخالفينا في نكاح المتعة لم يوجد خبرٌ واحد فيها يدل على منعها، وذلك عجيب غريب[4].

بل لا خلاف بين المسلمين قاطبة في أصل شرعيتها، وأنّها كانت مباحة في ابتداء الإسلام.

---

(١) الصراط المستقيم ٣: ٢٦٧، روضات الجنات ٧: ١٦، وينظر بالتفصيل عن ترجمة الشهيد الأول رحمه الله: الشهيد الأول حياته وآثاره للشيخ رضا المختاري دام فضله.

(٢) تعريفها هذا قاله الرازي في تفسيره ١٠: ٤٩.

(٣) الروضة البهية ٥: ٢٤٥.

(٤) الروضة البهية ٥: ٢٨٣.

ففي تفسير الرازي: (روي أن النبيّ صلى الله عليه وآله لما قدم مكّة في عمرته تزيّن نساء مكّة، فشكا أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله طول العزوبة، فقال: استمتعوا من هذه النساء.

واختلفوا في أنّها هل نسخت أم لا؟ فذهب السواد الأعظم من الأُمَّة إلى أنها صارت منسوخة، وقال السواد منهم: إنّها بقيت مباحة كما كانت.

قال: وهذا القول ـ أي: عدم النسخ ـ مرويٌّ عن ابن عبَّاس وعمران بن الحصين)، انتهى[١].

وفي رجال الشيخ أبي علي رحمه الله في ترجمة عبد الملك بن جريج: (أنّ حلّية المتعة ليست من متفرّدات الشيعة حَتَّى يقال بتشيّع من قال بها، بل الكثير من العامّة كان يذهب إليها أيضاً وكان الخلاف فيها بينهم معروفاً، إلى أن استقر رأي علمائهم الأربعة[٢] على التحريم، بل المنقول في جملة من كتب العامّة ـ على ما وجدت ـ أنّ مالكاً أيضاً كان يستحلّ المتعة، فلاحظ.

إلى أن قال رحمه الله: وقد عدّ السيِّد المرتضى رضي الله عنه في (الانتصار) وقبله شيخه المفيد رحمه الله جماعة من علماء العامّة كانوا يذهبون إلى حلّية المتعة، وعدّا منهم عبد الملك بن جريج)، انتهى[٣].

وذكر الشيخ عبد الحقّ الدهلويّ في (تحصيل الكمال) في ترجمة ابن جريج: (أنّه كان يبيح المتعة وفعلها)[٤].

---

(١) تفسير الرازي ١٠: ٤٩.

(٢) علماؤهم الأربعة هم: أبو حنيفة ومالك بن أنس وابن حنبل وابن إدريس الشافعي.

(٣) منتهى المقال ٤: ٢٦٣ رقم ١٨٢٣، الانتصار: ٢٦٨، خلاصة الإيجاز في المتعة: ٢١.

(٤) تحصيل الكمال، لم أهتد إليه، وذكر هذا القول الذهبي عند ترجمته لابن جريج في كتابه الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة ١: ٦٦٦ رقم ٣٤٦١ وفيه: (ويفعلها).

وابن جريج هذا من أكابر مشايخ العامّة وشيوخ أئمّتهم كما لا يخفى.

ويدلّ على الحلّية من العقل ما ذكره المرتضى في (الانتصار)، والعلاّمة أبو الفتوح الرازي في تفسيره (روض الجنان)، وابن إدريس الحلّي في (السرائر): (إنّ من الثابت بالبرهان العقلي أنّ كل منفعة لا ضرر فيها في عاجل ولا آجل فهي مباحة بضرورة العقل، وهذه صفة نكاح المتعة فيجب إباحته بضرورة العقل)[1].

ومن النقل: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[2]، اتفق جمهور المفسّرين على أنّ المراد به نكاح المتعة، وأجمع أهل البيت عليهم السلام على ذلك[3].

وروي عن جماعة من الصحابة منهم أُبيّ بن كعب، وابن عبّاس، وابن مسعود أنهم قرؤوا: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمًّى)[4] وذلك تصريح بأنّ المراد به عقد المتعة.

ومن جملة من روى ذلك الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عبّاس، ومحمّد بن جرير الطبري، والفخر الرازي، والنيسابوري في تفاسيرهم عن أبي نضرة[5].

---

(١) الانتصار: ٢٦٨، تفسير الرازي ١٠: ٥٣، السرائر ٢: ٦١٨.

(٢) سورة النساء: من آية ٢٤.

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ١: ٣١٩، المصنّف لعبد الرزاق ٧: ٤٩٨، تفسير العياشي ١: ٢٣٤، التبيان ٣: ١٦٥.

(٤) ينظر: مستدرك الحاكم ٢: ٣٠٥، السنن الكبرى ٧: ٢٠٥، عمدة القاري ١٨: ٢٠٨، المعجم الكبير ١٠: ٣٢٠، التبيان ٣: ١٦٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٣: ٢٨٦، جامع البيان ٥: ١٨، تفسير الرازي ١٠: ٥١، مستدرك الحاكم ٢: ٣٠٥، غرائب القرآن ٥: ٣٩٢.

وفي (الكشّاف) عن ابن عبَّاس قال: (هي محكمة ـ يعني: لم تنسخ ـ وكان يقرأ: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمًّى))[١].

وقال ابن الأثير الجزري في (النهاية): (وفي حديث ابن عبَّاس: (ما كانت المتعة إلاّ رحمة، رحم الله بها أمة محمّد صلى الله عليه وسلم، لولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزّنى إلاّ شفى).

أي: إلاّ قليل من الناس، من قولهم: غابت الشمس إلاّ شفى، أي: إلاّ قليلاً من ضوئها عند غروبها)[٢].

وقال جلال الدين السيوطي في (الدر النثير): (ولو بقيت المتعة ما احتاج إلى الزّنى إلاّ شفى، أي: إلاّ قليل من الناس)[٣].

ونقل عن الأزهري تفسير الحديث بأن معناه: (إلا أن يشفى، أي: يشرف على الزّنى ولا يواقعه، فأقام الاسم وهو (الشفى) مقام المصدر الحقيقي وهو (الإشفاء) على الشيء). انتهى[٤].

وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود أنّه سئُل عن حلّية المتعة، فأجاب: (إنّه حلال، ثُمَّ قرأ قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٥])[٦].

---

(١) الكشّاف عن حقائق التنزيل ١: ٥١٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٨٨.

(٣) الدر النثير المطبوع بهامش النهاية ٢: ٢٢٩، مادة (ش.ف.ا) .

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٨٨.

(٥) سورة المائدة: ٨٧

(٦) صحيح مسلم ٤: ١٣٠.

وقال النووي في ذيله: (أنه فيه إشارة إلى إنّه كان يعتقد بإباحتها كابن عبَّاس)[١].

وفي تفسير الرازي والنيسابوري، قال عمارة: (سألت ابن عبَّاس عن المتعة، أسِفاحٌ هي أم نكاح؟ قال: لا سفاح ولا نكاح.

قلت: فما هي؟ قال: هي متعة، كما قال تعالى، قلت: هل لها عدّة؟ قال: نعم، عدّتها حيضة. قلت: هل يتوارثان؟ قال: لا)[٢].

قال أبو حنيفة: (آية الميراث تنطق بنسخ المتعة، فقال له في ردّه مؤمن الطاق: قَدْ ثبت النكاح بغير ميراث. فقال أبو حنيفة: من أين قلت ذلك؟

فقال: لو أنَّ رجلاً من المسلمين تزوَّج بامرأةٍ من أهل الكتاب، ثُمَّ توفّي عنها ما تقول فيها؟ قال: لا ترث منه. فقال: قَدْ ثبت النكاح بغير ميراث)[٣].

قلت: وتخلف الإرث عن الزوجة كثير كالأمَة إذا كانت زوجة لم ترث ولم تورث، وكذلك القاتلة، بل وتخلُّفها عن الطلاق كذلك كالأمَّة المبيوعة تبين بغير طلاق، والملاعنة، والمختلعة، والمرتدّ عنها زوجها، والمرضعة قبل الفطام بما يوجب التحريم من لبن الأُم.

وفي التفاسير الثلاثة: الثعلبي، والنيسابوري، والرازي عن عمران بن الحصين: (أنه نزلت آية المتعة في كتاب الله، ولم ينزل بعدها آية تنسخها، وأمرنا بها

---

(١) المجموع ١٦: ٢٥٠.

(٢) تفسير الرازي ١٠: ٤٩، غرائب القرآن ٥: ٣٩٢.

(٣) الكافي ٥: ٤٥٠ ح٨ باختلاف يسير.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمتَّعنا بها ومات ولم ينهنا عنها، ثُمَّ قال رجل برأيه ما شاء)[١].

وفي تفسير الرازي، والنيسابوري أنه: (روى محمّد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: لولا أنَّ عمر نهى الناس عن المتعة ما زنى إلاّ شقي)[٢].

وفي صحيح مسلم قال: (سمعت عبد الله يقول: كنّا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثُمَّ رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثُمَّ قرأ عبد الله: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٣]، وهي في سورة المائدة)[٤].

وفيه أيضاً عن جابر الأنصاري، وسلمة بن أكوع قال: (خرج علينا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنَّ رسول الله قَدْ أذِنَ لكُم أن تستمتعوا، يعني: متعة النساء)[٥].

وفيه أيضا بهذين السندين قال: (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتانا فأذن لنا المتعة)[٦].

وفيه أيضاً عن سبرة قال: (أذِنَ لنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتعة، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر فتمتَّعنا)[٧].

---

(١) تفسير الثعلبي ٣: ٢٨٦، تفسير الرازي ١٠: ٤٩، غرائب القرآن ٥: ٣٩١، والمراد بالرجل هنا هو عمر.

(٢) تفسير الرازي ١٠: ٤٨، غرائب القرآن ٥: ٣٩٢، جامع البيان ٥: ١٩.

(٣) سورة المائدة: ٨٧

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٣٠ والمقصود بعبد الله هو ابن مسعود، وورد في الأصل عن ابن عبَّاس دون ذكر الاسم، وما أثبتناه من المصدر، ومنشأ اللبس الاشتراك بالاسم، فلذا اقتضى التنبيه.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٣٠.

(٦) صحيح مسلم ٤: ١٣٠.

(٧) صحيح مسلم ٤: ١٣١ باختصار.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله، يقول: (كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، حَتَّى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث)[١].

وفيه أيضاً: (جاء رجل إلى جابر الأنصاري فذكر له منازعة ابن عبَّاس وابن الزبير فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ﷺ، ثُمَّ نهانا عنهما عمر)[٢].

قلت: تثنية الضمير؛ لرجوعه إلى متعة الحج، ومتعة النساء.

ومناظرة ابن عبَّاس وابن الزبير مذكورة في كتب التواريخ، وخلاصة القصّة:

(أنَّ ابن عبَّاس قال لابن الزبير: يا جلف، يا جاف! أتطعن بالمتعة وقد وجدت وخلقت منها؟ فقال ابن الزبير: وكيف ذلك؟ فقال له: إنّ أباك أمهر أُمّك ببردة يمانية عتيقة، وتمتع بها، فحملت بك.

ويروى أنّ ابن الزبير وإن ازداد عناداً، غير أنّه ما كان يحرك القصّة بحضور ابن عبَّاس)[٣].

وفي صحيح مسلم عن عطاء، أنَّ جابر الأنصاري ورد إلى منزله معتمراً، فسأله قوم من مسائل دينهم، فسُئل عن المتعة؟

فقال: (نعم، استمتعنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر)[٤].

وفيه أيضاً في كتاب الحجّ عن أبي ذر قال: (كانت المتعة لنا رخصة)[٥].

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٣١.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٣١.

(٣) ينظر القصة في: الفتوح لابن أعثم ٦: ٣٢٤، شرح نهج البلاغة ٢٠: ١٢٨، الدرجات الرفيعة: ١٣٤.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٣١ بتصرف يسير.

(٥) صحيح مسلم ٤: ٤٦ بتصرف يسير، وفيه أن الحديث كان عن متعة الحج.

وفيه أيضاً في كتاب الحجّ عن أبي ذر: (أنه لا تصلح المتعة إلاّ لنا خاصة، يعني: متعة النساء ومتعة الحجّ)[١].

قلت: ومراد أبي ذر من قوله (لنا) يعني: أُمَّة محمّد صلى الله عليه وآله، كما عرفت من حديث ابن عبَّاس: (ما كانت المتعة إلاّ رحمة رحم الله بها أُمَّة محمّد صلى الله عليه وآله)[٢].

وفي (صحيح البخاري) - الَّذي هو عند العامّة كالقرآن الثاني - في أوائل كتاب التفسير، عن عمران بن الحصين أنّه قال: (نزلت آية المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل قرآن يحرمه، ولم ينه عنها حَتَّى مات، قال رجل برأيه ما شاء)[٣].

وفي (تفسير الرازي) أن عمر قال في خطبته: (متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما)[٤].

وروى الترمذي: (أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله بن عمر: هي حلال، فقال الشامي: إن أباك قَدْ نهى عنها! فقال عبد الله بن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمرَ أبي يُتّبع أم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقال الرجل: بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح)[١].

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٤٦ وفيه: (المتعتان) بدل: (المتعة).

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٨٨.

(٣) صحيح البخاري ٥: ١٥٨.

(٤) تفسير الرازي ١٠: ٥٠.

وقال ابن الخطيب في (مستطرفه) - وهو تلميذ النووي - : (إن القاضي يحيى بن أكثم سأل شيخاً من شيوخ المدينة عن دليل حلّية المتعة، وإنه كان من أشد المنكرين؟ فقال الشيخ: إن الخبر الصحيح عنه أنه قال على المنبر: إن الله ورسوله أحل لكم المتعتين وإني محرِّمهما، فنحن نقبل شهادته في تحليلهما، ولا نقبل تحريمهما؛ لأن التحريم بإقراره من عند نفسه)[٢].

إذا حفظت ما تلوناه عليك فهلمّ واستمع ما ذكره الرازي في تفسيره، واعتمد عليه في ردِّ التمسك بآية المتعة، قال: (والَّذي يجب أن يعتمد عليه في هذا الباب أن نقول: إنا لا ننكر أنَّ المتعة كانت مباحة، إنما الَّذي نقوله: إنها صارت منسوخة، وعلى هذا التقدير فلو كانت هذه الآية دالة على أنها مشروعة لم يكن ذلك قادحاً في غرضنا، وهذا هو الجواب أيضاً عن تمسُّكهم بقراءة أُبيّ وابن عبَّاس)[٣].

أقول:

أوّلاً: قَدْ عرفت فيما تقدّم اعتراف جماعة من الصحابة بعدم النسخ وأنّ الحكم ثابت إلى يوم القيامة، نعم، قَدْ يقال: إنّ آية المتعة منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[٤] حيث منع النكاح إلاّ لزوجة أو ملك يمين، وإذا لم تكن الممتَّعة

---

(١) سنن الترمذي ٢: ١٥٩ ح٨٢٣، وفي الأصل أن سؤال الرجل كان عن متعة النساء، وما أثبتناه من المصدر، وربما استند المؤلِّف رحمه الله إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه المتقدّم.

(٢) لم أعثر عليه في كتاب المستطرف المطبوع بدار الندى سنة ١٤٢٥هـ فلعل يد الزَّمان الخؤون تصرفت به.

(٣) تفسير الرازي ١٠: ٥٣.

(٤) سورة المؤمنون: ٥-٦.

زوجة ولا ملك يمين فقد سقط قول من أحلَّها، وهو نفخ في غير ضرام، فإنَّ آية المتعة في سورة (النساء) وهي مدنيّة وآية منع النكاح مكيّة، والمكيّة لا تنسخ المدنية كما لا يخفى.

وثانياً: نسأل عن زمان اطّلاع المحرِّم على النسخ، أكان بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله وانقطاع الوحي عن أُمَّته؟ أم كان ذلك في حياته صلى الله عليه وآله؟

ليس إلى ادعاء الأوّل من سبيل، وعلى فرض الثاني كيف خفي ذلك على الصحابة أجمع في بقية زمن النبيّ صلى الله عليه وآله ومدّة خلافة أبي بكر وبعض خلافة المحرِّم؟!

ولو فرضنا اختصاصه بالاطّلاع دون غيره كيف جاز له إخفاء مثل هذا الحكم في تمام هذه المدّة؟ ولمَ لا يطلع عليه الخليفة الأوّل حتَّى ينهى الناس عنه؟ وما الحكمة في إخفاء حكم الله تعالى عن العباد مع ارتكابهم له بمرأى منه، كما في الروايات الثابتة في الصحاح الستّة، وخصوصاً صحيح مسلم أنَّ الصحابة كانوا يقولون: كنا نتمتَّع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي خلافة أبي بكر، وشطراً من زمن عمر[1]؟

قال: وقولهم الناسخ إما أن يكون متواتراً أو آحاداً.

قلنا: لعل بعضهم سمعه ثُمَّ نسيه، ثُمَّ إن عمر رضي الله عنه لما ذكر ذلك في الجمع العظيم تذكّروه، وعرفوا صدقه فيه، فسلَّموا الأمر له[2].

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٣١.

(٢) تفسير الرازي ١٠: ٥٤.

أقول: كيف يمكن دعوى عاقل تسليم الصحابة لعمر في حرمة نكاح المتعة بعد أن اطّلع على ما ورد عنهم في الروايات حسب ما أشرنا إلى جملة منها؛ من أن عمر فعل برأيه في باب المتعة ما أراد، ولو كانوا يعرفون صدقه لما أسندوا ذلك إلى رأيه، بل الإسناد إلى الرأي صريح في تكذيبهم له؟

وأصرح من الكل عبارة جلال الدين السيوطي وهو من أعاظم الشافعية، وأبي العبّاس القرماني في تاريخهما، أعني: (تاريخ الخلفاء)، و (تاريخ الدول) فقد ذكرا ما نصّه: (أن عمر أوّل من حرم المتعة)[1].

وهذا صريح في أن هذا الحكم غير مسبوق من أحد في الإسلام.

قال قوله: إنّ عمر أضاف النهي عن المتعة إلى نفسه.

قلنا: قَدْ بيّنا أنه لو كان مراده أن المتعة كانت مباحاً في شرع محمّد ﷺ وأنا أنهى عنها لزم تكفيره وتكفير كل من لم يحاربه وينازعه، ويفضي ذلك إلى تكفير أمير المؤمنين حيث لم يحاربه ولم يرد ذلك القول عليه، وكل ذلك باطل[2].

أقول: أما تكفير بعض الصحابة فلا مانع منه، وقد ثبت في القرآن: أن الصحابة على قسمين: مؤمن، ومنافق.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[3].

(١) تاريخ الخلفاء: ١٢٨، أخبار الدول: ٩٦.

(٢) تفسير الرازي ١٠: ٥٤.

(٣) سورة المنافقون: ١.

وهذه الآية قَدْ وردت في حقّ بعض الصحابة الَّذين كانوا يظهرون الإيمان بالنبيّ، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم[١]، ولا يلزم من ذلك تكفير أمير المؤمنين عليه السلام بخصوصه؛ إذ أيُّ إنكار أبلغ من قوله عليه السلام: «**لولا نهي عمر عن المتعة ما زنى إلاّ شفى**»[٢]، على أنه عليه السلام لم يتمكن من إنفاذ حكم من الأحكام، وكان سكوته لضرب من الاستصلاح، كما قَدْ أبان عليه السلام عن ذلك بكلامه البليغ في خطبة نهج البلاغة حيث يقول: «**أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حَتَّى يزهر كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك**»[٣].

وكما في قول ابن عمر للرجل الشامي: (**أرأيت إن كان أبي نهى عنها...إلخ**)[٤].

وكما في تاريخ ابن جرير الطبري أيضاً ما هو صريح في أن الأُمَّة أعابت على عمر بتحريمه المتعة، مع أنها كانت رخصة من الله[٥].

وفي تاريخ ابن خَلّكان، في ترجمة يحيى بن أكثم، أنه: (**قال المأمون بعد نقل قول عمر: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أُحرِّمهما وأعاقب على**

---

(١) ينظر: تفسير القمي ٢: ٢٦٨، التبيان ١٠: ١٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٢: ٢٥٣، وعبارة النهج: «**لولا ما سبقني به ابن الخطّاب، ما زنى إلاّ شقي**».

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٧.

(٤) سنن الترمذي ٢: ١٥٩ ح٨٢٣.

(٥) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٠.

فعلهما: ومن أنت يا جُعَل، حَتَّى تنهى عمَّا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه ؟!)[(١)].

وربما بنى بعضهم الجواب عن الطعن على كون النبيّ صلى الله عليه وآله مجتهداً في الأحكام الشرعيّة، فيجوز لمجتهد آخر مخالفته، وهذا بمكان من الغلط، أمّا على أُصول الإماميّة فظاهر؛ لاتفاقهم على عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[(٢)].

وقال تعالى مخاطباً له: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[(٤)]، وحينئذ فلا يجوز لأحد مخالفته ولا الاجتهاد في مقابلة ما حكم به.

وأمّا على رأي الجمهور: فقد صرح الرازي في تفسيره فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[(٥)] بأن: (الآية دلت على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الخطأ في الفتوى وفي الأحكام؛ لأنه تعالى أوجب الانقياد لحكمهم، وبالغ في ذلك الإيجاب، وبين أنه لا بد من

---

(١) وفيات الأعيان ٦: ١٤٨ ضمن ترجمته رقم ٧٩٣.

(٢) سورة النجم: ٣-٤.

(٣) سورة يونس: من آية ١٥.

(٤) سورة الأحقاف: من آية ٩.

(٥) سورة النساء: من آية ٦٥.

حصول ذلك الانقياد في الظاهر وفي القلب، وذلك ينفي صدور الخطأ عنهم)، انتهى[١].

ومن نفى منهم عصمة الأنبياء فإنّما نفاها قبل البلوغ، أو قبل النبوة لا بعدهما، أو فيما ليس له تعلق بتبليغ الأحكام الشرعية كتدبير الحروب، واستصلاح الجيش، ونصب العمال وعزلهم، وما أشبه ذلك. وأمّا ما يتعلق بالتبليغ للأحكام فقد أوجبوا العصمة فيها، لأن الخطأ فيها مناف لما يقتضيه المعجزة من وجوب تصديق النبيﷺ فيما يبلّغه عن الله[٢].

هذا كله مضافاً إلى أنه يمكن دعوى ظهور الآية بنفسها في حلّية المتعة، لأن الاستمتاع جاء بمعنى المتعة لغة كما في القاموس، قال: (والمتعة، بالضم والكسر: اسم للتمتيع، كالمتاع، وأن يتزوج امرأة يتمتع بها أياماً، ثُمَّ يخلّي سبيلها، وأن تضم عمرة إلى حجّك، وقد تمتعت واستمتعت)، انتهى[٣].

ولكثرة استعماله في الشرع في هذا المعنى حَتَّى صار هو المتبادر منه، فهو:

إمّا حقيقة شرعية فيه، أو مجاز مشهور، فهو مقدّم على المعنى الآخر، سيما إذا أُضيف إلى النساء، ويرشد إلى ذلك التعبير بالأجر، فإنَّه المتعارف في عقد المتعة غالباً.

وأمّا في الدائم فيسمّى مهراً، وتعليق إعطاء الأجر على الاستمتاع، فإنّه لا شبهة في لزوم ترتُّب الأجر على الاستمتاع بمعنى المتعة، ولو مع عدم الالتذاذ،

---

(١) تفسير الرازي ٣: ١٦٣.

(٢) ينظر: جواهر الكلام ٣٠: ١٤١.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٨٣.

بل ولو مع الاشمئزاز، بخلاف ما لو كان المراد به الاستلذاذ بالجماع ونحوه، ممَّا هو مستحل بالنكاح الدائم، فإنه يفهم منه أنه لو لم يحصل الاستلذاذ ونحوه، لا يجب إعطاء المهر وهو باطل؛ لأنه قَدْ يجب بالموت، والفسخ، ونصفه بالطلاق إذا حصل شيء من ذلك قبل الدخول، بل قبل الرؤية، بل لو كان المراد النكاح الدائم، كان مقتضى الآية وجوب إعطاء تمام المهر بمحض العقد ولو قبل الدخول، وهو باطل إجماعاً.

وعلى كل حال: إنّ المتمتعة زوجة قطعاً، ولا وجه لما يتخيل أنَّ اختلاف أحكامهما يدل على تباينهما؛ لعدم لزوم اتحاد أنواع الأزواج كما في سائر الأنواع الداخلة تحت جنس واحد ـ انظر إلى اختلاف أحكام البيع اللازم والخياري ـ ومن هنا ذهب المشهور من فقهائنا إلى كون العقد الدائم والمنقطع حقيقة واحدة، وأن الاختلاف بينهما باشتراط الأجل وعدمه، كما حققه سيدنا الأُستاذ طاب ثراه في (العروة الوثقى) والله العالم[1].

خاتمة: لا ريب في استحباب المتعة استحباباً مؤكّداً، وأنَّها من خصال رسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث:

قال المفيد في رسالة المتعة: (روى أبو الفضل الشيباني بإسناده إلى الباقر عليه السلام: أنّ عبد الله بن عطاء المكّي سأله عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾[2]...الآية، فقال: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّج بالحرّة مُتعة، فاطّلع عليه بعض

(١) العروة الوثقى ٥: ٥١٢، ٥٣٠، حاشية المكاسب للسيد اليزدي: ٣٢.

(٢) سورة التحريم: ٣.

نسائه فاتّهمته بالفاحشة، فقال لها رسول الله ﷺ: إنّها لي حلال، إنّه نكاح بأجل مُسمّى فاكتميه، فأطلعت عليه بعض نسائه)[١].

وقال: (وروى ابن بابويه بإسناده: (أنّ علياً عليه السلام نكح بالكوفة امرأة من بني نهشل متعة))[٢].

وقال الصادق عليه السلام: «إنّي لأحبُّ للمؤمن أن لا يخرج من الدنيا حَتّى يتمتع ولو مرة، وأنه يضع الجمعة في جماعة»[٣].

وقال أيضاً: «المتعة والله أفضل من الحجّ، وبها نزل الكتاب وجرت السنة».

وروى الكليني بإسناده عن رجل من قريش: (بعثت إليّ ابنة عم لي كان لها مال كثير: قَدْ عرفت كثرة من يخطبني من الرجال فلم أزوجهم نفسي، وما بعثت إليك رغبة في الرجال، غير أنه بلغني أنه أحلّها الله في كتابه، وسنّها[٤] رسول الله ﷺ في سنّته فحرَّمها زفر[٥]، فأحببت أن أطيع الله عزَّ وجلَّ فوق عرشه، وأطيع رسول الله ﷺ وأعصي زفر، فتزوّجني متعة، فقلت لها: حَتّى أدخل على أبي جعفر عليه السلام فأستشيره، قال: فدخلت عليه فخبّرته، فقال: «افعل، صلّى الله عليكُما من زوج»[٦].

---

(١) خلاصة الإيجاز: ٢٤.

(٢) خلاصة الإيجاز: ٢٥.

(٣) ورد الحديث بهذا اللفظ في الغاية القصوى ٢: ٢٢٩، وفي مصباح المتهجد: ٣٦٣، ووسائل الشيعة ٢١: ١٤ ح ٧/٢٦٩٣٤ باختلاف يسير.

(٤) في بعض المصادر الحديثية: (وبيّنها).

(٥) زفر: كناية عن اسم عمر للتقية.

(٦) الكافي ٥: ٤٦٥ ح١.

وفي رسالة المفيد بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال لي: «تمتّعتَ؟ قلت: لا، قال: لا تخرج من الدنيا حتّى تحيي السنّة»)[١].

وقال الصادق عليه السلام: «إنّي لأكره للرجل أن يموت وقد بقيت عليه خلّة من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأتها.

فقلت: فهل تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: نعم، وقرأ هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾... إلى قوله: ﴿ثيّبات وأبكار﴾[٢]»[٣].

وبالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قلت: للمتمتّع ثواب؟ قال: «إن كان يريد بذلك وجه[٤] الله تعالى وخلافاً على من أنكرها لم يكلّمها كلمة إلاّ كتب الله له بها حسنة، ولم يمد إليها يده إلاّ كتب الله له حسنة[٥]، فإذا دنا منها غفر الله له ذنباً، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مرَّ من الماء على شعره».

قلت: بعدد الشعر؟ قال: «نعم، بعدد الشعر»)[٦].

بل يظهر من جملة من الأخبار استحباب المتعة، وإن عاهد الله على تركها، أو جعل عليه نذراً:

---

(١) خلاصة الإيجاز: ٤١.

(٢) سورة التحريم: ٣-٦.

(٣) من لايحضره الفقيه ٣: ٤٦٦ح ٤٦١٥.

(٤) ليس في بعض المصادر الحديثية: (وجه) .

(٥) ليس في بعض المصادر الحديثية: «ولم يمد إليها يده إلا كتب الله له حسنة».

(٦) خلاصة الإيجاز: ٤٢، رسالة المتعة للمفيد: ٦، جواهر الكلام ٣٠: ١٥١ باختلاف يسير.

ففي (الكافي) بإسناده عن علي السائي قال: (قلت لأبي الحسن عليه السلام: **جعلت فداك، إنّي كنت أتزوج المتعة فكرهتها وتشأمت بها فأعطيت الله عهداً بين الركن والمقام، وجعلت عليّ في ذلك نذراً أو صياماً أن لا أتزوجها، ثُمَّ إنّ ذلك شق عليّ وندمت على يميني ولم يكن بيدي من القوّة ما أتزوّج به في العلانية؟**

قال: فقال لي: «عاهدت الله أن لا تطيعه، والله لأن لم تطعه لَتَعصِينَّه»)[١].

وقريب منه غيره[٢]، فهذه جملة من أحكام المتعة أتينا على تفصيلها والله العالم.

فخر الدين ابن العلامة

وأما الشيخ فخر الدين فهو: أبو طالب محمّد ابن آية الله العلاّمة، المعبّر عنه في الكتب الفقهية: بفخر الدين، وفخر الإسلام، وفخر المحقّقين وأحياناً بالفخر، ولد ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الأُولى سنة ٦٨٢.

نقل صاحب (مجالس المؤمنين) عن الحافظ من الشافعية في مدحه: (**أنّه رآه مع أبيه في مجلس السلطان محمّد الشهير بخدا بنده، فوجده شاباً، عالماً، فطناً مستعداً للعلوم، ذا أخلاق رضيّة**)، انتهى[٣].

وقال تلميذه السيِّد العارف الأنور السيِّد حيدر الآملي صاحب كتاب (الكشكول فيما جرى على آل الرسول)، وكتاب (منبع الأسرار)، وكتاب

---

(١) الكافي ٥: ٤٥٠ ح٧.

(٢) ينظر: وسائل الشيعة ٢١: ١٦ باب٢ ففيه ثلاثة أحاديث.

(٣) مجالس المؤمنين ١: ٥٧٦.

(المسائل الحيدريّة) ـ وهو مجموعة مسائل سأله عنها ـ والمنقول عن الأخبار ما نصّه: (بعد الحمد والصلاة، هذه مسائل سألتها عن جناب الشيخ الأعظم، سلطان العلماء في العالم، مفخر العرب والعجم، قدوة المحقّقين، مقتدى الخلائق أجمعين، أفضل المتأخّرين والمتقدّمين، المخصوص بعناية ربّ العالمين، الإمام العلاّمة في الملّة والحقّ والدين، ابن المطهّر مدّ الله ظلال أفضاله، وشيّد أركان الدين ببقائه، مشافهة في مجالس متفرقة على سبيل الفتوى، وكان ابتداء ذلك في سلخ رجب المرجّب سنة ٧٥٩ هجرية نبويّة هلاليّة، ببلدة الحلّة السيفيّة، حماها الله عن الحدثان.

وأنا العبد الفقير حيدر بن علي بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآمليّ أصلح الله حاله، وجعل الجنّة مآله، ما يقول شيخنا...)[(١)].

له كتب منها:

(شرح القواعد) سمّاه أيضاً (الفوائد في حلّ مشكلات القواعد)، وله شرح (خطبة القواعد)، و(الفخريّة في النيّة)، و(حاشية الإرشاد)، و(الكافية في الكلام)، و[شرح][(٢)] (نهج المسترشدين) لوالده العلاّمة، وشرح (مبادئ الأُصول) أيضاً لوالده، وشرح (التهذيب) أيضاً لوالده[(٣)]، يقال: إنّه من جملة ما ذهب فيه من المسائل الأُصوليّة: قوله، باقتضاء النهي في العبادات الصحّة كما اختاره أبو حنيفة

---

(١) عنه خاتمة المستدرك ٢: ٤٠٢، ونسختها بخط السيّد والأجوبة بخط الفخر، بين السطور وبعضها في الحاشية كانت عند شيخنا العلامة النوري رحمه الله بحسب ما صرح به في خاتمة مستدركه.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٣) أي: (تهذيب الأُصول) المسمى بـ(غاية السؤل).

وصاحباه، وله أيضاً (أجوبة مسائل السيِّد مهنّا بن سنان الحسينيّ المدنيّ في الفروع الفقهيّة النادرة).

وتوفي رحمه الله في سنة ٧٧١ في ليلة الجمعة في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة، ونقل المولى محمّد تقي المجلسي في (شرح الفقيه) أنّه: دفن في الحلّة، ثُمَّ نقل إلى النَّجف[١].

وناهيك في بلوغه في العلم والفضل منتهى الأصل وأسنى المحلّ، أمر والده وشيخه في وصيته التي ختم بها (القواعد) بإتمام ما بقي ناقصاً من كتبه بعد حلول أجله، وإصلاح ما وجد فيها من الخلل، وصرَّح بأمره بالإصلاح في أوّل (الإرشاد) أيضاً[٢]، ولعلّه بذلك اشتغل وما صنّف بعد أبيه مع بعد الأجل إلاّ ما قل، ولقد عثرت على حكايتين لطيفتين تناسبان هذه الترجمة:

الرؤيا المنقولة في محبوب القلوب

الأُولى: ما ذكره صاحب كتاب (محبوب القلوب): (إن شخصاً من أهالي سبزوار رأى في عالم الرؤيا: أنه، حمل على رأسه تابوتاً وهو يدور في سكك البلدة، ويفوح من ذلك التابوت رائحة خبيثة نتنة جداً، بحيث كلَّما أوصلت إلى مسام أحد غشي عليه وغابت روحه.

فقال له واحد: إنَّ هذا التابوت للشيخ فخر الدين خلف العلاّمة الحلِّي عطّر الله مرقده، فقص رؤياه على من هو كامل بتأويل الرؤيا، فقال له: تأويل خباثة رائحة

(١) عنه الفوائد الرضوية ٢: ٧٧١.

(٢) ينظر: قواعد الأحكام ٣: ٧١٤، إرشاد الأذهان ١: ٢١٨.

تابوته من جهة ما كان يذهب إليه ويختاره من المذهب من حرمان من ينتسب بالأم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من الخمس)[(١)].

وهو على خلاف فتوى السيِّد المرتضى رحمه الله، وهذه المسألة مختلف فيها، وقد أجمع المتأخّرون - إلاّ من شذّ - على تخصيص الخمس بالمنتسب إلى هاشم بالأب خاصة، وقد وافق بعض المتأخّرين السيِّد المرتضى رحمه الله في فتواه، كالسيد المير الداماد والفاضل الصالح المازندراني في شرحه على الأُصول، والسيد الجزائري في (شرح العوالي)، والمحدِّث الشيخ عبد الله البحراني، وصاحب

(١) محبوب القلوب: الملمع بالفارسي نثراً ونظماً للمولى الفاضل العارف قطب الدين محمّد بن الشيخ علي الشريف بن المولى عبد الوهاب بن پيله فقيه بالبا الفارسي اللاهجي الأشكوري تلميذ المحقق الداماد... كانت نسخة منه عند المؤلف رحمه الله كما ذكرناه في مقدمة كتابنا هذا، وقد طبع قطعة منه في شرح حالات الحكماء ١٣١٧، رتبه على مقدمة في حقيقة الفلسفة ومقالات ثلاث: أولها في أحوال الحكماء قبل الإسلام، وثانيها في حكماء الإسلام، وثالثها في الأئمة الأطهار عليهم السلام وبعض المشايخ الأبرار، وخاتمة في ترجمة نفسه، والنسخة التامة إلى آخر الخاتمة في كتب شيخ العراقين الشيخ عبد الحسين الطهراني بكربلاء بخط التعليق الجيد اللطيف كتبه أصيل بن إسماعيل الكوچسفهاني في ذي القعدة ١١٠٨ وعليه حواشٍ جيدة نافعة من المصنف ينقل فيها عن كتب جليلة وآخر تراجمه للمشايخ ترجمة المير الداماد وأول تراجمهم بعد النواب الأربعة الكليني ثُمَّ علي بن بابويه ثُمَّ ولده الشيخ أبو جعفر الصدوق ثُمَّ المفيد ثُمَّ الطوسي ثُمَّ الشريف الرضي ثُمَّ المرتضى ثُمَّ المحقق الحلّي ثُمَّ العلامة الحلّي ثُمَّ علي بن طاووس ثُمَّ الشيخ البهائي ثُمَّ المير الداماد، فهؤلاء الاثنا عشر من المشايخ وآخر مشايخ الصوفية محيي الدين، يوجد في (دانشگاه: ٤٨٨٩) [الذريعة ٢٠: ١٤١ رقم ٢٣٠٣] وقد طبعت المقالتان الأوليان منه أخيراً من منشورات ميراث مكتوب، والكلام الَّذي ذكره المؤلف رحمه الله في المتن هو من المقالة الثالثة التي لم تطبع بعد، فتدبر.

(الحدائق)، وظاهر صاحب (المدارك)، و(الذخيرة) التوقُّف في أصل المسألة، وهي محررة في محلها، فراجع[1].

وضوء السلطان خدابنده

والثانية: ما أورده السيِّد المحدِّث الجزائري في شرحه على (التهذيب)، قال: (وقد حكى بعض أهل الشروح أنَّ العلاّمة وولده كانا مع السلطان (خدا بنده) مصاحبين معه في الأسفار والإحضار، وكان ذلك السلطان يتوضّأ للصلاة قبل وقتها، ومضى عليه زمان على هذه الحالة، فدخل عليه العلاّمة يوماً فسأله، فقال: أعد كل صلاة صلَّيتها على ذلك المنوال.

فلمّا خرج من عنده دخل عليه ولده، فسأله أيضاً عن تلك المسألة، فقال له: أعد صلاة واحدة، وهي أول صلاتك على ذلك الحال، [وذلك][2] أنك لما توضأت لها قبل دخول وقتها وصلَّيتها بعد دخوله كانت فاسدة، فصارت ذمَّتك مشغولة بتلك الصلاة، فكلما توضأت بعد تلك الصلاة كان وضوؤك صحيحاً بقصد استباحة الصلاة؛ لأن ذمَّتك مشغولة بحسب نفس الأمر.

ففرح بذلك السلطان فأخبر العلاّمة رحمه الله بقول ولده فاستحسنه، ورجع عن قوله إلى قول ولده. فلمّا وصلت النوبة إلى من بعده من المحقِّقين عاب عليه في رجوعه عن قوله، وذلك؛ لأنَّ الوضوء الَّذي وقع من السلطان قبل دخول الوقت إنما وقع

---

(١) رسائل الشريف المرتضى: ٣٢٨، مختلف الشيعة ٣: ٣٣٢، شرائع الإسلام ١: ١٣٥، إيضاح الفوائد ١: ٢١٧، شرح أُصول الكافي ٧: ٣٩٧، الحدائق الناضرة ٢٢: ٢٤٣، مدارك الأحكام ٥: ٣٩٩، جواهر الكلام ١٦: ٩٠.

(٢) ما بين المعقوفين من المصدر.

بقصد استباحة الصلاة المستقبلة، لا الفائتة، وإنّما الأعمال بالنِّيات؛ فلا يكون ذلك الوضوء متصرفاً إلى ما في ذمّته، بل إلى ما سيفعله من الصلوات)[١].

وهو كما ترى بمكان من السقوط؛ إذ لا ريب في صحَّة قصد الوجوب بالوضوء بعد أن كان المتوضي مشغول الذِّمة بما هو مشروط فيه، أعني: الصلاة الفائتة، وإن لم يقصد الوجوب لأجّلها، وإن هو إلاّ من قبيل الخطأ في التطبيق هذا.

وفي بعض الأخبار دلالة واضحة على ما قاله فخر المحقِّقين، كما روى الصدوق رحمه الله في الفقيه في ناسي غسل الجنابة: «**أنه يقضي صلاته وصيامه إلى وقت اغتساله غسل الجمعة**»[٢]، فإنّه دال على أن الحدث الَّذي لم يقصد رفعه يرتفع بالقصد إلى غيره، وليس إلا لشغل الذمة بحسب الواقع ونفس الأمر.

قال صاحب الوافي: (**في هذا الخبر دلالة واضحة على أن قصد القربة كاف في الأعمال ولم يشترط التعيين، ولا الوجوب ولا الاستحباب)**[٣].

وكانصراف الصلاة المعادة إلى ما في ذمَّته من الصلاة الفائتة وإن لم يقصده، كما هو صريح سيدنا الأُستاذ رحمه الله في العروة[٤]، وغيره في غيرها وله نظائر كثيرة، وحينئذ فيكون ذلك الوضوء الَّذي أوقعه قبل الوقت باستباحة الصلاة منصرفاً إلى ما في ذمَّته من الصلاة.

---

(١) عنه روضات الجنات ٦: ٣١٢، وذكره الشيخ القمي في الفوائد الرضوية ٢: ٧٧٣ ضمن ترجمته.

(٢) من لايحضره الفقيه ٢: ١١٩ ح ١٨٩٦ باب الصوم.

(٣) الوافي: كتاب الصوم.

(٤) ينظر: مستمسك العروة الوثقى ٧: ٥٨١.

وأمّا بناءً على استحباب الوضوء في نفسه ـ كما هو الأقوى ـ فلا إشكال في جوازه قبل دخول الوقت، ويترتَّب عليه آثاره من ارتفاع الحدث، ونحوه. فيصحُّ معه الدخول في جميع الغايات، ولا يضرُّه قصد الوجوب في مكان الاستحباب بعد أن لم يكن مشرّعاً، فلا نحتاج إلى كلفة الجواب عن شيء.

العلامة الحلي

وأمّا الإمام جمال الدين، فهو: أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن مطهَّر الحلّي، المشهور بالعلاّمة في لسان الخاصة، وبابن المطهَّر على لسان بعض العامَّة، وهو ابن أُخت المحقِّق، وأجلّ تلاميذه، وقرأ على جمٍّ غفير من مشايخ الفريقين، كوالده الشيخ سديد الدين يوسف، وابن عمّ والدته الشيخ نجيب الدين يحيى صاحب (الجامع)، والسيّدين الجليلين جمال الدين أحمد ورضيّ الدين عليّ ابني طاووس العلويين، والشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني، والخواجة نصير الملّة والدين الطوسي، وكشيخه نجم الدين عمر بن علي المعروف دبيران الكاتب القزويني المنطقي المتوفّى ٤٩٣ صاحب (الشمسيّة) في المنطق، ألّفه للخواجة شمس الدين محمّد، وكان هذا الشيخ من فضلاء العصر وأعلمهم بالمنطق، وله تصانيف كثيرة قرأ عليه شرح الكشف[1] إلا ما شذّ، وكان له خلق حسن، ومناظرات جيدة، وكان من أفضل علماء الشافعية، عارفاً للحكم، أعلم أهل عصره بالمنطق، والهندسة وآلات الرصد.

وغلط المحدّث النيسابوري حيث عدّه من فضلاء الشيعة، والشيخ برهان الدين النسفي المصنف في الجدل وغيره كثيراً، والشيخ جمال الدين حسين بن أبان النحوي، والشيخ عزّ الدين الفاروقي الواسطي من صلحاء فقهاء السنَّة، والشيخ تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي الصبّاغ الحنفي ـ وكان هذا الشيخ صالحاً من فقهاء الحنفية بالكوفة ـ والشيخ شمس الدين محمّد بن محمّد بن

---

(١) ويقصد من الكشف، كشف الأسرار عن غوامض الأفكار في المنطق، للقاضي أفضل الدين الخونجي سنة ٦٤٩ هـ والشرح لشيخه الأُستاذ دبيران.

أحمد الكشي، المتكلِّم الفقيه، وهو ابن أُخت المولى قطب الدين المعروف بالعلاّمة السبزواري المتوفّى سنة ٧١٩، وكان شمس الدين المزبور من أفضل علماء الشافعية، والشيخ السعيد سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيرة السوراوي، والشيخ أثير الدين الفضل بن عمر الأبهري، والشيخ أفضل الدين الخولخي، والشيخ فخر الدين محمّد بن الخطيب الرازي[1].

تشيّع السلطان خدابنده

وكفاه فخراً على من سبقه ولحقه مقامه المحمود في اليوم المشهود الَّذي ناظر فيه علماء المخالفين فأفحمهم، وصار سبباً لتشيُّع السلطان محمّد الملقَّب بشاه خدا بنده الجايتوخان بن أرغون خان بن أباقا خان بن هلاكوخان بن تولى خان بن جنكيزخان، وصارت السكَّة والخطب في البلاد بأسامي الأئمّة عليهم السلام، حَتَّى أنَّ بعض العامَّة ذكر في تاريخه من سوانح سنة ٧٠٧، إظهار خدا بنده شعار التشيُّع بإضلال ابن المطهَّر.

وقيل: إن السلطان غازان خان بن أرغون خان في سنة ٧٠٢ كان في بغداد فاتفق أن سيِّداً علوياً صلَّى الجمعة في يوم الجمعة في الجامع ببغداد مع أهل السنَّة، ثُمَّ قام وصلَّى الظهر منفرداً، فتفطَّنوا منه ذلك، فقتلوه فشكا ذووه إلى السلطان، فتكدَّر خاطره، ومسّت عواطفه، وأظهر الملالة من ذلك، وأنه يقتل رجل من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله بمثل هذا الذنب، ولم يكن له علم بالمذاهب الإسلامية، فقام يتفحَّص عنها، وكان في أُمرائه [جماعة يتشيَّعون، منهم:][2] أمير

(١) ينظر: روضات الجنات ٢: ٢٨، أعيان الشيعة ٥: ٣٩٦- ٤٠٨.

(٢) ما بين المعقوفين من المصدر.

طرمطار بن مانجو بخشي، وغيره من الشيعة، فأخذ في استنصار مذهب الشيعة وتقويته في ذهن الملك، حَتَّى مال إليه، فقام في تربية السادة، وعمارة مشاهد الأئمة عليهم السلام إلى أن توفّي سنة ٧٦٠.

وقام بالسلطنة من بعده أخوه السلطان محمّد الجايتو المذكور ومعنى الجايتو: المبارك، وصار مائلاً إلا الحنفية بترغيب جمع من علمائهم، وكان وزيره الخواجة رشيد الدين الشافعي مستاء بذلك، غير أنه لا يمكنه مخالفة السلطان إلى أن جاء القاضي نظام الدين عبد الملك من مراغة إلى خدمة السلطان، وكان ماهراً في المعقول والمنقول، فجعله قاضي القضاة لتمام ممالكه، فجعل يناظر مع علماء الحنفية في محضر السلطان في مجالس عديدة فيعجزهم، فمال الملك إلى مذهب الشافعية والحكاية المشهورة في الصلاة وقعت في محضره[1].

صلاة على طريقة أبي حنيفة

وهو ما ذكره القاضي ابن خَلّكان عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني إمام الشافعية المتوفى سنة ٤٧٨ في رسالته المعمولة لبيان حقّية المذهب الشافعي التي سماها (غياث الأُمم ومغيث الخلق)، بما صورتها:

(ويحكى أن السلطان يمين الدولة وأمير الملَّة أبا القاسم محمود بن سبكتكين كان على مذهب أبي حنيفة، وكان مولعاً بعلم الحديث، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه، وهو يسمع. وكان يستفسر الحديث فوجد الأحاديث أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي، فوقع في جلده حكَّة فجمع الفقهاء من الفريقين في مرو، والتمس

(١) خاتمة المستدرك ٢: ٤٠٣.

منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر، فوقع الاتفاق على أن يصلُّوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي، وعلى مذهب أبي حنيفة؛ ولينظر فيه السلطان ويتفكّر فيه ويختار ما هو أحسن. فصلّى القفّال المروزي من أصحاب الشافعية بطهارة مسبغة، وشرائط معتبرة من طهارة، وستر، واستقبال القبلة، وأتى بالأركان والهيئات، والسنن، والآداب، والفرائض على وجه الكمال والتمام. وكانت صلاة لا يجوّز الشافعي دونها.

ثُمَّ صلّى ركعتين على ما جوّزه أبو حنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغ، ولطخ رأسه بالنجاسة، وتوضّأ بنبيذ التمر. وكان في صميم الصيف بالمفازة فاجتمع عليه الذباب، وكان وضوؤه منكوساً معكوساً، ثُمَّ استقبل القبلة، وأحرم بالصلاة من غير نيّة، وأتى بالتكبير بالفارسية ثُمَّ قرأ آية بالفارسية (دو برك سبز)[1]، ثُمَّ نقر نقرتين كنقرات الغراب من غير فصل ومن غير ركوع، ثُمَّ تشهد وضرط من غير سلام.

وقال: أيُّها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة. فقال السلطان: لو لم تكن هذه له لقتلتك؛ لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين وأنكر الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة. وأمر القفّال بإحضار كتب الفريقين، وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين جميعاً فوجدت على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفّال، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسّك بمذهب الشافعي، ولو عرضت الصلاة التي جوّزها أبو حنيفة على العامي لامتنع من قبولها). انتهى[2].

ولعلّ هذه الحكاية كرر وقوعها بمحضر السلطان محمّد المزبور، وإمام الحرمين أبو المعالي، وهذا هو الَّذي نقل ابن شهرآشوب عن جدّه أنه سمعه

---

(١) ترجمتها: مدهامتان.

(٢) وفيات الأعيان ٥: ١٨٠.

يقول: شاهدت مجلّداً ببغداد في يدي الصحّاف فيه روايات (غدير خم)، مكتوباً عليه المجلَّدة الثامنة والعشرون من طرق قوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، ويتلوه المجلَّدة التاسعة والعشرون[١].

مناظرة العلامة وقاضي القضاة

وحكى ابن طاووس في طرائفه الحكاية عن ابن شهرآشوب[٢].

ثُمَّ اتفق أن ورد على السلطان السيِّد تاج الدين الآوي الإمامي مع جماعة من الشيعة، وكانوا يناظرون مع القاضي نظام الدين في محضر السلطان في مباحث كثيرة، فعزم السلطان على الرواح إلى بغداد وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) نقله عنه ابن جبر في نهج الإيمان: ١٣٣، والبياضي في الصراط المستقيم ١: ٣٠١، والبحراني في مدينة المعاجز ١: ٣١، ونسبه إلى ابن كثير الشامي: التستري في إحقاق الحق (ينظر شرحه ٢: ٤٨٦) ، والشيخ محمّد آل عبد الجبار في الشهب الثواقب: ٧٦، والنقوي في خلاصة العبقات ١: ٣٣، وهو اشتباه ونصّ ماذكره ابن كثير الشامي في ترجمة محمّد بن جرير الطبري في كتاب البداية والنهاية ١١: ١٦٧: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين، وكتابا جمع فيه طريق حديث الطير.

(٢) لم يحكِ ابن طاووس رحمه الله عن ابن شهر آشوب هذا القول وإنما أشار إلى الحكاية المذكورة آنفاً في كتابه الطرائف ٣٥٧، بما نصّه: (وذكر أيضاً الجويني في كتاب مغيث الخلق في معرفة الأحق طعوناً كثيرة على أبي حنيفة المذكور، من أراد الوقوف عليها فليراجع الكتاب المذكور) . (انتهى)

وذكره عنهما البحراني في غاية المرام ١: ٣٠٤، وعن ابن شهر آشوب في ص ٣٤٥ عن كتاب له، كما ذكره في كشف المهم عن كتاب (نخب المناقب) لابن شهر آشوب: ٤٥، وعنهما في ص ١٥٤، وعن ابن شهر آشوب في ص ٢١٧، ولم أعثر عليه في كتاب المناقب، نعم ذكر القندوزي في كتابه ينابيع المودة ١: ١١٣ ما نصّه: (حكى العلامة علي بن موسى، وعلي بن محمّد أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين أستاذ أبي حامد الغزالي رحمها الله يتعجب ويقول: رأيت مجلداً في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خم مكتوباً عليه: المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون) . (انتهى) ، فلعل المراد بالعلامة علي بن موسى هو ابن طاووس رحمه الله بقرينة الاشتراك بالاسم واسم الأب، فتدبر.

فلمّا ورد رأى في منامه ما قوّى به دين الشيعة، فعرض السلطان سورة الواقعة على الأُمراء، فحرّضه عليه من كان متّهماً في مذهب الشيعة، فصدر الأمر بإحضار أئمَّة الشيعة، فطلبوا جمال الدين العلاّمة، وولده فخر المحقِّقين، وكان مع العلاّمة من تأليفاته كتاب (نهج الحق وكشف الصدق)، وكتاب (منهاج الكرامة)، فأهداهما إلى السلطان وصار مورداً للألطاف والمراحم السلطانية.

فأمر السلطان قاضي القضاة نظام الدين عبد الملك ـ وهو أفضل علماء زمانهم ـ أن يناظر مع آية الله العلاّمة، وهيّأ مجلساً عظيماً مشحوناً بالعلماء والفضلاء، فناظرهم وأثبت عليهم بالبراهين العقلية والحجج النقلية بطلان مذهبهم العامية وحقّية مذهب الإمامية على وجه تمنَّوا أن يكونوا جماداً أو شجراً، وبُهتوا كأنَّهم أُلقموا حجراً. ثُمَّ أكَّد ذلك بالكتاب المزبور المزيل للارتياب، فعدل السلطان، والأُمراء، والعساكر، وجمٌّ غفير من العلماء والأكابر إلى التزام المذهب الحق، وزيّنوا الخطبة والسكّة بسوامي أسامي الأئمة عليهم السلام.

وكان المناظرون الحاضرون في ذلك المجلس خلقاً كثيراً من علماء العامّة: كالمولى قطب الدين الشيرازي، وعمر الكاتب القزويني، وأحمد بن محمّد الكشّي، والسيد ركن الدين الموصلي.

ولمّا انقضت المناظرة خطب العلاّمة خطبة بليغة مشتملة على ثناء الله، والصلاة على النبي وآله. فقال السيِّد ركن الدين: ما الدليل على جواز الصلاة على غير الأنبياء؟

فقرأ العلامة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[1].

فقال الموصلي: ما الَّذي أصاب علياً وأولاده من المصيبة حتَّى استوجبوا الصلاة عليهم؟

فعدد العلاّمة بعض مصائبهم، ثُمَّ قال: أيُّ مصيبة أعظم عليهم من أن يكون مثلك تدّعي أنّك من أولادهم ثُمَّ تسلك سبيل مخالفتهم! فاستحسنه الحاضرون وضحكوا.

فأنشد بعض من حضر:

إذا العلويُّ تابعَ ناصبياً — لمذهبِهِ فما هُوَ من أبيه

وكان الكلبُ خيراً منهُ طبعاً — لأنَّ الكلبَ طبعُ أبيه فيه

وجعل السلطان بعد ذلك تاج الدين محمّد الآوي المتقدم ذكره نقيب الممالك[2].

أقول: ربما احتج المانع بقصر السلف عليهم مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «اللهُمَّ صلّ على آل أبي أوفى»، لما أتاه بصدقة، رواه العامَّة في الصحيحين[3].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٥٦- ١٥٧.

(٢) خاتمة المستدرك ٢: ٤٠٦.

(٣) صحيح البخاري ٢: ١٣٦، ٥: ٦٥، ٧: ١٥٢، ١٥٧، صحيح مسلم ٣: ١٢١.

والتأسّي به واجب، وقصر السلف لا حجّة فيه؛ إذ العادة ليست حجّة على الشرع مع تسليم عادتهم، كيف ومن كبّار السلف: الباقر والصادقعليهما السلام وقد صلّوا على كثير من أصحابهم في النقل الصحيح.

وبلغ العلاّمةرحمه الله من القرب والمنزلة عند السلطان، بحيث كان لا يرضى بعد ذلك بمفارقته حضراً وسفراً، بل نقل صاحب تاريخ حبيب السير في كتابه (مآثر الملوك): أنه أمر له ولمائة من طلاب مجلسه ترتيب مدرسة سيَّارة ذات غرف من الخيام الكرباسية، وما يحمل عليها من الدواب السيّارة، وكانت تحمل مع الموكب السلطاني، وتضرب في كل منزل[1].

ونقل: أنه وجد في أواخر بعض الكتب وقوع الفراغ منه في المدرسة السيّارة السلطانية في كرمانشاهان. وفي جملة من أواخر أجزاء (التذكرة): أنه وقع الفراغ منه في السلطانية[2].

وكان لهرحمه الله قرى كثيرة قَدْ حفر أنهارها بنفسه، وأحياها بماله، لم يكن لأحد فيها من الناس تعلّقٌ. وقد أوقف كثيراً من قراه في حياته.

(١) ذكره التستري في مجالس المؤمنين ٢: ٣٥٦- ٣٦١، وأما مآثر الملوك: فهو (مخطوط)، قال الشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة١٩: ٧ رقم ٢٤، عنه ما نصّه: (مآثر الملوك، فارسي في تاريخ ومآثر الملوك والسلاطين والخلفاء الراشدين والأئمّة الطاهرين والوزراء وبعض العلماء والحكماء وذكر مخترعاتهم وآثارهم، بدأ بملوك العجم مبتدأ منهم بكيومرث ومن بعده وختم بتواريخ سلطان حسين ميرزا بايقرا المتوفى ٩١١ وكان ملكه ثلاثين سنة، وذكر آثاره وآثار ابنه السلطان بديع الزّمان وألفه باسم الأمير علي شير وبأمره...وهو تأليف صاحب (حبيب السير) غياث الدين محمد بن محمد خواند مير البلخي، ورأيت النسخة عند السيّد جعفر آل بحر العلوم في النجف).

(٢) لؤلؤة البحرين: ٢٢٤- ٢٢٦، مجالس المؤمنين ٢: ٥٧١-٥٧٢.

قال الشيخ إبراهيم القطيفي في كتاب (السراج الوهاج): (إنه رأى خطه عليه، وخط الفقهاء المعاصرين له من الشيعة والسنّة، ومنه إلى الآن ما هو في يد مَن ينسب إليه بقبضه بسبب الوقف الصحيح، وفي صدر سجل الوقف أنه أحياها وكانت مواتاً.

قال رحمه الله: والوقف الَّذي عليه خطّه وخط الفقهاء موجود إلى الآن)، انتهى[1].

وعن (رياض العلماء): (أنّ وفاة العلاّمة رحمه الله بمحروسة الحلّة، في يوم السبت، الحادي والعشرين من شهر محرَّم الحرام، المفتتح به سنة ٧٢٦)[2].

كثرة مؤلفات العلامة

ووزّع تصنيفه على أيام عمره من ولادته إلى موته، فكان قسط كل يوم كراساً مع ما كان عليه من الاشتغال بالإفادة، والاستفادة، والدرس، والتدريس، والأسفار، والحضور عند الملوك، والمباحثات مع الجمهور، ونحو ذلك[3].

وفي نقد الرجال: (أن له رحمه الله أزيد من سبعين كتاباً. ولعلّه اقتصر على ما هو المعروف المشهور من كتبه بين العلماء، وإلاّ فقد ذكر الطريحي في (مجمع البحرين) في مادة العلم: أن بعض الفضلاء وجد بخطه رحمه الله خمسمائة مجلدٍ من مصنّفاته، غير خط غيره)[4].

بل عن كتاب (روضة العارفين) نقلاً عن بعض شرّاح التجريد: (أنّ للعلاّمة رحمه الله نحواً من ألف مصنَّف كتب تحقيق)[5].

---

(١) السراج الوهاج: ٢٠٤ ضمن موسوعته ج٣.

(٢) رياض العلماء ١: ٣٦٦.

(٣) لؤلؤة البحرين: ٢٢٦.

(٤) مجمع البحرين ٣: ٢٣٨.

(٥) روضة العارفين: ٥٦٦، روضات الجنات ٢: ٢٧٦ وفيه اشتباها: (روضة العابدين).

ولا ينبغي التعجُّب من ذلك بعدما كان العلم نوراً يقذفه الله في قلب من يشاء:

وإذا حلَّتِ الهدايةُ قلباً نَشَطَتْ للعبادَةِ الأعضاءُ

وكم له نظير من علماء الفريقين، فقد ذكر ياقوت الحموي في (معجم الأدباء): (أن علي بن أحمد الفارسي المعروف بابن حزم المتوفّى سنة ٤٥٦، بلغت تأليفاته في الحديث والأُصول والنّحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والردّ على المعارض نحو أربعمائة مجلد.

قال: وهذا شيء ما علمناه لأحد ممَّن كان في دولة الإسلام قبله، إلاّ لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، فإنَّه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً، فذكر أنَّ أيام حياته حسبت [وحسبت][1] تصانيفه، وكان لكل اليوم أربع عشرة ورقة).

وذكر أنَّ ابن حزم اجتمع يوماً مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي صاحب كتاب المنتقى والاستغناء وغيرهما من التآليف، وجرت بينهما مناظرة فلمَّا انقضت قال الفقيه أبو الوليد: (تعذرني فإنَّ أكثر مطالعاتي كانت على سُرُجِ الحُرّاس.

قال ابن حزم: وتعذرني أيضاً فإنَّ أكثر مطالعاتي كانت على منابر الذهب والفضة، أراد أنَّ الغَناء أمنع لطلب العلم من الفقر)[2].

(١) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٢) معجم الأدباء ١٢: ٢٣٨.

ولأحمد بن أبان بن سيد اللُّغوي الأندلسي الملقّب بابن سيد ـ بلا ألف ولام ـ المتوفى سنة ٣٨٢، كتاب (العالم في اللُّغة) مائة مجلد، مرتَّب على الأجناس، بدأ فيه بالفلك، وختم بالذَّرة[١].

ولمحمّد بن علي بن محمّد بن أبي بكر الأدفوي كتاب الاستغناء في تفسير القرآن مائة مجلد[٢].

وللشيخ الحافظ الكبير ثقة الدين أبي القاسم علي بن عساكر الدمشقي تاريخ دمشق في ثمانين مجلداً.

ما في أول (كشف اللثام)

وذكر الفاضل الهندي رحمه الله في مقدّمته ـ كشف اللّثام ـ: (أنه قال فخر الإسلام: لما اشتغلت على والدي ـ قدّس الله روحه ـ في المعقول والمنقول، وقرأت كثيراً من كتب أصحابنا، التمست منه أن يعمل كتاباً في الفقه، جامعاً لأسراره وحقائقه، يبتني مسائله على علميّ الأُصوليين والبرهان، وأن يشير عند قاعدة إلى مايليق من الحكم، وإن كان قَدْ ذكر قبل ذلك معتقده وفتواه، وما لزمه من نصّ على قاعدة أُخرى وفحواها؛ لتنبيه المجتهد على أُصول الأحكام، وقواعد مبادئ الحلال والحرام، فقد يظن كثير من الجهّال المقلّدين بتناقض الأحكام فيه، ولم يعلموا أنّهم لم يفهموا من كلامه حرفاً واحدا، كما قيل: (ويل للشعر من رواية السوء))، انتهى[٣].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨: ١٤٦.

(٢) في هدية العارفين ٢: ٥٦ ما نصّه: (الأُدفُوي – محمّد بن علي بن أحمد بن محمّد الأدفوي (بضم الهمزة والفاء بلدة بالصعيد) أبو بكر المقرىء المصري ولد سنة ٣٠٤ وتوفي سنة ٣٨٨ ثمان وثمانين وثلاثمائة . من تصانيفه الاستغناء في تفسير القرآن في عشرين مجلدا) .

(٣) إيضاح الفوائد ١: ٩.

ثم قال: (وقد يستبعد اشتغاله قبل تصنيف هذا الكتاب في المعقول والمنقول، والتماس تصنيف كتاب صفته كذا وكذا؛ لأنَّه ولد سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وقد عد المصنف الكتاب في مصنفاته في الخلاصة، وذكر تاريخ عدّه لها، وأنه سنة ٦٩٣، وفي بعض النسخ سنة ٦٩٢، فكان له من العمر عند إتمام الكتاب إحدى عشرة، أو عشراً، أو أقل، فضلاً عما قبله، ولكنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

وقد فرغت من تحصيل العلوم معقولها ومنقولها ولم أُكمل ثلاث عشرة سنة، وشرعت في التصنيف ولم أكمل إحدى عشرة سنة، وصنَّفتُ: (منية الحريص على فهم شرح التلخيص)، ولم أُكمل خمس عشرة سنة. وقد كنت عملت قبله من كتبي ما ينيف على عشرة من متون وشروح وحواش، كالتلخيص في البلاغة وتوابعها، والزبدة في أُصول الدين، والخود البريعة في أُصول الشريعة وشروحها، والكاشف، وحواشي شرح عقائد النسفية، وكنت أُلقي من الدروس وأنا ابن ثمان سنين شرحي التلخيص للتفتازاني، مختصره ومطوله). انتهى كلام الفاضل الشارح رحمه الله[1].

قلت: لا ينبغي الاستعجاب من ذلك قَدْ ذكر الشهيد الثاني رحمه الله في شرح الدراية أن في زمن المأمون جاؤوا بطفل له من العمر أربع سنين، وكانوا يحملونه على المنكب، وإذا جاع يبكي، وكان يناظر العلماء في القياس والاستدلال[2].

هذا وربّما يُنسب إلى العلاّمة رحمه الله من الشعر قوله:

ليسَ في كلِّ ساعةٍ أنا محتاجٌ	ولا أنتَ قادِرٌ أن تُنيلا
فاغتَنِم عِزَّتي ويُسرَكَ فاحرِزْ	فرصةً تسترقُّ فيها الخليلا[3]

---

(١) كشف اللثام ١: ١١١ مع اختلاف في سني مؤلفه رحمه الله.

(٢) الرعاية في علم الدراية: ٢٢٥ وفي الأصل: (الرشيد) بدل (المأمون) وما أثبتناه من المصدر.

(٣) روضات الجنات ٢: ٢٧٩.

قيل: وله أيضاً، كتبه إلى المحقّق الطوسيّ في صدر كتاب، وأرسله إلى عسكر السلطان خدا بنده مسترخصاً للسفر إلى العراق من السلطانية:

مَحبَّتي تقتضي مُقامي ... وحالتي تقتضي الرحيلا

هذانِ خصمانِ لستُ أقضي ... بينَهُما خوفَ أنْ أميلا

ولا يزالانِ في اختصامٍ ... حتَّى نرى رأيَكَ الجميلا[1]

وعن تذكرة الشيخ نور الدين علي بن عراق المصري: أنَّ الشيخ تقي الدين بن تيمية الَّذي كان من جملة علماء السنَّة، معاصراً للعلاّمة، ومنكراً عليه في الخلفاء كثيراً. كتب إليه العلاّمة بهذه الأبيات:

و كُنتَ تعلمُ كُلَّما علِمَ الورى ... طُرّاً لَصِرتَ صديقَ كلِّ العالَمِ

لكِنْ جَهِلْتَ فقلتَ إنَّ جميع مَنْ ... يهوى خلافَ هواكَ ليسَ بِعالِمٍ[2]

فكتب الشيخ شمس الدين محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الموصلي في جوابه هذه القطعة وأرسلها إليه:

يا مَنْ يُمَوِّهُ في السُّؤالِ مُسَفْسِطاً ... إنَّ الَّذي ألزمْتَ لَيْسَ بِلازِمِ

هذا رسولُ اللهِ يعلَمُ كُلَّ ما ... عَلِموا وَقَدْ عاداهُ جُلُّ العالَمِ[3]

---

(١) روضات الجنات ٢: ٢٧٩.

(٢) عنه مجالس المؤمنين ١: ٥٧٣.

(٣) عنه مجالس المؤمنين ١: ٥٧٣.

والد العلامة

وأمّا يوسف: فهو سديد الدين، أبو يعقوب، ويقال: أبو المظفر بن زين الدين عليّ بن المطهَّر الحلِّي، الفقيه، المتكلّم، الأُصوليّ.

قال الشهيد رحمه الله في إجازته لابن الخازن في أثناء ذكره العلاّمة: (ومنهم **الحسن ابن الإمام الأعظم الحجّة أفضل المجتهدين، السعيد الفقيه، سديد الدين أبي المظفر ابن الإمام المرحوم زين الدين علي بن المطهَّر، أفاض الله على ضرايحهم المراحم الربانيّة، وحيَّاهم بالنعم الهنيئة**)[1].

ومنه يظهر أن زين الدين عليّ جدّ العلاّمة كان أيضاً من العلماء المبرّزين.

حضوره بين يدي هولاكو

والمنقول من العلاَّمة في (كشف اليقين) في باب أخبار مغيَّبات أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ذلك إخباره عليه السلام بعمارة بغداد، وملك بني العبَّاس وذكر أحوالهم وأخذ المغول الملك منهم.

رواه والدي رحمه الله وكان ذلك سبب سلامة أهل الحلَّة والكوفة والمشهدين الشريفين من القتل؛ **لأنّه لمّا وصل السلطان هلاكو إلى بغداد وقبل أن يفتحها هرب أكثر أهل الحلَّة إلى البطائح إلاّ القليل، فكان من جملة القليل والدي رحمه الله، والسيّد مجد الدين بن طاووس، والفقيه ابن أبي العز، فأجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنّهم مطيعون، داخلون تحت إيالته[2]، وأنفذوا به شخصاً أعجمياً، فأنفذ السلطان إليهم فرماناً مع شخصين: أحدهما يقال له: نكلة، والآخر يقال له: علاء الدين، وقال لهما: قولا لهم: إن كانت قلوبكم كما وردت به كتبكم تحضرون إلينا.**

---

(١) بحار الأنوار ١٠٤: ١٨٨ ضمن إجازته لابن الخازن.

(٢) إيالته: ولايته وسياسته. (لسان العرب ١١: ٣٤) .

فجاء الأميران فخافوا؛ لعدم معرفتهم بما ينتهي الحال إليه، فقال له والدي رحمه الله: إن جئت وحدي كفى؟ فقالا: نعم، فأُصعد معهما، فلمَّا حضر بين يديه ـ وكان ذلك قبل فتح بغداد، وقبل قتل الخليفة ـ قال له: كيف أقدمتم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أن تعلموا بما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم؟ وكيف تأمنون أن يصالحني ورحلت عنه؟

فقال له والدي رحمه الله: إنّما أقدمنا على ذلك؛ لأنّا روينا عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال في بعض خطبه: الزوراءُ وما أدراك ما الزوراء، أرض ذات أثل، يشيد فيها البنيان، ويكثر فيها السكّان، ويكون فيها محاذم وخزّان، يتخذها ولد العبّاس موطناً، ولزخرفهم مسكناً، تكون لهم دار لهو ولعب، يكون بها الجور الجائر، والخوف المخيف، والأئمّة الفجرة، والأُمراء الفسقة، والوزراء الخونة، يخدمهم أبناء فارس والروم، لا يأتمرون بمعروف إذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر إذا أنكروه، يكتفي الرجال منهم بالرجال، والنساء منهم بالنساء، فعند ذلك الغمُّ العميم، والبكاء الطويل، والويل والعويل لأهل الزوراء من سطوات الترك، وماهم الترك؟ قوم صغار الحدق، وجوههم كالمِجان المطوّقة، لباسهم الحديد، جرد مرد، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدأ ملكهم، جهوري الصوت، قوي الصولة، عالي الهمة، لا يمرُّ بمدينة إلاّ فتحها، ولا ترفع عليه راية إلاّ نكّسها، الويل الويل لمن ناوأه، فلا يزال كذلك حتّى يظفر.

فلمّا وصف لنا ذلك ووجدنا الصفات فيكم، رجوناك فقصدناك. فطيَّب قلوبهم، وكتب لهم فرماناً باسم والدي رحمه الله يطيِّبُ فيه قلوب أهل الحلَّة وأعمالها، انتهى[1].

(١) كشف اليقين: ٨١

قلت: ومجد الدين هذا الَّذي ذكره العلاَّمة من الجمع القليل مع والده، هو: محمّد بن عزّ الدين الحسن بن موسى بن جعفر، من آل طاووس.

قال في (عمدة الطالب): (خرج إلى السلطان هلاكو خان وصنَّف له كتاب (البشارة)، وسلَّمَ الحلَّة والنيل والمشهدين الشريفين من القتل والنَّهب، وردَّ إليه النقابة بالبلاد العراقية)[١].

ويظهر من جواب العلاَّمة لسؤال السيِّد مهنا، غاية فضل والده وتقدمه في كثير من العلوم، وهذه صورة المسألة، سؤالاً وجواباً:

(ما يقول سيِّدنا في الأمَّة إذا كانت مشتركة بين جماعة فأحلَّوا وطأها لواحد منهم، فهل تحلُّ أم لا؟ وإن حلَّت له، هل تحلُّ له بأمرين من ملك وتحليل، أم بأمر واحد؟

الجواب: اختلف علماؤنا في حلّ هذه الأمة، والأقوى إباحتها، وكنت قَدْ رأيت والدي رحمه الله في النوم بعد وفاته وأنا قاعد بين يديه وهو يبحث لنا على نهج ما كان في حياته، فبحث عن هذه المسألة ونقل الخلاف، وذكر أنَّ السيِّد المرتضى رحمه الله منع من إباحتها، والشيخ الطوسي رحمه الله أجاز وطأها.

فقلت: الحق قول المرتضى، فقال: لِمَ؟ فقلت: لأنَّ سبب البضع لا يتبعَّض. فلا يقال: زوَّجتك، أو أنكحتك[٢] بعض هذه الجارية ويكون الباقي مباحاً بالملك.

فقال رحمه الله: هذا غلط، نحن لا نقول[١]: إذا ملك بعضها يحرم [عليه] بعضها ويحل بعضها، بل لو كان فيها لغيره أقل جزء منها كانت بأسرها حراماً، فيكون التحليل مبيحاً للجميع لا للبعض)[٢].

---

(١) عمدة الطالب: ١٩٠.

(٢) في المصدر: (أبحتك).

أقول: مع كونه رؤيا فيه نظر؛ لأنه مسلَّم أنَّ الجميع حرام قبل التحليل، ولكن عند التحليل لم يُستفد الحلُّ من التحليل خاصّة، وإلاّ لم تحلّ له ضرورة. إنَّ التحليل يختصّ بالشقص[٣] المملوك، فلا بدَّ من القول: يحل الشقص الآخر، بسبب آخر وهو الملك. ومع ذلك فالحق الجواز. والتحقيق يقتضي رسم أُمور:

مسألة إحلال الأمة المشتركة

الأمر الأول: لا ريب في جواز تزويج الأمَة المشتركة بين اثنين أو أكثر لأجنبي باتفاقهم؛ لانحصار الحقّ فيهم، واتحاد سبب الحِلّ. فإنْ اتَّحد العقد منهم بأن وكَّلوا واحداً منهم أو أجنبياً أو عقد الفضولي، وأجاز الجميع: فلا إشكال في الصحَّة. وإن أوقع كل منهم عقداً على ملكه لم يصح؛ إذ العقد لا يستباح به بعض الفرج.

الأمر الثاني: لو عقد أحدهما وحلَّل الآخر لم يصح؛ لتبعُّض البضع - بمعنى حصول النكاح بالعقد والتحليل، وهو باطل كما ستسمعه - نعم، يحتمل الجواز بناء على جعل التحليل عقداً دائماً أو منقطعاً، كما هو المنقول عن المرتضى رحمه الله[٤]، فلا يكون من التبعيض في شيء ولكنَّ القول به نادر، بل لا قائل به ممَّن تأخَّر عنه. على أنه قَدْ عرفت في الأمر الأوّل عدم الصحَّة في صورة

---

(١) في المصدر: (نحن نقول).

(٢) تعليقات على أجوبة المسائل المهنائية ٢: ٢٨١ مسألة (٢٦).

(٣) الشقص: القطعة من الأرض، والطائفة من الشيء. (الصحاح ٣: ١٠٤٣)

(٤) قال المحقّق الحلّي في المختصر النافع: ١٨١، مانصّه: (القسم الثاني: في النكاح المنقطع والنظر في أركانه وأحكامه: و أركانه أربعة: (الأول) الصيغة. وهو ينعقد بأحد الألفاظ الثلاثة خاصة. وقال (علم الهدى) : ينعقد في الإماء بلفظ الإباحة والتحليل) .

تعدُّد العقد، ولذا احتملنا الجواز ولم نجزم بالصحَّة حَتَّى لو قلنا بمقالة المرتضى رحمه الله في مسألة التحليل.

الأمر الثالث: لا يجوز تزويج الأمَة المشتركة لأحد الشريكين؛ لاستلزامه تبعيض البضع من حيث استباحته بالملك والعقد؛ ولأنَّ الحِلّ ينحصر في الأزواج وملك اليمين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾[1]، فالمستباح بهما خارج عن القسمة؛ لأنَّ التفصيل - في الآية بين القسمين بالعطف بأو- يقطع الاشتراك[2]، لا يقال: إنَّ الآية كما يحتمل إرادة منع الجمع، يحتمل إرادة منع الخلوّ، فلا يدل على منع الجمع، فإذا استباح بهما صح، لأنّا نقول: إنَّ الشرطية المنفصلة تحتمل منع الجمع والخلوّ، ومنع كل واحد منهما- أعني: المنفصلة الحقيقية التي يكون الحكم فيها يتنافى الجزأين صدقاً وكذباً- ومع قيام الاحتمال يتحقق الاستباحة مع وجود أحدهما - أي: الزوجية أو ملك اليمين - ويحصل الشك في تحققها مع اجتماعها، فيستصحب حكم المنع الثابت قبل ذلك.

وبعبارة أُخرى: القرآن دلَّ على تحريم غير المستثنى، فيجب التوقُّف في الإباحة على ما علم دخوله في المستثنى؛ إذ مع إجمال المخصّص يكون المرجع عموم العام كقولك: أكرم العلماء إلا بعضهم.

الأمر الرابع: قال المحقِّق في الشرائع: (إذا تزوَّج أمة بين شريكين، ثُمَّ اشترى حصة أحدهما بطل العقد، وحرم عليه وطؤها، ولو أمضى الشريك الآخر العقد بعد

(١) سورة المؤمنون: ٦.

(٢) هذا القول يوافق ماذكره الشهيد الثاني في الروضة البهية ٥: ٣٢١.

الابتياع، لم يصح، وقيل: يجوز وطؤها بذلك، وهو ضعيف. ولو حلّلها له، قيل: تحل وهو مروي، وقيل: لا؛ لأنّ سبب الاستباحة لا يتبعّض)، انتهى[(١)].

أقول: لا خلاف، ولا إشكال في بطلان العقد في الصورة المزبورة. بشراء حصة أحد الشريكين، أو بعضها، أو بعضاً من حصة كل منهما. وكذا لو كانت لواحد واشترى بعضها؛ لأن ملك الجزء يبطل عقده؛ لامتناع أن يعقد الإنسان لنفسه على أمته ابتداء، وهو يستلزم بطلان الاستدامة، ولا يمكن الحكم ببقاء العقد في الجزء الآخر؛ لأن العقد لا يتبعّض ليبطل في بعض ويصح في بعض؛ ولانتفاء الكل بانتفاء الجزء، فتعيَّن بطلانه في الجميع[(٢)].

وأمّا تحريم وطئها فلاستلزام التصرف في مال الغير بغير إذنه؛ ولرواية (زرعة)، عن سماعة، قال: سألته عن رجلين بينهما أمة فزوَّجاها من رجل، ثُمَّ إنَّ الرجل اشترى بعض السهمين؟ قال: «حرمت عليه باشترائه إياها، وذلك أن بيعها طلاقها إلا أن يشتريها جميعاً»[(٣)].

وروى في (الكافي) في الموثَّق عن سماعة أيضاً: «إلا أن يشتريها من جميعهم»[(٤)].

هذا مع عدم رضاء الشريك الآخر، وأمّا مع رضائه وإمضائه بعد الابتياع، فقد ذهب الشيخ الطوسي رحمه الله في محكى (النهاية)، والقاضي ابن البرّاج، وابن

---

(١) شرائع الإسلام ٢: ٥٣٤.

(٢) وهذا القول يوافق قول الشهيد الثاني في مسالك الأفهام: ٨: ٢٨.

(٣) من لايحضره الفقيه٣: ٤٤٩ ح٤٥٥٤.

(٤) الكافي ٥: ٤٨٤ ح٦.

فهد في محكيّ (المهذّب) إلى جواز وطئها بذلك الإمضاء[١]، وهو كما ترى ضعيف جدا؛ إذ مع بطلان عقد النكاح بالشراء - كما هو الظاهر - كيف يصير صحيحاً بمجرد الرضا؟! ومع عدم بطلانه لا حاجة لاعتبار رضاه بعد العقد، مع فرض وقوعه أولاً برضاه، ولم يتجدّد له ملك، فلا يقف على إجازته[٢]، مضافاً إلى ما سمعته من الرواية المتقدّمة الدالّة على البطلان.

ومن هنا حمل المحقِّق رحمه الله ـ في نكته على النهاية ـ كلامَ الشيخ على الرضا بعقد البيع للنصف الآخر، قال رحمه الله: (وكأنه يقول: إلا أن يشتري النصف الآخر من بايع النصف الأوّل فضولاً، ويرضى مالكُ ذلك النصف بالعقد)[٣].

قال في (الجواهر): (وهو وإن كان بعيداً إلاّ أنه أقرب من حمله على ظاهره الّذي لا ينبغي نسبته إلى من له أدنى معرفة بالتفقُّه، فضلاً عن شيخ الطائفة)[٤].

قلت: وعليه فلا يكون مثله مخالفاً في المسألة. ولعلَّه لذلك جزم غير واحد من المتأخّرين بعدم الصحَّة فيه من غير نقل خلاف لأحد، لا من الشيخ ولا من غيره. بل أرسله إرسالاً. وقوله رحمه الله: ولو حللها...إلخ[٥].

هذا من جملة الأسباب المقتضية لإباحة الأمَّة المذكورة حينئذ للمشتري، وهو تحليل أحد الشريكين للآخر وطأها، فقد عرفت في جواب العلاَّمة لسؤال السيِّد مهنّا أن المسألة خلافية[١]، والأكثر على العدم.

---

(١) النهاية: ٤٨٠ ط، المهذب البارع ٢: ٢١٩، ٣: ٣٣٥.

(٢) مسالك الأفهام ٨: ٢٨.

(٣) نكت النهاية للمحقق الحلي، عنه إيضاح الفوائد ٣: ١٤٩، والحدائق الناضرة ٢٤: ٢٤٣.

(٤) جواهر الكلام ٣٠: ٢٤٠.

(٥) أي المحقق الحلّي كما مر آنفا.

وذهب ابن إدريس، والعلاَّمة والشهيدان، وصاحب الحدائق، والجواهر، والمنهاج، إلى حلِّه بذلك[٢].

وقال السيِّد الأُستاذ رحمه الله في (العروة): للنص[٣].

وقال في (الرياض): (والمنع مطلقاً متَّجه لولا ورود (رواية) مروية في الكتب الثلاثة صحيحة صريحة في الإباحة بالتحليل، قال: سألته عن جارية بين رجلين، دبَّراها جميعاً، ثُمَّ أحل أحدهما فرجها لشريكه؟ قال: «هو له حلال»)[٤].

قال رحمه الله: (وهي وإن اختص موردها بغير المقام، إلا أنَّ في ذيلها تعليل الحكم بما ظاهره العموم له، مع أنَّ الظاهر عدم القائل بالفرق)، انتهى[٥].

قلت: والرواية طويلة الَّذيل أوردها في (الجواهر)، وقال: (وهو صريح في المدَّعى أولاً وآخرا)[٦].

فلا وجه لما قَدْ يتوهم من كون المقام من قبيل ما تعدّد فيه سبب الإباحة؛ لأنّ المراد بالملك ـ الَّذي هو أحد السببين المذكورين في الآية ـ هو أعمّ من ملك الرقبة والمنفعة. والسبب الموجب للتحليل هنا هو الملك وإن كان مركّباً من

---

(١) تعليقات على أجوبة المسائل المهنائية ٢: ٢٨١ مسألة (٢٦).

(٢) السرائر ٢: ٦٠٢، مختلف الشيعة ٧: ٢٦١، اللمعة الدمشقية: ١٦٩، مسالك الأفهام ٨: ٢٩، الحدائق الناضرة ٢٤: ٢٤٣، جواهر الكلام ٣٠: ٢٣٩.

(٣) العروة الوثقى ٣: ٨٤٨ مسألة ٢١.

(٤) الكافي ٥: ٤٨٢ ح٣، من لايحضره الفقيه ٣: ٤٥٧ ح٤٥٧٩، تهذيب الأحكام ٧: ٢٤٥ ح١٩/١٠٦٧.

(٥) رياض المسائل ١٠: ٣٢٨.

(٦) جواهر الكلام ٣٠: ٢٤٠.

الَّذي لا يقصر عن تقييد ما يقتضي عدم الجواز من الأصل وقاعدة تبعيض البضع، والله العالم.

الأمر الخامس: لا يجوز وطء من بعضه حرّ إذا اشترى نصيب الرِّقِّية لا بالعقد ولا بالتحليل بأن تحلّل سهم حريتها. نعم، لو هايبها جاز له التمتُّع بها في الزَّمان الَّذي وقع في نوبتها عملاً بالنصّ الصحيح، ولكن الأحوط خلافه[1]؛ إذ ليست المهاباة إلا تقسيماً للمنفعة لا توقيتاً للحرِّية، ولا يترتَّب عليها سوى ملك المنفعة شيءٌ من آثار الحرِّية.

الأمر السادس: اعلم أنَّ التحليل من خواص فرقة الشيعة كالمتعة، والأحوط تعيين الأجل في صيغة التحليل، وإن كان الأقوى عدم الاشتراط، كما أنَّ الأقوى أيضاً عدم اشتراط التقييد بالمهر، وإن كان أحوط أيضاً، ثُمَّ أن التحليل المتَّفق على كفايته منحصر في صيغتين، إحداهما: أن يقول مولى الجارية بعد تعيين الأجل: أحللت لك وطء جاريتي المعهودة في المدَّة المعلومة. فيقول القابل بلا فصل: قبلت التحليل - هكذا - أو قبلتُ. وإن كان الموجب وكيلاً فيقول: عوض جاريتي جارية موكّلي، وإن كان القابل قَدْ عيَّن وكيلاً أيضاً فيقول: عوض لك، لموكِّلك.

الثانية: أن يقول الموجب- يعني المولى-: جعلتك في حِلٍّ من وطء جاريتي المعلومة في المدة المعلومة. فيقول القابل: قبلت لنفسي.

---

(١) العروة الوثقى ٢: ٨٤٨ مسألة ٢١.

هكذا، وفي صورة الوكالة كما فيما تقدَّم. ولو أراد أن يحلِّل شيئاً من مقدمات الوطء كالنظر، واللمس، والتقبيل، والتفخيد وأمثاله، فيقول: أحللت لك النظر إلى بدن جاريتي المعلومة، أو لمسها، أو تقبيلها- مثلاً- فيقول القابل: قبلت.

ولو توافق الشريكان على تحليل الأمَّة المشتركة فيوكِّلان من يجري الصيغة من جانبهما، فيقول الوكيل: عن مُوَكِلَيّ أحللت لك وطء جاريتهما المعلومة في المدَّة المعلومة. فيقبل القابل كما تقدَّم.

ولو أراد كل من الشريكين إجراء صيغة جاز له ذلك. ولكن يجب على كل منهما أن يقول: أحللت لك وطأها، ولا يصح أن يقول: أحللت لك وطء حصَّتي. ويعتبر في القبول حينئذ تعدُّده لكل إحلال قبول، وتحليل مقدمات الوطء لا يستلزم تحليل الوطء بخلاف العكس فإنه يحلل سائر المقدمات، ولا استبعاد في تحليل المقدمات مع تحريم الوطء كالحائض.

الأمر السابع: المولود من المملوكين مشترك بين المالكين. وإذا كان الأب حرّاً ولم يشترط مالك الأمَّة مملوكية المولود كان حراً أيضاً، وإن اشترطهما ففي كونه حرّاً أورِقّاً خلاف المشهور أنه رِقٌّ بسبب الشرط. والأظهر عدمه، لأنَّ شرط الرقِّية فاسد في مثل الفرض؛ لأنَّ المولود تابع لأشرف الأبوين. وعليه فالأحوط عدم الاشتراط لاحتمال فساد العقد به، وإن كان الأقوى أنه غير مفسد. وعلى فرض الاشتراط فالأحوط المبادرة إلى إعتاقهم.

الأمر الثامن: يشترط في المحلَّل له أن لا يحرم عليه وطء المحلَّلة، وإلاَّ فلا أثر للتحليل، كتحليل الأمَّة المسلمة للكافر، أو الشيعيّة للمخالف. فإن ذلك غير جائز.

الأمر التاسع: لا مانع من تحليل المولى أمته لعبده، وإن قلنا بما عليه المشهور من كون التحليل تمليك منفعة، وإن العبد لا يملك شيئاً من عين أو منفعة كما هو الأظهر الأشهر، ولو كان بإذن مولاه، وذلك لانصراف المنفعة عن مثل ما نحن فيه، فلا وجه لمنع بعض المتأخّرين عن صحَّته. وكذا لا مانع من أن يُنكِحَ المولى عبدَه من أمته، ويكفي أن يقول: أنكحتك فلانة، ولا يحتاج إلى القبول منه، أو من العبد؛ لإطلاق الأخبار، ولأنَّ الأمر بيده فإيجابه مغن عن القبول. وإذا أراد المولى التفريق بينهما لا حاجة إلى الطلاق، بل يكفي أمره إياهما بالمفارقة، ولو أمره بالطلاق فلا يخلو عن إشكال.

الأمر العاشر: المعلوم من مذاق الشرع عدم جواز تحليل غير الوطء لمتعدِّدين في زمان واحد، وخصوصاً مع اختلاف المحلل صنفاً أو عضواً، كما لو أحلّ النظر للشخص واللّمس لآخر، أو أحلّ النظر لجماعة، بل صرَّح في (الجواهر): بإمكان دعوى معلومية ذلك من الشريعة، كمعلومية عدم البعلين للامرأة الواحدة، وأنّه لا فرق في عدم جواز الاشتراك بين الوطء وبين غيره من باقي الاستمتاعات.

قال: (وربما كان في تصريح بعضهم بصيرورة المحلَّلة ولو نظرا أجنبية بالنسبة إلى السيِّد شهادة على ما ذكرنا، ضرورة أولوية الأجنبي بالمنع منه، لعدم الاستصحاب فيه)[1].

---

(١) جواهر الكلام ٣٠: ٣١٠.

المحقق الحلي

وأمّا جعفر: فهو ابن الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الحلّي، الهذلي شيخنا نجم الدين أبو القاسم المحقّق المنوّه باسمه وعلمه في قصة الجزيرة الخضراء[١]، وناهيك بفضله وعظيم قدره ونبله: أنَّ المحقّق الطوسي نصير الملة والدين حضر مجلس درسه، فقطع الدرس تعظيماً له وإجلالاً لمنزلته فأمرهم بإكمال الدرس، فجرى البحث في مسألة استحباب التياسر فقال المحقّق الطوسي: (لا وجه لهذا الاستحباب، لأنَّ التياسر إن كان من القبلة إلى غيرها فهو حرام، وإن كان من غيرها إليها فهو واجب.

فقال المحقّق رحمه الله: بل منها إليها، فسكت المحقّق الطوسي رحمه الله).

ثم ألّف المحقّق في ذلك رسالة لطيفة- أوردها الشيخ أحمد بن فهد في (المهذَّب) بتمامها- وأرسلها إلى المحقّق الطوسي فاستحسنها[٢].

وكان أبوه الحسن من الفضلاء المذكورين، وجدّه يحيى من العلماء الأجلاء المشهورين.

توفى رحمه الله في شهر ربيع الأوّل سنة ٦٧٦، وفي (لؤلؤة البحرين) نقلاً عن بعض الأجلاء الأعلام من متأخّري المتأخّرين: (رأيت بخط بعض الأفاضل ما صورة عبارته: في صبح يوم الخميس ثالث عشر ربيع الآخر سنة ٦٧٦ سقط الشيخ الفقيه أبو القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلّي رحمه الله من أعلى درجة في داره فخر

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٧٤ ضمن قصة الجزيرة الخضراء.

(٢) المهذب البارع ١: ٣١٢.

ميِّتاً لوقته من غير نطق ولا حركة، فتفجع الناس لوفاته واجتمع لجنازته خلق كثير، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام. وسئل عن مولده فقال: سنة ٦٠٢)، انتهى[١].

وله تصانيف محقَّقة، محررة عذبة منها: كتاب (المسائل العزية) عشر مسائل، (المسائل المصرية)، كتاب (أُصول الدين) (كتاب معارج الأُصول)، كتاب (الكهنة في المنطق)، كتاب (نكت النهاية)، رسالة (التياسر في القبلة) جيدة، كتاب (نهج الوصول إلى علم الأُصول) ذكره في (أمل الآمل)[٢]، كتاب (شرائع الإسلام) ووجدت في بعض المجاميع أنه مشتمل على أثني عشر ألف مسألة. وكتاب (مختصر النافع) ستّة آلاف مسألة، وكتاب (المعتبر) وكتاب (اختصار مراسم سلاّر الديلمي في الفقه)[٣].

[أشهر تلامذته]

ومن كبار تلامذته ابن داود الحِلِّي صاحب (الرجال) المعروف، المتولد سنة ٦٤٧، والشيخ الإمام جلال الدين محمّد ابن الشيخ الإمام ملك الأدباء شمس الدين محمّد بن الكوفي الهاشمي الحائري شيخ الشهيد، والشيخ صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحِلِّي، الفاضل الشاعر الأديب، الماهر المشهور، المتولد

---

(١) لؤلؤة البحرين: ٢٣١، وقال الشيخ عبَّاس القمي في الكنى والألقاب ٣: ١٥٦، ما نصّه: (وما نقله رحمه الله [الشيخ يوسف البحراني] من حمله إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام عجيب، فإن الشائع عند الخاص العام أنَّ قبره طاب ثراه بالحلّة، وهو مزار معروف وعليه قُبَّة وله خدام يخدمون قبره، يتوارثون ذلك أباً عن جد، وقد خربت عمارته فأمر الأُستاذ العلامة [الشيخ النوري] دام علاه بعض أهل الحلّة فعمروها، وقد تشرفت بزيارته قبل ذلك وبعده، والله العالم).

(٢) أمل الآمل ٢: ٤٨ رقم ١٢٧.

(٣) ينظر لما كتبه المحقّق رضا الاستادي في مقدمة كتاب الرسائل التسع للمحقّق الحلّي رحمه الله ص ٢٠-٢٣ ط مكتبة المرعشي حول تآليفه ومخطوطاتها ومطبوعاتها وعدَّ له هنالك عشرون تأليفاً، فراجع.

سنة ٦٧٧، والمتوفّى ٧٥٠ صاحب القصيدة البديعية المشتملة على مائة وخمسين نوعاً من أنواع البديع وشرحها[١]، وديوان شعر كبير.

قال صاحب (القاموس): (اجتمعت سنة ٧٤٧ بالأديب الشاعر صفي الدين بن سرايا الحلّي رحمه الله بمدينة بغداد فرأيته شيخاً كبيراً له قدرة تامّة على النظم والنثر، وخبرة بعلوم العربية والشعر، فغزله أرق من سحر النسيم، وأدق من المحيا الوسيم، وكان شيعياً قُحّاً، إلاّ أنه كان ذا حالة رثّة، وهيئة قبيحة، وعمامة وسخة، ووجه أقبح من الكل. ومن رأى صورته لا يظن أنه ينظم ذلك الشعر الَّذي هو كالدر في الأصداف)، انتهى.

نقلاً عن تراجم أرباب البديعيات الملحقة بشرح بديعية سيد علي خان التي ألحقها به، قَدْ عثرت عليها في بعض نسخ (أنوار الربيع)[٢].

والشيخ الكامل الفقيه: عز الدين حسن بن أبي طالب اليوسفي، المعروف بالآبي صاحب كتاب (كشف الرموز) في شرح النافع[٣].

---

(١) قال السيِّد إعجاز حسين في كشف الحجب والأستار ص٤١٤ رقم ٢٢٧٦، مانصّه: (القصيدة البديعية وشرحها كلاهما للشيخ صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلّي المتوفّى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وتاريخ وفاته بحساب الجمل الجنّة مأوى الصفي وقيل إنه توفي سنة خمسين وسبعمائة كان من تلامذة المحقّق نجم الدين جعفر بن الحسن الحلّي والقصيدة مائة وخمسة وأربعون بيتاً تشتمل على مائة وخمسين نوعاً من أنواع البديع ذكر في شرحه أنه استمد من مائة وسبعين كتاباً ومطلع بديعيته، بيت:

ان جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم ... واقرَ السلام على عرب بذي سلم

(٢) نقلها التستري في مجالس المؤمنين ٢: ٥٧٦ عن بعض تآليف صاحب القاموس مجد الدين الفيروز آبادي الشافعي.

(٣) أي كتاب المختصر النافع للمحقِّق الحلّي رحمه الله.

وذكره جدِّي بحر العلوم طاب ثراه في (رجاله) وقال: (إنه أوّل من شرح النافع، وقال: إنه محقِّق فقيه، قوي الفقاهة، وقد يعبَّر عنه بابن الربيب)[(١)].

والوزير شرف الدين أبو القاسم علي بن الوزير مؤيِّد الدين أبي طالب محمّد بن أحمد العلقمي، وكان عالماً فاضلاً، جليل القدر، شاعراً أديباً.

ومؤيد الدين أبوه كان وزير المستعصم العبَّاسي، شيعياً سُلّمت إليه بغداد من بعد فتحها على يد هولاكو، فمكث الوزير شهوراً ثُمَّ مرض، ومات رحمه الله سنة ٦٥٦[(٢)].

قال شرف الدين أبو القاسم علي: (اشتملت خزانة والدي على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب، وصنَّفَ الناس له الكتب، فممّن صنَّفَ له الصاغاني اللُّغوي، صنَّف له (العُباب) وهو كتاب عظيم كبير في لغة العرب، وصنَّفَ له عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد كتاب(شرح نهج البلاغة)، يشتمل على عشرين مجلداً، فأثابهما وأحسن جائزتهما. وكان ممدّحاً مدحه الشعراء، وانتجعه الفضلاء.

فممَّن مدحه كمال الدين بن البوقي بقصيدة من جملتها:

مؤيّدُ الدين أبو طالبٍ   محمّدُ بنُ العلقميِّ الوزيرْ

وهذا بيت حسن جمع فيه لقبه وكنيته واسمه واسم أبيه وصنعته. وكان مؤيد الدين عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية، متنزهاً مترفعاً.

قيل: إنَّ بدر الدين صاحب الموصل أهدى إليه هدية تشتمل على كتب وثياب ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار، فلمَّا وصلت إلى الوزير حملها إلى خدمة الخليفة،

---

(١) الفوائد الرجالية ٢: ١٧٩، باختلاف يسير.

(٢) ينظر ترجمته في: الكنى والألقاب ١: ٣٦٢، ٣: ٢٨٤.

وقال: إن صاحب الموصل قَدْ أهدى لي هذا واستحييت منه أن أردَّه إليه، وقد حملته إليك وأنا اسأل قبوله، فقبل.

ثُمَّ أنه أهدى إلى بدر الدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار، والتمس منه أن لا يهدي إليه شيئاً بعد ذلك)[١].

اشتهار النهر العلقمي باسمه

والعلقمي: اسم نهر اقتطع من الفرات إلى كربلاء ومنه إلى الكوفة، وكان هو الباعث على عمران الكوفة ورُقيِّها، وأثره إلى الآن ظاهر قرب مرقد أبي الفضل العبَّاس سلام الله عليه.

وقد بلغ ابن العلقمي المزبور: أن الصادق عليه السلام لما زار جدَّه الحسين عليه السلام خاطب النهر: «**بأنَّك مُنِعتَ عن جدّي الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء وإلى الآن أنت جار**»، فسعى ابن العلقمي في تخريب سدّ هذا النهر، فانقطع الماء وأوجب ذلك خراب الكوفة. وهو السبب في اشتهاره بنهر العلقمي. هكذا وجدته في كتاب (التحفة الرضوية)[٢].

ومن تلامذته المحقّق الشيخ شمس الملّة والدين محفوظ بن وشاح بن محمّد، وكان من أعيان علمائنا في عصره، وكان شاعراً أديباً، وله رثاء في حقّ أُستاذه، ورثاه الحسن بن داود من بعد موته[٣]، ومن جملة ما كتب به إلى أُستاذه، ما ذكره الشيخ حسن- أعني: شيخنا الماتن رحمه الله- وهي:

---

(١) تاريخ الفخري: ٣٣٨.

(٢) ذكر ذلك أيضا المازندراني في معالي السبطين ١: ٣٢٥.

(٣) ذكر بعضها العاملي في أمله عند ترجمته، فلاحظ.

أغيبُ عنكَ وأشواقي تجاذبُني ... إلى لقائِكَ جذبَ المُغرَمِ العاني

إلى لقاءِ حبيبٍ مثلِ بدرِ دُجىً ... وقد رماهُ بإعراضٍ وهجرانِ

قلبي وشخصُك مقرونانِ في قَرَنٍ ... عند انتباهي وبعدَ النومِ يغشاني

حَلَلْتَ منّي مَحَلّ الروحِ في جسدي ... فأنتَ ذكرايَ في سرّي وإعلاني

لولا المخافةُ مِن كُرهٍ ومن مللٍ ... لطالَ نحوَكَ تَردادي وإتياني

يا جعفرُ بنَ سعيدٍ يا إمامَ هدى ... يا أوحدَ الدهرِ يا مَنْ ما لَهُ ثاني

إنّي بحُبِّكَ مُغرىً غيرَ مُكترِثٍ ... بمَنْ يلومُ وفي حُبِّكَ يلحاني

فأنتَ سيِّدُ أهلِ الفضلِ كلِّهِمُ ... لم يختلِفْ أبداً في فضلِكَ اثنانِ

في قلبِكَ العلمُ مخزونٌ بأجمَعِهِ ... تَهدي به مِن ضَلالٍ كلَّ حَيرانِ

وفوكَ فيه لسانٌ حَشْوُهُ حِكَمٌ ... تروي بهِ مِنْ زلالٍ كلَّ ظمآنِ

وفخرُكَ الشامخُ الراسي وَزَنْتَ به ... رَضوى فزادَ على رَضوى وَثهْلانِ

وحسنُ أخلاقِكَ اللاتي فَضَلْتَ بها ... كلَّ البريَّةِ مِنْ قاصٍ ومِنْ دانِ

تُغني عن المأثُراتِ الباقياتِ ومَنْ ... يُحصي جواهرَ أجبالٍ وكُثْبانِ

يا مَنْ على دُرُجِ العلياءِ مرتقياً ... أنتَ العظيمُ الكبيرُ القدرِ والشانِ

فأجابَهُ المحقّق رَحِمَهُ اللهُ:

لقد وافَتْ قصائِدُكَ العوالي ... تهزُّ معاطِفَ اللَّفظِ الرَّشيقِ

فَضَضْتُ خِتامَهُنَّ فَخِلْتُ أنّي ... فَضَضْتُ بِهِنَّ عن مِسْكٍ فَتيقِ

وجالَ الطَّرفُ منها في رياضٍ ... كُسِينَ بناظِرِ الزهرِ الأنيقِ

فَكَمْ أبصرتُ من لفظٍ بديعٍ ... يُدَلُّ بهِ على المعنى الدقيقِ

وكَمْ شاهَدْتُ من عِلْمٍ خَفِيٍّ ... يُقرِّبُ مَطلبَ الفضلِ السَّحيقِ

شَرِبتُ بها كؤوساً من معانٍ غَنيتُ بِشُربِهِنَّ عن الرحيقِ
ولكنّي حملتُ بها حقوقاً أخافُ لِثِقلِهِنَّ مِنَ العُقوقِ
فسِرْ أبا الفضائل بي رويداً فَلَستُ أُطيقُ كفرانَ الحُقوقِ
وحَمِّل ما أُطيقُ بهِ نُهوضاً فإنَّ الرِّفقَ أنسَبُ بِالصديقِ
فَقَد صيَّرتَني لِعُلاكَ رِقّاً بِبِرِّكَ بَلْ أرَقُّ مِنَ الرَّقيقِ

وكتب من بعدها نثراً من جملته:

(ولست أدري كيف سوّغ لنفسه الكريمة ـ مع حنوه على إخوانه، وشفقته على أوليائه وخلانه ـ إثقال كاهلي بما لا يطيق الرجال حمله، بل تضعف الجبال أن تقلّه؟ حَتَّى صيّرني بالعجز عن مجازاته أسيراً، وأوقفني في ميدان محاوراته حسيراً، فما أُقابل ذلك البرَّ الوافر، ولا أُجازي ذلك الفضل الغامر، وإني لأظن كرم عنصره، وشرف جوهره، بعثه على إفاضة فضله وإن أصاب غير أهله، أو كأنّه مع هذه السجيّة الغراء، والطويَّة الزهراء، استملى بصحيح فكرته، وسليم فطرته الولاء من صفحات وجهي، وفلتات لساني، وقرأ المحبّة من لحظات طرفي، ولمحات شأني، فلم ترض همَّته العليَّة من ذلك الإيراد بدون البيان، ولم يقنع لنفسه الزكية عن ذلك الخبر إلا بالعيان، فحرّك ذلك منه بحراً لا يسمح إلا بالدرر، وحجراً لا يترشّح بغير الفقر، وإنَّما أستمدُّ من إنعامه الاقتصاد على ما تطوَّع به من البرّ، حَتَّى أقوم بما وجب عليَّ من الشكر إن شاء الله)[1].

ومن شعر المحقّق رحمه الله أيضاً وكتب إلى أبيه:

---

(١) بحار الأنوار ١٠٦: ١٥ ـ ١٧ ضمن إجازة الشيخ حسن للسيِّد نجم الدين الحسيني المعروفة بالإجازة الكبيرة، أمل الآمل ٣: ٢٢٩ ترجمة ابن وشاح رقم ٦٨٨.

لِيَهنِكَ أنّي كلَّ يومٍ إلى العُلى ... أقدِّمُ رجلاً لن تزلَّ بها النَّعلُ

وغيرُ بعيدٍ أن تراني مقدَّماً ... على الناس حَتَّى قيلَ ليسَ لَهُ مِثْلُ

تطاوعني بكرُ المعاني وعونُها ... وتنقادُ لي حَتَّى كأنّي لها بَعْلُ

ويشهدُ لي بالفضلِ كلُّ مبرَّز ... ولا فاضلٌ إلّا ولي فوقَهُ فَضلُ

قال المحقّق رَحِمَهُ اللهُ: فكتب إليَّ فوق هذه الأبيات: لئنْ أحسَنْتَ في شعرِكَ لقد أسأتَ في حقِّ نفسِكَ، أما علمت أنَّ الشعر صناعة من خلع العفَّة، ولبس الحرفة، والشاعر ملعون وإن أصاب، ومنقوص وإن أتى بالشيء العجاب، وكأنّي بكَ قَدْ ارمَكَ الشيطانُ بفضيلةِ الشّعر، فجعلتَ تنفق ما تلفّق بين جماعة ولا يرون لك فضلاً غيره، فسمَّوك به، وقد كان ذلك وصمة عليك إلى آخر الدهر، أما تسمعُ:

ولستُ أرضى أن يقال شاعِرٌ ... تبّاً لها مِنْ عُددِ الفضائِلِ

قال رَحِمَهُ اللهُ: فوقف عند ذلك خاطري حَتَّى كأني لم أقرع له باباً، ولم أرفع له حجاباً، وأكّد ذلك عندي ما رويته بإسناد متَّصل: أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دخل المسجد وبه رجل قَدْ أطاف به جماعة، فقال: «ما هذا؟» قالوا: علاّمة. فقال: «ما العلاّمة؟» قالوا: عالم بوقائع العرب، وأنسابها، وأشعارها.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ذلك علم لا يضرُّ من جهله، ولا ينفع من عَلمَه».

ومن البيِّن أن الإجادة فيه يفتقر إلى تمرين الطبع، وصرف الهمة إلى الفكر في تناسب معناه، ورشاقة ألفاظه، وجودة سبكه، وحسن حشوه تمريناً متكرراً حَتَّى يصير خلقاً وشيماً إن ذلك سبب الاستكمال فيه، والإهمال سبب القصور عنه.

وإلى هذا المعنى أثرت فيَّ جملة أبيات، وهي:

هجرتُ صوغَ قوافي الشِّعرِ مُذْ زَمَنٍ ... هَيهاتَ يرضى وقد أغضبتُهُ زَمَنا

وعُدتُ أوقظُ أفكاري وقد هَجَعَتْ ... عُنفاً وأُزعِجُ عزمي بَعْدَ ما سَكَنا

إنَّ الخـــواطرَ كالآبـــارِ إن نُزِحَـــتْ طابَـــتْ وإنْ تُبْـــقِ فيهـــا ماءهـــا أجِنـــا
فاصـــبحْ شَـــكوراً أياديـــكَ التـــي سَـــلَفَتْ مـــا كُنْـــتُ أُظهِـــرُ عيبـــي بَعْـــدَ مـــا كَمَنـــا

ولمكان إضرابي عنه وإعراضي حَتَّى عفى ذكر اسمه، لم يبق إلا ما هو حقيق أن يرفض ولا يعرض، ويضمر ولا يظهر، ولكن مع ذلك أورد ما أدخل في حيز الامتثال، وإن كان سرُّه أنسب بالحال، فمنه:

ومـــا الإسرافُ مِـــنْ خُلُقـــي وإنّي لَأُجـــزَأُ بالقليـــلِ عَـــنِ الكثـــيرِ
ومـــا أُعطـــي المطـــامِعَ لي قيـــاداً ولـــو خُودِعـــتُ بالمـــالِ الخطـــيرِ
وأُغمِـــضُ عـــن عُيـــوبِ النـــاس حَتَّـــى أخـــالَ وإن تنـــاجيني ضـــميري
وأحتمـــلُ الأذى في كـــلِّ حـــالٍ عـــلى مَـــضَضٍ وأعفـــو عـــن كثـــيرِ
ومَـــنْ كـــانَ الإلـــهُ لـــه حـــسيباً أراهُ الـــنُّجحَ في كُـــلِّ الأُمـــورِ

ومنه قوله رحمه الله:

يـــا راقـــداً والمنايـــا غـــيرُ راقـــدةٍ وغـــافلاً وســـهامُ الـــدهر ترميـــهِ
فـــيمَ اغـــترارُك والأيـــامُ مُرصِـــدَةٌ والـــدهرُ قَـــدْ مـــلأ الأســـماعَ داعيـــهِ
أمـــا أرتـــكَ الليـــالي قُـــبحَ دُخلَتِهـــا وغَـــدرَها بالَّـــذي كانَـــتْ تـــصافيهِ
رفقـــاً بنفـــسِكَ يـــا مغـــرورُ إنَّ هـــا يومـــاً تـــشيبُ النـــواصي مـــن دواهيـــهِ[1]

ولمَّا توفّي رثاه الشيخ محفوظ بن وشاح بقصيدة يقول فيها:

أقلقنـــي الـــدهرُ وفـــرطُ الأســـى وزادَ في قلبـــي لهيـــفُ الـــضَّرامْ

---

(١) خاتمة المستدرك ٢: ٤٦٨، أمل الآمل ٢: ٥٠.

لِفَقْدِ بَحْرِ العلمِ والمُرتضى ... في القولِ والعقلِ وفَضْلِ الخِصامْ

أعني أبا القاسِمِ شَمسَ العُلى ... الماجِدَ المِقدامَ ليثَ الزِّحامْ

أزِمّةُ الدينِ بتدبيرِهِ ... مَنظومَةٌ، أحسِنْ بِذاكَ النِّظامْ!

شَبَّهْ بِهِ البازِيَّ في بَحثِهِ ... وعِندَهُ الفاضِلُ فَرْخُ الحَمامْ

قد أوضحَ الدينَ بتصنيفِهِ ... من بعدِ ما كانَ شديدَ الظَّلامْ

بعدك أضحى الناسُ في حَيْرَةٍ ... عالِمُهُم مشبَّه بالعَوامْ

لولا الَّذي بيَّنَ في كُتْبِهِ ... لأشرَفَ الدينُ على الإصْطِلامْ

قد قلتُ للقَبرِ الَّذي ضمَّهُ ... كيفَ حَوَيْتَ البحرَ والبَحرُ طامْ؟

عَلَيكَ منِّي ما حدا سائِقٌ ... أو غرَّدَ القُمريُّ ألفا سَلامْ[(١)]

ولقد رثاه الشيخ محمود بن يحيى بقصيدة منها:

عَزَّ العزاءُ فلاتَ حينَ عَزاءِ ... مِنْ بَعدِ فُرقَةِ سيِّدِ الشُّعَراءِ

العالمُ الحَبرُ الإمامُ المُرتضى ... عَلَمُ الشَّريعةِ قدوَةُ العُلَماءِ

أكذا المنونُ تحطّ أطوادَ الحِجى ... ويفيضُ منها بَحرُ كلِّ عَطاءِ

ما للفتاوى لا يُرَدُّ جوابُها ... ما للدعاوى غُطِّيَتْ بِغِطاءِ

ما ذاكَ إلّا حينَ ماتَ فقيدُنا ... شمسُ المعالي أوحَدُ الفُضَلاءِ

ذهبَ الَّذي كنَّا نصولُ بعزِّهِ ... ولِسانِهِ الماضي على الأعداءِ

مَنْ للفتاوى المُشكِلاتِ يَحُلُّها ... ويُبينُها بالكشفِ والإمضاءِ

مَنْ للكلامِ يَبينُ من أسرارِهِ ... معنى حقيقةِ خالِقِ الأشياءِ

مَنْ ذا لِعلمِ النحوِ واللُّغةِ التي ... جاءت غرائِبُها عَنِ الفصَحاءِ

---

(١) أمل الآمل ٢: ٥١.

مَـنْ للعَـروض يَبِـينُ مِـن أسراره الخـافي ومـن للـشعرِ والـشُّعراءِ
مـا خِلْـتُ قَبـلَ يُحَـطُّ في قَعْـرِ الثـرى إنَّ البـدورَ تغيـبُ في الغـبراءِ
المـوتُ مَحفـوظٌ وأبقـى بَعـدَه غـدرٌ لَعَمـرُكَ موتُـهُ وبقـائي
مـولايَ شـمسَ الـدّينِ يـا فخـرَ الـوَرى مـالي أُنـادي لا تُجيـبُ نـدائي[1]

السيّد فخار بن معد

وأمّا شمس الدين فهو: السيِّد فخار بن شمس الدين، شيخ الشرف معدّ بن فخار بن أحمد بن أبي القاسم محمّد بن الحسين بن محمّد بن إبراهيم المجاب، الموسوي، الحائري، الموصوف في التراجم والإجازات بكل جميل، وهو مؤلّف كتاب (الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب عليه السلام)، قال في (اللؤلؤة): (إنَّ هذا الكتاب كان عندي وقد نقلت أكثره في كتاب (سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد) حيث إنه ذكر في (شرح نهج البلاغة) توقُّفه في إسلام أبي طالب، قال: وقد أشبعنا معه الكلام في الكتاب المزبور، وبيَّنا ما في كلامه من القصور)، انتهى[2].

وعن رجال النيسابوري: أنه توفّي سنة ٦٣٠.

وممّا ينسب إليه من الشعر هذه الأبيات:

سأغـسلُ أشـعاري الحـسانَ وأهجُـرُ القـوافي وأقـلى مـا حَيِيـتُ القوافيـا
وألـوي عـن الآداب عُنْقـي وأعتَـذِرْ لهَـا بَعـدَ حُبّـي مـا أرى القـومَ قاليـا
فـإنّي أرى الآداب يـا أُمَّ مالِـكِ تزيـدُ الفتـى ممَّـا يَـرومُ تنائيـا

---

(١) أمل الآمل ٢: ٣١٧، الغدير ٥: ٤٤١.

(٢) لؤلؤة البحرين: ٢٨٢.

انتهى[١].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: وصنَّفَ بعض الطالبيين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب، وبعثه إليَّ وسألني أن أكتب عليه بخطّي نثراً أو نظماً، أشهد فيه بصحَّة ذلك، وبوثاقة الأدلة عليه، فتحرَّجتُ أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً؛ لما عندي من التوقُّف فيه، ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإنِّي أعلم أنَّه لولاه لما قامت للإسلام دعامة. وأعلم أن حقّه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبتُ على ظهر المجلَّد:

ولولا أبو طالب وابنُه — لما مُثِّلَ الدينُ شَخصاً فقاما

فذاكَ بمَكَّةَ آوى وحامى — وهذا بيثربَ جَسَّ الحِماما

تكفَّلَ عبدُ مَنافٍ بأمرٍ — وأودى فكانَ عليٌّ تَماماً

فقُل في ثبيرٍ مضى بَعْدَ ما — قضى ما قضاهُ وأبقى شِماما

فلِلّهِ ذا فاتِحاً للهُدى — ولله ذا للمعالي خِتاما

وما ضرَّ مجدَ أبي طالب — جَهولٌ لَغا أو بَصيرٌ تعامى

كما لا يضرُّ بآيِّ الصَّباحِ — مَنْ ظنَّ ضوءَ النَّهارِ الظَّلاما[٢]

من كتب في إيمان أبي طالب

وفي فهرست النجاشي: (أنَّ أحمد بن محمّد بن عمّار أبو علي الكوفي، ثقة جليل من أصحابنا، له كتب، وعدَّ منها كتاب (إيمان أبي طالب))[٣].

---

(١) بحار الأنوار ١٠٤: ١٩ نقله من خط الشهيد الأول قدس سره.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٤: ٨٣.

(٣) رجال النجاشي: ٩٥ رقم ٢٦.

وفيه أيضاً: (أنّ أحمد بن محمّد بن أحمد بن طرخان الكندي أبو الحسين الجرجرائي الكاتب، ثقة، صحيح السُّماع، وكان صديقنا، قتله إنسان يعرف بابن أبي العبَّاس، يزعم أنّه علوي؛ لأنّه أنكر عليه نكرة، وله كتاب (إيمان أبي طالب))، انتهى[١].

ولسهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجي كتاب (إيمان أبي طالب)[٢].

ولعلي بن حمزة البصري من علماء العامّة معاصر الكليني كتاب (إيمان أبي طالب)[٣].

وللشيخ إمام الشيعة معين الدين مسعود بن علي البيهقي كتاب (سلوة الشيعة)[٤]، وفيه الأدلة على تحقيق إيمان أبي طالب تفصيلاً.

---

(١) رجال النجاشي: ٨٧ رقم ٢١٠.

(٢) رجال النجاشي: ١٨٦ رقم ٤٩٣، وفي الأصل: (ولسهل بن اليسع بن عبد الله القمي كتاب إيمان أبي طالب) . وهو اشتباه، إذ لم ينص الرجاليون أن لسهل بن اليسع كتاباً بهذا الاسم وما أثبتناه من المصدر، فتأمّل.

(٣) إيمان أبي طالب: لأبي نعيم علي بن حمزة البصري اللغوي، المتوفّى سنة ٣٧٥ هـ، أحد أعيان أهل اللُّغة الفضلاء المتحققين العارفين بصحيحها من سقيمها. ذكر كتابه هذا الشيخ الطهراني في الذريعة ٢: ٥١٣ وقال: (نقل من بعض فصوله الحافظ العسقلاني في ترجمة أبي طالب في الإصابة، وصرح بكونه رافضياً) . (مقدمة كتاب إيمان أبي طالب للشيخ المفيد: ٨) .

(٤) كتاب (سلوة الشيعة) هو لعلي بن أحمد الفنجكردي الأديب النيسابوري، فلاحظ. [ينظر: معالم العلماء: ١٠٦ رقم ٤٨١، أمل الآمل ٢: ١٧٥ رقم ٥٢٦، الذريعة ١٢: ٢٢٣ رقم ١٤٧١] وأما مؤلفات فخر الزّمان أبي المحاسن مسعود بن علي بن أحمد الصواني البيهقي المتوفّى سنة ٥٤٤هـ فهي: أعلاق الملوين وأخلاق الأخوين في طبقات النحاة (مجلدين) ، بغية المصادر، التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة (أربع مجلدات) ، تفسير القرآن، التلقيح في الأُصول، التوابع واللوامع في الأُصول ديوان شعر، شرح الحماسة، صيقل الألباب في الأُصول، نصب المصدر [ينظر: هدية العارفين ٢: ٤٢٨، معجم المؤلفين ١٢: ٢٢٧].

وكتاب (منى الطالب في إيمان أبي طالب) للشيخ المفيد أبي سعيد محمّد بن أحمد بن الحسين النيسابوري، ذكره الشيخ منتجب الدين[١].

وكتاب (إيمان أبي طالب) للشيخ المفيد رحمه الله مذكور في قائمة البحار[٢].

وروى أبو الفداء في تاريخه المعروف عن ابن عبَّاس: (أنَّ أبا طالب أسلم عند موته)[٣].

إثبات إيمانه من كتب العامة

ونقل المحقِّق الفريد شهاب الدين أحمد بن محمّد الخفاجي المتوفّى سنة ١٠٦٩ في كتاب (طراز المجالس)[٤] عن خط أبي العبَّاس أحمد بن أبي طالب بن الشّحنة - بالكسر - المحدِّث المشهور، وابن حجّة الحموي الحنفي في (ثمرات الأوراق) نقلاً عن هشام بن السائب: (أنه لما حضرت الوفاة أبا طالب عمَّ النبي صلى الله عليه وآله جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم، وقال:

يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، وفيكم السيِّد المطاع، وفيكم المقدَّم الشجاع، والواسع البال، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم ألبٌ، وإني أُوصيكم بتعظيم هذه البَنِيَّة، فإن فيها مرضاةً للربّ وقواماً للمعاش، ونبأةً[٥] للوطأة، صِلوا أرحامكم ولا

(١) فهرست منتجب الدين: ١٠٢ رقم ٣٦١.

(٢) بحار الأنوار ١: ٧، وكتابه هذا مطبوع معروف.

(٣) المختصر في أخبار البشر ١: ١٢٠.

(٤) راجع: ص٢٠٩.

(٥) في الأصل: (وثبات)، وما أثبتناه من المصدر.

تقطعوها، فإنَّ في صلة الرحم منسأةً للأجل وزيادةً للعلم، واتركوا البغي والعقوق فبهما هَلَكَتِ القرونُ قبلَكُم، وأجيبوا السائل وأعطوا الداعي فإنّ فيهما شرفَ الحياة والممات، وعليكم بالصدق في الحديث، وأدُّوا الأمانة، فإنَّ فيهما محبّةً للخاص ومَكْرُمَةً للعام. وإنِّي أُوصيكم بمحمّد خيرا، فإنَّه الأمين في قريش، والصدِّيق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به. وقد جاء بأمر قَبِلَهُ الجَنانُ، وأنكره اللّسان مخافة الشنآن.

وأيمُ اللهِ: كأنِّي أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوبر في الأطراف والمستضعفين من الناس قَدْ أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وأعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأنفرهم منه أحظاهم عنده، قَدْ مَحَضَتْهُ العربُ ودادَها، وأصفت له فؤادها، وأعطت له قيادها دونكم.

يا معشر قريش، وكونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحدكم سبيله إلاّ رَشُدَ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سَعِدَ، ولو كان لنفسي مَدَّةٌ أو لأجلي تأخيرٌ لكففتُ عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي، ثُمَّ هلك)[1].

قال الخفاجي: (ومن الغريب هنا ما قاله القرطبي: سمعت أنَّ الله أحيا للنبيّ صلى الله عليه وآله عمَّه أبا طالب فآمن به. كذا في شرح البخاري للعيني في التفسير من سورة (التوبة))، انتهى[2].

وأما عند الشيعة فإيمانه من المسلَّمات، بل ضروري.

---

(١) طراز المجالس: ٢٠٩، ثمرات الأوراق ١: ٢٩٧، روضة الواعظين: ١٣٩ عن الإمام الصادق عليه السلام مرسلاً نحوه، السيرة الحلبية ٢: ٤٩، تاريخ الخميس ١: ٣٠٠، الدرجات الرفيعة: ٦٠ عن الكلبي.

(٢) طراز المجالس: ٢٠٩، عمدة القاري ١٨: ٢٧٧.

شاذان بن جبرئيل

وأمّا الإمام أبو الفضل: فهو سديد الدين شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل بن أبي طالب القمّي، نزيل مهبط وحي الله، ودار هجرة رسول الله، صاحب المؤلّفات البديعة التي منها رسالة (إزاحة العلّة في معرفة القبلة)، وقد أدرجها العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار[١]، وكتاب (الفضائل) المعروف ومختصره المسمّى بـ(الروضة)[٢].

وله كتاب (تحفة المؤلف الناظم، وعمدة المكلّف الصائم) وكان معاصراً لابن إدريس الحلّي صاحب (السرائر)[٣] ولم أعثر على من ذكر تاريخ وفاته[٤].

عماد الدين الطبري

وأمّا الشيخ العماد فهو: أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم علي بن محمّد بن علي الطبري الآملي، كان مجاور النَّجف الأشرف في عشر سنين وخمس مائة، قرأ على الشيخ أبي علي ابن الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله، وله تصانيف منها: كتاب (الفرج في الأوقات، والمخرج بالبيّنات) و(شرح مسائل الشيعة)[٥] وله

---

(١) بحار الأنوار ٨١: ٧٤- ٨٦.

(٢) هناك كلام في شبهة نسبة الكتاب إليه استقصاه الشيخ آغا بزرك الطهراني رحمه الله في كتابه الذريعة ج١١ ص ٢٨٢ رقم ١٧٢١، فراجع.

(٣) بحار الأنوار ١٠٦: ٢٣- ٢٤، ذكره الشيخ حسن في إجازته الكبيرة المندرجة في بحار الأنوار.

(٤) في نسخة الفضائل المطبوعة في النجف الأشرف أنّه توفي حدود سنة ٦٦٠هـ الفضائل: ١ ط.

(٥) كذا في الأصل وبعض المصادر، وفي العديد من الكتب الرجالية: (شرح مسائل الذريعة).

أيضاً كتاب (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) سبعة عشر جزءاً، وكتاب (الزهد والتقوى)[1].

الشيخ حسن بن محمد الطوسي

وأمّا أبو علي: فهو الشيخ المؤتمن مفيد الدين الحسن بن محمّد الطوسي، له كتب منها:

(الأمالي) المعروف، الّذي هو غير أمالي والده الشيخ الطوسي، وإن كانت أخباره عن والده أيضاً، ومنها (شرح نهاية والده)، و(المرشد إلى سبيل المتعبِّد)، وكان من أعاظم تلامذة والده والدَّيلمي وغيرهما.

وعن جدّي المجلسي: (أنه كان ثقة فقيهاً، عارفاً بالأخبار والرجال)[2].

وقد يلقَّب: بالمفيد الثاني، وأُمُّه بنت الشيخ المسعود ورّام، وكانت فيها الفضل والصلاح، ولها ولأُختها أُمّ السيِّد ابن طاووس إجازة على جميع مصنَّفاته ورواياته، ويثني عليهما، ودفن في النَّجف بجنب أبيه، ولم أعثر على تاريخ وفاته[3].

---

(١) فهرست منتجب الدين: ١٠٧ رقم ٣٨٨ ط مكتبة المرعشي، ورياض العلماء٥: ١٧، هدية العارفين ٢: ٨٦، وكتابه البشارة طبع عدة طبعات.

(٢) ذكره عن المجلسي الأول السيِّد الأمين في أعيان الشيعة ٥: ٢٤٤.

(٣) ينظر ترجمته في: خاتمة المستدرك ٣: ١٢٣.

والده الشيخ الطوسي

وأمّا أبو جعفر والده فهو: محمّد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله وفي رياض العلماء: (أنّ المسعودي صاحب التاريخ هو جدّ الشيخ الطوسي رحمه الله من طرف أمه، كما يقال)[1].

وكيف كان فهو شيخ الطائفة المحقّة، ورافع أعلام الشريعة الحقّة، إمام الفرقة بعد الأئمّة المعصومين، وعماد الشيعة الإمامية في كلّ ما يتعلّق بالمذهب والدين، محقِّق الأُصول والفروع، ومهذِّب فنون المعقول والمسموع[2].

ثقة، صدوق، عين، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب، جميع الفضائل تنسب إليه، صنَّف في كل فنون الإسلام، وهو المهذِّب للعقائد في الأُصول والفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل، وكان تلميذ الشيخ المفيد محمّد بن النعمان.

ولد قدس الله روحه في رمضان سنة ٣٨٥، وقدم العراق في شهور سنة ٤٠٨، وتوفي رحمه الله ليلة الاثنين في الثاني والعشرين من المحرَّم سنة ٤٦٠، بالمشهد المقدَّس الغروي، ودفن بداره.

---

(١) قال محقق كتاب التبيان في مقدمة تحقيقه، ما نصّه: (حكي عن صاحب (الرياض) : (ان المؤرخ المسعودي صاحب (مروج الذهب) جدّ الشيخ الطوسي من طرف أمّه) . وهذا مستبعد أيضاً. وعلى فرض وجود علاقة فليست بهذا القرب، يعني: ليس جدّه بلا واسطة فلعل أمّه من بناته فقد طاف المسعودي فارس وكرمان سنة ٣٠٩ هـ فلعله تزوج في إيران وأعقب بها، أما وفاته فهي بمصر عام ٣٤٦ هـ ولزيادة الاطلاع على أحواله راجع (فوات الوفيات) لابن شاكر ج ٢ ص ٥٧ طبع عام ١٢٨٣ هـ و(الفهرست) لابن النديم ص ٢١٩ طبع مصر و(تاريخ آداب اللّغة العربية) لجرجي زيدان ج ٢ ص ٣١٣ وغير ذلك) . (التبيان ١: ٦٤ المقدمة)

(٢) الفوائد الرجالية ٣: ٢٢٧.

قال الحسن بن مهدي السليقي: (تولّيت أنا والشيخ أبو محمّد بن عبد الواحد العين زربي، والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي غسله في تلك الليلة ودفنه. وكان يقول أولاً بالوعيد، ثُمَّ رجع وهاجر إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام خوفاً من الفتن التي تجددت ببغداد وأحرقت كتبه، وكرسياً كان يجلس عليه للكلام)[١].

ويعلم من هذا التاريخ أنه رحمه الله ولد بعد وفاة الصدوق رحمه الله بأربع سنين[٢]، وأنه عمَّر خمساً وسبعين سنة، وأنه يوم وروده العراق كان في سن ثلاث وعشرين، وإن مقامه فيها مع المفيد كان نحواً من خمس سنين، فإنه رحمه الله توفّي سنة ٤١٣[٣]، ومع السيِّد المرتضى نحواً من ثمان وعشرين سنة، فإنه رحمه الله توفّي سنة ٤٣٦[٤]، وبقي بعد السيِّد أربعاً وعشرين سنة: اثنتي عشرة سنة منها في بغداد، لأنَّ الفتنة التي كانت بين الشيعة وأهل السنَّة، وصارت سبباً لمهاجرته من بغداد، كانت سنة ٤٤٨ كما ستعرف، فكان بقاؤه في المشهد الغروي اثنتي عشرة سنة، ودفن في داره، وقبره مزار يتبرَّكُ به، وصارت داره مسجداً باقياً إلى الآن[٥].

---

(١) خلاصة الأقوال: ٢٤٩ رقم ٤٧.

(٢) كانت وفاة الشيخ الصدوق رحمه الله سنة ٣٨١هـ.

(٣) أي: الشيخ المفيد رحمه الله.

(٤) أي: السيِّد المرتضى رحمه الله.

(٥) خاتمة المستدرك ٣: ١٦٧.

قال جدِّي بحر العلوم في رجاله: (وقد جدَّد مسجده في حدود سنة ١١٩٨، فصار من أعظم المساجد في الغري المشرَّف، وكان ذلك بترغيبنا بعض الصلحاء من أهل السعادة)، انتهى[(١)].

وقال القاضي نور الله رحمه الله في مجالسه: (ذكر ابن كثير الشامي في تاريخه في ترجمة الشيخ: أنه كان فقيه الشيعة، مشتغلاً بالإفادة في بغداد، إلى أن وقعت الفتنة بين الشيعة والسنة سنة ٤٤٨، واحترقت كتبه وداره في باب الكرخ، فانتقل إلى النَّجف، وبقي هناك إلى أن توفِّي في شهر محرم الحرام سنة ٤٦٠)، انتهى[(٢)].

---

(١) الفوائد الرجالية ٣: ٢٣٩، وقال محققا الكتاب بهامش هذه العبارة ما نصّه: (وموقع المسجد العظيم - هذا - قريب من باب الصحن العلوي المطهر حيث الجهة الشمالية، وبهذه المناسبة سمي باب الصحن باسم (باب الطوسي) وهكذا سمي الشارع المفتوح - أخيراً - باسم (شارع الطوسي) . أما تأسيس هذا المسجد، فلا يستطيع التأريخ أن يقف منه على دقة، سوى أنه اتخذ مسجداً بعد وفاة الشيخ ودفنه فيه. ومعنى ذلك: يكون تأريخ مسجديته بعد سنة ٤٦٠ هجرية بلا فصل. والعمارة التي يشير إليها سيدنا - في المتن - هي العمارة الثانية لهذا المسجد - أو الثالثة - فقد كان قائماً، وأمر السيِّد بتجديده - كما تشير إليه عبارته - والعمارة التي تليها، كانت بأمر جدنا الحجة الورع الحسين بن الرضا بن السيِّد بحر العلوم المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ وذلك سنة ١٣٠٥ هـ. فكانت عمارة آية في الابداع والفن وفي سنة ١٣٦٩ هـ تفتح الحكومة العراقية شارعاً يبدأ من باب الصحن - باب الطوسي (وينتهي إلى أول وادي السلام، فيطل المسجد على الشارع العام - بعد أن عملت الأثرة يومئذ - فأخذت من عرضه غير المستحق. وظل المسجد - هكذا - مبعثر الجوانب، منخفض الساحة، منتقض الجدران حَتَّى قيض الله له الساعة المباركة، فكان أن شيد بأحسن تشييد بتوجيه وترغيب سماحة آية الله الحجّة التقي من آل بحر العلوم - إمام الجامع - وتبرع لفيف من المؤمنين في النجف الأشرف وخارجه، وصرف عليه قرابة (٠٠٠ / ١٤ ألف دينار) فجاء تشييداً فخماً نادر النظير، فأصبح اليوم - من (جوامع البلد) المهمة حاشداً بالمصلين، وبالتدارس والتدريس - كل يوم -) . (انتهى)

واليوم في سنتنا هذه سنة ١٤٣١هـ جدد بناء المسجد وبحلة قشيبة برعاية دائرة الوقف الشيعي، وإمامة الجماعة فيه هي لسماحة العلامة السيِّد محمّد علي ابن السيِّد محمّد آل بحر العلوم حفظه الله وهو الَّذي تفضل علينا بمراجعة كتابنا هذا الَّذي بين يديك فجزاه الله عن المؤلف رحمه الله وعنا خير جزاء المحسنين.

(٢) مجالس المؤمنين ١: ٤٨٠، عنه خاتمة المستدرك ٣: ١٦٨.

وعن ابن الجوزي في تاريخه فيمن توفّي سنة ٤٦٠ من الأكابر: (أبو جعفر الطوسي: فقيه الشيعة، توفّي في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام)[١].

وفي (تاريخ الكامل) في حوادث سنة ٤٦٠ في المحرم أيضاً: (توفّي أبو جعفر الطوسي فقيه الإمامية بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)[٢].

وقال تاج الدين بن تقي الدين السبكي الشافعي المتوفّى سنة ٧٧١ في (طبقات الشافعية): (محمّد بن الحسن بن علي أبو جعفر الطوسي، فقيه الشيعة ومصنفهم كان ينتمي إلى مذهب الشافعي، له تفسير القرآن، وأملى أحاديث وحكايات تشتمل على مجلدين، قدم بغداد وتفقه على مذهب الشافعي، وقرأ الأُصول والكلام على أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالمفيد، فقيه الإمامية، وحدث عن هلال الحفار، روى عنه أبنه أبو علي الحسن، وقد أحرقت كتبه عدة نوب بمحضر من الناس، توفّي بالكوفة سنة ٤٦٠)، انتهى[٣].

ولم أعرف إلى الآن من ذكر في ترجمة الشيخ، انتماءه إلى الشافعية غير السُّبكي، ولقد أورده من غير إسناد ولا إضافة إلى كتاب، ولا موافق له في كتب التواريخ والسِّير المُعدّة لذكر مثل ذلك، فهو من الأكاذيب الباطلة. وما أبعد ما بين هذا، وما صرَّح به بعض الأشاعرة في (تاريخ مصر): (من كونه رافضياً، قويَّ التشيُّع)[٤].

---

(١) المنتظم لابن الجوزي ٨: ٢٥٢، طبع حيدر آباد دكن سنة ١٣٥٩ هـ.

(٢) الكامل في التاريخ ١٠: ٥٨.

(٣) طبقات الشافعية ٢: ٤٢٣ رقم ٣١٦.

(٤) روضات الجنات ٦: ٢١٠.

ولنعم ما قيل في تاريخ وفاته:

يـا مرقَـد الطـوسيَّ فيـكَ قَـدْ انطـوى — مُحيـي العلـومِ فَعُـدْتَ أطيـبَ مَرْقَـدِ
بِـكَ شـيخُ طائفـةِ الـدُّعاةِ إلى الهـدى — ومُجَمِّـعُ الأحكـامِ بَعْـدَ تَبَـدُّدِ
أودى بِـشَهْرِ مُحَـرَّمٍ فأضـافَهُ — حُزنـاً بفـاجع رُزئـهِ المُتَجَـدِّدِ
وبكـى لـهُ الـشرعُ الـشريفُ مؤرِّخـا — (أبكـي الهُـدى والـدينَ فَقْـدُ مُحَمَّـدِ)[1]

(سنة ٤٦٠).

مرقد بحر العلوم بجنب مرقده

ومن محاسن الاتفاق: أن وقع مرقد جدّنا بحرُ العلوم – طاب ثراه- بجنب مرقد صاحب العنوان، فإنّه واقع فيما يلي جهة مغرب ذلك المسجد على يسار الداخل إليه من الباب، قيل: وكان ذلك بموجب وصية منه بذلك لبعض أصحابه وأحبابه، وولده العلاّمة السيِّد رضا رحمه الله.

وكانت وفاة السيِّد الجد رحمه الله سنة ١٢١٢، وذكر غير واحد من الأجلاّء: أنّه لمّا دفن وأُهيل عليه التراب سمع الحاضرون قائلاً لا يرون شخصه، ينشد هذين البيتين، ولم يعرف قائلهما إلى الآن:

لله قـبرُكَ مـن قـبرٍ تـضَمَّنَهُ — عِلـمُ النبيـينَ مِـنْ نـوحٍ إلى الخَلَـفِ
كانَـتْ حَياتُـكَ إحيـاءً لِمـا شَرَعـوا — وفي مماتِـكَ مَـوتُ العِلـمِ والـشَرَفِ[2]

---

(١) ديوان السيِّد رضا الهندي: ١٤٧.

(٢) الفوائد الرجالية ١: ١١٦ المقدمة.

ولنعم ما قيل في تاريخ وفاته:

غـــابَ إمـــامُ العــــصرِ عنَّـــا وبـــانْ ... وخُلّــــدِ اليــــومَ بــــأعلى الجنــــانْ

فَضَعْــضَعَ الــــدينَ وهــــدَّ الهُــــدى ... وأفجَـــعَ الإســـلامَ إنـــساً وجـــانْ

كـــلٌّ لـــه ينعـــى ونـــارُ الأســـى ... تُـــضرَمُ في أحـــشائِهِ والجنـــانْ

مَـــنْ للقـــضايا بعـــده والهُـــدى ... مَـــنْ للمعـــاني بعـــدَهُ والبَيـــانْ

اليـــومَ قَـــدْ غـــابَ إمـــامُ الهُـــدى ... مـــصباحُنا المُزهـــرُ فيـــه المَكـــانْ

جَـــدَّ فنـــالَ الفَخْـــرَ في جـــدِّهِ ... وفـــازَ في الخُلـــدِ بِحُـــورٍ حـــسانْ

مُـــذْ واحـــدُ العَـــصرِ مـــضى أرّخـــوا ... (قَـــدْ فَقَـــدَ المَهـــديّ هـــذا الزَّمـــانْ)[1]

وفي سنة ١٣٠٥ جُدِّد بناء هذا المسجد بعد قلعه من أساسه بعناية جدّي العلاّمة حسين آل بحر العلوم[2]، المتوفّى سنة ١٣٠٦، لما آذنت جدرانه إلى الانخفاض والسجود، فرغب بعض أهل الخير والسعادة في تجديد أساسه، فأُسّس بنيانه على تقوى، وأملي من أهل الخيرات الراغبين في القربات أن يلفتوا أنظارهم إلى هذا المسجد العظيم ويصلحوا ما فسد من أطرافه اليوم قبل أن يتسع الخرق على الراقع.

---

(١) لم أهتد إلى مصدره.

(٢) هو السيِّد حسين ابن السيِّد محمّد رضا ابن السيِّد محمّد مهدي آل بحر العلوم رحمه الله.

تنبيه: لا ينبغي القدح في من اختار بعض الأقوال التي ذهبت إليها جماعة العامّة، أو غيرهم من أهل الآراء الفاسدة، كما سمعت من العلاّمة رحمه الله: أن الشيخ رحمه الله كان يقول أولاً بالوعيد، ثُمَّ رجع[١].

القول بالوعيد

والقول بالوعيد هو: اختيار عدم جواز عفو الله عن الكبائر عقلاً من غير توبة. كما عليه جماعة الوعيدية، مثل: أبي القاسم البلخي وأتباعه، مع أنه خلاف ما اجتمع عليه الإمامية فإنها متَّفقة: على أنَّ المؤمن الَّذي عمل عملاً صالحاً يدخل الجنَّة خالداً فيها، وأما الَّذي خلط عملاً صالحاً بغير صالح فاختلفوا فيه[٢].

فقالت التفضيلية[٣] من أهل السُنّة والإمامية أجمع: أنه لا يجب تعذيبهم، بل قَدْ يعفو الله عنهم، أو يشفع النبي صلى الله عليه وآله فيهم؛ لقوله صلى الله عليه وآله: «**ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي**»[٤]، وقد يعاقبه لكن عقاباً منقطعاً؛ لأنه يستحق الثواب.

قال الصدوق رحمه الله في اعتقاداته: **(اعتقادنا في الوعد والوعيد: أنَّ من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار فإنْ عذَّبه فعدله، وإن عفا عنه فبفضله، وما ربُّك بظلام للعبيد. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[٥]. والله أعلم)**، انتهى[١].

---

(١) خلاصة الأقوال: ٢٤٩ رقم ٤٧.

(٢) التبيان ١: ٦١ (المقدمة).

(٣) التفضيلية: هم من يعتقد بعدم خلود مرتكبي الكبائر في جهنم، فيذهبون إلى أن الشفاعة تشمل المذنبين، وتؤثر في إسقاط العقاب عنهم (تفسير الأمثل ١: ٢٠٧).

(٤) تفسير التبيان ١: ٢١٣.

(٥) سورة النساء: ٤٨.

ويدل عليه من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

ومن السُّنّة ما ورد في (الكافي) و(تفسير العياشي) معاً، عن الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية: «أولئك قوم مؤمنون يحدثون في إيمانهم من الذنوب التي يعيبها المؤمنون ويكرهونها، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم»[3].

وفي تفسير العياشي خاصّة عنه عليه السلام في هذه الآية، قال: «والعسى من الله واجب، وإنما نزلت في شيعتنا المذنبين»[4].

قلت: ولا شكّ في استحسان صدق الوعد، وليس كذلك صدق الوعيد، ولذا لم يكن من أسمائه تعالى صادق الوعيد، ويقال له: صادق الوعد.

وقال تعالى: ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[5]، ولم يقل: ووعيده، بل قال: ويتجاوز عن سيئاته، مع أنه توعَّد عليها. وأثنى على إسماعيل بأنَّه كان صادق الوعد.

وكتب أرسطا طاليس في كتاب طويل إلى إسكندر بن فيلقوس: (صُنْ وعدَكَ عن الخُلفِ فإنَّه شَيْنٌ، وشِبْ وعيدَكَ بالعفوِ فإنَّه زَيْنٌ)[6].

---

(١) الاعتقادات: ٦٧.

(٢) سورة التوبة: ١٠٢.

(٣) الكافي ٢: ٤٠٨ ح٢، تفسير العياشي ٢: ١٠٦ح١٠٩.

(٤) تفسير العياشي ٢: ١٠٥ح١٠٥.

(٥) سورة إبراهيم: ٤٧.

(٦) شرح الأسماء الحسنى ١: ٨٩.

وقال الطبرسي في (المجمع) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ*وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١]: (ويمكن الاستدلال به على بطلان الإحباط؛ لأنّ الظاهر يدل على أنه لا يفعل أحد شيئاً من طاعة أو معصية، إلا ويجازى عليها، ومايقع محبطاً لا يجازى عليه. وليس لهم أن يقولوا: إنّ الظاهر بخلاف ما تذهبون إليه في جواز العفو عن مرتكب الكبيرة، وذلك لأنّ الآية مخصوصة بالإجماع، فإنّ التائب معفوٌّ عنه بلا خلاف، وعندهم إنّ من شرط المعصية التي يؤاخذ بها، أن لا تكون صغيرة. فجاز لنا أيضاً أن نشترط فيها أن لا يكون ممّا يعفو الله عنه)[٢].

الفتاوى الغريبة من بعض فقهائنا

وبالجملة فهو- أي جواز العفو- وإن صار من المسلّمات عند الإمامية، إلاّ أنّه لم يكن من الأُصول المسلّمة عند القدماء، بحيث يوجب عدم القول به قدحاً، انظر إلى ما ذكره علماء الرجال في ترجمة محمّد بن بشر السوسنجزدي من أنه: كان من عيون أصحابنا وصالحهم، متكلِّم جيِّد الكلام، صحيح الاعتقاد، وكان يقول بالوعيد. كذا في (الخلاصة)[٣]، وقريب منه في (فهرست النجاشي)[٤]، ومع فرض كونه من الأُصول فعدم اختياره لا يوجب قدحاً.

فقد ذهب المفيد رحمه الله إلى: أن الله تعالى لا يقدر على غير مقدور العبد. كما هو مذهب الجبائي.

---

(١) سورة الزلزلة: ٧- ٨

(٢) مجمع البيان ١٠: ٤١٧.

(٣) خلاصة الأقوال: ٢٦٦ رقم ١٥٦.

(٤) رجال النجاشي: ٣٨١ رقم ١٠٣٥.

والسيِّد المرتضى رحمه الله إلى مذهب البهشمية من أن إرادته تعالى عرض لا في محلّ.

والشيخ الجليل أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت إلى: جواز اللّذة العقلية عليه سبحانه، وأن ماهيته تعالى معلومة كوجوده، وأن ماهيته الوجود المعلوم، وأن المخالفين يخرجون من النار ولا يدخلون الجنّة.

والصدوق، وشيخه ابن الوليد، والطبرسي في (مجمع البيان)[(١)] ـ والسيِّد الجزائري في (الأنوار)، والمحقِّق الفيض على ما يظهر من سياق كلامه في (الوافي)، والطريحي في (مجمع البحرين) في مادة (ي. د. ي)، إلى: جواز السهو على النبي صلى الله عليه وآله[(٢)].

ومحمّد بن أبي عبد الله الأسدي إلى: الجبر والتشبيه[(٣)].

وابن جنيد رحمه الله فرّق بين علم النبي صلى الله عليه وآله بالشيء، وبين علم خلفائه بذلك الشيء، وكان يمنع من شهادة العبد العدل، وكان يلحق عرق الجنابة من الاحتلام بالجنابة من الحرام، وكان يقول بالقياس. فلهذا تركت مُصنَّفاته[(٤)].

وذهب صاحب الجواهر رحمه الله في وجه الجمع بين الأخبار الواردة في الكُرّ من حيث المساحة والوزن، مع ما هو المعلوم من زيادة مقدار المساحة على

---

(١) معراج الكمال في معرفة الرجال للشيخ سليمان الماحوزي المتوفّى ١١٢١ هـ عنه طرائف المقال ٢: ٦٠٧، رجال الخاقاني: ١٤٩، تعليقة على منهج المقال: ٧٨، عدا ما بين الشارحتين فإنه من المؤلِّف رحمه الله.

(٢) الأنوار النعمانية ٤: ٣٥، مجمع البحرين ٤: ٥٧٦.

(٣) تعليقة على منهج المقال: ٧٩.

(٤) ينظر: الحدائق الناضرة ٥: ٢٢٠، نتائج الأفكار: ٥٩، كتاب فتاوى ابن الجنيد للإشتهاردي.

مقدار الوزن إلى منع علم الإمام عليه السلام بنقص الوزن دائماً عن المساحة، قال رحمه الله: (ولا غضاضة فيه؛ لأنّ علمهم عليهم السلام ليس كعلم الخالق، فقد يكون قدَّروه بأذهانهم الشريفة، وأجرى الله الحكم عليه)[١].

حتّى أنّ العلاَّمة الأنصاري رحمه الله قال في ردّه: (ولم أجد من دفع الإشكال. نعم، دفعه بعض بوجه أشكل، فإنّ هذا يرجع إلى نسبة الغفلة في الأحكام الشرعية، بل الجهل المركّب إليهم! وتقرير الله سبحانه إياهم على هذا الخطأ؟! تعالى الله وتعالوا عن ذلك عُلوّاً كبيراً)[٢].

ونسب إلى هشام بن الحكم، وابن سالم، ويونس ما هو أعظم من ذلك، إلى غير ذلك ممّا يطول تعداده.

والحكم بعدم عدالة هؤلاء لا يلتزم به موحِّد يؤمن بالله، والّذي يظهر من كلمات أصحابنا المتقدّمين وسيرة أساطين المحدثين، أنّ المخالفة في غير الأُصول الخمسة لا توجب الفسق إلاّ أن يستلزم إنكار ضروري الدين كالتجسيم بالحقيقة لا بالتسمية، وكذا القول بالرؤية بالانطباع والانعكاس، وأمّا القول بها لا معها فلا، لأنه لا يبعد حمله على إرادة اليقين التام، وشدَّة الانكشاف العلمي.

وأمّا تجويز إدراك اللَّذة العقلية عليه تعالى مع تفسيرها بإدراك الكمال من حيث إنه كمال، فلا يوجب فسقاً.

ونسب ابن طاووس، والخواجة نصير الدين الطوسي، وابن فهد، والشهيد، وشيخنا البهائي رحمه الله، وجدّنا التقي المجلسي الأول، وغيرهم من الأجلّة إلى

---

(١) جواهر الكلام ١: ١٨٤.

(٢) كتاب الطهارة ١: ١٩١.

التصوُّف، وغير خفي أنَّ ضرر التصوُّف إنَّما هو فساد الاعتقاد من القول بالحلول، والوحدة في الوجود، أو الاتحاد، أو فساد الأعمال، كالأعمال المخالفة للشرع، والتي يرتكبها كثير من المتصوِّفة في مقام الرياضة والعبادة. وغير خفيٍّ على المطَّلعين على أحوال هؤلاء الأجلّة، أنَّهم منزّهون عن كلا الفسادَين قطعاً[1].

وبالجملة أكثر الأجلّة ليسوا بخالصين عن أمثال ما أشرنا إليه، ومن هنا يظهر التأمُّل في ثبوت الغلوّ والفساد للمذهب بمجرد رمي علماء الرجال من دون ظهور الحال.

ولا ريب في أنَّ من بذل وسعه في تحصيل الدليل، ولم يهتد إليه، ولم يقف عليه، فهو معذور عقلاً ونقلاً. ولذا لمّا سئل المحقّق القمي رحمه الله عن بيانات صاحب الوافي وتأوّلاته، وأنها حقة أم باطلة؟ أجاب: **(بأنَّ هذه التأويلات توجب الإضلال عن الدين، وانحراف القاصرين، ولولا احتمال الشبهة في حقِّ صاحب هذه التأويلات فهو مظنَّة التكفير. فتراه قَدْ جعل الشبهة عذراً)**[2].

والمنقول عن شيخنا البهائي رحمه الله: **(أن المكلَّف إذا بذل جهده في تحصيل الدليل فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده، ولا يخلد في النار، وإن كان بخلاف أهل الحق)**[3].

وهذا هو السرُّ الواقعي في عدم وجوب القضاء على المخالف إذا استبصر مع إتيانه على وفق مذهبه. فإنَّه فاعل في نفسه ما يراد منه، ولا يلزم أن يكون

---

(١) رجال الخاقاني: ١٤٩ نقله بطوله عن صاحب معراج الكمال.

(٢) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٣) الرسائل الرجالية للكلباسي ٢: ٥٠٧، ونسب القول في أعيان الشيعة ٩: ٢٤٣ عن الشيخ عبد الله البحراني.

علماء أهل الضلال ورؤساء الكفّار غير مخلّدين في النار إذا أوصلتهم شبههم وأفكارهم الفاسدة إلى ذلك، من غير اتّباع لأهل الحق.

وكأبي حنيفة وأحزابه؛ إذ يمكن أن يقال: لا نسلّم أن علماء الضلال قد بذلوا جهدهم في طلب الحق، ولم يقفوا عليه، حتّى يتمّ الإيراد بأمثال هؤلاء، ولاسيّما مع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1]، فيجوز أن يكون منهم من لم يبذل جهده، وإنّما بذل الجهد على مذهب الأسلاف عصبية، ومنهم من بذل الجهد وظهر له الحقّ، ولكن لحبّ الجاه والدولة والسلطان، ينقاد إلى الشقاوة، وقد خالف العامّة جملة من السنن النبوية المروية من طرقهم؛ لأنّ الشيعة ملازمة لها كمسألة تسطيح القبور، ونحوها.

وأمّا حديث سهو النبي صلى الله عليه وآله الشائع ذكره في أخبار الأئمة عليهم السلام حسب ما يستفاد من كلام الصدوق رحمه الله في الفقيه[2]، فيمكن الجواب عنه:

بأنّ ذلك وارد عنهم عليهم السلام، ولكن لا يلزم وقوع ذلك من النبي صلى الله عليه وآله لإمكان حمل ما ورد عنهم عليهم السلام على التقيّة؛ نظراً إلى شيوع ذلك عند العامّة بحيث يعدّ من المسلّمات عندهم.

ففي مصابيح البغوي ومشكوة الطبي: (أنه من المتّفق على روايته، كما في صحيح البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة، قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر، فسلّم في ركعتين...) الحديث[3].

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٣٥٨.

(٣) صحيح البخاري ٢: ٦٦، صحيح مسلم ٢: ٨٧.

سبب مهاجرة الشيخ من بغداد

وأما الفتنة التي أوجبت مهاجرة الشيخ من بغداد إلى النَّجف، فظنّي أنها هي التي ذكرها ابنُ الأثير في حوادث سنة ٤٤٣، ولعلّها خمدت ثُمَّ استجدت في سنة ٤٤٨؛ لأنه ذكر زيادتها في أول سنة ٤٤٥، فمن المحتمل قوياً استمرارها إلى ذلك التاريخ. ولم استحضر ـ حالَ التحرير ـ تاريخ ابن كثير لأنظر ما فيه[١].

والمنقول عنه أنه: (وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب المساكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود، ففزع أهل الكرخ وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب: (محمّد وعلي خير البشر).

وأنكر السُنّة ذلك وادعوا: أن المكتوب: (محمّد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر).

وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا: ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العبَّاسيين، ونقيب العلويين،

---

(١) في البداية والنهاية ١٢: ٧٩، ما نصّه: (ثُمَّ دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسُنّة، فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب: محمّد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر. فأنكرت السُنّة إقران علي مع محمّد صلى الله عليه وسلم في هذا، فنشبت الحرب بينهم، واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول، فقتل رجل هاشمي فدفن عند الامام أحمد، ورجع السُنّة من دفنه فنهبوا مشهد موسى بن جعفر وأحرقوا من ضريح موسى ومحمّد الجواد، وقبور بني بويه، وقبور من هناك من الوزراء وأحرق قبر جعفر بن المنصور، ومحمّد الأمين، وأمّه زبيدة، وقبور كثيرة جداً، وانتشرت الفتنة وتجاوزوا الحدود، وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضاً بمفاسد كثيرة، وبعثروا قبورا قديمة، وأحرقوا من فيها من الصالحين، حَتّى همّوا بقبر الامام أحمد، فمنعهم النقيب، وخاف من غائلة ذلك، وتسلّط على الرافضة عيّار يقال له: القطيعي، وكان يتبع رؤوسهم وكبارهم فيقتلهم جهاراً وغيلة، وعظمت المحنة بسببه جداً، ولم يقدر عليه أحد، وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر، ولما بلغ ذلك دبيس بن علي بن مزيد - وكان رافضياً - قطع خطبة الخليفة، ثُمَّ روسل فأعادها) .

وهو: عدنان ابن الرضي[١]؛ لكشف الحال وإنهائه، فكتبا بتصديق قول الكرخيين، فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكفّ القتال، فلم يقبلوا، وانتدب ابن المذهب القاضي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامّة على الإغراق في الفتنة، فأمسك الملك الرحيم عن كفّهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة، ومنع هذه السنة من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ، وكان نهر عيسى قَدْ انفتح بثقه[٢] فعظم الأمر عليهم. وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة، وحملوا الماء وجعلوه في الظروف وصبّوا عليه ماء الورد ونادوا: الماء للسبيل. فأغروا به السُنّة.

وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة[٣] فمحوا: (خير البشر) وكتبوا: (عليهما السلام). فقالت السُنّة: لا نرضى إلا أن يقلع الآجر الَّذي عليه محمّد وعلي، وأن لا يؤذن: (حيَّ على خير العمل)، وامتنع الشيعة من ذلك، ودام القتال [من أول صفر][٤] إلى ثالث ربيع الأول، وقتل فيه رجل هاشمي من السُنّة، فحمله أهله على نعش وطافوا به في الحربية وباب البصرة وسائر محال السُنّة. واستنفروا الناس للأخذ بثأره، ثُمَّ دفنوه عند أحمد بن حنبل وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ما تقدَّم.

---

(١) الشريف عدنان هو ابن الشريف الرضي، ولي النقابة بعد وفاة عمّه الشريف المرتضى. واستمر إلى أن توفي ببغداد سنة ٤٤٩هـ

(٢) انفتح بثقه: أي كسر سده. بثق السيل: أي خرق وشق. (العين ٥: ١٣٩)

(٣) أبو القاسم ابن المسلمة علي بن الحسن بن أحمد وزير القائم بأمر الله مكث في الوزارة اثنتي عشرة سنة وشهراً، قتله البساسيري سنة ٤٥٠ . قال ابن كثير في تاريخه ١٢: ٦٨ ما نصّه: (كان كثير الأذية للرافضة، ألزم الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل، وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم. مرتين. وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة: محمّد وعلي خير البشر. وأمر رئيس الرؤساء بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره) .

(٤) ما بين المعقوفين من المصدر.

فلمّا رجعوا من دفنه، قصدوا باب مشهد التبن(١) [أي مشهد الإمامين الكاظمين عليهما السلام](٢) فأغلق بابه فنقّبوا في سورها وتهدّدوا البوّاب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك. وأدركهم الليل فعادوا، فلمّا كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع الترب والآزاج، واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمّد بن علي، والجوار والقبتان الساج اللّتان عليهما، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه معز الدولة وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء، وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور، وقبر الأمين محمّد ابن الرشيد، وقبر أُمّه زبيدة، وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله.

فلمّا كان الغد، خامس الشهر، عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمّد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر إلى جانبه، وسمع أبو تمّام نقيب العبّاسيين وغيره من الهاشميين والسُنّة الخبر، فجاؤوا ومنعوا عن ذلك.

وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه وقتلوا مدرِّس الحنفية أبا سعد السرخسي، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء، وتعدَّت الفتنة إلى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بج والأساكفة وغيرهم، ولما انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد، عظم عليه واشتد وبلغ منه كلَّ مبلغ، لأنه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل كلهم شيعة. فقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله

---

(١) باب التبن: اسم محلة كبيرة ببغداد على الخندق وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل ويلصق هذا الموضع في مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم، ويعرف قبره بمشهد باب التبن. (معجم البلدان ١: ٣٠٦).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

فروسل في ذلك وعوتب فاعتذر بأن أهل ولايته شيعة، واتّفقوا على ذلك، فلم يمكنه أن يشق عليهم ، كما أن الخليفة لم يمكنه كف السفهاء عما فعلوا بالمشهد مـافعلوا)، انتهى[١].

الشيخ المفيد

وأمّا المفيد: فقد كان كثير المحاسن، جم المناقب، حديد الخاطر، دقيق الفطنة، مُتَضلّعاً بالرجال والأخبار والأشعار، وأوثق أهل زمانه في الحديث. صاحب التوقيعات المعروفة المهدوية، على موقِّعها آلاف الثناء والتحيَّة.

وقد ذكر [النجاشي][٢] نسبه هكذا: (أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير بن وهيب بن هلال بن أوس بن سعيد بن سنان بن عبد الدار بن الريان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن علة بن خلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

وفي رجال النجاشي: (شيخنا وأستاذنا رضي الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه، والكلام، والرواية، والثقة، والعلم. ثُمَّ عدَّ مؤلفاته وقال: مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثلثمائة، وصلّى عليه الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين بميدان الأشنان، وضاق على الناس مع كبره، ودفن في داره سنين، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيِّد أبي جعفر عليه السلام ـ عند

---

(١) الكامل في التاريخ ٩: ٥٧٥ حوادث سنة ٤٤٣، كما وذكرها ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٩: ٣٥٧، والعماد في شذرات الذهب ٣: ٢٧٠، فليراجع.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

الرجلين إلى جنب قبر شيخه الصدوق: أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه ـ وقيل مولده سنة ٣٣٨)[١].

وفي الفهرست للشيخ الطوسي رحمه الله: (يكنّى أبا عبد الله، المعروف بابن المعلّم، من جملة متكلّمي الإمامية. انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدِّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب. وله قريب من مائتي مصنَّف كبار وصغار.

قال رحمه الله: وكان يوم وفاته يوماً عظيماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء، من المخالف والموافق)[٢].

وعن تاريخ اليافعي المسمّى بمرآة الجنان عند ذكر سنة ٤١٣: (وفيها توفّي عالم الشيعة، وإمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلّم، البارع في الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية.

قال ابن أبي طيّ: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللّباس.

وقال غيره: كان عضد الدولة وربما زار الشيخ المفيد ـ ولمّا فاق في بحث الإمامة على عبد الجبار المعتزلي، أهدى إليه السلطان المذكور فرساً مقلَّدة بالذهب، وخلعه بنفائس الخلع، واقتطع له جملة من القرى التي حول بغداد ـ وكان شيخاً،

---

(١) رجال النجاشي: ٣٩٩ رقم ١٠٦٧، وما بين الشارحتين من المؤلِّف رحمه الله.

(٢) الفهرست للطوسي: ٢٣٨ رقم ١٢٦/٧١١، مع اختصار لبعض الألفاظ.

ربعة، نحيفاً أسمر، عاش ستاً وسبعين سنة، وله أكثر من مائة مصنف، وكانت جنازته مشهودةً، شيَّعهُ ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة، وأراح الله منه)[١].

وعن تاريخ ابن كثّير الشامي أنه قال فيه: (محمّد بن محمّد بن النعمان، أبو عبد الله، المعروف بابن المعلِّم، شيخ الإمامية الروافض، والمصنِّف لهم، والمحامي عن حوزتهم، كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف لميل كثير من أهل ذلك الزَّمان إلى التشيُّع، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف)[٢].

وقال جدّي بحر العلوم رحمه الله: (وحكي عن الشيخ يحيى بن بطريق الحلِّي صاحب كتاب (العمدة).. وغيره، أنّه: ذكر في رسالة نهج العلوم لتزكية الشيخ المفيد رحمه الله طريقين: إحداهما ما يشترك بينه وبين غيره من أصحابنا الثقات).

الرؤية في الغيبة الكبرى

وثانيهما: ما يختص به، وهو ما ترويه كافة الشيعة وتتلقّاه بالقبول من أنّ مولانا صاحب الأمر ـ صلوات الله عليه وعلى آبائه ـ كتب إليه ثلاثة كتب، في كلّ سنة كتاباً، وكان نسخة عنوان الكتاب: للأخ السديد والوليّ الرشيد الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه.

ثُمَّ قال: وهذا أوفى مدح وتزكية، وأزكى ثناء وتطرية، بقول إمام الأُمَّة وخلف الأئمّة عليهم السلام.

ثمّ قال رحمه الله: وقد يشكل أمر هذا التوقيع بوقوعه في الغيبة الكبرى مع جهالة حال المبلّغ ودعواه المشاهدة المنفيّة بعد الغيبة الصغرى.

---

(١) مرآة الجنان ٣: ٢٢، سوى ما بين الشارحتين.

(٢) البداية والنهاية ١٢: ١٩.

ويمكن دفعه باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن واشتمال التوقيع على الملاحم والأخبار عن الغيب الَّذي لا يطَّلع عليه إلاّ الله وأولياؤه بإظهاره لهم، وإنّ المشاهدة المنفيّة: أن يشاهد الإمام ويعلم أنّه الحجّةعليه السلام حال مشاهدته له، ولم يعلم من المبلغ ادعاؤه ذلك.

وقد يمنع أيضاً امتناعها في شأن الخواص، وإن اقتضاه ظاهر النصوص بشهادة الاعتبار، ودلالة بعض الآثار[1].

وقالرحمه الله في فوائده الأُصوليّة في بحث الإجماع بعد اشتراط دخول كل من لا نعرفه ممَّن يحتمل كونه الإمامعليه السلام: (وربّما يحصل لبعض حفظة الأسرار من العلماء الأبرار العلم بقول الإمامعليه السلام بعينه على وجه لا ينافي امتناع الرؤية في مدّة الغيبة، فلا يسعه التصريح بنسبة القول إليهعليه السلام فيبرزه في صورة الإجماع جمعاً بين الأمر بإظهار الحق والنهي عن إذاعة مثله بقول مطلق، لكنَّ هذا على تقديره طريق آخر بعيد الوقوع، مختص بالأوحدي من الناس، وذلك في بعض المسائل الدينيّة بحسب العناية الربَّانيّة)، انتهى[2].

فتراهرحمه الله معترفاً بإمكان الرؤية في مثل هذه الأزمنة التي هي زمن الغيبة الكبرى، وإنّي أعتقد أنه عنى بقوله: (مختص بالأوحدي من الناس) نفسه القدسيّة؛ فإنّ وقوع مثل ذلك له ممَّا هو مسلّم عند كافة من تأخَّر عنه[3].

---

(١) الفوائد الرجالية ٣: ٣٢٠.

(٢) فوائد الأُصول: ٨٢، ضمن فائدة ٢٣.

(٣) ويؤيد هذا القول ما ذكره الشيخ النوريقدس سره عنه في كتابه جنّة المأوى فإنه نقل أربع حكايات تضمّنت لقاء السيِّد بحر العلوم بالإمام المهدي عجل الله فرجه.

وقال السيِّد المرتضى رحمه الله في تنزيه الأنبياء: (فإن قيل: فإذا كان الإمام عليه السلام غائباً بحيث لا يصل إليه أحد من الخلق ولا يُنتفع به، فما الفرق بين وجوده وعدمه؟ ...إلى أن قال: الجواب: قلنا: أوّل ما نقوله إنّا غير قاطعين على أنّ الإمام عليه السلام لا يصل إليه أحد ولا يلقاه عليه السلام بشر، فهو أمر غير معلوم ولا سبيل إلى القطع إليه)، انتهى[1].

وقال المحقّق الشيخ أسد الله التستري عليه السلام في رسالة كشف القناع: (الثاني عشر من وجوه الإجماع وهو ملحق بها صورة: أن يحصل لبعض حملة أسرار الأئمّة العلم بقول الإمام الغائب بعينه، بنقل أحد سفرائه وخَدَمته سرّاً على وجه يفيد اليقين، أو بتوقيعه ومكاتبته، كذلك، أو بسماعه منه مشافهة على وجه لا ينافي في امتناع الرؤية في زمن الغيبة).

ثُمَّ ساق كلامه إلى أن قال: (ولا ريب أن حصول العلم لبعض الخواص بقول الإمام عليه السلام على نحو ما ذكر أمر يمكن في نفسه، ولوقوعه شواهد من الأخبار والآثار، ويجوز له التوسل في إظهار الحق بما قلناه، حيث لم يكن مأموراً بستره مطلقاً، ولا يمنع الأمر بستره عن الأعداء، أو عمّن لا يحمل ذلك كما لا يخفى، فيكون حجّة على نفسه لكونه من السنّة، وعلى غيره بعد إبرازه ـ على نحو ما ذكر ـ لكونه من الإجماع، وربما يكون هذا هو الأصل في كثير من الزيارات والآداب والأعمال المعروفة التي تداولت بين الإمامية ولا مستند لها ظاهراً من أخبارهم، ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار الأئمة عليهم السلام وأسرارهم، ولا إمارة تشهد بأن منشأها أخبار مطلقة، أو وجوه اعتبارية مستحسنة، هي التي دعتهم إلى إنشائها وترتيبها، والاعتناء بجمعها، وتدوينها، كما هو الظاهر في جملة منها.

---

(١) تنزيه الأنبياء: ٢٣٥.

كما روى والد العلاّمة، وابن طاووس طاب ثراهما، عن السيِّد الكبير رضي الدين محمّد بن محمّد الآوي الحسيني المجاور بالمشهد المقدس الغروي ـ قدس الله روحه ـ عن صاحب الزّمان صلوات الله عليه في طريق الاستخارة بالسبحة، وغيره أيضاً على ما يظهر من كلام الشهيد رحمه الله، وكما هو مروي عنه في قصة الجزيرة الخضراء المعروفة المذكورة في البحار، وتفسير الأئمة وغيرهما، وكما سمعه منه عليه السلام ابن طاووس في السرداب الشريف، وكما علّمه عليه السلام محمّد بن علي العلوي الحسيني المصري في حائر الحسين وهو بين النائم واليقظان، وقد أتاه الإمام عليه السلام مكرّراً وعلمه إلى أن تعلّمه في خمس ليال وحفظه ثُمَّ دعا به واستجيب دعاؤه، وهو دعاء العلوي، المصري، المعروف، وكغير ذلك ممّا يقف عليه المتتبع، ويحتمل أن يكون هو الأصل أيضاً في كثير من الأقوال المجهولة القائل). انتهى[(١)].

وإنّما آثرنا نقل كلامه بطوله لوفور فوائده، وغزارة محصوله.

وقال شيخنا البهائي في شرح الحديث السادس والثلاثين من كتاب شرح الأربعين عند قول أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهُمَّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجية، إما ظاهر مشهور، أو خائف مستور»[(٢)]، أي: (مستتر غير متظاهر بالدعوى إلاّ للخواص، كما كان من حاله عليه السلام في أيام خلافة من تقدم عليه، وكما كان من حال الأئمّة عليهم السلام من ولده، وكما هو في هذا الزّمان من حال مولانا وإمامنا الحجّة المنتظر محمّد بن الحسن المهدي سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين)[(٣)].

---

(١) كشف القناع: ٢٣٠.

(٢) في المصدر: (خائف مغمور).

(٣) الأربعون حديثاً للبهائي: ٤٢٩.

وقال المجلسي في (غيبة البحار) عند بيان وجه تشبيهه عليه السلام بالشمس: (إنّ الشمس قَدْ تخرج من السحاب وينظر إليه واحد دون واحد، فكذلك يمكن أن يظهر عليه السلام في أيام غيبته لبعض الخلق دون بعض)(١).

وقال أيضاً في باب (إنه عليه السلام يشهد ويرى الناس ولا يرونه): (لعلّه محمول على من يدّعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة، على مثال السُّفراء، لئلاً ينافي الأخبار التي مضت. وستأتي فيمن رآه عليه السلام). انتهى(٢).

ولعلّ المراد بالآثار التي ادعوا شهادتها على المدّعي، الوقائع المذكور أغلبها في البحار في الباب الَّذي جعله لخصوص من ادّعى الرؤية في الغيبة الكبرى(٣)، وزاد على ذلك العلاّمة النوري في رسالته (جنّة المأوى)(٤) وكتاب (دار السلام) من الحكايات الصادقة والأحاديث الرائقة في حقّ الفائزين بشرف حضوره عليه السلام(٥)، وقد بلغت في حد الكثرة والتواتر ما لا يسع أحداً إنكاره، أو

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٩٤.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ١٥١.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٥١- ١٥٩ باب (من ادّعى الرؤية في الغيبة الكبرى وإنه عليه السلام يشهد ويرى الناس ولا يرونه) وفيه واحد وعشرون حديثاً، وص ١٥٩-١٨١ باب نادر (في ذكر من رآه في الغيبة الكبرى قريباً من زماننا) وفيه ست حكايات.

(٤) (جنة المأوى: فيمن فاز بلقاء الحجة ومعجزاته في الغيبة الكبرى، للحاج ميرزا حسين بن محمّد تقي النوري الطبرسي المتوفّى ليلة الاربعاء (٢٧ - ج ٢ - ١٣٢٠هـ) ، مستدرك لباب من رأى الحجّة من المجلد الثالث عشر من البحار، جمع فيه من لم يذكره العلامة المجلسي أو من كان بعده، أورد فيه تسعاً وخمسين حكاية، وفرغ منه في (١٣٠٢هـ) وطبعه الحاج محمّد حسن الأصفهاني أمين دار الضرب في آخر المجلد الثالث عشر وطبع ثانياً في طهران في (١٣٣٣ هـ)). (ينظر: الذريعة ٥: ١٥٩ رقم٦٧٥)

(٥) (دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: للعلاّمة النوري فرغ من تأليفه في (١٢٩٢ هـ) وهي السنة الثانية من نزوله بسامراء، وطبع بطهران كلا مجلديه في (١٣٠٥هـ) ضمن مجلد ضخم كبير أودع في أول مجلديه مطالب متعلقة بالمنام من حقيقته وسببه وعوارضه من أحكامه وآدابه في الشرع وما يتعلق بالرؤيا وأنواعه وتعبير الرؤيا وذكر بعض المنامات وغيرها

خصوص ما رواه في (الكافي) و(الغيبة) للنعماني، والشيخ الطوسي بأسانيد معتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بد له في غيبته من عزلة، وما بثلاثين من وحشة»[1].

وظاهر الخبر كما صرّح به شرّاح الحديث أنه عليه السلام: يستأنس بثلاثين من أوليائه في غيبته، ومن المعلوم أنّ هذا العدد من الرجال يتبادلون في كل قرن لعدم التقدير لعمرهم، مثل ما قدر له عليه السلام وعليه[2].

فما في بعض الأخبار كما في غيبة الشيخ الطوسي، واحتجاج الطبرسي، بل وإكمال الدين للصدوق، أنه خرج التوقيع إلى أبي الحسن السيمري[3]: «يا علي بن محمّد السيمري: اسمع، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي من شيعتي من يدعي

وأما مجلده الثاني فلقد رتّب فيه مكارم الأخلاق على الحروف الهجائية لتسهيل التناول وأورد في كل واحد منها الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في مدحه أو ذم نقيضه). (ينظر: الذريعة ٨: ٢٠ رقم ١٥)

ويوجد كتاب آخر متعلق برؤيته عجل الله فرجه أيضاً وبنفس الاسم وهو دار السلام فيمن فاز بسلام الإمام- أي صاحب الزّمان عجل الله فرجه-: للشيخ محمود بن جعفر الميثمي العراقي نزيل طهران والمتوفّى بها حدود (١٣١٠ هـ) فارسي، وكأنه ترجمة ومستدرك لباب من رأى الحجة عليه السلام من الجزء الثالث عشر من كتاب البحار، رتبه على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة فرغ منه (١٣٠١) وطبع بطهران (١٣٠٣ هـ). (ينظر: الذريعة ٨: ٢٠ رقم ١٨)

(١) الكافي ١: ٣٤٠ ح١٦، الغيبة للنعماني: ١٨٨ ح٤١، الغيبة للطوسي: ١٦٢ ح١٢١ بتفاوت يسير.

(٢) بحار الأنوار ٥٣: ٣٢٠ والشارح له هو العلامة المجلسي رحمه الله.

(٣) كذا ذكره المؤلِف رحمه الله، وهو في بعض الكتب المتأخرة كخلاصة الأقوال وجامع الرواة وكشف الغطاء، بينما ضبط في الكثير من الكتب الرجالية وكتب الغيبة المتقدمة بـ(السمري)، فلاحظ.

المشاهدة؛ ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني، والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»(١).

لعلّه محمول على من يدّعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة على مثال السُّفراء، كما وقع ذلك في أثناء الغيبة الصغرى من جماعة من المذمومين الّذين ادّعوا البابية والسفارة كذباً وافتراء، كأبي محمّد الحسن الشريعي: فإنه أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلاً له، وكذّب على الله وعلى حججه عليهم السلام، ونسب إليهم ما لا يليق بهم، وما هم منه براء. فلعنه الشيعة وتبرأت منه، وخرج التوقيع من الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه.

المدّعون المشاهدة مع النيابة

ثم تبعه في الدعوى من بعده: محمّد بن نُصَير ـ بالنون المضمومة، والصاد المهملة المفتوحة ـ النُّميري، وأبو طاهر محمّد بن علي بن بلال، والحسين بن منصور الحلاّج، وابن أبي العزاقر محمّد، المعروف بالشلمغاني(٢).

وقد خرج التوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعاً على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح نسخته: **«عرّفك الله الخير، أطال الله بقاءك، وعرّفك الخير كلّه، وختم به عملك ـ من تثق بدينه وتسكن إلى نيّته من إخواننا أسعدكم الله ـ وقال ابن داود: أدام الله سعادتكم من تسكن إلى دينه وتثق بنيّته ـ بأن محمّد بن علي المعروف بالشلمغاني، عجّل الله له النقمة ولا أمهله قَدْ ارتدّ عن الإسلام وفارقه، وألحد في دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جلّ وتعالى،**

(١) الغيبة للطوسي: ٣٩٥ ح ٣٦٥، الاحتجاج ٢: ٢٩٧، كمال الدين: ٥١٦ ح ٤٤.

(٢) ينظر ذكرهم في: الغيبة للطوسي: ٣٩٧ — ٤١٥ باب ذكر المذمومين الّذين ادّعوا البابية.

وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً... إلى أن قال عليه السلام: إننا في التوقّي والمحاذرة منه مثل ما كنّا عليه ممَّن تقدّمه من نظرائه من الشريعي، والنُّميري، والهلالي، والبلالي، وغيرهم. وعادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه نثق، وإياه نستعين، وهو حسبنا في كل أُمورنا ونعم الوكيل»[١].

والشلمغاني هو: أبو جعفر محمّد، ممّن ذهب إلى طهارة جلد الميتة التي هي من حيوان طاهر حال الحياة، ولو دبغ بشيء من النجس.

وعن الشيخ الطوسي وغيره أنّه: (كان مستقيم الطريقة، ثُمَّ تغيَّر وظهرت منه مقالات منكرة، وأن له من الكتب التي عملها في حال استقامته كتاب (التكليف)[٢]، ثُمَّ غلا وظهرت منه مقالات منكرة).

وصرَّح في شهادات اللمعة بكونه من الغلاة[٣].

وفي الروضة البهية: (أن هذا الرجل الملعون كان من الشيعة أولاً، وصنّف كتاباً سمّاه كتاب (التكليف)، ثُمَّ غلا، وظهر منه مقالات منكرة فتبرأت الشيعة منه، وخرج فيه توقيعات كثيرة من الناحية المقدّسة على يد أبي القاسم ابن روح وكيل الناحية، فأخذه السلطان وقتله). انتهى[٤].

والشريعي: كان من أصحاب أبي الحسن علي الهادي عليه السلام، ثُمَّ الحسن العسكري عليه السلام.

---

(١) الغيبة للطوسي: ٤١٠.

(٢) الفهرست للطوسي: ٢٢٤ رقم ٤٢/٦٢٧.

(٣) اللمعة الدمشقية: ٨٥.

(٤) الروضة البهية ٣: ١٣٩.

والنُّميري: كان من أصحاب أبي محمّد الحسن بن علي، فلمّا توفّي أبو محمّدعليه السلام ادّعى مقام أبي جعفر محمّد بن عثمان.

وكان من أفاضل أهل البصرة علماً، وكان ضعيفاً ومنه بدؤ النصيرية وإليه ينسبون، كذا في خلاصة العلاّمة(١).

وأما أبو طاهر [محمّد بن علي بن بلال](٢): فقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه، وتمسُّكه بالأموال التي كانت عنده للإمامعليه السلام، وامتناعه من تسليمها، وادِّعائه أنَّه الوكيل حَتَّى تبرّأ الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزَّمانعليه السلام ما هو معروف(٣).

الحلاج وماقيل فيه

وأمّا الحسين بن منصور الحلاّج: فقد ذكر الشيخرحمه الله له أقاصيص(٤)، وقد ردّ عليه كبار المشايخ المتقدّمين والمتأخّرين، كالجنيد والشيخ أبي جعفر محمّد بن بابويه رئيس المحدّثين، والشيخ الطبرسي، والمرتضى، والعلاّمة، وابن طاووس صاحب الكرامات، والشيخ ابن فهد الحلِّي، والمجلسي(٥).

وجدَّ حامد الوزير للمقتدر العبَّاسي أن يسلّمه إليه، وسعى في قتله، وسلّمه إلى الشرطي ليلاً فأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩، فأخرجه إلى باب الطاق فضربه الجلاّد ألف سوط، فلم يتأوّه شيئاً، ثُمَّ قطع أطرافه الأربعة،

---

(١) خلاصة الأقوال: ٤٠٥ رقم ٦١.

(٢) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٣) الغيبة للطوسي: ٤٠٠.

(٤) الغيبة للطوسي: ٤٠١.

(٥) للشيخ المفيد كتاب الرد على أصحاب الحلاج. (ينظر: رجال النجاشي: ٤٠١ ضمن ترجمة الشيخ المفيد)

ثُمَّ حزّ رأسه، وأحرق جثته بالنار، ولمّا صارت رماداً ألقاها في دجلة، ونصب رأسه على الجسر. وأرخ بعضهم ذلك بكلمة: (شط).

وأكبر ما نقل في حقه: ما ذكره السيِّد الداماد في (رواشحه السماوية)، في آخر الراشحة السابعة والثلاثين، قال: (ولقد رأيت في بعض آثار الصوفية أن الحسين بن منصور الحلاّج كان ينوي في أول شهر رمضان ويفطر يوم العيد، ويختم القرآن في كل ليلة في ركعتين، وفي كل يوم في مائتي ركعة، وكان يلبس السواد يوم العيد، ويقول: هذا لباس مأتم من يرد عمله. ثُمَّ قال رحمه الله: فلعل هذا في مذهب استحقار الطاعة، واستكبار المعصية في سبيل العبودية وجه آخر لاتخاذ عيد الفطر يوم مأتم.

وبالجملة: العارف إنما يتعيد بضاحية نهار العرفان، والعاشق إنما يتنورز بطلوع شمس وجه الحبيب في نيروز خلع الأجساد، ورفض الأبدان.

جعلنا الله سبحانه من أهل سعادة لقائه، ومن المبتهجين ببهجة الاستضاءة بنوره، والابتهاء ببهائه بحرمة أخلائه من سفرائه وأصفيائه من أوليائه)، انتهى[1].

قال المحقّق الماحوزي في رجاله (بُلغةُ المُحدّثين): (والعجب من صاحب مجالس المؤمنين[2]، وصاحب كتاب محبوب القلوب، وغيرهما حيث بالغوا في مدحه وادّعوا: أنّه من الأولياء الكُمَّل وهو عجيب). انتهى[3].

---

(١) الرواشح السماوية: ١٩٦.

(٢) مجالس المؤمنين ٢: ٣٦.

(٣) بلغة المحدثين: ٣٥٣.

وذكروا من جملة كتب المفيد رحمه الله: (أن له كتاباً في الرد على أصحاب الحلاّج، وهو كافٍ في قدحه، وفساد طريقته)[١].

رجع إلى ترجمة الشيخ المفيد

قال جدّي بحر العلوم رحمه الله: (ويعلم من تاريخ تولده ووفاته رضي الله عنه أنّه عمَّر خمساً ـ أو سبعاً ـ وسبعين سنة، وأنّه أدرك جميع الطبقة الثامنة، وثلاث عشرة سنة من الطبقة التاسعة، ولم يدرك شيئاً من الغيبة الصغرى؛ فإنّها انقضت بوفاة أبي الحسن علي بن محمّد السمري ـ آخر السفراء ـ سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وهي سنة تناثر النجوم، وولادة المفيد متأخّرة عنها بسبع سنين أو أكثر)[٢].

وفي (مجالس المؤمنين): أنَّ هذه الأبيات لصاحب الأمر عليه السلام وجدت مكتوبة على قبره طاب ثراه:

لا صَوَّتَ النّاعي بفقدِكَ إنَّه ... يومٌ على آلِ الرسولِ عظيمُ

إن كُنْتَ قَدْ غُيِّبْتَ في جَدَثِ الثَّرى ... فالعِلمُ والتوحيدُ فيكَ مُقيمُ

والقائِمُ المهديُّ يَفرَحُ كُلَّما ... تُلِيَتْ عَليكَ مِنَ الدُّروسِ عُلومُ[٣]

ابن قولويه

وأمّا أبو القاسم فهو: الشيخ المحدِّث، المُتقِن، المتبحّر، الفقيه، الجليل، أبو القاسم جعفر بن محمّد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمّي.

---

(١) رجال النجاشي: ٤٠١ ضمن ترجمة الشيخ المفيد.

(٢) الفوائد الرجالية ٣: ٣٢١.

(٣) مجالس المؤمنين ١: ٤٧٧.

قال النجاشي: (كان أبو القاسم من ثقات أصحابنا وأجلائهم في الحديث والفقه. روى عن أبيه وأخيه عن سعد، وقال: ما سمعت من سعد إلاّ أربعة أحاديث.

وعليه قرأ شيخنا أبو عبد الله الفقه ومنه حمل، وكلّ ما يوصف به الناس من جميل وثقة وفقه فهو فوقه، له كتب حسان...قرأت أكثر هذه الكتب على شيخنا أبي عبد الله، وعلى الحسين بن عبيد الله)، انتهى[1].

وهو من كبار مشايخ شيخنا المفيد، ومدفون أيضاً في جنبه، بالقرب من مرقد مولانا الجوادعليه السلام. وفي بعض التواريخ الفارسية المعروفة بـ(نامه دانشوران): أنّه مدفون بقم، وهو اشتباه، فإنّ المدفون هناك هو والده أعني: محمّد بن قولويه، كما هو المصرّح به في جملة من التواريخ.

وله: كتاب (جامع الزيارات)، وكتاب (فهرست ما كان يرويه من الكتب والأُصول).

ومات رحمه الله سنة ٣٦٩، وكتابه (جامع الزيارات) هو المعروف في زماننا بـ(كامل الزيارات).

محمد بن يعقوب الكليني

وأمّا أبو جعفر فهو: ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازيّ، صاحب (الكافي) وابن أُخت علاّن الكليني.

وقال ابن الأثير في جامع الأُصول: (أبو جعفر محمّد بن يعقوب الرازيّ، الفقيه، الإمام على مذهب أهل البيتعليهم السلام، عالم في مذهبهم كبير، فاضل عندهم مشهور، وعدّه في حرف النون من كتاب (النبوّة) من المجدّدين لمذهب الإماميّة على

---

(١) رجال النجاشي: ١٢٣ رقم ٣١٨.

رأس المائة الثالثة، إشارة إلى الحديث المشهور المرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «إنّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها»[(١)][(٢)].

وقال النجاشي: (ومات أبو جعفر الكليني رحمه الله ببغداد، سنة ٣٢٩، سنة تناثر النجوم، وصلّى عليه محمّد بن جعفر الحسني[(٣)]، أبو قيراط، ودفن بباب الكوفة.

وقال لنا أحمد بن عبدون: كنت أعرف قبره وقد دُرس[(٤)])[(٥)].

قال جدّي العلاّمة رحمه الله: (ثُمَّ جُدِّد، وهو إلى الآن مزار معروف بباب الجسر، وهو باب الكوفة، وعليه قُبَّة عظيمة)[(٦)].

قال السيِّد هاشم البحراني في كتابه (روضة العارفين): (إنَّ بعض ولاة بغداد رأى بناء القبر فسأل عنه، فقيل: إنّه لبعض الشيعة، فأمر بهدمه وحفر القبر، فرأى فيه جسداً بكفنه لم يتغيّر، ومعه آخر صغير كأنه ولده بكفنه أيضا، فأمر بإبقائه وبنى عليه قُبَّة.

---

(١) ينظر الحديث في: سنن أبي داود ٢: ٣١١ ح٤٢٩١، مستدرك الحاكم ٤: ٥٢٢، المعجم الأوسط ٦: ٣٢٤، المجموع ١: ٥٠٩.

(٢) جامع الأُصول ١١: ٣٢٣.

(٣) في الأصل: (الحسيني) وما أثبتناه من رجال الشيخ الطوسي والنجاشي، وحُقِّق نسبه بالحسنيّ في هامش الفوائد الرجالية ٣: ٣٣٣.

(٤) قال شيخنا في الرواية سماحة السيِّد عبد الستار الحسنيّ دامت توفيقاته في تعليقته على نسختنا المطبوعة من الكتاب، ما نصّه: (كيف جُدِّد بعد دروسه؟! والحقّ أنّ القبر المزعوم في الجامع الآصفي ليس له؛ لأنّه دفن بباب الكوفة، وباب الكوفة في الجانب الغربي).

(٥) رجال النجاشي: ٣٧٧ رقم ١٠٢٦.

(٦) الفوائد الرجالية ٣: ٣٣٥.

وقيل: إنّه لمّا رأى إقبال الناس على زيارة قبر الكاظمعليه السلام حمله النصب على حفر القبر، وقال: إن كان كما يزعمون من فضله فهو موجود في قبره، وإلاّ منعنا الناس عنه.

فقيل له: إنّ هاهنا رجلاً من علماء الشيعة المشهورين، ومن أقطابهم اسمه: محمّد بن يعقوب الكليني، وهو أعور، فيكفيك الاعتبار بقبره، فأمر به فوجدوه بهيئته كأنه قَدْ دُفن تلك الساعة، فأمر بتعظيمه، وبناء قُبَّة عظيمة عليه، فصار مزاراً مشهوراً))[1][2].

وكيف كان فمعه قبر آخر يقال: (إنّه الكراجكي، أو الكيدري[3])[4].

وقد عُلِمَ من تاريخ وفاة هذا الشيخرحمه الله أنّ طبقته من السادسة والسابعة، وأنّه قَدْ توفّي بعد وفاة العسكريّعليه السلام بتسع وستين سنة، فإنّه قبضعليه السلام ٢٦٠، فالظاهر أنّه أدرك تمام الغيبة الصغرى، بل بعض أيّام [الإمام][5] العسكريّعليه السلام أيضاً.

وفي القاموس: ((كلين) كأمير، قرية بالريّ منها محمّد بن يعقوب الكليني من فقهاء الشيعة)[6].

---

(١) روضة العارفين (كتاب رجالي - مخطوط) ، عنه لؤلؤة البحرين: ٣٩١، الفوائد الرجالية ٣: ٣٣٥، خاتمة المستدرك ٣: ٢٧٥.

(٢) ينظر حول قبره: الفوائد الرجالية ٣: ٣٣٣-٣٣٦ بالهامش، مراقد المعارف ٢: ٢١٤-٢١٩، المزار من فلك النجاة: ١٩٢.

(٣) المزار من فلك النجاة: ١٩٢.

(٤) ينظر حول قبر الكراجكي صاحب (كنز الفوائد) المجاور له والمنسوب إليه لا للكيدري ـ تلميذ ابن حمزة صاحب (الوسيلة) بحسب مانسبه السيِّد القزويني في مزاره ـ: مراقد المعارف ٢: ٢١١-٢١٣.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة منا.

(٦) القاموس المحيط ٤: ٢٦٣.

وقال جدّي العلاّمة: (ومن نظر كتاب (الكافي) الّذي صنّفه هذا الإمام ـ طاب ثراه ـ وتدبّر فيه تبيّن له صدق ذلك ـ أي: كونه مجدّداً بمذهب الإماميّة على رأس المائة الثالثة ـ وعلم أنّه رحمه الله مصداق هذا الحديث ـ أي: المرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله ـ فإنّه كتاب جليل عظيم النفع، عديم النظير، فائق على جميع كتب الحديث بحسن الترتيب، وزيادة الضبط، والتهذيب وجمعه للأُصول والفروع، واشتماله على أكثر الأخبار الواردة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وقد اتفق تصنيفه في الغيبة الصغرى بين أظهر السفراء في مدّة عشرين سنة، كما صرَّح به النجاشي[1] وغيره، وقد ضبطت أخباره في ستة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثاً.

وجدت ذلك منقولاً من خط العلاّمة قدس سره.

وقال الشهيد في (الذكرى): إنّ ما في (الكافي) من الأحاديث يزيد على ما في مجموع الصحاح الستَّة للجمهور[2].

وقال في حاشية منه على هذا الموضع: وذكر بعض المتأخّرين أنّ الصحيح منها خمسة آلاف واثنان وسبعون، والحَسن مائة وأربعة وأربعون، والموثّق ألف ومائة وثمانية عشر، والقويّ اثنان وثلاثمائة، والضعيف تسعة آلاف وأربعمائة وخمسة وثلاثون، والمجتمع من هذا التفصيل ستّة عشر ألفاً ومائة وواحد وعشرون حديثاً، وهو لا يطابق الإجمال). انتهى[3].

والأقسام الأربعة إنّما هي في اصطلاح المتأخّرين، وأمّا على اصطلاح المتقدّمين فكلّما في الكتب الأربعة صحيح، فإنّ الصحيح عندهم ما يوثق

---

(١) في الأصل: (المجلسي) وما أثبتناه من المصدر، ينظر النجاشي: ٣٧٧ رقم ١٠٢٦.

(٢) ذكرى الشيعة ١: ٥٩.

(٣) الفوائد الرجالية ٣: ٣٣٠.

بصدوره، ونحن وإن وافقنا المتأخّرين في الاصطلاح ولكن نوافق القدماء في الحجيّة، وإن لم يطلق عليه اسم الصحيح.

وكيف كان، وله من المصنّفات غير (الكافي): كتاب (الرد على القرامطة)، وكتاب (تعبير الرؤيا)، وكتاب (الرجال)، وكتاب (رسائل الأئمّة عليهم السلام) وكتاب (ما قيل فيهم من الشعر)(١).

علي بن إبراهيم

وأما عليّ بن إبراهيم صاحب التفسير المعروف ومختصره... وغيرهما، ويعبّر عنه بـ(القمّي).

قال النجاشي: (عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي، أبو الحسن، ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنَّف كتباً، وأضرَّ في وسط عمره، وله كتاب (التفسير)... إلخ)(٢).

قلت: وتفسيره كلّه أحاديث إلاّ كلمات يسيرة، وعبارات نزيرة هي منه، لكنّه لا يوجد في بعض المقامات ارتباط السابق باللاحق. ومن هنا قال السيِّد البحراني في تفسير (الهادي) في بيان اختلاف كتب الحديث: إنّ كتب الحديث قَدْ صارت في هذا الزَّمان لا تخلو من الاختلاف، ولا سيّما تفسير علي بن إبراهيم، فإنّه فاقد الائتلاف(٣).

---

(١) الفوائد الرجالية ٣: ٣٣٢.

(٢) رجال النجاشي: ٢٦٠ رقم ٦٨٠.

(٣) عنه كشف الحجب والأستار: ١٣١ رقم ٦٣٠.

أبوه إبراهيم

وأمّا إبراهيم أبوه، فهو: إبراهيم بن هاشم، أبو إسحاق القمّي، أصله كوفيّ انتقل إلى قمّ، وهو من أصحاب الرضا والجوادعليهما السلام، كثير الرواية، واسع الطريق، سديد النقل، مقبول الحديث، له كتب، روى عنه أجلاّء الطائفة وثقاتها[١].

ذكره العلاّمة، وابن داود في القسم الأوّل، وقال العلاّمة: والأرجحُ قبول روايته[٢].

وصرّح بتوثيقه: السيِّد عليّ ابن طاووس في (فلاح السائل)[٣].

وقال جدّي بحر العلومرحمه الله: (والأصح ـ عندي ـ أنّه ثقة، صحيح الحديث. ويدل على ذلك وجوه:

الأوّل: ما ذكره ولده الثقة والثبت المعتمد في (خطبة تفسيره المعروف) فإنّه قال: (ونحن ذاكرون ومخبرون بما انتهى إلينا، ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الَّذين فرض الله طاعتهم وأوجب ولايتهم)[٤]، ثُمَّ إنه روى معظم كتابه هذا عن أبيه.

الثاني: توثيق كثير من المتأخّرين ولا يعارضه عدم توثيق الأكثر؛ لأن غايته عدم الاطّلاع على السبب المقتضي للتوثيق، فلا تكون حجّة على المطَّلع؛ لتقدم قول المثبت على النافي.

الثالث: تصحيح الحديث من أصحاب الاصطلاح كالعلاّمة والشهيدين وغيرهم في كثير من الطرق المشتملة عليه، كما أشرنا إلى نبذ منها.

---

(١) الفوائد الرجالية ١: ٤٣٩، رجال النجاشي: ١٦ رقم ١٨.

(٢) خلاصة الأقوال: ٤٩ رقم٩، رجال ابن داود: ٣٤ رقم ٤٣.

(٣) فلاح السائل: ١٥٨.

(٤) تفسير القمّي ١: ٤.

الرابع: اتّفاق الأصحاب على قبول روايته، مع اختلافهم في حجيّة الحَسن، وفي اكتفائهم في ثبوت العدالة بحسن الظاهر، فلا بد من وجود سبب مجمع على اعتباره يكون هو المنشأ في قبول الكل أو البعض، وليس إلاّ التوثيق.

الخامس: أن في تلقّي القمّيين من أصحابنا أحاديثه بالقبول، مع ما هو المعلوم من حال القمّيين وطريقتهم في الجرح والتعديل وتضيُّقهم في أمر العدالة، وتسرعهم إلى القدح والجرح [والهجر][1] والإخراج بأدنى ريبة؛ دلالة على أنه عندهم بمكانة من الثقة والاعتماد وسلامته من الطعن.

وساق كلامه إلى أن قال: إنّ هذه الوجوه التي ذكرناها وإن كان كلٌّ منها كافياً في إفادة المقصود، إلاّ أنّ المجموع ـ مع ما أشرنا إليه من أسباب المدح ـ كنارٍ على علم). انتهى[2].

والمنقول عن والد شيخنا البهائيّ أنّه كان يقول: إنّي لأستحي أن لا أعدّ حديثه صحيحاً[3].

وللسيد محمّد باقر المعروف بحجّة الإسلام رسالة فيه، يختار فيها أن حديثه من الصحاح[4].

---

(١) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٢) الفوائد الرجالية ١: ٤٦٢ باختصار، والوجه الخامس منها ذكره المؤلف رحمه الله بتصرف يسير.

(٣) الفوائد الرجالية ١: ٤٥٢.

(٤) طبعت هذه الرسالة للسيّد محمّد باقر الجيلاني الأصفهاني المتوفّى سنة ١٢٦٠هـ ضمن مجموعة الرسائل الرجاليّة سنة ١٣١٤هـ (ينظر: الذريعة ٤: ١٤٧ رقم ٧١٨، و ١٠: ٢٤٦ رقم ٧٨٩).

حمّاد بن عيسى

وأمّا حمّاد بن عيسى فهو: الجُهني وقد ذكر في ضبطه: بالجيم المضمومة والهاء المفتوحة وكسر النون بعدها[١]، قيل: نسبة إلى جُهينة بن زيد[٢].

قال: (دخلت على أبي الحسن الأوّل عليه السلام[٣]، فقلت له: جُعلتُ فداك، ادعُ الله لي أن يرزقني داراً، وزوجة، وولداً، وخادماً، والحجّ في كل سنة.

فقال: «اللهُمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد وارزقه داراً، وولداً، وزوجة، وخادماً، والحجّ خمسين سنة».

قال حمّاد: فلمَّا اشترط خمسين سنة علمت أنّي لا أحجّ أكثر من خمسين سنة.

قال حمّاد: وحججت ثمانياً وأربعين سنة، وهذه داري قَدْ رزقتها، وهذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني، وهذا خادمي، قَدْ رزقت كل ذلك.

فحجّ بعد هذا الكلام حجّتين تمام الخمسين، ثُمَّ خرج بعد الخمسين حاجّاً، فزامل أبا العبَّاس النوفلي القصير، فغرقه الماء قبل أن يحجّ زيادة على الخمسين، عاش إلى وقت الرضا عليه السلام وتوفي سنة ٢٠٩، وكان أصله كوفياً،

---

(١) الأنساب للسمعاني ٢: ١٣٤.

(٢) معجم قبائل العرب ١: ٢١٦.

(٣) أي: الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

ومسكنه البصرة، وعاش نيِّفاً وتسعين سنة، ومات بوادي قناة بالمدينة، وهو واد يسيل من الشجرة إلى المدينة)[١].

وهو من أصحاب الإجماع[٢]، وصرح بتوثيقه الشيخ[٣].

وقال النجاشي: (حمّاد بن عيسى، أبو محمّد الجهني، مولى، وقيل: عربي، أصله الكوفة [و][٤] سكن البصرة، وقيل: إنه روى عن أبي عبد الله عليه السلام عشرين حديثاً، وأبي الحسن والرضا عليه السلام، ومات في حياة أبي جعفر الثاني عليه السلام، ولم يحفظ عنه رواية عن الرضا عليه السلام ولا عن أبي جعفر عليه السلام، وكان ثقة في حديثه صدوقاً، قال: سمعت من أبي عبد الله عليه السلام سبعين حديثاً، فلم أزل أدخل الشك في نفسي حتّى اقتصرت على هذه العشرين.

وله حديث مع أبي الحسن موسى عليه السلام في دعائه بالحجّ)[٥].

التنبيه على أمرين

ثُمَّ إن هنا أمرين ينبغي التنبيه عليهما:

الأوّل: ما وقع من الكشّي والشيخ هنا من أنّ حمّاداً عاش إلى وقت الرضا عليه السلام[٦]، صريح في أنه لم يدرك من بعد الرضا عليه السلام، بل ولا تمام زمان

---

(١) قرب الإسناد: ٣١٠ ح ١٢١٠، اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٠٤ رقم ٥٧٢، دلائل الإمامة: ٣٢٨ ح ٢٧/٢٨٤ وغيرها.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٧٣ رقم ٧٠٥، خاتمة المستدرك ٤: ٢٠، و٥: ٢٨٩.

(٣) فهرست الشيخ الطوسي: ١١٥ رقم ٢٤١.

(٤) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٥) رجال النجاشي: ١٤٢ رقم ٣٧٠.

(٦) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٠٥، رجال الطوسي: ١٨٧رقم ١٥١/٢٢٩٤.

الرضا عليه السلام، وهذا مناف لما ذكره الكشي من أن وفاته في سنة ٢٠٩[١]؛ إذ من المعلوم أن وفاة الرضا عليه السلام في سنة ٢٠٣، وعليه فقد بقي حماد بعد مولانا الرضا عليه السلام ستّ سنين كما صرّح به النجاشي من أنّ وفاته في حياة أبي جعفر عليه السلام[٢].

الثاني: ما صدر من العلاّمة هنا، حيث قال في (الخلاصة): **(دعا له أبو عبد الله الصادق عليه السلام أن يحجّ خمسين حجّة، ووافقه على ذلك ابن طاووس[٣]، وهو اشتباه؛ لما قَدْ عرفت من النجاشي والكشّي من أن الدعاء من مولانا أبي الحسن بن جعفر عليه السلام)**[٤].

عبد الله بن ميمون

وأمّا عبد الله بن ميمون القداح، ففي النجاشي: (أن عبد الله بن ميمون بن الأسود القدّاح المكّي[٥] مولى بني مخزوم - يبري القداح [٦]- روى أبوه عن أبي

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٠٥.

(٢) رجال النجاشي: ١٤٢ رقم ٣٧٠.

(٣) خلاصة الأقوال: ١٢٤ رقم ٢، التحرير الطاووسي: ١٥٠ رقم ١١٤ والنسخة المطبوعة منه- نشر مكتبة السيِّد المرعشي، سنة ١٤١١هـ - مصححة المتن وفي هامشها إشارة إلى تصحيح ذلك، وكان لاينبغي لمحقق النسخة فعل ذلك؛ لأن من المسلَّم أنّ العلامة الحلّي في خلاصته اعتمد على قول ابن طاووس في كتابه حل الإشكال، وبالخصوص إذا ماعرفنا أنّ هذا الاشتباه حاصل في نسخ الكتاب الثلاث والمعتمدة في تحقيقه بحسب ماذكره محقِّق الكتاب، فعليه كان ينبغي تصحيحه في الهامش مع الإشارة لذلك وذكر أصل الاشتباه، فلاحظ.

(٤) رجال النجاشي: ١٤٢ رقم ٣٧٠، اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٠٤ رقم ٥٧٢.

(٥) لم ترد في رجال النجاشي: (المكي)، وإنما وردت في كتب رجالية أخرى.

(٦) يبري القداح: أي كان ينحتها ويصلحها، ويعمل لها ريشاً لتصير سهاما. والقداح جمع القدح بالكسر: وهو السهم قبل أن يراش ويركب نصله. (لسان العرب ١٤: ٧٠)

جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، ويروي هو عن أبي عبد الله عليه السلام. وكان ثقة، له كتب منها: كتاب (مبعث النبي صلى الله عليه وآله وأخباره)، وكتاب (صفة الجنّة والنار))، انتهى[1].

ويشير إلى وثاقته رواية حمّاد بن عيسى المتقدِّم عنه، كما في الرواية المرويّة في (التهذيب) في باب كمّية الفطر[2]، وباب حكم العلاج للصائم[3]، وفي (الكافي) في باب ما يجوز للمحرم أن يلبسه[4]. وكذلك عبد الله بن المغيرة، والحسن بن علي بن فضّال في غير باب من أبواب الفقه، وهم من أصحاب الإجماع[5]، فلا عبرة بما في الكشّي عن جبرئيل بن أحمد قال: **(سمعت محمّد بن عيسى أنه كان يقول: بالتزيُّد)**[6]؛ لما في (الخلاصة) من أنّ في طريقه ضعفاً[7]؛ وذلك من حيث أنّ جبرئيل مجهول الحال، مضافاً إلى ما في تعليق الوحيد البهبهاني رحمه الله: **(بإمكان توجيه كلام ابن عيسى بأنّ لعلّ مراده بالتزيُّد أمر آخر غير الزيدية)**[8]، ويؤيِّده ما رواه في الكشّي، عن حمدويه، عن أيوب بن نوح، عن

---

(١) رجال النجاشي: ٢١٣ رقم ٥٥٧.

(٢) تهذيب الأحكام ٤: ٧٥ ح١٩/٢١١ و ٤: ٨١ ح ٥/٢٣١ وفيه: (كمية الفطرة).

(٣) تهذيب الأحكام ٤: ٢٦٠ ح ١٣/٧٧٥.

(٤) الكافي ٤: ٣٤٥ ح ٧، كما ورد في ٢: ٥٢٧ ح١٦ و ٤: ٤٦٤ ح٥.

(٥) قال الميرزا النوري في خاتمة المستدرك ج٤ ص ٤٣٨ عند ذكره ما نصّه: (ويشير إلى وثاقته أيضاً رواية عبد الله بن المغيرة عنه كما في التهذيب في باب الأحداث الموجبة للطهارة من أبواب الزيادات. وحماد بن عيسى فيه في باب كمية الفطر، وباب حكم العلاج للصائم، وفي الكافي في باب ثواب العالم، وفي باب ما يجوز للمحرم أن يلبسه، والحسن بن علي بن فضال فيه في باب الزاني، وفي كتاب النكاح، وفي باب فضل إطعام الطعام في كتاب الزكاة، وفي التهذيب في باب أحكام السهو في الصلاة. والثلاثة من أصحاب الإجماع).

(٦) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٨٧ رقم٧٣٢.

(٧) خلاصة الأقوال: ١٩٧ رقم ٢٩.

(٨) تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ٢٣١.

صفوان بن يحيى، عن أبي خالد القماط، عن عبد الله ميمون، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «يا بن ميمون، كم أنتم بمكّة؟ قلت: نحن أربعة.

قال: إنّكم نور الله في ظُلمات الأرض»[١].

وما في (الخلاصة) من: (أن هذا لا يفيد العدالة لأنه شهادة منه لنفسه، لكن الاعتماد على ما قاله النجاشي حسن، لو لم يكن في السند مثل صفوان الّذي أجمع العصابة على تصحيح ما يصحُّ عنه)[٢].

ولذا صرَّح الطريحيّ، والمجلسيّ، والمحقِّق الماحوزيّ، بوثاقته[٣].

[حيلولة]

[٦١] - قال: (ح)، وعن محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن الحسن وعلي بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن عبد الله بن ميمون القدّاح[٤].

أقول: قال الشيخ حسين ـ والد الشيخ البهائي ـ في رسالته التي عملها في فن الدراية إنّه: (إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر، تامّان أو ناقصان، كتبوا عند الانتقال من سَنَدٍ إلى آخر: (ح) علامةً للتحويل، فيَقْرأُ القارئُ: (حاء) تامّةً، ليدلَّ على التحويل.

ومنهم من قال: إنّ هذه (الحاء) رمزٌ عن (صح)؛ لئلّا يتوهّم أنّ متن الحديث سقط، ولئلّا يُركّبَ الإسناد الثاني على الإسناد الأوّل، فيجعلهما واحداً.

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥١٤ ح ٤٥٢.

(٢) خلاصة الأقوال: ١٩٧ رقم ٢٩، خاتمة المستدرك ٤: ٤٤٠ تحت رقم ١٩٢.

(٣) جامع المقال: ٧٨، الوجيزة في علم الرجال: ٩٥ رقم ٩٤٣، بلغة المحدثين: ٣٧٠.

(٤) معالم الدين: ١١.

والحقّ أنّها من التحويل من إسنادٍ إلى آخر، أومن الحائل بين الإسنادين، كما قدّمناه، وما ذكروه من التعليل ثانياً هو نفس ما قلناه.

ومحمّد بن يعقوب الكليني، والشيخ الطوسي، وكثير من محدّثينا يقتفون بحرف العطف، سواء أكان السّندُ الثاني تامّاً أم ناقصاً، ولا بأس به). انتهى[1].

محمد بن الحسن الصفار

فأمّا محمّد بن الحسن: فقد قال المجلسي رحمه الله: (إنه مجهول)[2].

والظاهر أنّه: الصفّار، الثقة، الأشعريّ، أبو جعفر الأعرج، كان وجهاً في أصحابنا القمّيين، ثقة، عظيم القدر، راجحاً، قليل السقط في الرواية، له كتب، توفّي بقم سنة ٢٩٠ هـ رحمه الله[3].

ابن الوليد

واحتمال كونه ابن الوليد الثقة بعيد، فإنّ ابن الوليد هذا بنفسه يروي عن الصفّار، فمن البعيد أن يروي عن سهل بن زياد بلا واسطة، وعلى فرض كونه: ابن الوليد، فهو:

محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، أبو جعفر شيخ القمّيين، وفقيههم، ومتقدّمهم، ووجههم.

ويقال: إنّه نزيل (قم) وما كان أصله منها، ثقة ثقة، عين، مسكون إليه، له كتب، منها: كتاب (تفسير القرآن)، وكتاب (الجامع)، مات سنة ٣٤٣ هـ[1].

---

(١) رسائل في دراية الحديث: ٥٠٠.

(٢) الوجيزة: ١٥٦ رقم ١٦٤٢ وفيه: (محمّد بن الحسن الصفّار، ثقة) فتأمّل.

(٣) رجال النجاشي: ٣٥٤ رقم ٩٤٨.

علان الكليني

عليّ بن محمّد فهو: أبو الحسن عليّ بن محمّد بن إبراهيم بن أبان الرازي، الكليني، المعروف بعَلاّن، خال الشيخ أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الراوي عنه في (الكافي) كثيراً.

قال النجاشي: (إنّه ثقة، عين، وقتل علاّن بطريق مكّة، وكان استأذن الصاحب عليه السلام فخرج: (توقّف عنه في هذه السّنة)، فخالفَ)[٢].

وبسببه حكم العلاّمة بأنّ السند حسن أو موثّق لا يقصران عن صحيح[٣].

وعَلاّن بفتح العين المهملة، وتشديد اللاّم كما ذكره بعض علمائنا الأعلام[٤]، ومعناه: المبالغة في فعل (العلانية) بناء على استعماله الصحيح متعدياً أيضاً، كما ينصّ عليه في القاموس[٥].

سهل بن زياد

وأمّا سهل بن زياد فقد اضطربت كلمات علماء الرجال، واختلفت أقوالهم فيه، حيث يظهر من بعضهم توثيقه، ومن آخر تضعيفه، بل قَدْ وقع التصريح من بعضهم بتوثيقه في موضع، وفي موضع آخر بقدحه، كما عن الشيخ رحمه الله حيث

---

(١) رجال النجاشي: ٣٨٣ رقم ١٠٤٢.

(٢) رجال النجاشي: ٢٦٠ رقم ٦٨٢.

(٣) لم أهتد إلى مصدره، ووثاقته وردت في خلاصة الأقوال ١٨٧، رقم ٤٧.

(٤) إيضاح الاشتباه ١٥٠، رقم١٨٦.

(٥) القاموس المحيط ٤: ٢٤٩.

قال في موضع من رجاله: إنه ثقة[1]، وقال في عدة مواضع من فهرسته: إنّه ضعيف[2].

وقال النجاشي: (إنه كان ضعيفاً في الحديث، غير معتمد فيه.وكان أحمد بن محمّد بن عيسى يشهد عليه بالغلوّ، والكذب، وأخرجه من قم إلى الريّ وكان يسكنها، وقد كاتب أبا محمّد العسكريعليه السلام على يد محمّد بن عبد الحميد العطّار للنصف من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٥، ذكر ذلك أحمد بن علي بن نوح، وأحمد بن الحسين، رحمهما الله. له كتاب (التوحيد))، انتهى[3].

وعن الغضايري إنه: (كان ضعيفاً جداً، فاسد الرواية والمذهب)[4].

ومثله عن الخلاصة[5].

وقال جدّي الصالح في (شرح أُصول الكافي): (إنَّه ضعيف في ضَعَفَة، وترك فيه ذكر الضعفاء والمجاهيل)[6].

وقال في التعليقة: (سهل بن زياد اشتهر الآن ضعفه ولا يخلو من نظر؛ لتوثيق الشيخ وكونه كثير الرواية جداً؛ ولأنّ رواياته سديدة مقبولة مفتى بها؛ ولرواية جماعة من الأصحاب عنه كما هو المشاهد.

---

(١) رجال الطوسي: ٣٨٧ رقم ٥٦٩٩/٤.

(٢) الفهرست للطوسي: ١٤٢ رقم ٣٣٩/٤.

(٣) رجال النجاشي: ١٨٥ رقم ٤٩٠.

(٤) رجال ابن الغضائري: ٦٦ رقم٦٥/١١، وفيه: (وفاسد الرواية والدين).

(٥) خلاصة الأقوال: ٣٦٥ رقم ٢.

(٦) شرح أُصول الكافي ١: ٧٢.

وصرّح به هنا النجاشي، بل ورواية أجلائهم عنه، بل وإكثارهم من الرواية عنه منهم عدّة من أصحاب الكليني، وسيجيء ذكرهم في الخاتمة، والكليني مع نهاية احتياطه في أخذ الرواية واحترازه عن المتَّهمين كما هو ظاهر ومشهور. وينبِّه عليه ما سيجيء في ترجمة إكثاره من الرواية عنه بمكانٍ، لاسيَّما في (كافيه) الَّذي قال في صدره ما قال، فتأمّل.

وبالجملة، أمارات الوثوق والاعتماد والقوة التي مرَّت الإشارة إليها مجتمعة فيه كثيرة، مع أنا لم نجد من أحد من المشايخ القدماء تأمُّل في حديثه بسببه، حَتَّى أنَّ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مع أنه كثيراً ما تأمّل في أحاديث جماعة بسببهم، لم يتَّفق [في كتبه] مرّة ذلك بالنسبة إليه، بل وفي خصوص الحديث الَّذي هو واقع في سنده ربما يطعن، بل ويتكلّف في الطعن من غير جهته، ولا يتأمّل منه أصلاً. انتهى[(١)].

وظنّي: أن منشأ التضعيف؛ ما سمعته من حكاية أحمد بن محمّد بن عيسى وإخراجه من (قم)، وشهادته عليه بالغلوّ والكذب. وهذا ممَّا يضعِّف التضعيف ويقوي التوثيق عند المنصف المتأمّل، لاسيَّما المطلع على حالة أحمد، وما فعله بالبرقي[(٢)]، وقاله في علي بن محمّد بن شيرة، ورد النجاشي عليه[(٣)]، وإن أهل (قم) كانوا يخرجون الراوي بمجرد توهم الريب[(٤)].

---

(١) تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ١٩٧، وما بين المعقوفين من المصدر.

(٢) ينظر: رجال ابن الغضائري: ٣٩ رقم ١٠/١٠.

(٣) رجال النجاشي: ٢٥٥ رقم ٦٦٩.

(٤) رجال الخاقاني: ١٤٨ ذكره عن المحقق محمّد بن الحسن صاحب المعالم.

وفي ترجمة محمّد بن أورمه ما يقويه، لاسيَّما أنه صنف كتاباً في الردِّ على الغُلاة، وورد عن الهادي عليه السلام: «أنّه بريء ممَّا قذف به، ومع ذلك كانوا يرمونه بالغلوّ»[1].

رجال الشيخ الطوسي بعد فهرسته

وتوثيق الشيخ له في (رجاله) لا يعارضه تضعيفه في (الفهرست)، فإنّ تصنيف الرجال مؤخّر عن (الفهرست)، فيكون التوثيق فيه دليلاً على إعراضه عمّا في (الفهرست) فيحكم بموثقية حديثه، بناءً على أنّ التعارض بين التوثيق المذكور وبين ما ذكره الغضائري من تعارض العموم والخصوص مطلقاً؛ إذ لفظ (ثقة) ظاهر في كون الرجل: إمامياً عادلاً ضابطاً، فعند التعارض بالتصريح على فساد العقيدة يحمل على أن المراد: الموثّقية، مع أنَّ الّذي يظهر من تتبُّع الأخبار الصادرة عن سهل انتفاء الغلوّ عنه، ولعلَّ نسبة الغلوّ إليه وإلى أضرابه من قبيل ما قيل: من أنّ الظاهر من القدماء ـ لاسيَّما القميّين منهم ـ أنّهم كانوا يعتقدون للأئمة منزلة خاصة، وكانوا يعدون التعدّي عنها ارتفاعاً وغلواً، مع أنَّ ما سمعته من النجاشي في ترجمته من أنّ له كتاب (التوحيد)[2] ينافي المصير إلى الغلوّ بالمعنى المردود، مع أن الظاهر منه: أن نسبته إلى الغلوّ وأمثاله من فساد العقيدة غير محقّقة عنده، بل من حيث ذكره ابن عيسى.

---

(١) رجال النجاشي: ٣٢٩ رقم ٨٩١

(٢) رجال النجاشي: ١٨٥ رقم ٤٩٠.

وممّا يدل على مدحه أيضاً: أنَّه ممَّن كاتب العسكري عليه السلام لاسيَّما على يد محمّد بن عبد الحميد الَّذي وثَّقه النجاشي[١]، والعلاَّمة[٢]، وأنه يروي عن ثلاثة من الأئمة: الجواد عليه السلام، والهادي عليه السلام، والعسكري عليه السلام، كما في رجال الشيخ رحمه الله[٣].

وقال جدّي بحر العلوم رحمه الله: (وأمّا سهل، فقد اشتهر ضعفه، ولا يخلو من نظر؛ لتوثيق الشيخ، ولكونه كثير الرواية جداً، وعندهم أن ذلك من علامات الوثاقة، بل من أدلّتها، ولأن رواياته سديدة مقبولة مفتى بها، ولرواية الأجلاء عنه، ولعدم تأمُّل المفيد فيه؛ حيث ذكر في رسالة الردّ على الصدوق حديثاً دالّاً على مطلوب الصدوق رحمه الله، وسهل في سنده، وطعن عليه بوجوه كثيرة، وبذل جهده في الطعن على ذلك، وتشبَّث في طرحه وأنه لا أصل له بما أمكنه، ولم يقدح في سهل بن زياد. ولكونه من مشايخ الإجازة وهو دليل الوثاقة)، انتهى[٤].

مايدل على وثاقة الراوي

قلت: وكأنّه يشير رحمه الله بقوله: ولكونه كثير الرواية. إلى ما دلَّت عليه جملة من النصوص: «إعرفوا منازل الرجال منّا على قدر رواياتهم عنّا»[٥].

وفي آخر: «اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنّا»[٦].

---

(١) رجال النجاشي: ١٨٥ رقم ٤٩٠، ووثاقته لمحمّد بن عبد الحميد في ٣٣٩ رقم٩٠٦.

(٢) خلاصة الأقوال: ٢٥٧ رقم ٨٤

(٣) رجال الطوسي: ٣٧٥ رقم١/٥٥٥٦، ٣٨٧ رقم٤/٥٦٩٩، ٣٩٩ رقم٢/٥٨٥١.

(٤) الفوائد الرجالية ٣: ٢١.

(٥) وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٩ ح٣٧/٣٣٤٥٢ والمؤلف رحمه الله ذكره بالمعنى وما أثبتناه من المصادر الحديثية.

(٦) وسائل الشيعة ٢٧: ٧٩ ح٧/٣٣٢٥٢ والمؤلف رحمه الله ذكره بالمعنى وما أثبتناه من المصادر الحديثية.

وممّا يدل على أن شيخية الإجازة دليل على الوثاقة كلام المجلسي رحمه الله في (الوجيزة)، فإنّه بعد أن ضعّفَ سهل بن زياد المذكور، قال: (وعندي لا يضرُّ ضعفه؛ لكونه من مشايخ الإجازة)، انتهى[1].

فبعد ما سمعت كلماتهم الدالّة بعضها على القدح والآخر على المدح، لا يبعد القول بتوثيقه، ووثاقة أخباره بالمعنى الأعم.

جعفر بن محمد الأشعري

وأمّا جعفر بن محمّد الأشعري فهو: جعفر بن محمّد بن عبد الله الَّذي يروي عن ابن القدّاح كثيراً ـ كما في السند أيضاً ـ أو هو جعفر بن محمّد بن عيسى [الأشعري] أخو أحمد[2].

وفي التعليقة: (الراجح هو الأول، وروى عنه محمّد بن [أحمد بن] يحيى ولم تستثن رواياته من رجاله، وفيه دليل على ارتضائه، وحسن حاله، بل مُشعر بوثاقته ـ كما أشرنا إليه في الفوائد ـ مضافاً إلى كونه كثير الرواية وأنهم أكثروا من الرواية عنه)، انتهى[3].

[٦٢]- قال رحمه الله: «وعن محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن جعفر بن محمّد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام».

---

(١) الوجيزة في علم الرجال: ٩١ رقم ٨٨٣

(٢) منهج المقال: ٨٤ ومابين المعقوفين من المصدر.

(٣) تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ١٠٨.

محمّد بن يحيى العطار

أقول: أما محمّد بن يحيى فهو: أبو جعفر العطّار القمِّي، الثقة، الجليل القدر، المشهور، شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة، عين، كثير الحديث، وذكر النجاشي له كتباً منها: كتاب (مقتل الحسين عليه السلام)، وكتاب (النوادر)[١].

وقال الطريحي في (درايته): (ويعرف أنه أبو جعفر العطّار الثقة برواية الكليني عنه، ورواية ابنه أحمد عنه)[٢].

أحمد بن محمّد بن عيسى

وأمّا أحمد بن محمّد فهو: أحمد بن محمّد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص بن السائب بن مالك بن عامر الأشعري، من بني ذُخْران بالذال المعجمة المضمومة والخاء المعجمة الساكنة، والألف والنون بعد الراء، وما في (الإيضاح) من أنّه: بالراء والنون بعد الألف اشتباه بين ابن عوف بن الجُماهر بضم الجيم والراء بعد الهاء[٣] وابن الأشعر، يكنّى أبا جعفر.

قال النجاشي: (أوّل من سكن (قم) من آبائه سعد بن مالك بن الأحوص، وكان السائب بن مالك وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسلم، وهاجر إلى الكوفة، وأقام بها.

وأبو جعفر رحمه الله شيخ القميين، ووجههم، وفقيههم، غير مدافع، لقي الرِّضا عليه السلام، وله كتب، ولقي أبا جعفر الثاني عليه السلام، وأبا الحسن العسكري، انتهى ما في النجاشي ملخصاً)[٤].

---

(١) رجال النجاشي: ٣٥٣ رقم٩٤٦.

(٢) جامع المقال: ١٢٩.

(٣) إيضاح الاشتباه: ٩٩ رقم ٥٧.

(٤) رجال النجاشي: ٨١ رقم ١٩٨.

وفي (خلاصة الأقوال): **(أنّه كان ثقة، وله كتب ذكرناها في الكتاب الكبير)**[1].

وبالجملة: فوثاقته متّفق عليها بين الفقهاء وعلماء الرجال من غير تأمّل غميزة.

وفي المشتركات: **(يعرف ابن محمّد بن عيسى بوقوعه في وسط السند، ويروي عنه أحمد بن علي بن أبان ومحمّد بن يحيى العطار...إلخ)**[2].

واعلم: إنّا حيث التزمنا أن نذكر في شرحنا هذا ترجمة الرواة الواقعين في سلسلة سند كل رواية تعرّض لها المصنِّف رحمه الله، ومن المعلوم أنّ سلسلة الرواية تنتهي إلى أحد الأئمّة الغرر والأوصياء الاثني عشر، فلم نستجز إهمال ذكرهم، وعدم القيام بواجب حقّهم، وأداء مفروض خدمتهم، فلا جرم أن أنهينا الكلام في ذلك إلى اثني عشر مقاماً:

---

(١) خلاصة الأقوال: ٦١ رقم٢.

(٢) هداية المحدثين: ١٧٤.

المقام الأول

في أمير المؤمنين عليه السلام

علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ولد بمكّة المشرّفة في وسط الكعبة، يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل على ما نقله جلّ أصحاب التاريخ. والمشهور ما بين الخاصة والعامّة أنّه ولد بين العمودين على البلاطة الحمراء[1].

قال الصدوق رحمه الله: **(ومن صلّى في الكعبة صلّى إلى أيٍّ جوانبها شاء، وأفضل ذلك أن يقف بين العمودين على البلاطة الحمراء، ويستقبل الركن الّذي فيه الحجر الأسود)**[2].

وممَّن صرّح به صاحب (عمدة الطالب)، وابن الصبّاغ، ورواه الفقيه الشافعي المعروف بابن المغازلي في (المناقب)[3].

و[ذكره] علي بن [محمّد بن] أحمد المكّي في (الفصول المهمة) نقلاً عن كتاب (المناقب) لابن المغازلي[4][5].

---

(١) جمع أقوال أصحاب التواريخ في ذلك العلاّمة الأميني رحمه الله في كتابه الغدير ج٦ ص٢١-٣٩، وأفرد لها العلاّمة الشيخ محمّد علي الأوردبادي رحمه الله كتاباً أسماه (علي وليد الكعبة) ، طبع عدّ طبعات أولها سنة ١٣٨٠هـ واستدرك عليه شاكر شبع في مجلة تراثنا ع٢٦ ص١١-٤٣، فليراجع.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٢٧٤.

(٣) عمدة الطالب: ٥٨، الفصول المهمة ١: ١٧١، المناقب لابن المغازلي: ٥٨ ح٣.

(٤) في الأصل، وفي المصدر ـ الفصول المهمة ـ المطبوع في دار الأضواء سنة ١٤٠٩هـ وكذا المطبوع سنة ١٤٢٢هـ بتحقيق سامي الغريري: (لأبي العالي) ، وهي مصحفة عمّا أثبتناه في المتن، فلاحظ.

(٥) الفصول المهمة ١: ١٧٣.

[و] قال: (ولم يولد بالبيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها؛ إجلالاً له، وإعلاءً لمرتبته، وإظهاراً لمكرمته[١])[٢].

[أحوال والديه عليه وعليهما السلام]

مات أبوه أبو طالب لأربع بقين من رجب السنة العاشرة من البعثة، وأبو طالب اسمه (عبد مناف)، كما في رواية الصدوق في (معاني الأخبار)[٣].

وقيل: اسمه عمران، كما في بعض زيارات النبيّ صلى الله عليه وآله المرويّة في (البحار) بعد قول الزائر: (السلام على أُمّك آمنة بن وهب، السلام على عمّك عمران أبي طالب)[٤].

والأوّل أصح.

وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، مربّية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل من هاجرت مع النبيّ صلى الله عليه وآله من النساء من مكّة إلى المدينة تمشي على قدميها. وهي التي بشّرت زوجها أبا طالب برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها أبو طالب: (يكون

---

(١) في المصدر: (لمكرمته).

(٢) الفصول المهمة ١: ١٧٢، ومابين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٣) معاني الأخبار: ١٢١، وقد كتب في إيمان أبي طالب عليه السلام وسيرته عدّة من علمائنا الأعلام وقد استوفوا فيما كتبوا أقوال العامة والخاصة وأشهرها كتاب (الحجّة على الذاهب في إيمان أبي طالب) للسيّد فخار بن معد الموسوي المتوفّى ٦٣٠هـ فليراجع.

(٤) بحار الأنوار ٩٧: ١٨٩.

لك ولد من بعد ثلاثين سنة يشبه هذا المولود في جميع أطواره وأخلاقه)[١]، وهذه من كرامات أبي طالب[٢].

[كُناه وألقابه وفضله عليه السلام]

وكنيته المشهورة: أبو الحسن، وأبو تراب[٣].

ولقبه: المرتضى، وأمير المؤمنين[٤].

كان هو الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله بالحقّ، وأفضل أهل العالم، والغوث الأعظم، وخليفة الله، ووارث علم النبيّ صلى الله عليه وآله، لم يفارقه في مشاهده وغزواته كلّها إلاّ في غزوة تبوك خلّفه النبيّ صلى الله عليه وآله في المدينة، وقال فيه: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي»[٥].

وقال فيه أيضاً: «عليٌّ منّي وأنا منه»[٦].

وقال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[٧].

---

(١) الحديث رواه الصدوق بإسناده عن ابن مسكان في معاني الأخبار ص٤٠٣ ح٦٨ ونصّه: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إن فاطمة بنت أسد - رحمها الله - جاءت إلى أبي طالب تبشره بمولد النبي صلى الله عليه وآله، فقال لها أبو طالب: اصبري لي سبتاً آتيك بمثله إلا النبوة، فقال: السبت ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة».

(٢) ينظر ترجمتها في: سفينة البحار ٢: ٣٧٥ باب (فطم)، تنقيح المقال ٣: ٨١، وعن أحوال والديه عليهما السلام بحار الأنوار ٣٥: ٦٨ – ١٨٣ باب ٣ ففيه مجمل أحوالهما.

(٣) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٥.

(٤) ينظر: الغيبة للطوسي: ١٥٠ ح١١١.

(٥) ينظر: صحيح مسلم ٧: ١٢٠-١٢١، فضائل الصحابة: ١٣، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢-٣٠٤، وغيرها من المصادر.

(٦) ينظر: مسند أحمد ٤: ١٦٤، شرح الأخبار ١: ٩٣، الخصال: ٤٩٦ ح٥، وغيرها من المصادر.

(٧) ينظر: الغدير ٦: ٦١-٨١ فإنّ مؤلّفه رحمه الله أورد للحديث مائة وخمسين طريقاً.

تخصيصه بتكرّم الوجه

وفي ريحانة الألبا: (أنّ الدعاء بـ(كرّم الله وجهه) مختصٌّ بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه في لسان الناس؛ لأنه أسلم صبياً ولم يسجُد لغير الله.

قال: وقد روت الشيعة فيه أثراً، وهو أنّ أمّه وهي حاملة به، كانت إذا جاءت لصنم أحسّت بتحويل وجهه عنه في بطنها. ولم نر فيه نقلاً لغيرهم[1])، انتهى[2].

الجفر والجامعة من مؤلفاته عليه السلام

وكان المسلمون قاطبة في المسائل المشكِلة يقتبسون من مشكاة أنواره، وقد جُمِعَ من كلمات حكمته وآياته ما يشبه كتاب الله العزيز، كنهج البلاغة[3]، وكتاب الوصايا[4]، وكتاب نثر اللآلي[5] الَّذي جمعه الحسن بن بشر الآمدي، وديوان شعره الَّذي قَدْ شرحه جملة من الأكابر من العامّة والخاصة. وفي جملة

---

(١) روى هذا الحديث أحمد بن منصور الكازروني في كتابه مفتاح الفتوح المؤلَّف سنة ٧٠٧هـ (مخطوط) [ينظر: نفحات الأزهار ١٠: ١٧٩]، وتبعه الشبلنجي في نور الأبصار ص٧٦ وهما من علماء الجماعة، ونسبة روايته إلى الشيعة افتراء محض، وهم براء من هذا القول، وهذه كتبهم تشهد بذلك فهي في كتبهم مربية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والموصوفة بلسانه بالأم، وهي أجل من أن تسجد لصنم، وماهذا القول إلا شنشنة؛ لكونها أم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) ريحانة الألبا ١: ٤٣٤ رقم ٦٩.

(٣) نهج البلاغة: جمعه السيِّد محمّد بن الحسين المشهور بالشريف الرضي ت ٤٠٣هـ.

(٤) كتاب الوصايا، أي: وصاياه عليه السلام لعدّة من العلماء، وأورد بعضها الكليني في كتابه (الرسائل).

(٥) نثر اللآلي: هو في الكلمات القصار من كلامه عليه السلام بترتيب حروف الهجاء كلها ٢٥٨ كلمة قصيرة جمعها أمين الإسلام الطبرسي المفسِّر الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ. (ينظر: الذريعة ٢٤: ٥٣ رقم٢٦٢)
وللشيخ أبي الفتح عبد الواحد بن محمّد بن عبد الواحد بن محمّد الآمدي الإمامي، المتوفّى في ٥١٠هـ كتاب (غرر الحكم ودرر الكلم) وهو من كلامه عليه السلام، وليس للحسن بن بشر الآمدي كتابٌ في ذلك، فلاحظ. (ينظر: الذريعة ١٦: ٣٨ رقم١٦٤)

من التواريخ أنّ المرويّ صحيحاً أنّ الجفر والجامع من تصنيفات عليّ المرتضى كرم الله وجهه.

وذكر السيِّد الشريف علي بن محمّد الجرجاني في (شرح المواقف): (أنّ الجفر والجامعة مؤلّفان لأمير المؤمنين عليه السلام، يمكن استخراج الوقائع والحوادث المتعلِّقة بالعالم من هذين المؤلّفين.

قال: ورأيت في مصر من جملته ورقة استخرجوا منها أحوال ملوك تلك المملكة)، انتهى[1].

والَّذي يظهر من جملة من الأخبار أنهما من خصائص الأئمّة عليهم السلام توجدان عندهم، وسيأتي في أحوال الصادق عليه السلام ما يؤيّد ذلك فتذكر.

وفاته عليه السلام بالكوفة

وتوفي عليه السلام بالكوفة ليلة الجمعة، وفي (الكافي) ليلة الأحد لتسع بقين من شهر رمضان سنة ٤٠ من الهجرة، وله من العمر ثلاثٌ وستون سنة[2]، بضربة عبد الرحمن بن ملجم المرادي، أشقى الأوّلين والآخرين، وشقيق عاقر ناقة صالح، وسيأتي تعيين موضع قبره الشريف.

---

(١) قال المحدّث الأرموي في هامش كتاب الإيضاح ص ٤٦١: (فممن صرح بهذا المطلب المحقِّق الشريف الجرجاني فإنّه قال في مبحث العلم من شرح المواقف عند ذكر الماتن أعني القاضي عضد الدين الإيجي الجفر والجامعة (ينظر ص ٢٧٦ من طبعة بولاق سنة ١٣٦٦) ما نصه: (وهما كتابان لعلي عليه السلام، قَدْ ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكانت الأئمّة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما، وفي كتاب قبول العهد الَّذي كتبه علي بن موسى عليه السلام إلى المأمون: إنّك قَدْ عرفت من حقوقنا ما لم يعرف آباؤك وقبلت منك عهدك إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم. ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت ورأيت أنا بالشام نظماً أشير فيه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر وسمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين)).

(٢) ينظر: الكافي ١: ٤٥٢ باب مولده عليه السلام.

عدد أولاده وبناته

(فصل في ذكر أولاده عليه السلام: وهم كثيرون، وقد اختلفوا في عددهم ذكوراً وإناثاً غير أنا نذكر ما بلغه جهدنا في تحقيقه.

فالأوّل والثاني: الحسن والحسين عليهما السلام.

والثالثة: زينب الكبرى، زوجة عبد الله بن جعفر، تكنّى أم الحسن، ويكفي في جلالة قدرها، ونبالة شأنها ما ورد في بعض الأخبار من أنها دخلت يوماً على الحسين عليه السلام وكان يقرأ القرآن، فوضع القرآن على الأرض وقام لها إجلالاً[1].

والرابع: محسن السقط، قال المفيد في (الإرشاد): وفي الشيعة من يذكر أنّ فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وآله ذكراً، كان سمّاه رسول الله وهو حمل: محسناً، فعلى قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين ثمانية وعشرون ولداً)، انتهى[2].

وهذا الكلام منه رحمه الله يعطي عدم اعترافه بحديث المحسن وسقوطه كما لا يخفى[3].

والخامسة: أُمّ كلثوم، تزوَّجها عمر كما سيأتي، وهؤلاء الخمسة من فاطمة الزهراء عليها السلام.

والسادسة زينب الصغرى: المكنّاة أُمّ كلثوم الصغرى، أُمُّها أُمُّ سعيد ابنة عمرو بن مسعود الثقفي، تزوجها محمّد بن عقيل فأولدها أبا محمّد عبد الله،

---

(١) لم أهتد إلى مصدره وكل من ذكره من المتأخرين نقله عنه.

(٢) الإرشاد ١: ٣٥٥.

(٣) وقد طبع أخيراً لسماحة المحقّق السيِّد محمّد مهدي الخرسان دام ظله كتاباً خاصاً في إثباته وإثبات حادثته أسماه (المحسن السبط مولودٌ أم سقط)، وهو من مطبوعات مكتبة الروضة العلويّة في النجف الأشرف.

وعلى ما في (العمدة) عبد الله كان فقيهاً، محدِّثاً، جليلاً، مات بعد الأربعين من الهجرة[١].

والسابع: محمّد بن الحنفيّة، المكنّى بأبي القاسم، أُمُّه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة، أخبر النبيﷺ به قبل ولادته وسمّاه باسمه، وكنّاه بكنيته[٢].

الثامن: العبَّاس الأكبر، المعروف بقمر بني هاشم من فرط حسنه وجماله، ويكنّى أبا الفضل، ويلقّب بالسقّا؛ لأنه استسقى الماء لأخيه الحسين يوم الطف، وقتل دون أن يبلّغه إياه، وقبره حيث استشهد، وكان صاحب راية الحسينعليه السلام في ذلك اليوم.

وقال الصادقعليه السلام: «كان عمّنا العبَّاس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً، ودمه في بني حنيفة».

وفي (عمدة الطالب): (أنه قتل وله من العمر أربع وثلاثون سنة)[٣].

التاسع: عبد الله الأكبر.

العاشر: جعفر الأكبر، يكنّى بأبي عبد الله.

الحادي عشر: عثمان الأكبر، وهؤلاء الأربعة استشهدوا في وقعة الطف، وهم من بطن فاطمة أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة، وربيعة هذا هو أخو لبيد الشاعر بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وليس من بني

---

(١) عمدة الطالب: ٣٢، وفيه: (أن أمها: أم ولد).

(٢) ينظر مناقب آل أبي طالب ٢: ٦٧، كنز العمال ١٢: ١٢٩، بحار الأنوار ١٨: ١١٢، وغيرها.

(٣) عمدة الطالب: ٣٥٦.

دارم التميميين، وإن ذكره المفيد في (إرشاده)[١]، ولكن ردّ عليه ابن إدريس رحمه الله في (السرائر)[٢] بما عرّفناك، والقرائن توافق ما ذكره في (السرائر).

الثاني عشر: العبَّاس الأصغر، ذكره غير واحد من أرباب التواريخ.

قال صاحب الناسخ: (إنّ بعض العلماء زعم أنّ العبَّاس بن علي استشهد في الليلة العاشرة، مع أن أكثر أهل السير يذكرون شهادته في يوم عاشوراء، وذلك لأن في أولاد أمير المؤمنين عبَّاسين: الأكبر، والأصغر، والَّذي قُتل في الليلة العاشرة هو الأصغر، سبق إلى طلب الماء فنال سعادة الشهادة في تلك الليلة)[٣].

ويدلّ على ذلك جملة من عبارات المؤرِّخين من العامّة حيث عبّروا عن أبي الفضل بالعبَّاس الأكبر، كسبط ابن الجوزي في (التذكرة)، والشبلنجي في (نور الأبصار)، والشيخ أحمد شهاب الدين الشافعي في (وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل) وهذا الشيخ من أكابر الشافعية[٤]، ذكره صاحب (السلافة) من مشايخ العلماء وأدباء مكّة[٥]، وقد فرغ من تصنيف الكتاب المزبور سنة ١٠٢٢، وعدّه صاحب (العبقات) من أجود التآليف.

---

(١) الإرشاد ١: ٣٥٤.

(٢) السرائر ١: ٦٥٦.

(٣) ناسخ التواريخ (المعرب) ٢: ٤٣١.

(٤) تذكرة الخواص ١: ٦٦٣، نور الأبصار: ١٠٣، وسيلة المآل (مخطوط)، وبذلك ذُكِر في: أنساب الأشراف: ١٩٢، مناقب آل أبي طالب ٣: ٩٠، ذخائر العقبى: ١١٧، تهذيب الكمال ٢٠: ٤٧٩، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٥، تاريخ الإسلام ٥: ٢١.

(٥) ينظر ترجمته في: سلافة العصر: ٢٠٤- ٢١٣.

وممّا ذكرنا يظهر ضعف من وصف أبا الفضل بأنه كان شاباً أمردَ، بين عينيه أثر السجود، كما في (الدمعة الساكبة)[١]، مع أنّه قَدْ عرفت تصريحهم، كما في (عمدة الطالب) بأنه قُتل وله من العمر أربع وثلاثون سنة[٢].

فمن المحقِّق أنّ هذا وصف عبَّاس الأصغر.

الثالث عشر: محمّد الأصغر، أُمّه أُمٌّ ولد قُتل بالطف.

الرابع عشر: أبو بكر، لم يعرف اسمه، من شهداء الطف، أمه ليلى بنت مسعود النهشلي، ولعلَّها هي التي قال المفيدرحمه الله في (رسالة المتعة): (وروى ابن بابويه بإسناده أنّ علياًعليه السلام نكح امرأة بالكوفة من بني نهشل متعةً)[٣].

الخامس عشر: يحيى، أُمُّه أسماء بن عميس الخثعمية، توفّي في حياة أبيه.

السادس عشر: عون، وهو شقيق يحيى واستشهد في الطف.

السابع عشر: عبيد الله، وهو شقيق أبي بكر المتقدّم، قُتل في محاربة مصعب بن الزبير مع المختار، وقبره في المذار من سواد البصرة، وأهل البطائح يعظّمون مرقده، ويأتون إلى زيارته، ومصعب كان يشنِّع على المختار ويقول له: أنت قتلت ابن الإمام.

قال ابن إدريس في مزار (السرائر): (وقد ذهب شيخنا المفيد في كتاب (الإرشاد)، إلى أن عبيد الله بن النهشلية، قتل بكربلاء مع أخيه الحسينعليه السلام وهذا خطأ محض، بلا مراء؛ لأَن عبيد الله بن النهشلية، كان في جيش مصعب بن الزبير، ومن

---

(١) الدمعة الساكبة ٤: ٣٢٦، وأصل القول ذكره أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: ٧٩.

(٢) عمدة الطالب: ٣٥٦.

(٣) خلاصة الإيجاز (سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد/٦) : ٢٥، عنه وسائل الشيعة ٢١: ١٠ح٢٦٣٧٨/٢٣.

جملة أصحابه، قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد بالمذار، وقبره هناك ظاهر، والخبر بذلك متواتر، وقد ذكره شيخنا أبو جعفر[١] في (الحائريات) لمّا سأله السائل عمّا ذكره المفيد في (الإرشاد) فأجاب: بأن عبيد الله ابن النهشلية، قتله أصحاب المختار بن أبي عبيدة بالمذار، وقبره هناك معروف، عند أهل تلك البلاد)، انتهى[٢].

قلت: وذكر ما يوافقه أيضاً صاحب (عمدة الطالب) في أوّل كتابه، فراجع[٣].

وفي (مدينة المعاجز) نقلاً عن ابن الراوندي، أنّه روي عن أبي الجارود، عن أبي جعفرعليه السلام قال: «جمع أمير المؤمنينعليه السلام بنيه وهم اثنا عشر ذكراً، فقال لهم: إني أُحِبُّ أن يجعل فيّ سُنّة من يعقوب إذ جمع بنيه وهم اثنا عشر ذكراً فقال لهم: إنّي أُوصي إلى يوسف، فاسمعوا له وأطيعوا، وإنّي أوصي إلى الحسن والحسين، فاسمعوا لهما وأطيعوا.

فقال عبيد الله ابنه: أدون محمّد بن علي ـ يعني: محمّد بن الحنفية؟

فقال له: أجُرأة عليّ في حياتي؟! كأنّي بك قَدْ وجدت مذبوحاً في فسطاطك لا يدرى من قتلك. فلمّا كان في زمان المختار أتاه فقال [له: ولّني عملا، قال][٤]: لست هناك، فغضب وذهب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة، فقال: ولّني قتال أهل الكوفة، فكان على مقدّمة مصعب، فالتقوا بحروراء، فلمّا

---

(١) أي: الشيخ الطوسي رحمه الله.

(٢) السرائر ١: ٦٥٦.

(٣) عمدة الطالب: ٢١.

(٤) ما بين المعقوفين من المصدر.

حجز الليل بينهم أصبحوا وقد وجدوه مذبوحاً في فسطاطه، لا يدرى من قتله»[١].

والظاهر من هذه الرواية أنّه لا يُحمد كما لا يخفى.

الثامن عشر: محمّد الأوسط، وأُمُّه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع العبشمية، وأُمُّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومحمّد هذا قُتل بالطف مع أخيه.

التاسع عشر: عمر الأطرف، ويقال له: عمر الأكبر، ويكنّى بأبي القاسم، ولقب بالأطرف؛ لأن فضيلته من طرف أبيه، وأُمُّه أُمُّ حبيب الصهباء التغلبية من سبي الردة، وذكره صاحب (عمدة الطالب)، قال: (وكان ذا لَسَنٍ وفصاحةٍ، وجودٍ وعفّةٍ).

إلى أن قال: (وتخلّف عمر عن أخيه الحسين ولم يسر معه إلى الكوفة، وكان قَدْ دعاه إلى الخروج معه فلم يخرج. ويقال: إنه لما بلغه قتل أخيه الحسين عليه السلام خرج في معصفرات له، وجلس بفناء داره، وقال: أنا الغلام الحازم، ولو أخرج معهم لذهبت في المعركة وقتلت.

قال: ولا يصح رواية من روى أنّ عمر حضر كربلاء)، انتهى[٢].

ولعلّه يشير بكلامه الأخير إلى ردّ ما نقله البعض من أنّ عمر المذكور كان حاضراً ملازماً لأخيه الحسين عليه السلام إلى الليلة العاشرة من محرّم، ثُمَّ فرّ تلك الليلة ونزل الجواليق، ويقال لأولاده: [أولاد] الجواليق[١].

---

(١) مدينة المعاجز ٢: ١٧٧ح٤٨١، عن الخرائج والجرائح ١: ١٨٣ح١٧.

(٢) عمدة الطالب: ٣٦١-٣٦٢.

وكيف كان، قيل: مات عمر بـ(ينبع) وهو ابن سبع وسبعين سنة، وقيل: خمس وسبعين سنة، وقيل: استشهد مع أخيه في محاربة مصعب مع المختار، وهو وأخوه مع مصعب فاستشهدا جميعاً، وفي (ينابيع المودة) أن تربته في (نهاوند) من أرض العجم[٢].

والعشرون: رُقَيَّة، شقيقة عمر المتقدِّم، زوجة مسلم بن عقيل ـ كما في رجال الشيخ[٣] ـ أُم ولديه عبد الله، ومحمّد، وبنته عاتكة، والولدان هما المقتولان بالطفّ.

وقبر رُقَيَّة في مصر كما صرَّح به في (معجم البلدان)[٤].

وفي (عمدة الطالب): (أنّ زوجة مسلم تسمّى أُمَّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن بنتها حميدة)[٥]، والله العالم.

الواحد والعشرون: نفيسة، زوجة عبد الله الأكبر ابن عقيل.

الثاني والعشرون: أمامة، وقيل: أمانة، زوجة الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

الثالث والعشرون: ميمونة أيضاً زوجة عبد الله الأكبر ابن عقيل.

الرابع والعشرون: رملة، وهي شقيقة أُمّ الحسن الآتية.

---

(١) سر السلسلة العلوية: ٩٧، وفيه: (وقعد في الجواليق)، والجوالق: وعاء وجمعه جواليق، ما بين المعقوفين من المصدر.

(٢) ينابيع المودّة ٣: ١٤٨.

(٣) رجال الطوسي: ١٠٣ رقم ١٠٠٥/٩.

(٤) معجم البلدان ٥: ١٤٢.

(٥) عمدة الطالب: ٣٢.

الخامس والعشرون: أمّ الحسن، زوجة سليمان بن علي بن عبد الله بن العبّاس، دفنت بالشام مع زوجها، وهاتان أمّهما: أمّ سعيد بنت عمرو بن مسعود الثقفي.

السادس والعشرون: خديجة الصغرى.

السابع والعشرون: فاطمة، وهي التي طلبها الشامي في مجلس يزيد، يقال: إنّها زوجة أبي سعيد بن عقيل.

هذا ما وسعني الاطّلاع عليه في باب أولاده عليه السلام.

وفي رحلة ابن جبير المتوفّى سنة ٦١٤، أن في بغداد في الطريق إلى باب البصرة مشهداً حفيل البنيان داخله قبرٌ متّسع السّنام، عليه مكتوب: (هذا قبر عون ومعين، من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[(١)].

قلت: قَدْ أُصيبا في النهروان[(٢)].

وعمران بن علي: أُصيب جريحاً في النهروان، وقبره في بابل معلوم[(٣)] [(٤)].

---

(١) رحلة ابن جبير: ١٧٦.

(٢) ينظر عن تاريخ مرقدهما، ومن ذكرهما، ومن أبطل نسبتهما لأمير المؤمنين عليه السلام: المزار من كتاب فلك النجاة: ١٤١.

(٣) قاله السيِّد محمّد مهدي القزويني رحمه الله في المزار من كتاب فلك النجاة: ١٣٧.

(٤) ينظر في أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وأحوالهم: الإرشاد ١: ٣٥٤، المجدي في أنساب الطالبيين: ٧، تاج المواليد (المجموعة) : ٨، العمدة لابن البطريق: ٢٩، إعلام الورى ١: ٣٩٥، مطالب السؤول: ٣١٣، كشف الغُمَّة ٢: ٦٧، الفصول المهمة ١: ٦٤١، عمدة الطالب: ٥٨، بحار الأنوار ٤٢: ٧٤ باب (أحوال أولاده...) تجد فيه مجمل أقوال النسابة والمؤرخين، وغيرها.

الزينبية في خارج الشام

تنبيهات:

الأوّل: إنّ في خارج دمشق موضعاً يعرف بالزينبية، وفيه بقعة يقال: إنّها بقعة زينب الكبرى، بنت أمير المؤمنين، ولكن لم أعثر في المزارات المعتبرة والمقاتل ما يؤيّد ذلك، بل قَدْ صرَّح الفاضل ميرزا عبَّاس قليخان المستوفي في تاريخه (الطراز المذَّهب) بأنّ الَّذي يصح عنده أن زينب لمّا رجعت من الشام توفيت بالمدينة المنوَّرة، ودفنت هناك.

قال: (ولا أدري متى كانت وفاتها[١]، ثُمَّ قال: وأظن أنّ البقعة المزبورة هي لزينب الصغرى بنت الحسين عليه السلام، أو لإحدى بناتها أو أحفادها[٢].

هذا ونقل بعض الموثّقين[٣] عن أُستاذه المحدِّث النوري أنّه وقع قحط عظيم في المدينة، وأنّ عبد الله بن جعفر انتقل إلى الشام فراراً من القحط، ومن قصده الرجوع إلى المدينة بعد ارتفاع القحط عنها، وكانت زينب معه فاتَّفق أنها مرضت في أيام استقامتها في الشام في القرية التي فيها المزار الآن، فماتت هناك في ضيعة في تلك القرية)، انتهى[٤].

ويحتمل أن تكون البقعة لزينب الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام المكنّاة بأُمّ كلثوم.

---

(١) ذكر الشيخ فرج آل عمران رحمه الله وفاتها عليها السلام في ١٥ رجب سنة ٦٥هـ في كتابه وفاة السيدة زينب الكبرى المطبوع ضمن وفيات الأئمة عليهم السلام ص٤٦٩ عن الخيرات الحسان.

(٢) الطراز المذهب، عنه هدية الزائرين: ٤٥٥.

(٣) المراد ببعض الموثقين الشيخ عبَّاس القمّي رحمه الله.

(٤) هدية الزائرين: ٤٥٥.

قال ابن جبير في رحلته: (ومن مشاهد أهل البيت عليهم السلام: مشهد أم كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، ويقال لها: زينب الصغرى، وأم كلثوم، كنية أوقعها النبيّ صلى الله عليه وآله عليها؛ لشبهها بابنته أم كلثوم عليها السلام، والله أعلم بذلك، ومشهدها الكريم بقرية قبليّ البلد تعرف بـ(راوية) على مقدار فرسخ، وعليه مشهد[1] كبير، وخارجه مساكن، وله أوقاف، وأهل هذه الجهات يعرفونه بقبر الستّ أمّ كلثوم، مشينا إليه وتبرّكنا برؤيته، نفعنا الله بذلك[2])[3].

الكيسانية ومحمد ابن الحنفية

الثاني: ذهبت الكيسانيّة ـ وهم أصحاب المختار بن أبي عبيدة الثقفي ـ إلى إمامة محمّد بن الحنفيّة وفرض طاعته بعد الحسين عليه السلام على المشهور بينهم، وزعموا أنّه حيٌّ لم يمت ولا يموت حتَّى يظهر بالحق، وهو المهديّ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً، وأنّه مقيم بجبل (رضوى)[4] وإلى ذلك يشير كُثَيِّر عزّة ـ بالتصغير ـ الشاعر المعروف المتوفّى سنة ١٠٥، وكان كيسانيّ المذهب بقوله:

---

(١) في المصدر: (مسجد).

(٢) رحلة ابن جبير: ٢١٨.

(٣) اختلفت الأقوال في تحقيق قبر السيّدة الطاهرة زينب الكبرى عليها السلام بين المدينة ومصر والشام ينظر في ذلك: (أخبار الزينبيات) المطبوع بتحقيق فارس حسون كريم ضمن ميراث حديث شيعة ع١٧ من ٦١- ٦٨ فإنه استوفى جميع الأقوال، (تحية أهل القبور) المطبوع بضميمة (نزهة أهل الحرمين) للسيد حسن الصدر، أعيان الشيعة ٧: ١٣٦-١٤١، مراقد المعارف ١: ٣٢٧-٣٣٧، مرقد العقيلة زينب عليها السلام للبحاثة محمّد حسنين السابقي، زينب الكبرى عليها السلام للشيخ جعفر النقدي، وفاة السيدة زينب الكبرى للشيخ فرج آل عمران المطبوع ضمن وفيات الأئمة: ٤٦٥ -٤٧٩.

(٤) ينظر عن الكيسانيّة: الملل والنحل ١: ١٤٧، أعيان الشيعة ٣: ٤٠٩.

ألا إنّ الأئمّـــةَ مـــن قُـــريشٍ ولاةُ الحـــقّ أربعـــةٌ ســـواءُ
عـــليٌّ والثلاثـــة مـــن بنيـــهِ هُـــمُ الأســـباطُ لـــيسَ بهـــم خَفـــاءُ[1]
فـــسبطٌ سِـــبطُ إيـــمانٍ وبـــرٍ[2] وســـبطٌ غيَّبتـــهُ كَـــربَلاءُ
وســـبطٌ لا يـــذوقُ المـــاءَ[3] حَتَّـــى يقـــودَ الخيـــلَ يَقـــدِمُها اللّـــواءُ
تغيَّـــبَ لا يُـــرى فـــيهم زمانـــاً بِرَضـــوى عنـــدَهُ عَـــسَلٌ ومـــاءُ[4]

قال الجوهري في الصحاح: (كيسان: لقب المختار)[5].

ولجدّي بحر العلوم في مدح الأئمّةعليهم السلام والردّ على كُثير عزّة على طريقة الكيسانية قصيدة فريدة يقول فيها:

(ألا إنّ الأئمّـــةَ مـــن قـــريشٍ) ثمانيـــةٌ وأربعـــةٌ سَـــواءُ
كـــما الأســـباط والنقبـــاء نـــصّاً مِـــنَ المُختـــارِ لـــيسَ بـــهِ خَفـــاءُ
عـــليٌّ والثلاثـــة مـــن بنيـــهِ ألعليّـــون الهُـــداةُ الأصـــفياءُ
وعُـــدَّتهم مُحامِـــدَةٌ كِـــرامٌ كـــذا الحَـــسنونَ لـــيسَ بهِـــم مِـــراءُ
وجعفـــرُ وابنُـــهُ موســـى وكـــلٌّ دليـــلٌ للهُـــدى نـــورٌ ضِـــياءُ
غَطارِفَـــةٌ خَـــضارِمَةٌ كُـــماةٌ جَحاجِحَـــةٌ ولاةٌ أوليـــاءُ

(١) في ديوان السيّد محمّد مهدي بحر العلومرحمه الله ص٤٢ بالهامش : (هم أسباطه والأوصياء) .
(٢) في ديوان السيّد محمّد مهدي بحر العلومرحمه الله ص٤٢ بالهامش : (إيمان وحلم) .
(٣) في ديوان السيّد محمّد مهدي بحر العلومرحمه الله ص٤٢ بالهامش : (لايذوق الموت) .
(٤) ديوان السيّد محمّد مهدي بحر العلومرحمه الله: ٤٢ والقصيدة فيه تتكون من ثلاثة عشر بيتاً.
(٥) الصحاح ٣: ٩٧٣.

وقد بيّن بطلان هذا المذهب بما لا مزيد عليه في موضعه[١].

وعلى كل حال، فمُحمّد بريء من قبول هذه النسبة إليه، وفي الخبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: **«كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «المحامدةُ تأبى أن يعصى الله عزّ وجلّ.**

قلت: ومَن المحامدة؟ قال: محمّد بن جعفر، ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي حذيفة، ومحمّد بن أمير المؤمنين»[٢].

وروى الكليني رحمه الله في الصحيح عن أبي عبيدة وزرارة جميعاً، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قال: **«لمّا قُتل الحسين عليه السلام أرسل محمّد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليه السلام فخلا به، فقال له: يا ابن أخي، قَدْ علمت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الوصية والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ثُمَّ إلى الحسن عليه السلام، ثُمَّ إلى الحسين عليه السلام، وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلّى على روحه ولم يوصِ، وأنا عمُّك وصنو أبيك وولادتي من علي عليه السلام في سنّي وقديمي أحقّ بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصية والإمامة، ولا تحاجّني.**

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا عمّ، اتّق الله ولا تدَّعِ ما ليس لك بحقّ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين. إنَّ أبي يا عمُّ ـ صلوات الله عليه ـ أوصى إليّ قبل أن يتوجَّه إلى العراق، وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تتعرّض لهذا؛ فإنّي أخاف عليك نقص

---

(١) ديوان السيّد محمّد مهدي بحر العلوم رحمه الله: ٤١ والقصيدة فيه تتكون من ثلاثة وخمسين بيتاً.

(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١: ٢٨٦ ح١٢٥ ومحمّد بن أبي حذيفة هو ابن عتبة بن ربيعة، وهو ابن خال معاوية.

العمر وتشتُّت الحال، إنَّ الله تبارك وتعالى جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حَتَّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك».

قال أبو جعفر عليه السلام: «وكان الكلام بينهما بمكّة، فانطلقا حَتَّى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمّد بن الحنفية: أبدأ أنت وابتهل إلى الله عزَّ وجلَّ، وسله أن ينطق لك الحجر، ثُمَّ سل. فابتهل محمّد بن الحنفية[١] في الدعاء وسأل الله عزَّ وجلَّ ثُمَّ دعا الحجر فلم يجبه.

فقال علي بن الحسين عليه السلام يا عم لو كُنْتَ وصياً وإماماً لأجابك.

قال له محمّد: فادع الله أنت يا ابن أخي وسله، فدعا الله عزَّ وجلَّ علي بن الحسين عليه السلام بما أراد، ثُمَّ قال: أسألك بالَّذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الخلق[٢] أجمعين، لمّا أخبرتنا مَن الوصي والإمام بعد الحسين بن علي عليه السلام؟

قال: فتحرَّك الحجر حَتَّى كاد أن يزول عن موضعه، ثُمَّ أنطقه الله عزَّ وجلَّ بلسان عربي مبين، فقال: اللهُمَّ إنَّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي عليه السلام إلى علي بن الحسين بن علي عليه السلام»[٣].

---

(١) ليس في المصدر: (بن الحنفية).

(٢) في المصدر: (وميثاق الناس).

(٣) الكافي ١: ٣٨٤ ح٥ وتتمته: «وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فانصرف محمّد بن علي وهو يتولّى علي بن الحسين عليه السلام»، والحديث لم يرد عن أبي عبد الله عليه السلام، فتأمّل.

قال القاضي ابن خَلّكان: (إنّ رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام سيولد لك بعدي غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي، ولا تحلّ لأحد من أُمَّتي من بعده وممَّن يسمّى محمّداً، ويكنّى أبا القاسم)[1].

قال القطب الراوندي في الخرائج: (إنّ منازعته في الإمامة مع علي بن الحسين وادّعاءه له بعد شهادة الحجر الأسود له، لإزالة شكوك العوام والمستضعفين، وكان معتقداً للحقّ معترفاً به)[2].

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر عليه السلام يقول: «كان أبو خالد الكابلي يخدم محمّد بن الحنفية دهراً وما كان يشكُّ في أنّه إمام حتَّى أتاه ذات يوم فقال له: جعلت فداك، إنّ لي حرمة ومودّة وانقطاعاً، فأسألك بحرمة رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام، إلاّ أخبرتني أنت الإمام الَّذي فرض الله طاعته على خلقه؟

فقال لي: يا أبا خالد حلّفتني بالعظيم، الإمام علي بن الحسين عليه السلام عليّ وعليك وعلى كلّ مسلم»[3].

وقال في التعليقة: (وتخلُّفه عن الحسين عليه السلام لعلَّه لعذر أو مصلحة، والرواية الواردة في ذمِّه لذلك لو كانت صحيحة فلعلَّه أيضاً لمصلحة)[4].

---

(١) وفيات الأعيان ٤: ١٧٠ والمؤلِّف رحمه الله ذكره بالمعنى وما أثبتناه من المصدر.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٢٥٨ بتصرف يسير.

(٣) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١: ٣٣٦ح١٩٢.

(٤) تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ٣٠٠.

ومن كلامه: (ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدّاً، حَتّى يجعل له الله فرجاً)[١].

وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ووفاته في محرَّم سنة ٨١ بالمدينة، ودفن بالبقيع. وقيل: خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات هناك، وقيل: مات ببلاد (أيلة)[٢] ـ وهي موضع برضوى ـ وهو جبل ينبع بين مكة والمدينة[٣].

وفي معجم البلدان: (أن (خارك)؛ جزيرة في وسط البحر الفارسي، قريبة من عبادان معروفة، وفيه قبر يزار وينذر له، يزعم أهل الجزيرة أنه قبر محمّد ابن الحنفية رضي الله عنه والتواريخ تأبى ذلك)[٤].

وفي العقد الفريد: (أنه وقف محمّد ابن الحنفيّة على قبر الحسين عليه السلام فخنقته العبرة، ثُمَّ نطق فقال: يرحمك الله أبا محمّد، فلَئِنْ عزّت حياتك فلقد هدّت وفاتك، ولنعم الرُّوح روح ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدنٌ ضمّه كفنك، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقيّة ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك أكفُّ الحقّ، وربِّيتَ في حجر الإسلام فطبت حيّاً، وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكّة في الخيار لك)[٥].

---

(١) تهذيب الكمال ٢٦: ١٥٢، ذيل تاريخ بغداد ٣: ١٠٢، وفيات الأعيان ٤: ١٧٢، والحديث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض المصادر كأسد الغابة ٥: ٢٧٠، فلعل ابن الحنفية كان راوياً له.

(٢) وفيات الأعيان ٤: ١٧٢.

(٣) معجم البلدان ١: ٢٩٣.

(٤) معجم البلدان ٢: ٣٣٧، وفي مزار قديم أن قبره بالكوفة. (ينظر الذريعة ٢٠: ٣٢٣ رقم ٣٢٢١).

(٥) العقد الفريد ٣: ٢٣٨ وفي هذا النص إشكالان، أحدهما: أنه لم يعهد تكنية الإمام الحسين عليه السلام بأبي محمّد فهي كنية أخيه الإمام الحسن عليه السلام، والآخر: إنه لم يعهد زيارة ابن الحنفية رضي الله عنه لقبر الإمام الحسين عليه السلام،

تزوج عمر بأم كلثوم

الثالث: ذكر صاحب (الاستيعاب): (أنّ أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وُلدَت قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، أمُّها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، خطبها عمر بن الخطاب إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: إنها صغيرة.

فقال له عمر: زوجنيها يا أبا الحسن، فإنّي أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد.

فقال له علي رضي الله عنه: أنا أبعثها إليك فإن رضيتها زوجتُكَها، فبعثها إليه ببرد وقال لها قولي: هذا البُرد الَّذي قلت لك.

فقالت ذلك لعمر، فقال قولي له: قَدْ رضيتُ رضي الله عنك، ووضع يده على ساقها فكشفها فقالت: أتفعل هذا؟ لولا أنّك أمير المؤمنين لكسرت أنفك.

ثُمَّ خرجت حَتَّى جاءت أباها فأخبرته الخبر، وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء.

فقال: يا بنية إنه زوجكِ، فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين في الروضة، وكان يجلس فيها المهاجرون الأوّلون فجلس إليهم، فقال لهم: رفئوني[1]، فقالوا بماذا يا

فيظهر من ذلك أن كلمة (الحسين) مصحفة عن (الحسن)، ويؤيّد ذلك ما ذُكر في تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٩٦، وتهذيب الكمال ٦: ٢٥٥، والجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ٣٣، وفي تراثنا: كامل الزيارات: ١١٧، مزار المفيد: ١٨١، تهذيب الأحكام ٦: ٤١ح ١/٨٥ من أن الوقوف كان على قبر الإمام الحسن عليه السلام.

وأما عبارة: (وخامس أصحاب الكساء)، فهي غير مختصّة بالإمام الحسين عليه السلام فكل واحد منهم عليهم السلام إذا ذُكر يكون خامساً لخمسة، فقد ورد أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة له: (أنا خامس الكساء)، (ينظر: ينابيع المودة ٣: ٢٠٥)، كما ورد ذلك في زيارة لأمير المؤمنين عليه السلام ضمن زيارة جامعة للمشاهد، وفيها ما نصّه: (خامس أصحاب الكساء، وبعل سيدة النساء). (ينظر: مزار المشهدي: ٥٥٥باب ٨ بحار الأنوار ٩٩: ١٧٨)، فضلاً عن أن أهل التراجم ذكروا الإمام الحسن عليه السلام بذلك. (ينظر: أسد الغابة ٢: ٩، ذكر أخبار أصبهان ١: ٤٤).

(١) في الأصل: (زفوني) والسياق لايقتضيها ـ وهي في بعض المصادر ـ فالتصحيف ظاهر عليها، ورفئوني: أي قولوا لي: بالرفاء والبنين.

أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري.

فكان لي به عليه السلام النسب والسبب، فأردت أن أجمع إليه الصهر فرفّأوه[1]، انتهى[2].

وكيف كان، فلا ينبغي الريب في أنّ أمّ كلثوم هذه ـ التي تزوّجها عمر ـ توفّيت في زمان أخيها الحسن عليه السلام ولم تدرك وقعة الطفّ، وذكر أرباب السير أنها ولدت من عمر ولداً اسمه: زيد يلقب بذي الهلالين، وبنتاً تسمّى: رقية[3].

قال في (أسد الغابة): (وتوفّيت أمُّ كلثوم وابنُها زيد في وقت واحد)[4].

وروى الشيخ الحرّ في (الوسائل) أنه: (أُخرجت جنازة أمّ كلثوم بنت علي وابنها زيد بن عمر، وفي الجنازة: الحسن، والحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبّاس، وأبو هريرة، فوضعوا جنازة الغلام ممّا يلي الإمام والمرأة وراءه، وقالوا: هذا هو السُنّة)[5].

وممّا ذكر يظهر لك عدم صحّة ما ذكره محمّد بن طلحة في مطالب السّؤول ـ عند شرحه لأولاد الصديقة الطاهرة ـ حيث قال: ([وأما][6] أمّ كلثوم تزوّجَ بها عمر بن الخطاب فولدت له ولدين، فلمّا قتل عمر تزوّجَ بها بعده عون بن

---

(١) في الأصل: (فزفوه).

(٢) الاستيعاب ٤: ١٩٥٤ رقم ٤٢٠٤.

(٣) القاموس المحيط ٤: ٧١، تاج العروس ١٥: ٨١٣.

(٤) أسد الغابة ٥: ٦١٥.

(٥) وسائل الشيعة ٣: ١٢٨ح٣٢٠٥/١١.

(٦) ما بين المعقوفين من المصدر.

جعفر فلم تلد له، فلمَّا مات تزوَّجها بعده عبد الله بن جعفر بعد موت زينب ـ أُختها ـ فلم تلد له وماتت عنده)[١].

ولا ريب في عدم صحَّة ما ذكرناه؛ لاتفاق المحدِّثين والمؤرِّخين من الفريقين كما عرفت، على أنّ أم كلثوم هذه تُوفِّيت في زمان أخيها الحسن عليه السلام، ولا عبرة ممَّا في (ناسخ التواريخ) فإنّه مأخوذ منه[٢]، ومن المعلوم أنّ عوناً ومحمّداً ولدَي جعفر قتلا في زمن عمر في وقعة تُستَر، وكيف تزوّجها عبد الله بن جعفر في زمان أخيها الحسن عليه السلام مع تزوجّه بزينب الباقية بعد أخيها الحسين عليه السلام مدة، فتدبَّر.

قال الشيخ أبو محمّد الأطروش: (الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب الإمامة: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام زوّج أُمّ كلثوم من عمر، لكن، لمّا كانت صغيرة لم يتمكَّن من مضاجعتها حَتَّى قُتل)[٣].

وعندي أنّ هذا غير صحيح، لما عرفت من تصريح الرواية المتقدِّمة بخلافها؛ ولأن أم كلثوم عند قتله لم ينقص عمرها عن عشرين سنة.

---

(١) مطالب السؤول: ٤٧.

(٢) أي من كتاب مطالب السؤول.

(٣) لم أهتد لمصدره، وفي مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج٣ ص٩٨ ما نصّه: (وذكر أبو محمّد النوبختي في كتاب الإمامة أن أمّ كلثوم كانت صغيرة، ومات عمر قبل أن يدخل بها) .

وقال الصدوق في التوحيد: (إنّ أمَّ كلثوم ما دخلت بيت عمر، بل جنيّةٌ تصوَّرت بصورتها، ودخلت بيته[١]، وهو غير صحيح أيضاً، وللشيعة كلام طويل في هذا الشأن)[٢].

رواية أبي هريرة الطعن على الإمام علي عليه السلام

الرابع: نقل ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عن الشيخ أبي جعفر الإسكافي رحمه الله: (أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين: عروة بن الزبير.

إلى أن قال: وأمّا أبو هريرة فروي عنه الحديث الّذي معناه: أنّ علياً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسخطه، فخطب على المنبر وقال: لاها الله! لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله: أبي جهل! إنّ فاطمة عليها السلام بضعة منّي يؤذيني ما

---

(١) الحديث لم يرد في توحيد الصدوق، بل رواه الراوندي في الخرائج والجرائح ٢: ٨٢٥ ح٣٩، وعنه مدينة المعاجز ٣: ٢٠٢ ح٨٢٨، وبحار الأنوار ٤٢: ٨٨ ح١٦، فتأمّل.

(٢) ألّف علماء الشيعة أنار الله برهانهم في أمر تزويجها عليها السلام عدة رسائل بين نفي وإثبات منها: (جواب السؤال عن وجه تزويج أمير المؤمنين عليه السلام ابنته من عمر) للشريف المرتضى علم الهدى، (إفحام الخصوم في نفي عقد أم كلثوم) للسيّد ناصر حسين اللكهنوي، (تزويج أم كلثوم وإنكار وقوعه) للعلامة المجاهد الشيخ محمّد الجواد البلاغي، (العجالة المفحمة) فارسي في إبطال رواية نكاح أم كلثوم للسيّد مصطفى ابن السيِّد محمّد النقوي المتوفّى ١٣٢٣، (قول محتوم في عقد أم كلثوم) للسيّد كرامة علي الهندي، (كنز مكتوم في حل عقد أم كلثوم) للسيّد علي أظهر الهندي الكهجوي، (تزويج أم كلثوم من عمر) و(رسالة في تزويج أم كلثوم من عمر) للسيّد علي الميلاني (معاصر)، (زواج أم كلثوم) للسيد علي الشهرستاني (معاصر)، (كشف البصر عن تزويج أم كلثوم من عمر) للسيّد محمّد علي الحلو (معاصر). (ينظر الذريعة: ٢: ٢٥٦، ٤: ١٧٢، ٥: ١٨٣، ١٥: ٢٢٢، ١٧: ٢١٤، ١٨: ١٦٨)

يؤذيها، فإن كان عليٌّ يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد، أو كلاماً هذا معناه، والحديث مشهور من رواية الكرابيسي)، انتهى[١].

ترجمة الكرابيسي

قال السيِّد المرتضى رحمه الله في (تنزيه الأنبياء): (إنّ هذا الخبر باطل موضوع، غير معروف، ولا ثابت عند أهل النقل، وإنّما ذكره الكرابيسي طاعناً به على أمير المؤمنين عليه السلام، ومعارضاً بذكره لبعض ما يذكره شيعته من الأخبار في أعدائه، وهيهات أن يشبَّه الحقُّ بالباطل، ولو لم يكن في ضعفه إلاّ رواية الكرابيسي له واعتماده عليه، وهو من العداوة لأهل البيت عليهم السلام، والمناصبة لهم والإزراء عليهم وعلى فضائلهم[٢] ومآثرهم على ما هو مشهور لكفى)، انتهى[٣].

ومن أقوى الأمارات على انحراف الرجل عن أمير المؤمنين عليه السلام ما ذكره ابن النديم في فهرسته: (أن له كتاب (الإمامة) وفيه غمز على علي عليه السلام)[٤].

والكرابيسي على ما ذكره ابن خَلّكان في (الوفيات): (هو أبو علي الحسين بن [علي بن] يزيد الكرابيسي البغدادي صاحب الإمام الشافعي وأشهرهم بانتياب مجلسه، وأحفظهم لمذهبه، وله تصانيف كثيرة في أُصول الفقه وفروعه، وكان متكلّماً عارفاً بالحديث، وصنّف أيضاً في الجرح والتعديل وغيره، وأخذ عنه الفقه خلق كثير، وتوفي سنة ٢٤٥، وقيل سنة ٢٤٨، وهو أشبه بالصواب.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٦٣.

(٢) في المصدر: (والإزراء على فضائلهم).

(٣) تنزيه الأنبياء: ٢١٩.

(٤) فهرست ابن النديم: ٢٣١.

قال: والكرابيسي بفتح الكاف والراء وبعد الألف باء موحدة مكسورة، ثُمَّ ياء مثناة من تحتها ساكنة، وبعدها سين مهملة هذه نسبة إلى الكرابيس وهي الثياب الغليظة، واحدها كرباس بكسر الكاف وهو لفظ فارسي عُرِّب، وكان [أبو علي] يبيعها فنسب إليها)، انتهى[1].

وذكره الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال)، وقال في حقّه: (إنه [ساقط] لا يرجع إلى قوله).

ونقل عن الخطيب: (أن حديثه يعزّ جداً؛ لأن أحمد بن حنبل كان يتكلَّم فيه، وهو أيضاً كان يتكلَّم في أحمد، فتجنَّب الناس الأخذ عنه، ولمّا بلغ يحيى بن معين أنه يتكلَّم في أحمد لعنه، وقال: ما أحوجَهُ إلى أن يُضرب!

إلى أن قال: ومقت الناس حسيناً؛ لكونه تكلَّم في أحمد، انتهى باختصار غير ضار راجع (ميزان الاعتدال ص٢٥٥)[2]، هذا حال الكرابيسي عند رجال العامّة).

ترجمة أبي هريرة

وأمّا أبو هريرة، فقد قال في (القاموس): (عبد الرحمن بن صخر، رأى النبيّ ﷺ في كمّه هرّة فقال: يا أبا هريرة، فاشتهر به، واختلف في اسمه على نيِّف وثلاثين قولاً)، انتهى[3].

والأصحُّ ما في (القاموس) تبعاً لقول الحاكم، والنَّووي، وتصحيح البخاري في صحيحه[4]، والمرويّ عن محمّد بن سيرين ـ كما في (معجم البلدان) ـ عن

---

(١) وفيات الأعيان ٢: ١٣٢ رقم ١٨١، ما بين المعقوفين من المصدر.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٥٤٤ رقم ٢٠٣٢، ما بين المعقوفين من المصدر.

(٣) القاموس المحيط ٢: ١٦٠.

(٤) مستدرك الحاكم ٣: ٦٠٥، المجموع ١: ٢٦٦، صحيح البخاري ٧: ١١٨.

أبي هريرة، قال: (استعملني عمر بن الخطّاب على البحرين فاجتمعت لي اثنا عشر ألفاً، فلمّا قدمت على عمر قال لي: يا عدوّ الله والمسلمين ـ أو قال: عدوّ كتابه ـ سرقت مال الله؟!

قال: قلت: لست بعدوٍّ الله ولا المسلمين ـ أو قال: عدوّ كتابه ـ ولكنّي عدوّ من عاداهما.

قال: فمن أين اجتمعت لك هذه الأموال؟ قلت: خيل لي تناتجت وسهام اجتمعت.

قال: فأخذ منّي اثني عشر ألفاً، فلمّا صلّيت الغداة قلت: اللهُمَّ اغفر لعمر.

قال: وكان يأخذ منهم ويعطيهم أفضل من ذلك، حَتَّى إذا كان بعد ذلك قال: ألا تعمل يا أبا هريرة؟ قلت: لا.

قال: ولمَ وقد عمل من هو خير منك، يوسف عليه السلام؟

قال: اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم.

قلت: يوسف نبيٌّ ابن نبي، وأنا أبو هريرة ابن أُميمة، وأخاف منكم ثلاثاً واثنتين.

فقال: هلا قلت: خمساً، قلت: أخشى أن تضربوا ظهري، وتشتموا عرضي، وتأخذوا مالي، وأكره أن أقول بغير علم، وأحكم بغير علم)، انتهى[1].

وفيه دلالة واضحة على أنه كان يضع الحديث لأجلهم.

---

(١) معجم البلدان ١: ٣٤٨.

وفي (حياة الحيوان) نقلاً عن مسند أبي داود الطيالسي، وعن عائشة أنه قيل لها: (إنّ أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: الشؤم في ثلاث: المرأة ، والدار، والفرس.

فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة، لأنه دخل ورسول الله ﷺ يقول: قاتل الله اليهود، يقولون: الشؤم في ثلاث: المرأة، والدار، والفرس.

فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله)، انتهى[1].

وفيه أيضاً عن مسند أبي داود الطيالسي من حديث الشعبي، عن علقمة، قال: (كنّا عند عائشة ومعنا أبو هريرة، فقالت: يا أبا هريرة أنت الّذي تحدّث عن رسول الله ﷺ: إن امرأة عُذّبت بالنار من أجل هرّة؟

قال أبو هريرة: نعم، سمعته من رسول الله ﷺ.

فقالت عائشة: المؤمن أكرم على الله من أن يعذّبه من أجل هرّة، إنّما كانت المرأة مع ذلك كافرة، يا أبا هريرة إذا حدّثت عن رسول الله ﷺ فانظر كيف تحدّث)[2].

وفي (ميزان الاعتدال) للذهبي نقلاً عن أبي يوسف القاضي، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً.

فقالت عائشة: لم يحفظ الحديث، إنّما قال رسول الله ﷺ: خير من أن يمتلئ شعراً هُجيتُ به)[3].

---

(١) حياة الحيوان ٢: ١٥٨ (مادة: فرس) ، مسند أبي داود: ٢١٥.

(٢) حياة الحيوان ٢: ٣٩٨ (مادة: الهر) ، مسند أبي داود: ١٩٩ باختلاف يسير.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٥٨٨.

ونقل ابن أبي الحديد في (شرح النهج) عن الشيخ أبي جعفر أنّه روى الأعمش: (لمّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة... وقال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ لكلّ نبي حرماً، وإنّ حرمي بالمدينة ما بين عِير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أنّ علياً أحدث فيها.

فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاّه إمارة المدينة.

قال: قال أبو جعفر: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا، غير مرضي الرواية، ضربه عمر بالدرّة، وقال: قَدْ أكثرت من الرواية وأَحر بك[1] أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ.

وروى سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم التيمي، قال: كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلاّ ما كان من ذكر جنّة أو نار.

وروى أبو أسامة، عن الأعمش، قال: كان إبراهيم صحيح الحديث، فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضت عليه، فأتيته يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح، عن أبي هريرة، فقال: دعني من أبي هريرة، إنّهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه.

وقد روي عن علي عليه السلام أنّه قال: ألا إنّ أكذب الناس ـ أو أكذب الأحياء ـ على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي.

وروى أبو يوسف، قال: قلت لأبي حنيفة... وساق كلامه إلى أن قال ـ أي: أبو حنيفة ـ: والصحابة كلُّهم عدول ما عدا رجالاً، ثُمَّ عدّ منهم أبا هريرة، وأنس بن مالك.

---

(١) حري بكذا: أي جدير وخليق، ويحدث الرجل الرجل فيقول: ما أحراه، وأحر به (لسان العرب: ١٤ / ١٧٣).

وروت الرواة: أنّ أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق، ويلعب معهم، وكان يخطب... وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق، فإذا انتهى إلى رجل يمشي أمامه، ضرب برجله الأرض، ويقول: الطريق الطريق! جاء الأمير! يعني نفسه.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: قَدْ ذكر ابن قتيبة هذا كلّه في كتاب (المعارف)، في ترجمة أبي هريرة، وقوله فيه حجّة؛ لأنّه غير متّهم عليه)، انتهى[1].

ونقل عن الجاحظ في كتاب التوحيد: (أنّ أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ولم يكن علي عليه السلام يوثّقه في الرواية، بل يتّهمهُ ويقدَحُ فيه، وكذلك عمر وعائشة)، انتهى[2].

وفي مناقب الخوارزمي: (أنّ رجلاً سأل أبا هريرة بصفّين في مجلس معاوية، فقال: أنشدك بالله إن سألتك عن حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وآله أتجيبني؟ قال: نعم.

قال الرجل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهُمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه؟ قال: نعم.

قال: إنّي رأيتك واليت أعداءه، وعاديت أولياءَه؟!

فقال أبو هريرة: إنا لله وإنا إليه راجعون)، انتهى[3].

وعن فضائل السمعاني مثله[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٦٧- ٦٩.

(٢) عنه شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣١.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٢٠٥ وفيه تمام الخبر والمؤلّف رحمه الله ذكره باختصار، والسائل هو الأصبغ بن نباتة.

(٤) فضائل الصحابة للسمعاني (مخطوط)، ينظر مصادر الحديث في: الغدير ١: ٢٠٢.

ولا أظنك ترتاب في كذب هذا الخبر وبطلانه بعد ما عرفت من حال أبي هريرة روايةً، وخصوصاً عداوته لأمير المؤمنين عليه السلام تجاه ما كان يتّهمه ويقدحُ فيه، كما نقلناه عن الجاحظ.

وإن أردت توسيع المخاض بأكثر من ذلك، وتحقيق كذب ما هنالك، فنقول: إنّه روى ابن شهر آشوب بإسناده عن الصادق عليه السلام، قال: «حرّم الله عزّ وجلّ على عليّ عليه السلام النساء ما دامت فاطمة حيّة. قال: لأنّها طاهرة لا تحيض»[1].

فإن كانت هذه الرواية صحيحة، والحكم الّذي تضمّنته من حرمة التزويج على عليّ عليه السلام ثابت، فعليٌّ أحقّ بالتجنُّب من محظور القول والفعل، كيف لا وهو القائل: «ولست بمأبور في ديني فيواري بها رسول الله صلى الله عليه وآله عنّي»[2] [3].

قال في القاموس: (وقول علي: (ولست بمأبور في ديني) أي: بمُتَّهم في ديني)[4].

وإن لم تكن الرواية صحيحة، والحرمة غير ثابتة عليه عليه السلام، والحكم باقٍ على الإباحة الأصلية المستفادة من العموم المستفاد من الآية المبيحة للنساء الأربع، فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة؛ لأنّ هذه القصة كانت بعد فتح مكّة وإسلام أهلها طوعاً وكرهاً، فلا مانع من التزويج بها. وما كان النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٠.

(٢) في الأصل: «ولست بمأبور في ديني فيتألّفني النبيّ صلى الله عليه وآله بتزويجي فاطمة»، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١: ١٨.

(٤) القاموس المحيط ١: ٣٦١.

يهيجه سوى غضب الله وسخطه، وحاشاه من أن ينكر أمراً مباحاً في شريعته مع ما كان عليه ممَّا وصفه الله به، ومدحَهُ عليه من الخُلُق العظيم، فهذه الرواية قَدْ تضمّنت ما يشهد ببطلانها، ويقضي على كذبها من حيث ادّعى فيها: أنّ النبيﷺ ذمَّ هذا الفعل، وأعلن بإنكاره على المنبر.

فإن قلت: فما الجواب عمّا رواه الصدوق رحمه الله في (العلل): «من أنّ رجلاً سأل الصادقعليه السلام: هل تشيّع الجنازة بنار ويمشي معها بمجمرة أو قنديل؟ ـ وإنّما كان وجه هذا الكلام مع تشييع جنازة فاطمةعليها السلام ـ قال: فتغيّر لون أبي عبد اللهعليه السلام من ذلك واستوى جالساً، ثُمَّ قال: إنّه جاء شقيٌّ من الأشقياء إلى فاطمة بنت رسول اللهﷺ فقال لها: أما علمتِ أنّ علياً قَدْ خطب بنت أبي جهل؟ فقالت: حقّاً ما تقول؟ فقال: حقّاً ما أقول ـ ثلاث مرات ـ فدخلها من الغيرة مالا تملك نفسها، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى كتب على النساء غيرة، وكتب على الرجال جهاداً، وجعل للمحتسبة الصابرة منهنّ من الأجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله.

قال: فاشتدّ غمّ فاطمةعليها السلام من ذلك، وبقيت متفكّرة هي حَتَّى أمست وجاء الليل حملت الحسنعليه السلام على عاتقها الأيمن، والحسين على عاتقها الأيسر، وأخذت بيد أُمِّ كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثُمَّ تحوَّلت إلى حُجرة أبيها، فجاء عليّ فدخل حُجرته فلم يرَ فاطمةعليها السلام فاشتد لذلك غمُّه، وعظم عليه، ولم يعلم القصة ما هي، فاستحى أن يدعوها من منزل أبيها، فخرج إلى المسجد يصلّي فيه ما شاء الله، ثُمَّ جمع شيئاً من كثيب المسجد واتكأ عليه، فلمَّا رأى النبيّﷺ ما بفاطمة من الحزن أفاض عليه الماء، ثُمَّ لبس ثوبه، ودخل

المسجد، فلم يزل يصلّي بين راكع وساجد، وكلما صلّى ركعتين دعا الله أن يذهب ما بفاطمة من الحزن والغمّ، وذلك أنّه خرج من عندها وهي تتقلّبُ وتتنفَّسُ الصعداء، فلمَّا رآها النبيّ صلى الله عليه وآله أنّها لا يهنيها النوم، وليس لها قرار، قال: لها قومي يا بنيَّة، فقامت، فحمل النبي صلى الله عليه وآله الحسن، وحملت فاطمة عليها السلام الحسين، وأخذت بيد أُمّ كلثوم فانتهى إلى علي وهو نائم، فوضع النبيّ صلى الله عليه وآله رجله على رجل عليّ فغمزه، وقال: قم يا أبا تراب، فكم ساكن أزعجته، ادع لي أبا بكر من داره، وعمر من مجلسه، وطلحة، فخرج عليّ فاستخرجهما من منزلهما، واجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، أما علمتَ أنّ فاطمة بضعة منّي وأنا منها فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كان كَمَنْ آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي.

فقال علي عليه السلام: بلى يا رسول الله، قال: فقال: فما دعاك إلى ما صنعت؟

فقال علي: والَّذي بعثك بالحقّ نبياً ما كان منّي ممَّا بلغها شيء، ولا حدَّثت بها نفسي.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: صَدَقْتَ وصُدِّقت، ففرحت فاطمة بذلك، وتبسَّمت حتَّى رُئِي ثغرُها.

فقال أحدهما لصاحبه: إنّه لعجب لحينه، ما دعاه إلى ما دعانا هذه الساعة؟!

قال: ثُمَّ أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ فشبك أصابعه بأصابعه فحمل النبيّ صلى الله عليه وآله الحسن عليه السلام، وحمل الحسين عليه السلام عليّ، وحملت فاطمة عليها السلام أُمّ

كلثوم، وأدخلهم النبيّ صلى الله عليه وآله بيتهم، ووضع عليهم قطيفة، واستودعهم الله ثُمَّ خرج وصلّى بقية الليل)، انتهى موضع الحاجة من الرواية[1].

قلت: والجواب عن هذه الرواية من وجوه:

الأوّل: الطعن في سندها من حيث إنّ فيه زياد بن عبيد الله، وهو من المجاهيل، كما صرّح به في (الوجيزة)[2].

وعمرو بن أبي المقدام وهو ليس بتلك المكانة من الوثاقة، بل قال الغضائري: إنه ضعيف جداً[3].

والّذي وثّقه في كتابه الآخر هو: عمر بن حريث أخو عمرو[4].

الثاني: أن فاطمة عليها السلام عالمة بما كان وما يكون فكيف تعتمد على قول رجل مجهول؟

الثالث: أنها ما كانت تذهب إلى بيت أبيها صلى الله عليه وآله من غير إذن زوجها عليه السلام، وهي القائلة له: «ما عرفتني خائنة ولا كاذبة، وما خالفتك منذ عاشرتك»[5] فكيف يتصور خروجها بتلك المثابة بلا رخصة منه عليه السلام.

الرابع: وهو العمدة أنّها صريحة في تبرئته عليه السلام ممّا نسب إليه، وتصديق النبي صلى الله عليه وآله إيّاه فما وجه القدح هذا؟

---

(١) علل الشرائع ١: ١٨٥ ح ٢، وسندها: (حدّثنا علي بن أحمد، قال: حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن يحيى، عن عمرو بن أبي المقدام وزياد بن عبد الله).

(٢) الوجيزة في علم الرجال: ٨٣ رقم ٧٩٦.

(٣) رجال ابن الغضائري: ٧٣ رقم ١/٧٦.

(٤) رجال ابن الغضائري: ١١١ رقم ٥/١٦٤.

(٥) روضة الواعظين: ١٥١، وفيه: «ما عهدتني خائنة ولا كاذبة، ولا خالفتك منذ عاشرتني».

قصيدة مروان شاعر الرشيد [والرد عليها]

ولمروان بن أبي حفص شاعر الرشيد[1] قصيدة ضمّنها هذا الحديث الموضوع من أن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل، وأنّ رسول الله ﷺ سِيْءَ بذلك، ومدح فيها هارون الرشيد، ونال فيها ما نال من ذمّ علي وبنيه عليهم السلام، وأوّلها على ما ذكره بن أبي الحديد في (شرح النهج):

سـلامٌ عـلى جُمْـلٍ وهيهـاتَ مِـنْ جُمْـلِ ... ويـا حبّـذا جُمْـلٌ وإن صَرَمَـتْ حـبلي[2]

حتّى قال:

عـليٌّ أبـوكُمْ كـانَ أفـضلَ مِـنكُمُ ... أبـاهُ ذوو الـشُّورى وكـانوا ذَوي فَـضْلِ

وسـاءَ رسـولَ اللهِ إذ سـاءَ بنتَـهُ ... بخِطبَتِـهِ بنـتَ اللَّعـينِ أبي جَهْـلِ

فـذمَّ رسـولُ اللهِ صِـهْرَ أبـيكُمُ ... عـلى مِنـبَرٍ بـالمنطِقِ الـصادِعِ الفَـصْلِ

ومنها:

وحكّـم فيهـا حـاكِمَينِ أبـوكُمُ ... هُمـا خَلعـاهُ خُلـعَ ذي النَّعـلِ للنَّعـلِ

وقـد باعهـا مـن بَعـدِهِ الحسنُ ابنُـهُ ... فقـد أبطـلا دعـواكُمُ الرثَّـةَ الحَبـلِ

وضـيَّعتُموها وهـي في غـيرِ أهلِهـا ... وطالَبتُمُوهـا حـين صـارَتْ إلى الأهْـلِ[3]

---

(١) سوف تأتي ترجمته فيما بعد من المؤلّف رحمه الله.

(٢) في الأصل: «وإن حرمت وصلي» وما أثبتناه من المصدر.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ٦٥.

فردّ عليه جدّي العلامة المؤيّد من الله الملك الحيّ القيّوم، والمشهور في الآفاق بـ(بحر العلوم) رَحِمَهُ اللهُ ردّاً مبيناً؛ لكفره وشقاوته، ومصرّحاً ببغضه وعداوته، وهي قوله رَحِمَهُ اللهُ:

ألا عَدِّ عَن ذكرى بثينةَ أو جُمْلِ ... فَما ذكرُها عندي يُمِرُّ ولا يُحلِي
ولا أطربتني البيضُ غيرَ صحائِفٍ ... محبَّرةٍ بالفضل ما بَرِحَت شُغلي
وعوجٍ يقيمُ الإعوجاجَ انسلالها ... إذا حانَ منها الحينُ حنّت إلى السَّلِّ
وعُذْ لأُلى هُمْ أصلُ كلِّ فضيلةٍ ... ويمّم منارَ الفضلِ من رَبْعِهِ الأصلِ
وعرِّجْ على الأطهارِ من آلِ هاشمٍ ... فَهُمْ شرفي والفخرُ فيهم وَهُمْ أصلي
وسلِّم على خيرِ الأنامِ مُحمّدٍ ... وعترتِهِ الغُرِّ الكرام أُولي الفضلِ
وخُصَّ علياً ذا المناقبَ والعُلى ... وصيَّ النبيِّ المُرتضى خيرةَ الأهلِ
وبُثَّ لَهُم بثّي فإنّي فيهِمُ ... أُكابِدُ أقواماً مراجِلُهُم[1] تغلي
وقُلْ للذي خاضَ الضلالةَ والعَمى ... ومَنْ خَبَطَ العشواءَ في ظُلمَةِ الجَهلِ
ومَنْ باعَ بالأثمان جوهرةَ الهُدى ... كما باع بالخُسرانِ جَوهَرَةَ العقلِ
هجوتَ أُناساً في الكتاب مديحُهُم ... وفي العقلِ بانَ الفضلُ مِنهُم وفي النَّقلِ
ولفّقت زوراً كادَت السَّبعُ تنطوي ... لَهُ والجبالُ الشمُّ تهوي إلى السَّفلِ
عَلَوا حَسَباً من أن يصابوا بِوصْمَةٍ ... فيدفَعُ عن أحسابِهِم أنا أو مثلي
ولكنْ أبَتْ صبراً نفوسٌ أبيّةٌ ... وأنفٌ حَمِيٌّ لا يَقِرُّ على الذُّلِّ
فأصغِ إلى قولي وهَل أنا مُسمِعٌ ... غَداةَ أُنادي الهائمينَ مَعَ الوَعْلِ[2]
عليٌّ أبونا كان كالطُّهرِ جدُّنا ... لَهُ ما لَهُ إلّا النبوَّةَ مِنْ فَضلِ

---

(١) المرجل: بكسر الميم، قدر من النحاس. (مجمع البحرين ١: ٧٢)

(٢) الوعل: الأروى. (الصحاح ٥: ١٨٤٣)

وذو الفضلِ محسودٌ لذي الجَهلِ والعَمى / لذا حَسَدَ الطُّهرَ النبيَّ[1] أبو جهلِ
وعادى عليّاً كلُّ أرذلَ أسفلٍ / وضُولعَ مدخولُ الهوى ذاهبُ العقلِ
لئن كانتِ الشورى أبَتْهُ وقبلَها / سَقيفتُهم أصلُ المفاسدِ والخَتْلِ[2]
فقد كانَ أهلُ الرِّحلتَينِ وندوةٍ / أبَوا قَبْلها مِن جَهْلِهم سيِّدَ الرُّسلِ[3]
وحاربَهُ أهلُ الكتابِ بِبَغْيِهم / وكانوا بهِ يستفتحون لدى الوَهْلِ
وأصحابُ موسى السامريُّ أضلَّهم / بكيدٍ[4] فضلّوا عاكفين على العجلِ
وقد كُذِّب الرسلُ الكرامُ وقوتلوا / فما ضرَّهُم خذلانُ قومٍ ذوي جَهْلِ
ولو كانَتِ الشورى لقومٍ ذوي فضلٍ / لما عَدَلوا بالأمر يَوماً إلى الرَّذلِ
أبَوا حيدراً إذ لم يكونوا كمثلِهِ / وما الناسُ إلا مائلون إلى المِثْلِ
أبَوْه ويأبى اللهُ إلا الَّذي أبَوْا / وهل بَعْدَ حُكمِ اللهِ حُكْمٌ لذي عَذْلِ
لَهُ في العقودِ العاقداتِ لَهُ الولا / مِنَ اللهِ عَقْدٌ مُبرَمٌ غيرُ مُنحلٍّ
وكم في كتابِ اللهِ مِنْ حُجَّةٍ لَهُ / وآياتِ فضلٍ شاهداتٍ على الفَضْلِ
كشاهدِ هودٍ ثمَّ يتلوهُ شاهدٌ / من الرَّعدِ و الأحزابِ والنَّملِ والنَّحلِ
إمام أتى فيه من الله ما أتى / وهل قَدْ أتى في غيره هل أتى قل لي؟
وبلَّغ فيهِ المصطفى أمرَ ربِّهِ / على منبرٍ بالمنطِقِ الصادِعِ الفَصْلِ
فقال: ألستُم تَعلمونَ بأنّني / أحقُّ وأولى الناسِ بالناسِ في الكُلِّ

(١) في ديوانه المطبوع: (الهادي).

(٢) الختل: تخادع عن غفلة. (لسان العرب ١١: ١٩٩)

(٣) في ديوانه المطبوع:

(فقد أنكرت خير البرية ندوة / وضلت رجال الرحلتين عن السبلِ).

(٤) في ديوانه المطبوع: (بعجلٍ).

فقـالوا: بـلى، قـال النبـيُّ: فأنـتَ يـا — أبـا حَـسَنٍ أولى الـورى بـالورى مِـثْلي

وأنزلَـهُ منـه بِمنزِلَـةٍ مَـضَتْ — لهارونَ مِـنْ موسـى بـنِ عِمـرانَ مِـن قَبـلِ

وشـبّهه بالأنبيـاء لجمعـه — جميـعَ الَّـذي فـيهِم مِـنَ الفَخْـرِ والنُّبـلِ

لـه حكـمُ داود وزهُـد ابـن مَـريمٍ — وتَجْـدِ خليـل الله ذي الفـضلِ والبَـذلِ

وتـسليم إسـماعيل عنـد مبيتـه — وعـزم كلـيم اللهِ في شـدَّة الأزْلِ

وحكمـة إدريـسٍ وأسـماء آدمٍ — وشُـكرِ نجـيِّ اللهِ في عَهْـدِ ذي الكِفْـلِ

وخَطْـب شـعيبٍ في خِطابَـةِ قومِـهِ — وخَـشْيَةِ يَحيـى الـبَرِّ في هَيَـةِ الحُكْـلِ[1]

وكـانَ عـديلَ المـصطفى ومثيلَـهُ — وهَـلْ لعـديل الطُّهـرِ أحمَـدَ مِـنْ مِثْـلِ

وكـان الأخَ الـبرَّ المُـواسي بنفـسِهِ — ومَـنْ لَمْ يخالِفْـهُ بقَـولٍ ولا فِعْـلِ

وأوّلَ مـن صـلّى وآمـنَ واتّقـى — وأعلَـمَ خَلْـقِ اللهِ بـالفَرضِ والنفـلِ

وأشـجَعَهُم قلبـاً وأبـسَطَهُم يـداً — وأرعـاهُمُ عَهْـداً وأحفَـظَ لـلإلِّ

وأكـرمَهُم نفـساً وأعظَمَهُـم تُقـىً — وأسـخاهُمُ كَفّـاً وإن كـانَ ذا قـلِّ

حبيـبُ حبيـبِ اللهِ نفـسُ رسـولِهِ — ونـورُ تَجَـلِّي النـور في العُلْـوِ والـسُّفلِ

رقـى فـارتقى في القُـدْسِ مَرقـىً مُمَنّعـاً — تجـاوز فيـه الـوَهم عـن مَبْلَـغِ العقـلِ

تحـيَّرت الألبـاب في ذاتِ ممكـنٍ — تعـالى عـن الإمكـانِ في الوَصْـفِ والفِعْـلِ

تجمّعـتِ الأضـدادُ فيـه مـن العُـلى — فعـزَّ عـن الأنـدادِ والـشبهِ والمثـلِ

أذلـك أم مَـنْ للمعايِـبِ عيبـةٌ — تَفـرَّعَ كـلُّ العيـبِ عَـن كُفـرِهِ الأصـلي

تطـامَنَ لَـلاتِ الخبيثـةِ أعـصُراً — وزادَ نفاقـاً حـين أسـلَمَ عَـن خَتْـلِ

ومـصطَنِعٌ ربّـاً بكفّيـهِ لاكَـهُ — بفكّيـهِ لمّـا جـاعَ واضـطُرَّ للأكْـلِ

أمَـنْ هـو بـابٌ للعلـومِ كَمَـن غـدا — يفـضّلُ ربّـاتِ الحِجـال مِـنَ الجَهْـلِ

---

(١) الحكل: ما لايسمع له صوت، فيقال تكلم بكلام الحكل. (القاموس المحيط ٣: ٣٥٩)

ومِــن جهــل الأبّ الَّــذي كــلُّ ســائمٍ بــهِ عــارِفٌ راعٍ فــصيلٍ إلى عجــلِ

ومــن هُــوَ أقــضاهُم كَمَــنْ جــدّ جــدّه ليقــضيَ في جَــدٍّ قــضيةَ ذي فَــضْلِ

فأحــصَوا قــضاياهُ ثمانِــينَ وِجْهَــةً تلــوّن ألوانــاً وأخطــأ في الكُــلِّ

ومــن كَــلَّ عــن فهــم الكَلالَــةِ فهمُــهُ مُقــرّاً بكُــلِّ العَجْــزِ عــن ذاكَ والكَــلِّ

وكــم بــينَ مــن قــال اســألوني جَهْــرَةً ومــن يــستقيلُ النــاسَ في المَحفِــل الحَفــلِ

ومَــنْ هــو كــرارٌ إلى الحــرب يــصطلي بنيرانهــا حَتَّــى تبــوحَ بــما يَــصلي

لــه الرايــةُ العظمــى يطــيرُ بهــا إلى قلــوبٍ أُطــيرَتْ مِنــهُ بالرُّعْــبِ والنَّــصلِ

ومَــنْ لا يُــرى في الحــرب إلا مــشمّراً بــذيل ذيــول الفــرِّ في المعــشر الفــلِّ

أبــو حــسنٍ ليــثُ الــوغى أســدُ الــشرى مقــدّمها عنــد الهزاهــزِ والوَهْــلِ

أقــام عــمادَ الــدين مِــنْ بَعْــدِ ميلــهِ وثــلَّ عُــروشَ المــشركينَ أُولي الحــلِّ

وقاتــلَ في التأويــلِ مِــنْ بَعْــدِ مَــنْ بَغــى كــما كــان في التنزيــل قاتَــلَ مــن قبــلِ

فــروّى مــن الكفّــارِ بالــدَّمِ ســيفَهُ وثنّــى بــه البــاغينَ عَــلَّا عــلى نَهْــلِ

وزوَّجــه المختــارُ بــضعَتَهُ ومــا لهــا غــيرُهُ في النــاسِ مِــنْ كُفُــوٍ عَــدْلِ

وقــال لهــا زوّجتــكِ اليــوم ســيّداً تقيّــاً نقيّــاً طــاهرَ الفــرعِ والأصْــلِ

وأنــتِ أحَــبُّ النــاس عنــدي وإنّــه أعــزُّ وأولى الكــلّ بعــديَ بالكُــلِّ

وإنَّ إلــه العــرش ربَّ العُــلا قــضى بــذا وتــولَّى الأمــر والعقــدَ مِــنْ قَــبلي

فأبــدَتْ رضــاها واســتجابَت لِرَبّهــا ووالــدِها رَبِّ المكــارِمِ والفــضلِ

وكــم خاطــبٍ قَــدْ رُدَّ فيهــا ولم يُجَــب وكــم طالــبٍ صِــهراً ومــا كــان بالأهــلِ

وشــيخانِ قَــدْ رُدّا[1] وقــد حــدَّثَتْهما نفوسُــهُما أمــراً فآبــا عــلى ذُلِّ

ولــولا عــليٌّ مــا اســتجيبت لخاطــبٍ ولا كانــت الزَّهــرا تُــزفُّ إلى بعــلِ

---

(١) في ديوانه المطبوع: (وشيخاكمُ رُدّا).

وأكـــرِمْ بِمَـــنْ يُعـــلي النبـــيّ بـــشأنها وأســـمِع بـــها قَـــدْ قـــال مـــن قولـــهِ الفَـــضْلِ
ألا فـــاطم مِنّـــي ومَـــنْ هـــي بـــضعتي ومـــن قَطعهـــا قطعـــي ومَـــنْ وصَـــلُها وَصـــلي
ومَـــنْ لرضـــاها الله يـــرضى وسُـــخطُها لَـــهُ سَـــخَطٌ أعظِـــمْ بـــذلك مـــن قَـــوْلِ[1]
لـــذا اختارهـــا المختـــار للمرتـــضى الَّـــذي رضـــاها رضـــاه في العزيمـــة والفعـــلِ
ومـــن لا يـــزال الحـــقّ معـــه ولم يـــزل مـــع الحـــقّ لا ينفـــك كـــلّ عـــن الكـــلّ
فـــأعظِمْ بـــزوجينِ الإلـــهُ ارتـــضاهُما جَليلَـــينِ جـــلّا عـــن شـــبيهٍ وعَـــنْ مِثْـــلِ
فكـــلٌّ لكـــلٌّ صـــالحٌ غـــير صـــالحٍ لـــه غـــيره والـــشكل يـــأبى ســـوى الـــشكلِ
لـــذلك مـــا هَـــمَّ الـــوصي بخطبـــةٍ حيـــاة البتـــول الطهـــر فاقـــدة المِثْـــلِ
بـــذا أخـــبر المختـــارُ والـــصِّدقُ قولُـــهُ أبـــو حـــسنٍ ذاك المـــصدَّقُ في النَّقـــلِ
فأضـــحى بريئـــاً والرســـول مبرِّئـــاً وقـــد أبطـــلا دعـــواكم الرثّـــةَ الحبـــلِ
بـــذلك فـــاعلم جَهْـــلَ قـــومٍ تحـــدَّثوا بخطبتـــه بنـــتِ اللَّعـــينِ أبي جَهْـــلِ
نعـــم، رغِبَـــت مخـــزومُ فيـــه وحاوَلَـــتْ بـــذلِكَ فـــضلاً لـــو أُجيبـــت إلى الفَـــضْلِ
فلـــمّا أبـــى الطُّهـــرُ الـــوصيُّ ولم يُجِـــبْ رَمَتْـــهُ بـــما رامَـــت ومالَـــت إلى العَـــذْلِ
وســـاعَدَها الرِّجـــسان فيـــهِ وحـــاولا إثـــارةَ بغـــضاءٍ مِـــنَ الحِقْـــدِ في الأهْـــلِ
فـــبرّأه المختـــار مِمَّـــا تحـــدَّثت ومـــا أظهَـــرَ الرِّجـــسانِ مِـــنْ كـــامِنِ الغِـــلِّ
وقَـــدْ طوَّقـــا إذ ذاك منـــه بلعنـــةٍ فـــسامتهما خـــسفاً وذُلاً عـــلى ذلِّ
وقـــد جـــاء تحـــريمُ النكـــاح لحَيـــدرٍ عـــلى فـــاطمٍ فـــيما الـــرُّواة لـــه تُمْـــلي
فـــإنْ كـــان حقّـــاً فـــالوصي أحـــقّ مَـــن تجنَّـــبَ مَحظـــوراً مِـــنَ القـــولِ والفِعْـــلِ
وكيـــف يُظَـــنُّ الـــسوءُ بـــالطُّهرِ حَيـــدَرٍ وربّ العُـــلى في ذكـــرِهِ فَـــضْلَهُ يُعـــلي
وكيـــف يحـــومُ الـــوهمُ حَـــول مُطَهَّـــرٍ مِـــنَ الـــرِّجس في فـــصلٍ مِـــنَ القَـــولِ لا هَـــزْلِ

---

(١) في ديوانه المطبوع: (فضلِ).

ومثـلُ علـيٍّ هـل يـرومُ دَنيّـةً ... كفى حاجزاً عن مثلِها حاجزُ العَقْلِ
وليس[١] يشاءُ المستحيلَ الَّذي شأى ... جميعَ الورى في العَقْلِ والنَّقْلِ والنُّبلِ
وإنْ لَمْ يَكُـنْ حقّاً وكـان مُحلّلاً ... لـه كـلُّ مـا قَـدْ حَلَّ مِنْ ذاكَ لِلكُلِّ
فما كانَتِ الزَّهـرا لِيُسخِطَها الَّذي ... بـهِ اللهُ راضٍ حاكِمٌ فيـهِ بالعَدْلِ
ولا كـانَ خيرُ الخلقِ مَنْ لا يُهيجُهُ ... سوى غضبٍ للهِ يَغضَبُ مِنْ جَهْلِ[٢]
وهَلْ ساءَ نفساً نفسُها وسرورُها ... إذا سرَّها مُرُّ المَساءَةِ مِنْ مَحْلِ
ومـا ساء خيرَ الناسِ غيرُ شرارِهِم ... كعِجْلِ بني تَيمٍ وصاحِبِهِ الرَّذلِ
وجرّارة الأذناب تلك التي سَعَتْ ... على جَمَلٍ يَوماً ويوماً على بَغْلِ
بِهِم سِيئتِ الزَّهـرا وأُوذِيَ أحمدٌ ... وصِنو النَّبيِّ المُصطفى خاتَمِ الرُّسلِ
ومـا ضرّ شأن[٣] المرتضى ظُلمُهُم له ... ولا فَلتَةٌ مِنهُم وشورى ذوي خَذْلِ
ولا ضَرَّهُ جَهلُ ابنِ قيسٍ وقد هَوى ... ودلّاه جهل ابن العاص[٤] في مدحض الزلّ
وقد بانَ عجزُ الأشعَرِيّ وعزه ... وما كان بالمرضي والحَكَمِ العَدْلِ
نهاهُمْ عنِ التحكيمِ والحُكْمِ بالهوى ... فَلَمْ ينتهوا حَتَّى رأوا سبّةَ الجَهْلِ
وحاوَلْتَ نقصاً من عليٍّ وإنَّما ... نَقَصْتَ العُلى في ذاك إن كُنتَ ذا عقلِ
فما عَلَتِ العلياءُ إلّا بمجدِهِ ... ولو خَلَعَ العَلياءَ خرَّت إلى السُّفلِ
وأمّا التي قَدْ خصّه ربُّه بها ... فليست برغمٍ منكَ تُدفَعُ بالعزلِ
أيُعزل منصوبُ الإلهِ بِعَزلِهِم ... إذاً فَلَهُم عَزلُ النبيّينَ والرُّسلِ

---

(١) في ديوانه المطبوع: (وأنّى).

(٢) في ديوانه المطبوع زيادة بيت:

(وليس عليٌّ حاش لله بالَّذي ... يسوء أخاه أو يسئ إلى الأهلِ).

(٣) في ديوانه المطبوع: (مجد).

(٤) (جهل ابن العاص) لا يستقيم الوزن بها وفي ديوانه المطبوع: (ودلاه جرو العاص).

وقِسْتَ العُلى بالنَّعلِ وهي بِقلبِها مراتِعُها جيدُ اللَّعينِ أبي جَهْلِ[1]

فبشراكُمُ بالنَّعلِ تتبع لعنةً مضاعفةً من تابعي خاصِفِ النَّعلِ

وما شانَ شأنَ المجتبى سبطِ أحمدٍ مصالحةُ الباغي الغويَّ على دَخْلِ

فَقَدْ صالَحَ المُختارُ مَنْ صالَحَ ابنُه وصدَّ عن البيتِ الحَرامِ إلى الحِلِّ

وقال خطيباً فيه: إبني سيّدٌ يَكُفُّ بهِ اللهُ الأكفَّ عن القتلِ

كما كَفَّ أيديكم بمكّة عنهُمُ لما كانَ في الأصلابِ من طيِّبِ النَّسلِ

وقد قال في السِّبطَينِ قولاً جَهِلْتُمُ معانيهِ لكنْ قَدْ وعاهُ ذوو العَقلِ

إمامانِ إنْ قاما وإن قعدا فما يضرُّهما خذلانُ مَن هَمَّ بالخَذْلِ

فصيَّرتُموا صُلحَ الزكيِّ مسَبّةً وأكثر فيه العاذِلونَ مِنَ العَذْلِ

وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عَنهُ عارُها وما هي إلا عِصمَة رثَّة الحَبلِ

لئن كنتمُ أنكرتُمُ حُسْنَ ما أتى بهِ الحَسَنُ الأخلاقِ والخيمِ والعقلِ[2]

لفي مثلِها ذَمَّ الذميمُ محمّداً على صُلحِهِ كفّارَ مكّة مِنْ قَبلِ

وسمّاه ذو الرجس الدنيّ دنيّةً وطابقتموه واحتذى النعلُ بالنَّعلِ

وليسَ بنُكرٍ ذاكَ مِنهُم فإنّهم له تَبَعٌ من بعد صاحِبِهِ الرَّذْلِ

هُما سهّلا للقوم ذمَّ نبيِّهم وعترته بالطَّعنِ فيهم وفي الأهلِ

هُما أسّسا ظلم الهداة وقد بنى غواتُهُمُ بغياً على ذلِكَ الأصْلِ

ولولاهما ما كان شورى ونعثلٌ ولا جَمَلٌ والقاسِطونَ ذوو الذَّحْلِ

ولا كان تحكيمٌ ولا كان مارِقٌ ولا رُمي الإسلامُ بالحادثِ الجُلِّ

ولا كان مخضوباً عليٌّ بضربةٍ لأشقى الأنامِ الكافرِ الفاجرِ[1] الوَغْلِ

---

(١) في ديوانه المطبوع: (مواقعها جيد اللعينين والعجل).

(٢) في ديوانه المطبوع: (والفعل).

ولا سـيئتِ الزَّهـرا ولا ابتُـزَّ حقّهـا ... ولا دُفِنـت سرّاً بمُحلَولِـك الطَّفْـلِ

ولا عُمّـي القـبر الـشريف وقـرّب ال ... بعيـد إلى الهـادي وبُوعِـدَ بالأهـلِ

ولا جَـنَحَ الـسبطُ الزَّكـي ابـن أحمـدٍ ... لـسلم ابـن حـربٍ حـرب كـلُّ أخـي فـضلِ

ولا كـان بـالطّفّ الحـسين مُجَـدَّلاً ... ولا رأسـه للـشام يُهـدى إلى النَّـذلِ

ولا سُـبيت يومـاً بنـاتُ مُحَمَّـدٍ ... ولا آلُـهُ أضـحت أضـاحي عـلى الرَّمـلِ

ولا طمعـت فيـه علـوج أُميَّـةٍ ... ولا حكمـت أبنـاءُ مثلَـة في النَّـسلِ

جعلـتم تـراث الأقـربين لِمَـن نـأى ... وأدنيـتُمُ الأقـصَينَ عَـذلاً عَـنِ العَـذلِ

وأخّـرتُمُ مـن قَـد عـلا كعـبُهُم عـلى ... خـدودِ الأُلى مـالوا ومِلـتُم إلى المِثْـلِ

عـلى أنّنـي مـستغفرٌ مـن مقـالتي ... وذكـري شروداً سـار في مَثَـلٍ[2] قـبلي

فـما خَـدُّ مَـن قِـستُم بـهِ صـالحاً لأنْ ... يكـون لَعَمـري مـوطِئَ الرَّجـلِ والنَّعـلِ

وأيـنَ سِـماءُ المجـدِ مـن مهـبَطِ الثـرى ... وأيـنَ سِـماكُ الفـضلِ[3] مـن مُـدحَضِ الجَهـلِ

وأيـنَ الـسُّهى مـن مُهجَـةِ الـشَّمسِ في الـضُّحى ... وأيـنَ العُـلى مـن مُنتهـى البُعـدِ في الـسُّفلِ

زعمـتُمْ بنـي العبَّـاس عُقـدَةُ أمرهـا ... ومـا صَـلَحوا للعقـد يومـاً ولا الحَـلِّ

وجـدُّهم قَـد كـان أفـضلَ مـنهُمُ ... ومـا أُدخِـلَ الـشّورى ولا عُـدَّ للفَـضْلِ

وقـد قـدّموا التيمـيّ قِـدماً لـسنّه ... ومـا قـدَّموا شَـيْخَ الكُهـولِ[4] أبـا الفَـضْلِ

---

(١) في ديوانه المطبوع: (الجاحد).

(٢) الوزن يستقيم بكلمة: (مثلي) أو (مثلها).

(٣) في ديوانه المطبوع: (سنام العلم).

(٤) في ديوانه المطبوع: (الشيخ الشريف).

لقد ظلموا العبَّاسَ إن كانَ أهلُها وإن لم يكن أهلاً فما الوُلْدُ بالأهلِ
فما بالُكُم صيَّرتموها لِوُلدِهِ وأثبتموا للفرعِ ما ليسَ للأصْلِ
وقد بَذلَ العبَّاسُ نصرَةَ حيدرٍ وبيعَتَهُ بَعْدَ النبيِّ بلا فَضْلِ
وكان بحقّ الطهر كالحَبرِ نجلِهِ علياً وأكرِم بابنِ عبَّاس من نَجْلِ
ولكنْ أبى الأحفادُ سيرةَ جدِّهم فجَدُّوا بظلمِ الأكرمينَ[1] مِنَ النَّسْلِ
وغرّهُمُ المُلكُ العقيمُ وعزّهُم فبعداً لعزٍّ عاد بالخزي والذُّلِّ
وقد قطعوا الأرحامَ بعد قيامِهِم بظلمِ مَقام الأقربينَ مِنَ الأهلِ
بحبسٍ وتشريدٍ وبغيٍ وغيلةٍ وحربٍ وأرصادٍ وخذلٍ إلى قتلِ
لئن قتلت ولدَ النبيِّ أُميَّة فقتلاهُمُ أوفى عديداً من الرَّملِ
وإن منعتها الماءَ تشفي غليلها فقد أرسلوه للقبور من الغلِّ
وإن حبست عنها الفرات فإنَّهم بإجرائه أحرى فقُبِّحَ من فعلِ
وقد حيل فيما بين ذاك وبينهم فحاروا وحارَ العقلُ مِن كلِّ ذي عقلِ
وحاولت الأرجاسُ إطفاءَ نورهِمْ بأفواهِهِم والنور يسمو ويستعلي
فعلمُهُمُ المنشورُ في كلِّ مشهدٍ وحُكْمُهُمُ المشهودُ بالنَّصفِ والعَدْلِ
وأسماؤهم تتلو[2] لأسماء ربِّهم وجَدُّهُمُ خير الورى سيد الرسلِ
ويرفعهم في وقت كلّ فريضة نداءُ صلاةٍ والصلاةُ من الكُلِّ
مشاهدهم مشهورةٌ[3] وبيوتُهم تراها كبيتِ الله شارِعَةَ السُّبلِ
تشدُّ الورى من كل فجٍّ رحالَها إليها وتطوي البيدَ حَزْناً إلى السَّهلِ

---

(١) في ديوانه المطبوع: (الطيبين).

(٢) في ديوانه المطبوع: (تلوّ).

(٣) في ديوانه المطبوع: (مشهودة).

عـلى كـلِّ عـدّاءٍ مـن السـير ضـامرٍ ... يغـولُ الفـلا في كـل هـاجرة تغـلي

تـؤمّ التـي فيهـا النجـاةُ وعنـدَها ... مُنـاخُ ذوي الحاجـات للفـوزِ بالسُّؤلِ

بيـوتٌ بـإذن الله قَـدْ رُفِعَـت فـما ... لهـا غـيرُ بيـتِ الله في الفـضلِ مـن مِثْـلِ

وفيهـا رجـالٌ لـيس يلهـيهُمُ بهـا ... عـن الله بيـعٌ أو سـوى البيـعِ مـن شُـغْلِ

أولئـكَ أهلُوهـا وأهـلاً بأهلِهـا ... ولا مرحبـاً بـالغير إذْ لـيسَ بالأهـلِ

أولئـك لا نـوكى أُميَّـةَ والتـي ... اقتفتهـا[1] فـزادَت في الـضَّلالَةِ والجَهْـلِ

أسـاءت إلى الأهلـينَ فاجتُـثّ أصـلُها ... وبـادت كـما بـادت أُميَّـةُ مـن قبـلِ

فـسل عـنهم الـزوراء كـم بـاد أهلُهـا ... فأمـست لفقـد الأهـل باديـة الثُّكـلِ

أُبيـدت بهـا خـضراء ذات سـوادها ... فأضـحَتْ بهـا حمـراءَ مـن حَلَـبِ النَّـصْلِ

وإن شـئت سـل أبنـاء يافِـثَ عـنهُمُ ... فعنـدَهُمُ أنبـاءُ صـدقٍ عـن الكُـلِّ

فكـم تـرك الأتـراك كـلّ خليفـةٍ ... ببغـداد خلفـاً لا يُمِـرُّ لا يُحـلي

وكـم قلبـوا قلـب المِجَـنّ[2] لهـم بهـا ... وكَـم خَلَعوهـا[3] خَلـعَ ذي النَّعـلِ للنعـلِ

وكـم قطـعَ الجبّـارُ دابـرَ ظـالمي ... أُولي عدلِـهِ والحمـدُ لله ذي العَـدْلِ

وقلـتُم أضـاعوها كَـذِبتُم وإنَّـما ... أُضيعَتْ بِكُـم لَمّـا انطـويتُم عـلى الغِـلِ

وهَـلْ يطلبـونَ الأمـرَ مِـنْ غـيرِ نـاصرٍ ... أو النـصرَ مِمَّـن لا يُقـيمُ عـلى إلِّ

كـنـصرة أنـصار النبـيّ ابـن عمّـه ... فلـم يـبقَ مِـنهُم غـيرُ ذي عَـدَد قُـلِّ

ونـصر عُبيـد الله في يـوم مَـسْكِنٍ ... لـسبط رسـول الله ذي الـشَّرَفِ الكُـلِّ[4]

---

(١) في ديوانه المطبوع: (مجد).

(٢) في ديوانه المطبوع: (ظهر المجن).

(٣) في ديوانه المطبوع: (خلعوهم).

(٤) في ديوانه المطبوع: (الشرف الأصل).

إذ انسلَّ من جندٍ عليهم مؤمَّرٌ بجنحِ الظلامِ والدُّجى سترُ منسَلِّ
ولم يَرعَ حقَّ المصطفى ووصيِّه ولا حرمةَ القربى الحَرِيَّةِ بالوصْلِ
ونصرة كوفانٍ حسيناً على العدى فلمَّا أتاهم حلَّ ما حلَّ بالنسلِ
وبيعة أشراف القبائل مسلماً وقد أسلموه بعد ذلكَ للقتلِ
ونصرتَهم زيداً وإعطاؤهم يداً وتركهُمُ إياه فرداً لدى الوهْلِ
ولو قام في نصر الوصي وولده حُماةٌ مصاديق اللِّقا صادقو الفعلِ
لقام بنصر الدين من هو أهله وذيد بهم كم ليسَ للأمر بالأهْلِ
ولو كان في يوم السقيفة جعفرٌ أو الحمزة الليثُ الصؤولُ أبو الشبلِ
لما وَجَدَتْ تيمٌ سبيلاً إلى العُلى ولا هبط الأمر العليُّ إلى السَّفلِ
ولكنْ قضى فيما قضى اللهُ عندَهُ وما خَطَّت الأقلام في اللَّوح من قَبلِ
بإمهالهم حَتَّى يميز به الَّذي يطيعُ من العاصي المكبُّ على الجَهْلِ
إلى أن يقوم القائمُ المرتجى الَّذي يقومُ بأمر اللهِ يطلب بالذَّحلِ
ويشفي صدور المؤمنينَ بنصرهِ ويملأُ وجه الأرضِ بالقسطِ والعَدْلِ
ويسقي العدى كأساً مصبَّرةً إذا بها نَهَلوا علُّوا بِيَحْمُومَ مِنْ مُهْلِ[(١)]
فمهلاً فإنَّ اللهَ منجزُ وعدِهِ وموهنُ كيدِ الكافرينَ على مَهْلِ
وخاذلُ جمعِ المارِدينَ ومَن سعى لإطفاءِ نورِ اللهِ بالخيلِ والرَّجلِ
فديتُكَ يا بنَ العسكري إلى متى نعاني العنا من كلِّ ذي ترةٍ رَذلِ
فقم يا وليَّ الله وانهض بعزمَةٍ من اللهِ منصوراً على كلِّ مستعلِ
لئن ضنَّ بالنصر المؤزَّر معشرٌ فإنّي مُعِدُّ النَّصر من عالَمِ الظِلِّ
ولائي دليلي والمُهَيمنُ شاهدي وعلمُك بي حَسْبي مِنَ القولِ والفعلِ

---

(١) في ديوانه المطبوع: (بيحموم والمهل).

فدونكَ نصري باللِّسان طليعة لنصري إذا طالَعْتَ نورَكَ يستعلي
أتت من عُبيدٍ مَتَّ إسماً ونسبةً له مِنكَ حبلٌ غيرُ مُنْقطِعِ الوَصْلِ
فَمُنَّ علينا بالقبول فإنّها أشقّ على الأعدا مِنَ الرَشْقِ بالنبلِ[1]
عليك سلام الله مبلَغَ فضلِهِ ومالَكَ من فَضْلٍ على كلِّ ذي فضلٍ[2]

ولعمري لقد بالغرَحِمَهُ اللهُ في إزالة ذلك الغبار حتّى أوضح نهج الحق كضوء النهار، ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[3].

ترجمة مروان المذكور

ومروان هذا: هو أبو السمط، وقيل: أبو الهندام ابن أبي حفصة سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد، الشاعر المشهور كان جدّه أبو حفصة مولى مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي فأعتقه يوم الدار؛ لأنه أبلى يومئذ فجعل عتقه جزاءه، وقيل: إن أبا حفصة كان يهودياً طبيباً أسلم على يد عثمان بن عفان، وقيل: على يد مروان بن أبي العاص الأموي.

قال ابن خَلّكان: (وهو من أهل اليمامة، وقدِمَ بغداد ومدح المهديّ وهارون الرشيد، وكان يتقرّب إلى الرشيد بهجاء العلويين، هو من الشعراء المجيدين، والفحول المقدّمين)[4].

---

(١) في ديوانه المطبوع: (رشق النبل) وبها يستقيم الوزن الشعري.

(٢) ينظر: ديوان السيِّد محمّد مهدي بحر العلوم: ٨٥-١٢٢ مع شرحها بالهامش، مستدركات أعيان الشيعة ٢: ٣٣٠، مقدمة الفوائد الرجالية ١: ٨٩.

(٣) سورة الإسراء: ٨١.

(٤) وفيات الأعيان ٥: ١٨٩ رقم٧١٦.

وذكره أبو العبَّاس في كتاب طبقات الشعراء؛ فقال في حقّه: (وأجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللاميّة وهي التي فُضِّلَ بها على شعراء زمانه يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني.

ويقال: إنه أخذ منه عليها مالاً كثيراً لا يقدّر قدره، ولم ينل أحد من الشعراء الماضين ما ناله مروان بشعره، فممّا ناله ضربة واحدة ثلاثمائة ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد)، انتهى كلام ابن المعتز[١].

وفي الأغاني: (أنه كان يأتي باب المهدي؛ لأن ينال منه عطية، في فرو كبش، وقميص كرابيس، وعمامة كرابيس، وخفّ كبل[٢]، وكساء غليظ. وهو منتن الرائحة، وكان لا يأكل اللحم حَتَّى يقرم[٣] إليه، بخلاً، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله.

فقيل له نراك لا تأكل إلاّ الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك؟ قال: نعم، الرأس أعرف سعره، ولا يستطيع الغلام أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مسَّ عيناً أو أُذناً أو خداً وقفت عليه، فآكل منه ألواناً، آكل عينيه لوناً، وأُذنيه لوناً، وغلصمته لوناً، وأُكفى مؤنة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق)، انتهى[٤].

نعوذ بالله من أن يبلغ بنا حالة البخل حَتَّى نشحَّ بالمال على أنفسنا، وكانت ولادته سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٨٢ ببغداد، دفن بمقبرة نصر بن مالك الخزاعي.

---

(١) عنه وفيات الأعيان ٥: ١٩٠ ضمن ترجمته رقم٧١٦.

(٢) كبل: الكثير الصوف الثقيل من الفراء. (تاج العروس ١٥: ٦٤٦.

(٣) قرم اللحم: اشتدت شهوته إليه. (الصحاح ٥: ٢٠٠٩)

(٤) الأغاني ١٠: ٩٧.

مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف

الخامس: [قال العلاّمة المجلسي رحمه الله][1]: (اختلف الناس في موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فقيل: إنه في بيته، وقيل: في رحبة المسجد، وقيل: إنه في كرخ بغداد، لكن اتفقت الشيعة سلفاً وخلفاً ونقلاً عن أئمّتهم عليهم السلام على أنّه لم يدفن إلاّ في الغريّ، في الموضع المعروف الآن، والأخبار في ذلك متواترة، وقد كتب السيِّد ابن طاووس في ذلك كتاباً سمّاه (فرحة الغري)[2]، ونقل الأخبار والقصص الكثيرة الدالّة على المذهب المنصور.

قال رحمه الله: وقد قدّمنا بعض القول في ذلك في أبواب شهادته صلوات الله عليه، والأمر أوضح من أن يحتاج إلى البيان)[3].

وقال الديلمي في (إرشاد القلوب): (وأمّا الدليل الواضح والبرهان اللّائح على أنّ قبره الشريف عليه السلام موجود بالغري فمن وجوه:

الأوّل: تواتر الإمامية الاثنا عشرية يروونه خلفاً عن سلف.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٢) فرحة الغري بصرحة الغري: للسيّد أبي المظفر غياث الدين عبد الكريم بن أبي الفضائل أحمد بن موسى بن طاووس الحلي، المتوفّى ٦٩٢ وكانت ولادته ٦٣٨ فيه الآثار الدالة على قبر أمير المؤمنين عليه السلام، مرتباً على مقدّمتين وخمسة عشر باباً، المقدّمة الأولى في أنّه في الغري السري، المقدّمة الثانية في ذكر السبب لإخفائه وفهرس الأبواب مذكور في أوله، وللسيّد أبي عبد الله محمّد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمان الحسيني صاحب كتاب (فضل الكوفة) المقدّم على السيِّد عبد الكريم بن طاووس كتابٌ في هذا الباب، مشتمل على الأسانيد والروايات للمعجزات والكرامات عن القبر، كما ذكره السيِّد علي بن طاووس عمّ السيِّد عبد الكريم والمتوفّى ٦٦٤ في أواخر (الإقبال) عند ذكره لزيارات يوم الغدير، وللقدماء في هذا الباب (كتاب موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام) لأبي الحسين بن تمام، كما يعبّر عنه النجاشي، وهو أبو الحسين محمّد بن علي بن الفضل بن تمام الدهقان الكوفي، من مشايخ أبي محمّد هارون بن موسى التلعكبري، وقد سمع منه في ٣٤٠ وأيضاً كتاب (موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام) لأبي جعفر محمّد بن مكران بن حمدان الرازي، ساكن الكوفة، ذكرهما النجاشي ولعله الّذي سمع منه التلعكبري أيضاً في ٣٤٥. (الذريعة ١٦: ١٥٩ رقم ٤٣٣ باختصار)

(٣) بحار الأنوار ٩٧: ٢٥١ بتصرف يسير.

الثاني: إجماع الشيعة، والإجماع حجّة.

الثالث: ما حصل عنده من الآثار والآيات وظهور المعجزات، كقيام الزَّمِن، وردّ بصر الأعمى، وغيرها)[١].

أقول: ومن المسلّم عند الشيعة أنّ الأئمّة عليهم السلام جاؤوا إلى هذا الموضع الشريف من النَّجف، وزاروا جدّهم أمير المؤمنين عليه السلام، وأخبروا شيعتهم بذلك. ولا شك أنّ الأولاد والأحفاد وسائر العشيرة والأقربين أعرف بمراقد أبيهم من غيرهم.

فقد روى الكليني رحمه الله في (الصحيح) عن صفوان الجمّال، قال: «كنت أنا وعامر وعبد الله بن جذاعة الأزدي عند أبي عبد الله عليه السلام قال: فقال له عامر: جعلت فداك، إنّ الناس يزعمون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دفن بالرحبة؟ قال: لا. قال: فأين دفن؟ قال: إنّه لمّا مات احتمله الحسن فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النَّجف، يسرةً عن الغري يمنةً عن الحيرة، فدفنه بين ذكوات بيض. قال: فلمّا كان بعد ذهبت إلى الموضع، فتوهّمت موضعاً منه، ثُمَّ أتيته فأخبرته، فقال: أصبْتَ رحمَك الله، ثلاث مرات)[٢].

والأخبار كثيرة، نورد جملة منها في أحوال الحسين عليه السلام لمناسبة اقتضت تأخير ذكرها إلى هناك، وفي (شرح النهج) لابن أبي الحديد نقلاً عن الشيخ أبي القاسم البلخيّ: (أنّ علياً عليه السلام لما قتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفاً من بني أُميَّة أن يحدثوا في قبره حدثاً، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة ـ وهي ليلة دفنه ـ

(١) إرشاد القلوب ٢: ٣٤٢.

(٢) الكافي ١: ٤٥٦ ح٥.

إيهامات مختلفة، فشدّوا على جمل تابوتاً موثقاً بالحبال، يفوح منه روائح الكافور، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبة ثقاتهم، يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمةعليها السلام.

وأخرجوا بغلاً وعليه جنازة مغطاة يوهمون أنّه يدفنونه بالحيرة، وحفروا حفائر عدّة منها بالمسجد ومنها برحبة القصر ـ قصر الإمارة ـ ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبد الله بن يزيد القسري، بحذاء باب الورّاقين ممّا يلي قبلة المسجد، ومنها في الكُناسة، ومنها في الثويّة، فعُمّي على الناس موضع قبره ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلاّ بنوه، والخواص المخلصون من أصحابه، فإنّهم خرجوا بهعليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان، فدفنوه على النَّجف، بالموضع المعروف بالغريّ، بوصاية منهعليه السلام إليهم في ذلك، وعهد كان عهد به إليهم، وعمّي موضع قبره على الناس.

واختلف الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديداً، وافترقت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعَّبت، وادَّعى قوم: أنَّ جماعة من طيِّئ وقعوا على جمل في تلك الليلة وقد أضلّه أصحابه ببلادهم، وعليه صندوق، فظنُّوا فيه مالاً، فلمَّا رأو ما فيه خافوا أن يطلبوا به، فدفنوا الصندوق بما فيه، ونحروا البعير وأكلوه.

وشاع ذلك في بني أُميَّة وشيعتهم واعتقدوه حقّاً، فقال الوليد بن عقبة من أبيات يذكرهعليه السلام فيها:

فإنْ يكُ قَدْ ضلَّ البعيرُ بِحملِهِ ... فما كانَ مَهدياً ولا كانَ هادياً[1]

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٨١.

وفي (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي نقلاً عن الشيخ الحافظ أبي نعيم الأصفهاني: (أنّ الّذي على النّجف إنّما هو قبر المغيرة بن شعبة، قال: ولو علم زوّاره لرجموه.

ثُمَّ قال: وهذا من أغلاط أبي نعيم، فإنّ المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر، وقيل: إنّه مات بالشام)، انتهى[١].

قلت: وصرَّحَ ابنُ الأثير في (النهاية) أن المغيرة مدفون في الثوية[٢].

وعن تاريخ جدّه ابن الجوزي، أنه قال أبو الغنائم -وهو من العبّاد والمحدّثين، ومن أهل السنَّة-: (إنه قَدْ مات في الكوفة ثلاثمائة من الصحابة لا يعرف قبر أحدهم سوى قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وهو القبر الّذي تزوره الناس الآن)[٣].

وبالجملة، فكلمات أهل هذا الفن -وهم النسّابون وأصحاب السير والتواريخ- متّفقة على تعيين مرقده عليه السلام في النَّجف: كالحموي في (معجم البلدان)، والقلقشندي في كتاب (صبح الأعشى) وابن الأثير في (كامل التواريخ)، وابن الفداء في (تاريخه)، والفخري في (تاريخ الوزراء)، والداودي[٤] في (عمدة الطالب)، وابن أعثم الكوفي في (الفتوح)، والدينوري، وابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول)، وابن الصباغ في (الفصول المهمة)، وأبي الفرج الأصبهاني، وابن شحنة في (روضة المناظر)، والشبلنجي في (نور الأبصار)، بل و

---

(١) تذكرة الخواص ١: ٦٤٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١: ٢٣١.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك ١٠: ٥٠٤٤.

(٤) في الأصل: (والكرماني) وهو اشتباه واضح فصححناه فاقتضى التنويه لذلك.

صاحب (القاموس)، و(تاج العروس) في كتابيهما[1]، وزاد في (عمدة الطالب) أنه: (وقد ثبت أن زين العابدين، وجعفر الصادق، وابنه موسى عليه السلام زاروه في هذا المكان[2])[3].

---

(١) معجم البلدان ٤: ١٩٦، صبح الأعشى ٣: ٢٥٦، الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٦، المختصر في أخبار البشر ١: ١٨١، تاريخ الفخري: ١٠١، عمدة الطالب: ٦٢، الفتوح ٤: ٢٨٢، مطالب السؤول: ٣١٩، الفصول المهمة ١: ٦٢٥، مقاتل الطالبيين: ٢٦، روضة المناظر المطبوع بهامش ابن الأثير ٧: ١٩٥، نور الأبصار: ١٠٦، لم أجده في القاموس المحيط وهناك عبارة في مجمع البحرين ج٣ ص٣٠٩: ((الغريان) بناءان مشهوران بالكوفة قاله في القاموس وهو الآن مدفن علي عليه السلام، فقوله: وهو الآن مدفن علي هو لصاحب المجمع فلاحظ، تاج العروس ٢٠: ١٢، هذا وقد تعرض محمّد علي التميمي في كتابه مدينة النجف في الباب الثاني عشر منه وهو في تعيين المرقد المقدّس لثمانية وعشرين قولاً في إثبات ذلك مع ذكر المصادر الواردة هنا في كتابنا ومع تعيين صفحاتها) ، فليراجع.

(٢) عمدة الطالب: ٦٢.

(٣) فائدة في تعيين القبر الشريف ذكرها السيِّد علي ابن طاووس قدس سره في كتابه إقبال الأعمال ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧٢، ونصّها: (فصل: فيما نذكره من جواب الجاهلين بقبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه من المخالفين: اعلم أن كل ميِّت كان قبره مشهوراً أو مستوراً، فإن أهل بيته والمخصوصين بمصيبته والموصوفين بشيعته وخاصته، يكونون أعرف بموضع دفنه وقبره، وهذا اعتبار صحيح لا يجحده إلا مكابر وضعيف في عقله أو حقير في قدره. وقد علم أعيان أهل الإسلام أن عترة مولانا علي عليه السلام وشيعته الَّذين لا يحصرهم عدد ولا يحويهم بلدة، مطبقون متَّفقون على أنَّ هذا الضريح الشريف الَّذي يزوره أهل الحقائق من المغارب والمشارق، هو قبر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه. فمن العجب أن كل إنسان وقف [على] دارس وقال: هذا قبر أبي أو جدي حكم الحاضرون بتصديقه ولم ينازعوه في تحقيقه، ويكون قبر مولانا علي عليه السلام لا يقبل فيه قول أولاده الَّذين لا يحصيهم إلا الله جل جلاله. ومن العجب أن يكون أصحاب كل ملة وعقيدة يرجع في معرفة قبور رؤسائهم إليهم، ولا يرجع في قبر أمير المؤمنين عليه السلام إلى أصحابه وشيعته وخاصته، وإنما بعض المخالفين ذكر أنهم لا يعرفون أن هذا موضع قبره الآن، وربما روى بعضهم أن قبره في غير هذا المكان. واعلم أن قبر مولانا علي عليه السلام إنما ستره ذريته وشيعته عن المخالفين عليه، ولقد صدق المخالف إذا لم يعرفه فإنّ ستره إنّما كان منه ومن أمثاله، فكيف يطّلع على حاله. فصل: فيما نذكره من الإشارة إلى من زاره من الأئمّة من ذريته عليه وعليهم أفضل السلام، وغيرهم من عترته من ملوك الإسلام فأقول: قَدْ روينا في كتاب مصباح الزائر وجناح المسافر زيارة مولانا علي بن الحسين عليه السلام لمولانا علي صلوات الله عليه أيام التقية من بني أمية، وروينا من كتاب المسرة من كتاب ابن أبي قرة زيارة زين العابدين وولده محمّد بن علي الباقر عليه السلام له في هذا القبر الشريف، وزيارة مولانا علي بن محمّد الهادي عليه السلام. فهؤلاء أربعة من أئمّة الإسلام ومن أعيان ذريته عليه وعليهم أفضل السلام قَدْ نصّوا على أن هذا موضع ضريحه وزاروه فيه وشهدوا بتصحيحه، ومثلهم لا ترد شهادتهم في شيء من أحكام المسلمين، فكيف ترد في معرفة قبر جدهم أمير المؤمنين

[مقام الإمام زين العابدين عليه السلام]

ويقال: إنَّ الموضع المعروف بـ(مقام زين العابدين) في جهة الغري من سور النَّجف كان يربط ناقته هناك، ويأتي إلى قبر جدِّه محدودباً مختفياً، ثُمَّ يرجع إلى الموضع ويبيت به، ثُمَّ يرتحل صبحاً إلى الحجاز[(١)].

وكيف كان؛ فربَّما ينطبق على هذا المكان ما رواه في (البحار) بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**كان أبي علي بن الحسين عليه السلام قَدْ اتخذ منزله من بعد**

سلام الله جلّ جلاله عليهم؟ وأمّا الخلفاء من بني العبّاس والملوك من الناس، فأول من زاره الرشيد وجماعة من بني هاشم، ثُمَّ المقتفي، ثُمَّ الناصر مراراً وأطلق عنده صدقات ومبار، ثُمَّ المستنصر وجعله شيخه في الفتوة، ثُمَّ المعتصم . وأمّا العلماء والعقلاء والملوك والوزراء، فلا يحصى عددهم بما نذكره من قلم أو لسان، وقبورهم شاهدة بذلك ومدافنهم إلى الآن.

فصل: فيما نذكره من آيات رأيتها أنا عند ضريحه الشريف غير ما رويناه وسمعنا به، من آياته التي تحتاج إلى مجلّدات وتصانيف. اعلم أن كل نذر يحمل إليه مذ ظهر مقدّس قبره بعد هلاك بني أميّة وإلى الآن، فإن تصديق الله جلّ جلاله لأهل النذر، كالآية والمعجز والبرهان على أن قبره الشريف بذلك المكان، وهذه النذور أحد من أهل الدهور، وأما أنا فأشهد بالله وفي الله جل جلاله أنني كنت يوماً قَدْ ذكرت تاريخه في كتاب البشارات بين يدي ضريحه المقدّس، وأقسمت عليه في شيء وسألت جوابه باقي النهار وانفصلت، فما استقررت بمشهده في الدار حَتّى عرفت في الحال من رآه في المنام بجواب ما فهمته به من الكلام . أقول: واعرف أنني كنت يوماً وراء ظهر ضريحه الشريف، وأخي الرضي محمّد بن محمّد بن الآوي حاضر معي، وأنا أقسم على أمير المؤمنين عليه السلام في إذلال بعض من كان يتجرأ على الله وعلى رسوله وعلى مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام وعلينا بالأقوال والأعمال . فقلت للقاضي الآوي محمّد بن محمّد: يا أخي قَدْ وقع في خاطري أن قَدْ حصل ما سألته، وإن اليوم الثالث من هذا اليوم يصل قاصد من عند القوم المذكورين بالذل والسؤال لنا على أضعف سؤال السائلين، فلمّا كان اليوم الثالث من يوم قلت له، وصل قاصد من عندهم على فرس عاجل بمثل ما ذكرناه من الذل الهائل) .

أقول: وأعرف أنّني دخلت حضرته الشريفة كم مرة في أمور هائلة لي وتارة لأولادي وتارة لأهل ودادي، فبعضها زالت وأنا بحضرته، وبعضها زالت باقي نهار مخاطبته، وبعضها زالت بعد أيام في جواب زيارته، ولو ذكرتها احتاجت إلى مجلد كبير، وقد صنّف أبو عبد الله محمّد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمان الحسني مصنّفاً في ذلك متضمنا للأسانيد والروايات، لو أردنا تصنيف مثله وأمثاله كان ذلك أسهل المرادات، ولكنّا وجدنا من الآيات الباهرات ما يغني عن الروايات.

(١) ينظر عن تاريخ هذا المقام: ماضي النجف وحاضرها ١: ٩٤.

مقتل أبيه الحسين بن علي بيتاً من شعر، وأقام بالبادية، فلبث بها عدة سنين كراهيةً لمخالطة الناس وملابستهم، وكان يصير من البادية بمقامه بها إلى العراق زائراً لأبيه وجدِّه، ولا يشعر بذلك من فعله.

قال محمّد بن علي: فخرج سلام الله عليه متوجّهاً إلى العراق لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام صلوات الله عليه، وأنا معه، وليس معنا ذو روح إلا الناقتين، فلمّا انتهى إلى النَّجف من بلاد الكوفة، وصار إلى مكان منه بكى حَتَّى اخضلّت لحيته بدموعه...» إلى آخر ما ذكره[1].

ماورد في فضل النجف

وقد ورد في فضل النَّجف أخبار كثيرة يناسب نقلها في المقام:

فعن كتاب مدينة العلم للصدوق رحمه الله: **«أنه سأل منصور بن حازم من الصادق عليه السلام عن مجاورة النَّجف عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وقبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقال: إن مجاورة ليلة عند قبر أمير المؤمنين أفضل من عبادة سبعمائة عام، وعند قبر الحسين عليه السلام [أفضل] من عبادة سبعين عام»**[2].

وسأله عن الصلاة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: **«الصلاة عند قبر أمير المؤمنين مائتا ألف صلاة، وسكت عن الصلاة عند قبر الحسين عليه السلام»**[3].

---

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٢٦٧ ح ٩ عن فرحة الغري.

(٢) مدينة العلم، حكاه عنه الشيخ الطهراني رحمه الله في الذريعة ٢٠: ٢٥١ رقم ٢٨٣٠، ما بين المعقوفين من المصدر.

(٣) كشف الغطاء ١: ٢١٠، اليتيمة الغروية: ٣١٤، رسائل فقهية (لصاحب الجواهر): ٨٨، العروة الوثقى ٢: ٤٠٢ مسألة ٥، وقد مرّ الحديث سابقاً عن كتاب مدينة العلم للصدوق.

والَّذي يترجح في نظري القاصر: أنَّ هذه الزيادة في الصلاة غير مختصّة بخصوص مشهده عليه السلام، بل هي ثابتة لسائر ما تحويه البلدة المقدّسة من الدور والبقاع؛ ولصدق النيَّة في الجميع، وأنه يكفي في الإضافة أدنى مناسبة، كما قال الشاعر:

إذا كوكَبُ الخرقاء لاح بِسَحرَةٍ ... سهيلٍ أذاعَت غزلَها في الأقارِبِ[1]

فأضاف لفظ الكوكب إلى الخرقاء؛ بمناسبة أنها كانت تهتم لأمر الشتاء عند طلوعه، ولأنه يقال: فلان عنده دار أو بستان يريدون به الملكيّة، ولو كان بين المالك والمملوك بون بعيد.

ولقوله تعالى: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾[2]، والمراد: مطلق فقراء المهاجرين الَّذين كانوا في مكّة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾[3]، وليس المراد منعهم من الكيل بحضوره، أو في داره، ولأنّه كلَّما كان مجال الفضل أوسع كان في الاحترام أدخل، فإنه أجل قدراً وأرفع شأناً من أن يحصر حريمه ببقعته المباركة خاصة.

وكيف كان فروى أبو بصير أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ النَّجف كان جبلاً وهو الَّذي قال ابن نوح: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[4]، ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا جبل،

---

(١) لسان العرب ١: ٦٣٩، وفيه: (في الغرائب).

(٢) سورة المنافقون: من آية ٧.

(٣) سورة يوسف: من آية ٦٠.

(٤) سورة هود: من آية ٤٣.

أيعتصمُ بِكَ منّي؟ فتقطَّع قِطَعاً قِطَعاً إلى بلاد الشام، وصار رملاً دقيقاً، وصار بعد ذلك بحراً عظيماً، وكان يسمّى ذلك البحر: بحر (ني)، ثُمَّ جفّ بعد ذلك فقيل: (ني) جفّ، فسمّيَ بـ(نيجف)، ثُمَّ صار بعد ذلك يسمّونه (نجف)؛ لأنه كان أخفَّ على ألسنتهم»[1].

وفي (علل الشرائع) يرفعه إلى علي عليه السلام، قال: «إنَّ إبراهيم عليه السلام مرَّ بـ(بانقيا) فكان يزلزل بها فبات بها، فأصبح القوم ولم يزلزل بهم، فقالوا: ما هذا وليس حدث؟ قالوا: نزل هاهنا شيخ ومعه غلام له، قال: فأتوه، فقالوا له: يا هذا إنه كان يزلزل بنا كلّ ليلة، ولم يزلزل بنا هذه الليلة فبت عندنا، فبات فلم يزلزل بهم، فقالوا: أقم عندنا ونحن نجري عليك ما أحببت.

قال: لا، ولكن تبيعون هذا الظهر[2]، ولا يزلزل بكم.

فقالوا: فهو لك. قال: لا آخذه إلا بالشراء.

قالوا: فخذه بما شئت، فاشتراه بسبع نعاج وأربعة أحمِرَة؛ فلذلك سمي (بانقيا)؛ لأن النعاج بالنبطية (نقيا).

قال: فقال له غلامه: يا خليل الرحمن ما تصنع بهذا الظهر فليس فيه زرع ولا ضرع؟

فقال له: اسكت، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يحشر من هذا الظهر سبعين ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب، يتشفَّع الرجل منهم لكذا وكذا»[3].

---

(١) علل الشرائع: ٣١ باب ٢٦ ح١، عنه بحار الأنوار ٩٧: ٢٢٦ح١.

(٢) الظهر، ظهر الكوفة: من أسماء النجف. (لسان العرب ١٤: ٥٢٦)

(٣) علل الشرائع ٢: ٥٨٥ ح٣٠.

وفي (معجم البلدان): (بانِيقيا ـ بكسر النون ـ ناحية من نواحي الكوفة)[١].

وفي (السرائر): (وإنما سميت (بانيقيا)؛ لأن إبراهيم عليه السلام اشتراها بمائة نعجة من غنمه، لأن (با) مائة، و (نقيا) شاة، بلغة النبط)[٢].

وكيف كان فهي القادسية، وهي آخر أرض الغري[٣].

وفي (كامل الزيارة): عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[٤]، قال: «الربوة نجف الكوفة، والمعين الفرات»[٥].

وفيه أيضاً: يرفعه إلى عقبة بن علقمة أبي الحبوب[٦]، قال: «اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة، من الدهاقين بأربعين ألف درهم، وأشهد على شرائه.

قال: فقيل له: يا أمير المؤمنين نشتري هذا بهذا المال، وليس ينبت حطبا[٧]؟ فقال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كوفان، كوفان يرد أوَّلها على آخرها، يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب»، فاشتهيت أن يحشروا من ملكي»[٨].

---

(١) معجم البلدان ١: ٣٣١.

(٢) السرائر ١: ٤٧٩.

(٣) قال ابن إدريس في السرائر: أن القادسية هي بانقيا. (ينظر: السرائر ١: ٤٧٩)

(٤) سورة المؤمنون: ٥٠.

(٥) كامل الزيارات: ١٠٧ ح١٠٣/٥.

(٦) كذا، وفي بعض المصادر الرجالية: (أبي الجنوب).

(٧) في بعض المصادر: (وليس ينبت قط).

(٨) فرحة الغري: ٥٨ ح٥، والحديث لم يرد في كامل الزيارات، فلاحظ.

وفي (فرحة الغري): عن داود قال: قال الصادق عليه السلام: «أربع بقاع ضجّت إلى الله أيام الطوفان: البيت المعمور فرفعه الله، والغري، وكربلاء، وطوس»[١].

وفي (تفسير العياشي): «عن بدر بن خليل الأسدي، عن رجل من أهل الشام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أول بقعة عُبد الله عليها ظهر الكوفة، لمّا أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، سجدوا على ظهر الكوفة»[٢].

وروى الديلمي في (إرشاد القلوب) بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «الغريّ قطعة من الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى تكليماً، وقدّس عليه عيسى تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلاً، ومحمّداً صلى الله عليه وآله حبيباً، وجعله للنبيّين مسكناً».

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نظر إلى الكوفة، فقال: «ما أحسنَ منظَرك، وأطيبَ قَعْرَكِ، اللهُمَّ اجعله قبري بها».

ومن خواص تربته إسقاط عذاب القبر، وترك محاسبة منكر ونكير للمدفون هناك، كما وردت به الأخبار الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام[٣].

وكتب الفاضل ملاً مهدي المعروف بـ(النراقي الأوّل) إلى جدّي بحر العلوم رحمه الله:

ألا قُلْ لِسكّانِ أرضِ الغريّ ... هنيئاً لكُمْ في الجنانِ الخلودُ
أفيضوا علينا مِنَ الماءِ فيْضاً ... فنحنُ عُطاشى وأنتُم وُرودُ

---

(١) فرحة الغري: ٩٩ ح٨٤.

(٢) تفسير العياشي ١: ٣٤ ح١٨.

(٣) إرشاد القلوب ٢: ٣٤٧.

فأجابه جدّي بحر العلوم رحمه الله:

ألا قُلْ لمولىً يرى من بعيد ... ديارَ الحبيبِ بِعَينِ الشُّهودِ

لكَ الفضلُ من غائبٍ شاهِدٍ ... على حاضر غائِبٍ بالصُّدودِ

فنحنُ على الماءِ نشكو الظَّما ... وفُزتُمْ على بُعدِكُمْ بالوُرودِ(١)

والمقصود من البيت الثاني: أنك وإن كنت غائباً عن أرض الغري، ولكن كنت بحكم الحاضر؛ لأنّك تحبُّ المجاورة، ومن أحبَّ عمل قوم شاركهم، ونحن وإن كنّا حضوراً في الغري، ولكن لعدم أداء حقّ الجوار نُعَدُّ في زمرة الغائبين المحرومين، ولنِعمَ ما قيل:

إذا متّ فادفني مجاوِرَ حيدَرٍ ... أبا شُبَّرٍ أعني به وشَبير

فتىً لا تمسُّ النارُ مَنْ كانَ جارَه ... ولا يختشي من مُنكَرٍ وَنكيرِ

وعارٌ على حامي الحمى وهو في الحِمى ... إذا ضلَّ في البيدا عِقالُ بعيرِ(٢)

حديث اليماني

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنه كان إذا أراد الخلوة بنفسه أتى إلى طرف الغري، فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النَّجف، فإذا رجل قَدْ أقبل من البريَّة راكباً على ناقة، وقدّامه جنازة، فحين رأى علياً عليه السلام قصده حتَّى

---

(١) أعيان الشيعة ١٠: ١٦٣، مقدمة الفوائد الرجالية ١: ٧٤.

(٢) إرشاد القلوب ٢: ٣٤٨، وفيه:

إذا متّ فادفني إلى جنب حيدر ... أبا شبر أكرم به وشبير

فلست أخاف النار عند جواره ... ولا أتقي من منكر ونكير

فعار على حامي الحمى وهو في الحمى ... إذا ضلّ في المرعى عقال بعير

وصل إليه وسلّم عليه فردعليه السلام، وقال له: من أين؟ قال: من اليمن. قال: وما هذه الجنازة التي معك؟ قال: جنازة أبي أتيت لأدفنه في هذه الأرض، فقال: لم لا دفنته في أرضكم؟ قال: أوصى إليّ بذلك، وقال: إنه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر، فقال عليه السلام: أتعرف ذلك الرجل؟ قال: لا، فقال: أنا والله ذلك الرجل، أنا والله ذلك الرجل، قم فادفن أباك، فقام ودفنه»[(١)].

وادي السلام مدفن النجف

ومن خواص ذلك الحرم الشريف: أنَّ جميع المؤمنين يحشرون فيه، وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **«ما من مؤمن يموتُ في شرق الأرض وغربها إلاّ وحشر الله روحه إلى وادي السلام».**

وجاء في الأخبار والآثار: (أنه بين وادي النَّجف والكوفة، كأنّي بهم حَلَقٌ قعود يتحدّثون على منابر من نور، والأخبار في هذا المعنى كثيرة)[(٢)].

قال في (مجمع البحرين) في (س ل م): (ووادي السلام: اسم موضع في ظهر الكوفة يقرب من النَّجف. وفي الخبر: قلت أين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة.

وفي الحديث: إنها لبقعة من جنَّة عدن)، انتهى[(٣)].

وفيه موضع منبر القائم يعبَّر عنه بمقام المهدي عليه السلام[(١)]، ويتبعه قبر هود وصالح[(٢)]، كما هو صريح جملة من الأخبار، وهي مشاهد معروفة تزورها الناس.

---

(١) إرشاد القلوب ٢: ٣٤٨.

(٢) إرشاد القلوب ٢: ٣٤٨، والحديث ورد في الكافي ٣: ٢٤٣ باب في أرواح المؤمنين، وتهذيب الأحكام ١: ٤٦٦.

(٣) مجمع البحرين ٢: ٤٠٩.

وروى الكليني في (الكافي)، بإسناده عن حبَّة العرَني، قال: «خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر[٣]، فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمتُ بقيامه حَتَّى عييت، ثُمَّ جلست حَتَّى مللت، ثُمَّ قمت حَتَّى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثُمَّ جلست حَتَّى مللت، ثُمَّ قمت وجمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّي قَدْ أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة، ثُمَّ طرحت الرداء ليجلس عليه.

فقال لي: يا حبَّة، إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته.

قال، قلت: يا أمير المؤمنين، وإنّه لكذلك؟

قال: نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون.

فقلت: أجسام أم أرواح؟

فقال عليه السلام: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنّها لبقعة من بقاع جنّة عدن»[٤].

وفيه أيضاً: بإسناده عن أحمد بن عمر رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت له: إنَّ أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها.

فقال: ما تبالي حيثما مات، أما إنّه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلاّ حشر الله روحه إلى وادي السلام.

---

(١) سيأتي الحديث عن موضع منبر القائم عليه السلام عند ذكر الإمام الحسين عليه السلام في آخر المقام الثالث من كتابنا هذا.

(٢) ينظر في تاريخ مرقديهما: ماضي النجف وحاضرها ١: ٩٦.

(٣) ذكرنا سابقاً أن الظهر، ظهر الكوفة: اسم من أسماء النجف.

(٤) الكافي ٣: ٢٤٣ ح١/٤٧٣٤.

قلت له: وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة، أما إنّي كأنّي بهم حَلَقٌ حَلَقٌ قُعود يتحدثون»[١].

وهذه الآثار والأخبار هي التي دعت الشيعة إلى حمل موتاهم من كلّ فجٍ عميق، ووادٍ سحيق إلى النَّجف، حتَّى صار ذلك من أظهر شعائر الشيعة، وأخصّ ما يُعرفون به، وأصبح وادي السلام كمدينة عامرة تحتوي على المباني العالية والغرف المزيّنة بأنواع الزينة، وفيها من أنواع الزهر والأوراد ما يروق الناظر ويستنشق منها النسيم العاطر، وممّا يدل على طيب تربتها إنّا لم نجد فيها الوحشة والانقباض بل هي من أحسن المنتزَّهات لأهالي بلدتنا المقدّسة.

وللأخ الأُستاذ العلاّمة الشرقي في شأن وادي السلام قصيدة[٢]، وهي:

سلِ الحجَرَ الصوّانَ والأثَرَ العادي ... خليليَّ كم جيلٍ قَدْ احتضَنَ الوادي

فيا صيحة الأجيالِ فيه إذا دَعَتْ ... ملايينَ آباءٍ ملايينَ أولادِ

ثلاثونَ جيلاً قَدْ ثَوَتْ في قرارِهِ ... تَزَاحَمُ في عُربٍ وفُرسٍ وأكرادِ

ففي الخمسة الأشبارِ دُكَّت مدائِنٌ ... وقد طُوِيَت في حُفرةٍ ألفُ بغدادِ

طلبتُ ابنَ عبَّاد فألفيتُ صخرةً ... وقد رُقِشَتْ: هذا ضريحُ ابنِ عبَّادِ

وكَمْ كومَةٍ للتُّربِ من حَولِ كُومَةٍ ... مُعَلَّمَةٍ هذا الزعيمُ وذا الهادي

---

(١) الكافي ٣: ٢٤٣ ح٢/٤٧٣٥.

(٢) هو الشيخ علي بن جعفر الشرقي الخاقاني، من شعراء العراق، ولد سنة ١٣٠٩ هـ في الشطرة وتعلّم في النجف وعيّن قاضياً لمحكمة البصرة سنة ١٩٣٣م، واختير رئيساً لمجلس التمييز الشرعي الجعفري وأصبح من أعضاء مجلس الأعيان، توفي سنة ١٣٨٤ هـ والقصيدة نشرت في مجلة العرفان الصيداوية المجلد العاشر ج ٢ ص١٠٩ سنة ١٩٢٤م، وفي: وادي السلام، المطبوع ضمن موسوعة النجف الأشرف ١: ٥٠٠، مدينة النجف: ٧٦.

وما الربواتُ البيضُ في أيمُنِ الحِمى ... وقد خشعَتْ إلّا أناضِدُ أكبادِ
خَليلَيَّ هَجْساً واختِلاساً بِخَطوِكُم ... فلم تَطأوا إلّا مراقِدَ رُقّادِ
فذو الزَّهوِ خلَّى الزهوَ عنهُ وقد ثوى ... وظلَّتْ على الغَبرا سيادةُ أسيادِ
فكَمْ من همومٍ في التُّرابِ وهِمَّةٍ ... وكَمْ طُوِيَتْ فيه شمائلُ أمجادِ
أعقباكِ يا دُنيا قميصٌ وطِمرَةٌ ... بِحُفرةِ أرضٍ من خراباتِ زهّادِ
عبرتُ على الوادي فشقَّت عجاجَةٌ ... فكم من بلادٍ في الغبارِ وكَمْ نادِ
وأبقيتُ لم أنفُضْ على الرأس تربةً ... لأرفع تكريماً على الرأس أجدادي
ذهبنا إلى القَلّال نسعى كرامةً ... أتقبَلُ أجدادٌ زيارةَ أحفادِ
وهل رادعٌ للناس عن كَسر قُلَّةٍ ... إذا عَرَفوها من ظلوعٍ وأعضادِ
وجئنا لحيٍّ يضربون قبابَهُم ... على رائحٍ عن حيِّهم وعلى الغادي
قبابٌ عليها استهزأ الدهرُ ما بها ... سوى الحجَرِ المدفون والحَجَرِ البادي
ألا أيُّها الركب المجعجع في الحِمى ... إلى أين مسرى ضعنِكُم ومَنِ الحادي
حدوجٌ عليها رَوْعَةٌ فكأنَّها ... وقد سجدوا فيها محاريبُ عُبَّادِ
غداً تنبت الأجسادُ عشباً على الثرى ... فهَلْ تطلعُ الأرواحُ مطلعَ أورادِ
وهل لَعِبَتْ في الراقدينَ حُلومُهُم ... بأطيافِ أفراحٍ وأطيافِ أنكادِ
محالٌ على الأرواح دَفنٌ بِتُربَةٍ ... ولكنَّها هذي القبورُ لأجسادِ
مضت نشأةُ الأرحام في ظُلُماتِها ... وأضوأ منها نشأتي بعدَ ميلادي
ولي نشأة أجلى وأعلى فإنَّني ... لتهيئةٍ في النشأتينِ وإعدادِ
فما هذه الأجسادُ من بعد نزعِها ... سوى قَفَصٍ خالٍ وقد أفلَتَ الشادي
طباع الفتى فردوسُهُ أو جحيمُهُ ... وفي طيِّ أخلاقي نشوري وميعادي[1]

---

(١) وادي السلام، المطبوع ضمن موسوعة النجف الأشرف ١: ٥٠٠.

اللهُمَّ ارزقنا حسن العاقبة، ولا تسلبنا نعمة مجاورة قبر وليِّك أمير المؤمنين، وسيّد الوصيين، ووفقنا للقيام بواجب شكر هذه النعمة العظيمة، والمنّة الجسيمة، وارزقنا الممات على ولايته، واجعلنا من المحبوِّين بعنايته، آمين.

زيارة قبور المؤمنين

السادس: لا ينبغي المسامحة في زيارة تربة أولياء الله، وقبور المؤمنين، خصوصاً في أيام الجمعة ولياليها.

والمشهور: استحباب الوضوء لزيارة قبورهم، وكثيراً ما يكون سبباً لاستمداد الفيوضات من بواطنهم، فإنّ نفس الزائر ونفس المزور شبيهتان بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من إحداهما إلى الأُخرى، فكلّما حصل في نفس الزائر الحيّ من المعارف والعلوم، والأخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى، والرضاء بقضائه، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميِّت. وكلّما حصل في نفس ذلك الميِّت من العلوم المشرقة، والآثار القويّة الكاملة فإنّه ينعكس منها نور إلى روح هذا الزائر الحيّ، ومن هذا ورد في الحديث: إذا تحيَّرتم في الأُمور فاستعينوا من أهل القبور[1].

بناء على أن تعلق النفس بالبدن تعلق يشبه العشق الشديد، والحبّ التام. فإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن فذلك الميل باقٍ وذلك العشق غير زائل إلاّ بعد حين، وتبقى تلك النفس عظيمة الميل إلى ذلك البدن، قويَّة الانجذاب إليه.

---

(١) ورد الحديث في كشف الخفاء ١: ٨٥ ح ٢١٣.

فأمّا أهل الكمال والسعادة فمن حيث إنَّهم كسبوا تلك الكمالات، ونالوا تلك السعادات في تلك الأبدان المستودعة في تلك القبور والترب؛ فلأرواحها عناية خاصّة بأبدانها. وأمَّا أهل الضلال والشقاوة فلمَّا ذكر أيضاً من كون أبدانها ظرفاً لأرواحها؛ ولذا نُهي عن كسر عظم الميت، ووطء قبره، والجلوس عليه. وعلى هذا التقرير، فإذا ذهب الإنسان إلى قبر إنسان قوي النفس، كامل الجوهر شديد التأثير، كقبور الأئمّةعليهم السلام، والشهداء، والأولياء الصالحين، والعلماء الراشدين، ووقف هناك ساعة من وجهة السؤل، وصفاء العقيدة، تأثّرت نفسه من تلك التربة، وحصل لنفس هذا الزائر تعلُّق بتلك التربة. وقد عرفت أن لنفس الميِّت أيضاً تعلّقاً بها فيحصل بين النفسين ملاقاة روحانية، وبهذا الطريق تصير الزيارة سبباً لحصول المنافع الجزيلة، والابتهاج العظيم لروح الزائر والمزور، هذا هو الحكمة الشرعية في شرعية زيارة القبور[١].

قال في كتاب (محبوب القلوب): (إنّه لمّا توفّي أرسطا طاليس الحكيم **اليوناني، نقل أهل اسطاغيرا رمّته بعدما بليت، وجمعوا عظامه وصيّروها في إناء من نحاس، ودفنوها في الموضع المعروف بأرسطوطاليسي، وصيّروه مجمعاً لهم يجتمعون فيه للمحاورة[٢] في جلائل الأُمور، وإذا أصعب عليهم شيء من فنون الحكمة والعلم أتوا ذلك الموضع وجلسوا إليه، ثُمَّ تناظروا فيما بينهم حتَّى يستنبطوا ما أشكل عليهم، و يصح لهم ما شجر بينهم، وكانوا يرون أن مجيئهم إلى الموضع الَّذي في عظام أرسطو يزكّي عقولهم، ويصحّ فكرهم، ويلطّف أذهانهم، وأيضاً**

---

(١) محبوب القلوب ١: ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) في المصدر: (للمشاورة).

تعظيماً له بعد موته، وأسفاً على فراقه، وحزناً لأجل الفجيعة به، وما فقدوه من ينابيع حكمته)، انتهى[١].

وقريب منه في كتاب (المطالب العالية) للفخر الرازي[٢].

بقاء النفس بعد الموت

أقول: وهذا واضح بناء على ما نطق به بعض الأخبار، وذهب إليه أكثر العقلاء من المليّين والفلاسفة، وتواترت عليه الشواهد العقلية، والنقلية، من القول ببقاء النفس الناطقة بعد الموت، وأنّها لا تخرب بخراب البدن، ولا تفنى بفنائه بعد مفارقتها إيّاه، بل تبقى مدّة البرزخ إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعود إلى بدنها الأول، ويكفي في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣]، وإلى ذلك أشار أبو العلاء المعري في قصيدته الدالية المعروفة بقوله فيها:

خُلِقَ النـاسُ للبقـاءِ فـضلَّتْ ... أُمَّـةٌ يحسبونَهُم للنَفـادِ[٤]

ومن المحقَّق: أنَّ المراد بكون النفس ناطقة أنها مدركة للكلّيات، وهو معنى ما قيل من قيام العلوم والإدراكات ولو ظنّية بها، كما عن بعض المحقّقين،

---

(١) محبوب القلوب ١: ٢٧٦.

(٢) المطالب العالية ٧: ٢٢٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٤) تاريخ بغداد ٤: ٤٦٤، شرح نهج البلاغة ٢٠: ١٨١.

فلا يزول الظن بالموت، وكذلك العلم الَّذي هو الانكشاف التام لعدم زوال النفس الناطقة به، فلا يلزم بقاء العرض بدون موضوع.

لا يقال: إنَّ الإدراك مطلقاً عبارة عن الصورة الحاصلة في الذهن، أو حصول الصورة في الذهن، ولا بقاء للذهن بعد الموت وخراب البدن، حيث يصير جماداً لا حسَّ فيه.

لأنّا نقول: إنَّ هذا إنّما يتمُّ مع تسليم كون الذهن من أجزاء البدن، وكون الصورة المذكورة محفوظة فيه، وبحيث لو حاول النفس إدراك تلك الصورة، والالتفات إليها كان الذهن وسيلة إليها، وأمَّا بناء على أن الذهن قوة من قوى النفس الناطقة تدرك بها المعلومات، وليست من أجزاء البدن فهي قائمة بالنفس الناطقة التي يشير إليها الإنسان بقوله: (أنا).

وقال شارح (المقاصد): (وعندنا لما لم تكن الآلات شرطاً في إدراك الجزئيات، أمَّا لأنه ليس بحصول الصورة لا في النفس ولا في الحسّ، وأمّا لأنّه لا يمتنع ارتسام صورة الجزئي في النفس، بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجدِّدة جزئية واطّلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء، لاسيَّما الَّذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا، ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات، واستدفاع الملمّات، فإنَّ للنفس بعد المفارقة تعلُّقاً ما بالبدن وبالتربة التي دفنت فيها. فإذا زار الحيُّ تلك التربة وتوجَّهت تلقاء نفس الميِّت حصل بين النفسين ملاقاة وإضافات)، انتهى[1].

---

(١) شرح المقاصد ٢: ٤٣.

وقال الشيخ الرئيس: (إنَّ النفس الكاملة في العلم والعمل حينما تفارق، تشابه العقل الفعّال، ومثله يمكن له التصرُّف في هذا العالم، كنفس الزائر بوسيلة الزيارة تستمد من نفسه الكاملة في طلب خير وسعادة، أو دفع شرٍّ وأذيَّة، فلا بد من أن تُمدَّها بقدر استمدادها ويظهر تأثير عظيم)، انتهى.

وبالجملة: فهذا المطلب ممَّا هو مسلَّم عند أرباب العقول، ومحرَز في كتب المعقول.

المرقد الذي في بلخ

السابع: ذكر صاحب تاريخ (حبيب السير) أن شمس الدين محمّد المنتهي نسبه إلى أبي يزيد البسطامي، دخل (بلخ) وكان في أطراف (كابل) و(غزنين)، وكان دخوله إلى (بلخ) في سنة ٨٨٥ واتصل بخدمة ميرزا بايقرا، وأظهر له تاريخاً قَدْ كُتِبَ في زمان السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقي، وكتب مؤرِّخه فيه: (أن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في قرية خواجة خيران في الموضع الفلاني، فجمع ميرزا بايقرا السادات والعلماء والأعيان من أهل (بلخ) وتوجَّه إلى تلك القرية، وهي على بعد ثلاثة فراسخ من العاصمة، وقصد حيث ما عيّنه صاحب التاريخ فوجد ضريحاً في وسط قُبَّة، فأمر بحفره فظهرت فيه صخرة بيضاء منقور فيها: هذا قبر أسد الله أخي الرسول علي ولي الله.

فلا جرم أنَّ الحاضرين تبرّكوا بتلك التربة، وبذلوا النذورات إلى المستحقين وشاع هذا الأمر في الأطراف والبلدان، وقصد المكان المؤمنون من الناس، وذوو الحاجات، وسعوا في طلب حاجاتهم فعوفي كثير ورجعوا مقضيين المرام، وفي أسرع وقت بلغ ازدحام النفوس وكثرة النقود بمرتبة ما عليها مزيد.

فشرح ميرزا بايقرا حقيقة الحال إلى السلطان حسين بايقرا وكان مقر سلطنته بلدة هراة، فتوجَّه إلى تلك الناحية، وقصد التبرُّك لذلك المرقد، وبعد الابتهال وأداء مراسم التبرُّك أمر ببناء سوق فيه يشتمل على فنادق وحمام، ووقف لها أحد أنهار بلخ المعروف الآن بالنهر الشاهي، وفوض نقابة الإستانة المزبورة إلى السيِّد تاج الدين حسن المعروف بالأندخودي الَّذي هو من أقارب السيّد، [ثمّ][1] تركه ورجع إلى عاصمته هراة.

وفي أسرع وقت صارت القرية المزبورة من كثرة العمارات والزراعة وتردُّد الناس كالمصر الجامع، وإنّ بعض الشيّادين لمّا رأوا هذه الحادثة أخذوا في نقل المنامات الكاذبة؛ لتشخيص بعض النقاط بدعوى كونها من مراقد الأولياء، وقبراً من قبور الأنبياء وأولاد بعض الأئمّة الأطهار، ويرتزقون من الشاردين والواردين، وكلّ ذي حاجة جاء إلى ذلك المحلّ يسألون منه، فإذا قال: قُضيت حاجتي وعُوفيت من مرضي، حملوه على الرؤوس، وتجوّلوا به في الأطراف، وعلت أصواتُهُم إلى عنان السماء، وإن أخبرهم بخلاف ذلك أوجعوه بالضرب المؤلم، وقابلوه بالإهانة، وسمَّوه شكّاكاً ومنافقاً، ولما بلغ ذلك السلطان أرسل إليهم الشيخ الواعظ حسين الكاشفي فأطفأ تلك النائرة.

قال: وذلك المرقد الشريف إلى الآن هو مطاف الجمهور من البعيد والقريب)، انتهى[2].

وذكر أيضاً في تأريخه الصغير المعروف بـ(مآثر الملوك): (أنَّ السلطان بايقرا أحدث في ذلك المشهد عمارة في نهاية الرصانة)[1].

---

(١) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٢) حبيب السير ٤: ١٧١.

هذا، وأنت خبير بأن ذاك نبأ على غير أساس، وجثّة بلا رأس، ومثل ذلك كثير في سائر البلدان، وإن مثل هذه الآثار لا تقابل ما قدَّمنا ذكره من الروايات والأخبار، وإن كان الزائر ربما يثاب على نيَّته[٢].

و[يقول][٣] الفقير: إنما ذكرت هذا من باب المناسبات واستطراد ذكر الشيء بالشيء.

ونظير ذلك ما ذكره ياقوت الحموي في (معجم البلدان): (أن في حلب في قرب جبل جوشن مشهداً مليح العمارة، تعصّب الحلبيون وبنوه أحكم بناء، وأنفقوا عليه أموالاً، يزعمون: أنهم رأوا علياً عليه السلام في المنام في ذلك المكان)[٤].

وفيه أيضاً: (إن عند باب الجنان مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام، رؤي فيه في النوم)[١].

(١) مآثر الملوك: (مخطوط) تقدم الحديث عنه.

(٢) فائدة تتعلق ببيان صاحب القبر الَّذي ببلخ المعروف بمزار شريف ذكرها شيخ مشايخنا في الرواية الشيخ آقا بزرگ الطهراني في كتابه الذريعة ج ٢ ص ٣٧٥ رقم١٥١٢، ونصّها: (أنساب آل أبي طالب: على نهج (عمدة الطالب) إلا أنه فارسي وهو أيضاً لمؤلّف عمدة الطالب. السيِّد جمال الدين أحمد بن علي ... يظهر من الكتاب أنه ألفه بعد عمدة الطالب وكأنه ترجمة له إلى الفارسية بتغيير قليل. قال سيّدنا العلامة الحسن صدر الدين: إني رأيت النسخة في مكتبة شيخنا العلامة النوري ولا أدري إلى من صارت بعده. وقال سيّدنا المذكور: وممّا ذكره في هذا الكتاب أنه دخل المزار المعروف ببلخ وقرأ المكتوب على الصخرة في تحت الصندوق وفيه هذا قبر أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبيد الله بن علي بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين السبط عليه السلام فعلم أنه من بني الحسين الَّذين ملكوا تلك البقاع والاشتراك في اللقب والاسم والكنية واسم الأب أوجب اشتباه عوام الناس في نسبتهم له إلى أمير المؤمنين عليه السلام) ، انتهى.

كما ذكر ترجمته وقبره السيِّد عبد الرزاق كمونة في كتابه موارد الإتحاف ج١ص١٣٢-١٣٣، فليراجع.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٤) معجم البلدان٢: ٢٨٤.

وقال ابن جبير في رحلته إلى الشام: (فيها مساجد كثيرة لأهل البيت عليهم السلام [رجالاً ونساء، وقد احتفل الشيعة في البناء عليهم][٢]، ولها الأوقاف الواسعة، ومن أحفل هذه المشاهد: مشهد منسوب لعلي بن أبي طالب عليه السلام، قَدْ بني عليه مسجد حفيل رائق البناء، بإزائه بستان كلُّه نارنج، والماء يطرد فيه من سقاية معيَّنة، والمسجد كلُّه ستور معلقة، في جوانبه صغار وكبار، وفي المحراب حجر عظيم قَدْ شُقَّ بنصفين والتحم بينهما، ولم يَبِن النصف عن النصف بالكلّية، تزعم الشيعة أنّه انشق لعليّ عليه السلام، أمَّا بضربة سيفه، أو بأمر من الأُمور الإلهية على يديه. ولم يذكر عن علي عليه السلام، أنّه دخل قط هذا البلد؛ اللهُمَّ إلاّ إنْ زعموا أنه كان في النوم، فلعل جهة الرؤيا تصح لهم)[٣].

السلطان حسين ميرزا

وأمَّا السلطان حسين ميرزا فهو: ابن ميرزا منصور بن ميرزا بايقرا ابن ميرزا عمر شيخ ابن تيمور الملك المشهور، وكان عاصمة ملكه بلدة هراة، ومدّة ملكه ثمانٍ وثلاثون سنة وأربعة أشهر، ومدّة حياته سبعون سنة، وقبل وفاته بعشرين سنة اعتلَّ بالفلج إلى أن توفّي في السادس عشر من شهر ذي الحجَّة سنة ٩١١، ودفن في هراة في مقبرة أعدَّها لدفنه.

---

(١) معجم البلدان ٢: ٢٨٤.

(٢) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٣) رحلة ابن جبير: ٢١٧.

ابنه ميرزا بايقرا

وأمَّا ميرزا بايقرا فهو: ابنه كان مع أخيه مظفَّر حسين ميرزا يتوليان أمر السلطنة بعد أبيهما في بلدة هراة، ثُمَّ آل أمره إلى أن توجَّه مع السلطان سليم العثماني إلى قسطنطين، وتوفي سنة ٩٢٠ في قسطنطين.

كمال الدين حسين الكاشفي

وأمّا الشيخ حسين الواعظ فهو: المعروف بمولانا كمال الدين حسين الواعظ، كان متبحّراً في علم النجوم، وكذلك في سائر العلوم، وتوفّي سنة ٩١٠، وله من المصنَّفات: (جواهر التفسير)، و(المواهب العليَّة)، و(روضة الشهداء) ـ وهو أوّل كتاب [فارسي][1] صُنِّفَ في وقعة كربلاء[2]، واشتهر قراءته حَتَّى بلغ إلى حدّ يقال لذاكر الحسين عليه السلام: روضة خوان، ولمجالس التعزية: مجلس الروضة ـ و(الأنوار السهيلي)، و(مخزن الإنشاد)، و(أخلاق المحسنين)، و(كتاب الاختيارات) المعروف بـ(لوائح القمر)[3].

سليمان خان العثماني

الثامن: دخل السلطان سليمان خان العثماني مدينة بغداد في الثامن عشر من جمادى الأُولى سنة ٩٤١، وزار قبر أبي حنيفة ـ وكان الشاه إسماعيل لما ملك بغداد أمر بنقض تربته، فجدَّد السلطان المزبور عليه مشهداً عظيماً، وبنى فيه تكية يطبخ فيها طعام، وبنى عليه قلعة حصينة، ووضع فيها المدافع والحرس ـ وزار

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٢) ينظر: الذريعة ١١: ٢٩٤ رقم ١٧٧٥.

(٣) ينظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٦: ١٢١، طبقات أعلام الشيعة (إحياء الداثر): ٦٩، هدية العارفين ١: ٣١٦.

مرقد الإمامين الهمامين الجوادين عليهما السلام في ظاهر بغداد، وزار الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثُمَّ قصد زيارة المشهدين المعظمين أمير المؤمنين عليه السلام، وأبي عبد الله الحسين عليه السلام، واستمد من أرواحهما، ثُمَّ زار المزارات المتبرَّكة، ولمّا توجَّه إلى زيارة النَّجف الأشرف رأى القُبَّة المنوّرة من مسافة أربعة فراسخ، ترجَّل عن فرسه فسأله بعض أُمراء دولته عن سبب ذلك، فقال: لمَّا وقعت عيني على القُبَّة ارتعشت أعضائي بحيث لم استطع الركوب على الفرس. فقال له بعض من كان معه: إن المسافة بعيدة إلى النَّجف، ولعلَّ السلطان لا يمكن من الوصول بهذه الحالة، فقال: نتفاءل بكتاب الله. فلمَّا فتحوا المصحف الشريف خرجت هذه الآية: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(1)، فركب بعض الطريق، ومشى بعضه حَتَّى دخل الروضة المقدَّسة، ولسان الحال منه مترنم بهذا المقال:

إذا نحنُ زُرناها وجدَنا نسيمَها ... يفوحُ لنا كالعَنْبَرِ المتنفَّسِ
ونمشي حُفاةً في ثراها تأدُّباً ... ترى أنَّنا نمشي بوادٍ مقدَّسِ

ولما زار الصندوق المقدّس، ورأى الموضع المعروف بمكان الإصبعين؛ سأل عن كيفية الحال، فذكروا قصّة مُرَّة، فقال بعض من حضر معه: إن هذه موضوعات الروافض، ولا أصل لها. فاستكشف السلطان حقيقة الحال من

---

(1) سورة طه: من آية ١٢.

روحانية صاحب المرقد عليه من الله السلام، فلمّا كان من اليوم الثاني أمر بقطع لسان المكذّب[1].

وفي بعض المجاميع: أن السلطان، ورجال دولته لمّا شاهدوا القُبَّة المنورة وترجّل بعضهم عن فرسه، فسأل السلطان عن السبب، فقال: إنّ صاحب هذا المرقد كان أحد الخلفاء فنزلت إجلالاً له. فقال السلطان: وأنا أيضاً أفعل ذلك. فقال له بعض رجاله: إنك خليفة حي، ووالي أُمور المسلمين، والحيّ أفضل من الميِّت. فقال السلطان: نتفاءل بكتاب الله، فخرجت الآية الكريمة، فأمر السلطان بضرب عنق المزبور، وأنشد هذين البيتين إشارة إلى القصة:

تزاحَمُ تيجانُ المُلوكِ ببابِهِ ... ويكثُرُ عندَ الاستلامِ ازدحامُها

إذا ما رأتهُ من بعيدٍ تَرجَّلت ... وإن هي لم تَفعَل ترجَّلَ هامُها[2]

وهما للشيخ أبي الحسن علي بن محمّد التهامي، المقتول سنة ٤١٦.

وقد خمَّسها جدّي بحر العلوم بتخميس نفيس وهو:

تَطوفُ ملوكُ الأرضِ حولَ جنابِهَ ... وتَسعَى لكي تحظى بِلَثْمِ تُرابِهِ

فكانَ كَبيتِ الله بيتٌ عَلا بِهِ ... (تزاحَمُ تيجانُ المُلوكِ ببابِهِ)

---

(١) دار السلام ٢: ٥٨، عنه اليتيمة الغروية: ٤٨٦، وعنه الأنوار العلوية: ٤٢٤، وفيه أن الحكاية وقعت للسلطان مراد، وقال البراقي مؤلِّف اليتيمة الغروية بعد إيرادها، ما نصّه: (ونقل هذه الحكاية بعض المتبحرين المعاصرين من أهل الهند في كتاب روح القرآن، إلا أنه نسبها إلى السلطان سليمان) ، انتهى.

و(روح القرآن) للسيد المفتي المير محمّد عبّاس بن علي أكبر الموسوي الجزائري التستري اللكهنوي، جمع في آيات مناقب أهل البيت وتكلم فيه بكلام لطيف طريف. (ينظر: الذريعة ١١: ٢٦٥)

(٢) البيتان من قصيدة قوامها سبعون بيتاً قالها التهامي في مدح حسان بن جراح. (ديوان التهامي: ١٤٣- ١٤٧)

(ويكثُـــرُ عنـــدَ الازدحـــامِ اســـتلامُها)

أتتــهُ مُلــوكُ الأرضِ طَوعَــاً وأمّلــتْ مَلِيكَــاً سَــحابُ الفَـضلِ مِنْــهُ تهامَلَــتْ

وَمَهْــمَا دَنَــتْ زادتْ خُـضُوعَاً بِــهِ عَلَــتْ (إذا مــا رأتْــهُ مِــن بعيــدٍ تَرجَّلــتْ)

(وإن هـــي لم تَفْعَـــل ترجَّـــلَ هامُهـــا)[1]

وله رحمه الله في تشطير البيتين، وهو تشطير بلا نظير:

(تــزاحَمُ تيجــانُ المُلــوكِ ببابِــهِ) ليبلــغَ مَــنْ قــرب إليــه ســلامُها

وتَــستَلِمُ الأركــان عنــد طوافهــا (ويكثُــرُ عنــدَ الاســتلامِ ازدحامُهــا)

(إذا مــا رأتْــهُ مــن بعيــدٍ تَرجَّلــتْ) لَيعلــوَ فــوقَ الفَرقَــدَينِ مَقامُهــا

فــإنْ فَعَلَــتْ هامــاً عــلى هامِهــا عَلَــتْ (وإنْ هــي لم تَفْعَــل ترجَّــلَ هامُهــا)[2]

حديث مُرَّة بن قيس

وأمَّا حديث مُرَّة بن قيس: فقد قال العلاَّمة النوري رحمه الله في كتاب (دار السلام): (إنه وإن لم يكن مذكوراً في الكتب المعتبرة إلا أنّه قَدْ بلغ عند الشيعة من التواتر حدّاً بحيث لا يخفى على أحد، بل قلّ معجزة عندهم مثله في الشيوع، بل قَدْ نظمه بعض شعراء الفرس من قبيل الحكيم سنائي المعروف، وهو في حدود الخمسمائة، وكذلك الفردوسي في (شاه نامة) وهو في حدود الأربعمائة، والمولى حسن الكاشي الآملي معاصر العلاَّمة الحلّي[3])[1].

(١) ديوان بحر العلوم: ١٣١، وفيه: (كأن) بدل (فكأن)، و (تهللت) بدل (تهاملت).

(٢) ديوان بحر العلوم: ١٣١.

(٣) له قصائد سبع فارسية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام تعرف بهفت بند، وينظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٥: ٢٣١ رقم ٥٨٤، الذريعة ٢: ٣٩١.

وذكره شمس الدين محمّد الرضوي من علماء الدولة الصفوية في كتابه (حبل المتين في معجزات أمير المؤمنين)[٢]، ونظمه في قصيدة مخصوصة لهذه المعجزة ـ وهذا السيِّد الجليل ينتهي نسبه إلى موسى المبرقع، وله في أحوال كل أحد من الأئمة عليهم السلام كتاب، وله في أحوال الرضا عليه السلام كتاب (وسيلة الرضوان)، ألّفه سنة ١١٣٥ـ ونقل السيِّد محمّد صالح الترمذي، المتخلص بالكشفي، من علماء أهل السنة في كتاب (المناقب): (أنَّ مُرَّة بن قيس كان رجلاً كافراً، له أموال وخدم وحشم كثيرة، فتذاكر يوماً مع قومه في شأن آبائه، وأجداده، فقيل له: إن

---

(١) في المصدر زيادة أوردها للفائدة، ونصّها: (الحكيم السنائي الغزنوي في حديقته، وعدها من المناقب المسلمات وهو [وهي- ظ] في حدود خمسمائة:

خواب وآرام مرة وعنتر ... كرده در مغز عقل زير وزبر

وكذا الحكيم الفردوسي وهو في حدود أربعمائة، فقال:

آنست امام كزدو انكشت ... جون مرة قيس كافري كشت

وللمولى حسن الكاشي الآملي المعاصر للعلامة المتقدم إليه الإشارة فيها قصيدة مخصوصة) .

وقال الطهراني في الذريعة ١٣: ٢٠ ما نصّه: وللفردوسي قصائد في مدح أمير المؤمنين علي عليه السلام يظهر منها إخلاصه في التشيع، منها قوله في قصيدة:

شهي كه زد بدو أنگشت مرة را بدو نيم ... زبهر قتل عدو ساخت ذو الفقار أنگشت

شهي كه تا بدو أنگشت در زخيبر كند ... بر آمد أز پي اسلام صد هزار انگشت

(٢) قال الشيخ أغا بزرك الطهراني رحمه الله في الذريعة ٦: ٢٩٣ رقم ١٣٢٦، ما نصّه: ((الحبل المتين) في المعاجز الظاهرة بعد دفن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فارسي يقرب من ثمانية آلاف بيت، ويزيد على ثلاثمائة معجزة من معجزاته عليه السلام للسيد شمس الدين محمّد بن بديع الدين الرضوي الّذي كان من رؤساء خدام الروضة الرضوية في أواخر عصر الصفوية، وله (تزيين المجالس) ، رأيت نسخة ناقصة منه عند الشيخ على أكبر النهاوندي، وهي من أول المعجزة الثالثة إلى المعجزة السابعة والثلاثمائة، ونسخة منه كانت عند شيخنا النوري ينقل عنها في المجلد الأول من كتابه (دار السلام) ثلاثة منامات في آخرها إشارة إلى قضية مرة بن قيس وقتله بإصبعيه عليه السلام المعلم في الصندوق الّذي في داخل الضريح بثقب لمكان الإصبعين، توجد نسخة منه عند السيِّد محمّد باقر الدماوندي المشهور ببحر العلوم بطهران) .

أكثرهم قَدْ قتلوا بسيف علي بن أبي طالب، فسألهم عن محلّ قبرهعليه السلام فدلُّوه على النَّجف.

فجهّز معه ألفي فارس، وأُلوفاً من الرجالة، وتوجَّه إلى النَّجف. فلمَّا قرب من نواحي البلدة تحصّن أهلها في داخل البلدة، فحاربهم في مدَّة ستة أيام حَتَّى ثلم موضعاً من السور ودخل البلدة عنوة، وفرَّ الناس وخرجوا هاربين على وجوههم.

فجاء حَتَّى دخل الروضة المقدَّسة، وخاطب صاحب المرقد بقوله: يا علي، أنت قتلت آبائي وأجدادي، وأراد أن يشقَّ الضريح بسيفه، فخرج منه إصبعان مثل ذي الفقار فقطعه نصفين، وفي ساعته انقلب النصفان حجرين أسودين، فجاؤوا بهما إلى باب النَّجف، وكان كلٌّ من يزور المرقد الشريف يرفُسهُما برجله، ومن خواص ذلك: أنَّه كلَّما مرَّ عليهما حيوان بال عليهما، ومضى مدَّة من الزَّمان ، وكان الحال على ذلك المنوال، فجاء رجل من خدام مسجد الكوفة، وحمل القطعتين إلى باب المسجد وطرحهما هناك، واتَّخذهما مرتزقاً له من الزائرين والمتردِّدين).

قال السيِّد صاحب (المناقب): (حدثني الشيخ يونس، وهو رجل من صلحاء أهل النَّجف: أني رأيت عضواً من أعضائه هناك). انتهى[1].

ويحكى عن الشيخ قاسم الكاظمي النَّجفي شارح الاستبصار: (أَنه كان كثيراً ما يدعو على من أخرج الحجر المزبور من النَّجف، ويقول: خذل الله من أخرج هذا الملعون من تلك العتبة المقدسة، وأبطل هذه المعجزة الباهرة)[2].

وأشار إلى هذه القصّة أيضاً السيِّد محمود بن فتح الله الحسيني الكاظمي النَّجفي المذكور في (الروضات)، في ذيل ترجمة شارح (الزبدة) الفاضل

---

(١) المناقب للكشفي، عنه الحبل المتين، عنه دار السلام ٢: ٥٨.

(٢) دار السلام ٢: ٥٩ مع زيادة تطلب من محلها.

الجواد، وله عنه الرواية في رسالته التي ألفها لإثبات وجود جثّة الأنبياء والأوصياء في قبورهم، قال: (إنَّ مُرَّة بن قيس الدمشقي، كان لأبيه مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام سابقة من حيث قتله أباه، فحمله ذلك إلى أن يأتي قبره عليه السلام ويستخف به، فلمّا أعدّ واستعدّ أتى الكوفة، وسأل عن ظهرها، وعن مكان القبر الشريف، وتوجَّه إليه يقصده، فجرى عليه ما جرى، وقصَّته مشهورة بين الورى). انتهى[١].

ويظهر من صاحب (الجواهر) في بحث اللّعان خصوصية لهذا المكان من الروضة المقدّسة، حيث قال في شرح قول المحقِّق: (وقد يغلظ اللّعان بالقول والمكان) ما لفظه: بأن يلاعن بينهما في البقاع المشرفة، مثل ما بين الركن والمقام ـ أي: الحطيم ـ إن كان في مكّة، وفي المسجد عند الصخرة إن كان في بيت المقدس، وعند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله إن كان في المدينة، وعند المكان المعروف بالإصبعين في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام قريباً من مكان رأسه المعظَّم)، انتهى[٢].

وهذا المكان معلوم اليوم وعلامته الثقبة الواقعة في طرف الصندوق الخاتم، وممّا يلي القبلة، من جهة الرأس الشريف[٣].

والصندوق من آثار السلطان محمّد خان الخواجة القاجاري، المؤسِّس للدولة القاجارية، المتوفى سنة ١٢١١[٤]، وحمل نعشه إلى النَّجف، ودفن جوار

---

(١) روضات الجنات ٢: ٢١٦.

(٢) جواهر الكلام ٣٤: ٦١.

(٣) ينظر بالتفصيل عن هذا المكان: تاريخ النجف الأشرف ١: ٤٤٥-٤٤٨.

(٤) اليتيمة الغروية: ٤٦٢.

المرقد المطهَّر، وأرسل الضريح في صحبة الفقيه المطلق: أغا محمّد علي الهزارجريبي، نجل المرحوم الأغا محمّد باقر الهزارجريبي، وكان الابن من تلامذة جدّنا بحر العلوم، وتوفي سنة ١٢٤٥، ودفن الأب في الإيوان الجنوبي المعروف: بإيوان العلماء، من الصحن المرتضوي[(١)].

زيارة الملوك وآثارهم في النجف

الثامن: في ذكر من زار النَّجف من الملوك والوزراء والعلماء، ومن بنى شيئاً في ذلك المرقد المقدّس.

يستفاد من جملة من كتب التواريخ أنَّ التعميرات الحادثة في المرقد المرتضوي عليه السلام أساسية كانت أو تزيينية، هي على ما ستذكر:

داود العبَّاسي

الأول: ما صدر من داود العبَّاسي، حيث أرسل رجلين من العملة، ومعهما غلام له، يقال له الجمل، إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وقال لهم: امضوا إلى هذا القبر الَّذي افتتن به الناس، ويقولون إنه قبر علي حَتَّى تنبشوه، وتجيئوني بأقصى ما فيه.

فمضوا إلى الموضع وقالوا: دونكم وما أمر به، فحفر الحفّارون وهم يقولون: لا حول ولا قوة إلاّ بالله في أنفسهم، حَتَّى نزلوا خمسة أذرع، فلمَّا بلغوا

---

(١) لم يذكر في كتاب (مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف)، فهو ممَّا يستدرك عليه، ومؤلفه المرحوم المحقق الأُستاذ كاظم عبود الفتلاوي شيخ إجازتنا فقدناه في هذه السنة ـ١٤٣١هـ ـ في ليلة ١٣ من شهر محرم الحرام، وكان صاحب فضل علينا لتشجيعه الحثيث لي بالسير على خطى طريق التحقيق الَّذي أنعم الله عزَّ وجلَّ به عليّ في إحياء الداثر من المآثر، فنحمده على نعمه دائماً وأبدا.

إلى الصلابة قال الحفّارون: قَدْ بلغنا إلى موضع صلب وليس نقوى بنقره، فأنزلوا الحبشي، فأخذ المنقار فضرب ضربة سمعنا لها طنيناً شديداً في البرّ، ثُمَّ ضرب ثانياً، فسمعنا طنيناً أشد ممَّا تقدّم، ثُمَّ ضرب الثالثة فسمعنا أشدَّ من ذلك، ثُمَّ صاح الغلام صيحةً، فقمنا وأشرفنا عليه، وقلنا للذين كانوا معه اسألوه ما باله؟

فلم يجبهم، وهو يستغيث، فشدُّوه وأخرجوه بالحبل، فإذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرفقه دم، وهو يستغيث ولا يكلّمنا، ولا يحارُ جواباً، فحملناه على البغل ورجعنا طائرين، ولم يزل لحم الغلام ينثر من عضده وجبينه وسائر شقه الأيمن، حَتَّى انتهينا إلى داود. فقال: أيُّ شيء وراءكم؟ فقلنا: ما تراه، وحدّثناه بذلك فالتفت إلى القبلة وتاب عمّا هو عليه، ورجع عن المذهب، وتولى وتبرّأ.

وركب بعد ذلك ليلاً إلى مصعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً، ولم يخبره بما جرى بوجه من سوَّى مكان المرقد وطمَّه بالتراب، وعمّر الصندوق عليه، ومات الغلام الأسود من وقته، والقصة مذكورة في كتاب (فرحة الغري)[1].

وداود هذا هو أبو سليمان بن علي بن عبد الله بن العبَّاس، عم السَّفاح، وهو الَّذي نازع الصادق عليه السلام في إرث مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله توفّي ولم يخلّف وارثاً، فخاصم ولد العبَّاس الصادق عليه السلام وكان هشام بن عبد الملك قَدْ حجّ في تلك السنة، فجلس لهم، فقال داود: الولاء لنا.

---

(١) فرحة الغري: ١٥٩ ح٩٨.

فقال الصادق عليه السلام: **«بل الولاء لي»**، فقال داود: إنَّ أباك قاتل معاوية.

فقال عليه السلام: **«إن كان أبي قاتل معاوية فقد كان حظّ أبيك فيه الأوفر»**[١].

قلت: وإنما كان حظ أبيه فيه الأوفر؛ لأن أباه عبد الله بن العبَّاس كان مع أمير المؤمنين في قتال معاوية، وكان يسعى فيه سعياً بليغاً ثُمَّ فرّ، وهو الَّذي قتل المُعلَّى بن خنيس وكان من قوام أبي عبد الله عليه السلام، وإنَّما قتله بسببه، وكان محموداً عنده، ومضى على منهاجه[٢].

وأمره مشهور، فروي عن أبي بصير، قال: **لمّا قتل داود بن علي المعلَّى بن خنيس وصلبه، عظم ذلك على أبي عبد الله عليه السلام واشتدّ عليه، وقال له: يا داود! علامَ قتلت مولاي وقيِّمي في مالي، وعلى عيالي؟ والله إنَّه لا وجه عند الله منك**[٣].

وبالجملة: كان في أيام السَّفاح، وصعد المنبر بالكوفة يوم بويع السَّفاح، وقال: يا أهل الكوفة، إنّه لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا علي بن أبي طالب، وهذا القائم فيكم يعني: السَّفاح. ثُمَّ ولاّه المدينة، والموسم ومكّة، واليمن، واليمامة[٤].

وقال ابن عساكر في تأريخه: (لمّا بويع لبني العبَّاس كان مسنداً ظهره إلى الكعبة، فقال: شكراً شكراً، إنّا والله ما خرجنا لنحفر بكم نهراً، ولا لنبني قصراً، ظن عدو الله لن نقدر عليه أمهل له في طغيانه، وأرخى له من زمانه، حَتَّى عثر في فضل

---

(١) الكافي ٨: ٢٥٨ ح٣٧٢.

(٢) خبر قتله إياه ورد في الكافي ٢: ٥١٣ ح ٥.

(٣) الغيبة للطوسي: ٣٤٧ ح ٣٠٠.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٣: ١٧٣.

خطامه. فالآن حيث أخذ القوس باريها، وعاد النبال إلى النزعة، وعاد الملك إلى نصابه، في أهل بيت نبيِّكم، أهلَ الرأفة والرحمة. والله إن كنّا لنشهد المرَّ ونحن على فرشنا، أمن الأسود والأبيض لكم ذمّة الإله، وذمَّة رسوله، وذمَّة العبَّاس، ورب هذه البنية لا نُهيج منكم أحداً.

ثُمَّ نزل، وسمع سالم بن حفصة يطوف بالبيت وهو يقول: لبيكَ مُمْهِلَ[1] بني أُميَّة فأجازه داود بألف دينار)[2].

واستعمله السَّفاح على الكوفة، ثُمَّ عزله وبعثه، فصلّى بالموسم. وكان حجّه سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان أول من ولي المدينة من بني العبَّاس، وأول من أقام الحج للناس في ولاية العبَّاسيين. وتوفي بالمدينة سنة ١٣٢، واستخلف عليها ولده موسى[3].

ولمّا كان أبو العبَّاس عبد الله بن محمّد بالكوفة صعد المنبر ليخطب الناس، فحضر ولم يتكلَّم، فوثب داود بين يدي المنبر فخطب وذكر أمرهم، وخروجهم، ومنَّى الناس، ووعدهم العدل، فتفرقوا عن خطبته.

وتوفِّي وهو ابن اثنتين وخمسين سنة، وكان أدرك من خلافتهم ثمانية أشهر، وقيل تسعة أشهر[4] [5].

---

(١) في المصدر: (مهلك).

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٧: ١٦٤ ضمن ترجمته.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٧: ١٦٥ ضمن ترجمته.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٧: ١٦٧ ضمن ترجمته.

(٥) وفي مزار المشهدي: ٢٤٠ ح٧، وعنه فرحة الغري: ١٢١ح ٦٥ مانصّه واللفظ للأول: (زيارة أخرى له عليه السلام) «حدّثنا الحسن بن محمّد، عن بعضهم، عن سعد بن عبد الله الأشعري، قال: حدثني أحمد بن محمّد بن عيسى،

[هارون الرشيد]

الثاني: البناء الهاروني، قال الشيخ المفيد في (الإرشاد)، وصاحب (عمدة الطالب)، واللفظ للأخير: (فلم يزل قبره عليه السلام مخفياً حتَّى كان زمن الرشيد هارون بن محمّد بن عبد الله العبَّاسي، فإنه خرج ذات يوم إلى ظاهر الكوفة يتصيَّد، وهناك حمر وحشية وغزلان، فكان كلَّما ألقى الصقور والكلاب عليها لجأت إلى كثيب رمل هناك، فترجع عنها الصقور والكلاب. فتعجَّبَ الرشيدُ من ذلك ورجع إلى الكوفة، وطلب من له علم بذلك، فأخبره بعض شيوخ الكوفة: أنه قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام.

فيحكى أنه خرج ليلاً إلى هناك ومعه علي بن عيسى الهاشمي، وأبعد أصحابه عنه، وقام يصلّي عند الكثيب، ويبكي، ويقول: واللهِ يا ابنَ عمّ إنّي لأعرف حقَّك، ولا أُنكر فضلك، ولكن ولدك ليخرجون عليّ، ويقصدون قتلي، وسلب ملكي. إلى أن قرب الفجر وعلي بن عيسى نائم، فلمَّا قرب الفجر أيقظه هارون، وقال: قم فصلّ عند قبر ابن عمِّك.

عن الحسن بن عيسى، عن هشام بن سالم، قال: حدثني صفوان الجمال قال: لما وافيت مع جعفر الصادق عليه السلام الكوفة نريد أبا جعفر المنصور، قال لي: يا صفوان أنخ الراحلة فهذا حرم جدي أمير المؤمنين عليه السلام، فأنختها، ونزل فاغتسل وغير ثوبه وتخفى وقال لي: افعل مثل ما افعله، ثُمَّ أخذ نحو الذكوات وقال لي: قصر خطاك والق ذقنك إلى الأرض، فإنه يكتب لك بكل خطوة مائة ألف حسنة، ويمحى عنك ألف سيئة، ويرفع لك مائة ألف درجة، ويقضى لك مائة ألف حاجة، ويكتب لك ثواب كل صديق وشهيد مات أو قتل . ثُمَّ مشى ومشينا معه وعلينا السكينة والوقار، ونسبح ونقدس ونهلل، إلى أن بلغنا الذكوات، فوقف عليه السلام ونظر يمنة ويسرة، وخط بعكازته فقال لي: اطلبه، فطلبت فإذا أثر القبر في الخط، ثُمَّ أرسل دموعه على خده وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقال: السلام عليك أيها الوصي البر التقي ـ وذكر تمام الزيارة إلى أن قال صفوان ـ قلت: يا سيدي تأذن لي أن أخبر أصحابنا من أهل الكوفة به، فقال: نعم، وأعطاني دراهم وأصلحت القبر». (انتهى) .

وهذا الخبر يدلّ على أن أول من عمّر قبره عليه السلام هو الإمام الصادق صلوات الله عليه، فتدبر.

قال: وأي ابن عمّ هو؟ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقام علي بن عيسى فتوضأ وزار القبر، ثُمَّ إنَّ هارون أمر أن تبنى عليه قُبَّة، وأخذ الناس في زيارته، والدفن لموتاهم حوله، إلى أن كان زمن عضد الدولة فناخسرو ابن بويه. انتهى[1].

وهارون هو: الخليفة الخامس من العبَّاسيين، توفِّي بطوس، في ليلة السبت في الثالث من ربيع الثاني سنة ١٩٣[2].

الداعي الصغير محمد بن زيد

الثالث: بناء محمّد بن زيد بن محمّد بن إسماعيل ـ حالب الحجارة[3] ـ ابن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى عليه السلام المعروف: بالداعي الصغير، الَّذي ملك طبرستان في سنة ٢٧٣، بعد أن ملكها أخوه الحسن بن زيد ـ الملقَّب: بالداعي الكبير الأول، وكان ظهوره بطبرستان سنة ٢٥٠، وتوفي سنة ٢٧٠ وله كتاب (الجامع في الفقه) وكتاب (البيان)، وكتاب (الحجّة في الإمامة)[4] ـ ولم يعقب.

(١) عمدة الطالب: ٦٢، الإرشاد ١: ٢٥، غير أن المفيد ذكر الحكاية ولم يذكر أمر البناء الهاروني، فلاحظ.

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء: ٢٦٣- ٢٧٦، كما ينظر عن هذه العمارة: ماضي النجف وحاضرها ١: ٤١، أعيان الشيعة ١: ٥٣٦.

(٣) قال الدامغاني محقق كتاب المجدي في أنساب الطالبيين ص ٣٤٦ ما نصّه: (وإسماعيل هذا هو الملقّب بحالب الحجارة؛ لشدته وقوته وصلابته، كما في تاريخ طبرستان ص ٩٤ - أو جالب الحجارة بالجيم معجمة كما في منتقلة الطالبية ص ١٥٧ و ١٥٨. وينقل الفاضل المغفور له السيِّد جلال الدين الحسيني الأرموي المعروف بالمحدث رحمه الله، في الحاشية من ص ٤٥٩ من النقض من لباب الأنساب للبيهقي رحمه الله ما هذا نصّه: (وسمعت أيضا بالجيم واللام ولا أدري وجهه من طريق مكتوب إلا أني سمعت السيِّد النسابة الونكي بالري إنه قال: كان إسماعيل ينقل الحجارة من الجبال ويبني بها المساجد والقناطر بيده فقيل له جالب الحجارة بالجيم - وقد نقل المحدث رحمه الله هذا من مخطوطة من لباب الأنساب التي كان رحمه الله يملكها. والله العالم)).

(٤) ينظر: فهرست النديم: ٢٤٤.

واستولى على الأمر بعده ختنُه على أُخته: أبو الحسين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن الشَّجري، ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن عليه السلام، وكان أخو الداعي: محمّد بن زيد بجرجان. فلمّا وصل إليه الخبر زحف إلى أبي الحسين من جرجان سنة ٢٧١، فقتله وملك طبرستان، وأقام بها سبع عشرة سنة وسبعة أشهر، واستولى على تلك الديار حَتَّى خطب له رافع بن هرثمة بنيشابور. ثُمَّ لمّا بلغه أسر عمر وابن ليث توجَّه نحو تسخير خراسان. فتقدم لدفعه محمّد بن هارون السرخسي صاحب إسماعيل بن أحمد الساماني فقتله في ظاهر كركان ـ يعني جرجان ـ في شهر شوال سنة ٢٨٧، وحمل رأسه وابنه زيد بن محمّد إلى بُخارى، ودفن بدنه بجرجان عند قبر الديباج محمّد بن الصادق عليه السلام، وكان فاضلاً متديِّناً، وحسن السيرة.

وكيف كان: فمحمّد بنى على المشهد الشريف قُبَّة وحائطاً حَتَّى قيل: إنه أول من أظهر مشهد جده عليه السلام.

وهو الَّذي أخبر الصادق عليه السلام عنه بـ: «**إنّه لا تذهب الأيام حَتَّى يبعث الله رجلاً ممتحناً في نفسه في القتل، يبني عليه حصناً فيه سبعون طاقاً**».

قال حبيب بن الحسين: سمعت هذا الحديث قبل أن يبنى على الموضع شيء، ثُمَّ إن محمّد بن زيد وجّه فبنى عليه، فلم تذهب الأيام حَتَّى امتحن محمّداً في نفسه بالقتل.

والخبر روي في (مدينة المعاجز)[1].

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٥٩ح ٤٣٩/ ٤٣، مدينة المعاجز ٦: ١٥٧ ح ١٩١٥/ ٣٤٥، وينظر عن هذه العمارة: ماضي النجف وحاضرها ١: ٤٢، أعيان الشيعة ١: ٥٣٦.

السيد أبو علي عمر

الرابع: بناء السيِّد أبو علي عمر الرئيس الجليل، والَّذي ردّ الله على يده الحجر الأسود، لمَّا نهبت القرامطة مكّة في سنة ٣١٧، وأخذوا الحجر وأتوا به إلى الكوفة، وعلَّقوه في السارية السابعة من المسجد، والقصّة طويلة.

وكان السيِّد المزبور أمير الحاج فردّ الحجر إلى محلّه في سنة ٣٣٩، فكان لبثه عندهم ٢٢ سنة.

وهذا السيِّد الجليل بنى قُبَّة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام من خالص ماله، وهو من ذرية الحسين ذي الدمعة، فهو أبو علي عمر بن يحيى القائم بالكوفة ابن الحسين النقيب الطاهر ابن أبي عاتقة أحمد الشاعر المحدّث ابن أبي علي عمر ابن أبي الحسين يحيى ـ من أصحاب الكاظم، المقتول سنة ٢٥٠، الَّذي حمل رأسه في قوصرة للمستعين ـ ابن أبي عبد الله[1]، الزاهد العابد الحسين ـ ذي الدمعة، الَّذي ربّاه الصادق عليه السلام وأورثه علماً جمّاً ـ ابن زيد الشهيد ابن السجاد عليه السلام[2].

وقيل: ردّ الحجر على يد أبيه يحيى[3].

السلطان عضد الدولة الديلمي

الخامس: (بناء السلطان عضد الدولة الديلمي) جاء وأقام في النَّجف قريباً من سنة، فأحضر المعماريين، والبنّائين من أطراف البلاد، وخرب العمارة العتيقة،

---

(١) في الأصل: (أبي عاتقة) وما أثبتناه من المصدر.

(٢) خاتمة المستدرك ٢: ٢٩٧، وينظر حادثة رد الحجر في: عمدة الطالب: ٢٧٥.

(٣) ينظر عن هذه العمارة: أعيان الشيعة ١: ٥٣٦.

وصرف أموالاً كثيرة جزيلة، وعمّر عمارة جليلة، وقد ستر الحيطان بالخشب الساج المنقوش، وأصحّ القناة الآتية قناة آل أعين، وبنى المنهدم منها وأحكمها أشدّ من الأول، فاشتهرت بقناة آل بويه، وما زالت تسقي أهل النَّجف عذبَ الماء حَتَّى أبلى الدهر جدَّتها بعد مئات من السنين[1].

قال ابن كثير: (إنّ عضد الدولة لمّا توفّي في بغداد سنة ٣٧٢ أوصى قبل وفاته بحمل جنازته إلى مشهد النَّجف، فحمل ودفن جوار الروضة المتبرّكة، وكتبوا على قبره: هذا قبر عضد الدولة وتاج المملكة[2] أبي شجاع ابن ركن الدولة، أحبَّ مجاورة هذا الإمام المُتّقي[3] لطمعه في الخلاص، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[4]، وصلواته الناظرة على محمّد وآله الطاهرة)[5].

قال: (ومن جملة مآثره: تجديد عمارة مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام).

وفي حبيب السير: (أنه دفن عضد الدولة ممَّا يلي رجلي الإمام عليه السلام، عند البابين اللذين يدخل منهما إلى الروضة)[6].

وفي (فرحة الغري): (كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري في شهر جمادى الأُولى من سنة ٣٧١، وورد مشهد الحائر، مشهد مولانا الحسين عليه السلام لبضع بقين من جمادى، فزاره عليه السلام، وتصدَّق وأعطى الناس على

---

(١) ذكر هذه القناة السيِّد البراقي في اليتيمة الغروية: ٤٦٠، وقال: وهو [وهي – ظ] ماء الآبار في وسط البلد.(انتهى) وينظر عنها: تاريخ النجف الأشرف ١: ٢٨٢.

(٢) في الأصل: (الملة) وما أثبتناه من المصدر.

(٣) في الأصل: (المعصوم) وما أثبتناه من المصدر.

(٤) سورة النحل: من آية ١١١.

(٥) البداية والنهاية ١١: ٣٤٢ ضمن حوادث سنة ٣٧٢هـ.

(٦) حبيب السير ٢: ٤٢٧.

اختلاف طبقاتهم، وجعل في الصندوق دراهم، فَفُرِّقت على العلويين، فأصاب كلَّ واحد منهم: اثنان وثلاثون درهماً، وكان عددهم ألفين ومائتي اسم.

ووهب لعوام المجاورين عشرة آلاف درهم، وفرَّق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة ألف رطل، ومن الثياب خمسمائة قطعة، وأعطى الناظر عليهم ألف درهم.

وخرج وتوجَّه إلى الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرّخ، ودخلها وتوجَّه إلى المشهد الشريف الغروي يوم الاثنين، ثاني يوم وروده وزار الحرم الشريف، وطرح في الصندوق دراهم، فأصاب كل منهم واحداً وعشرين درهماً، وكان عدد العلويين ألفاً وسبعمائة اسم، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسة آلاف درهم، وعلى الناحية ألف درهم، وعلى القرَّاء والفُقهاء ثلاثة آلاف درهم، وعلى المرتبين والخازن والبواب على يد أبي الحسن العلوي، وعلى يد أبي القاسم بن أبي العابد، وأبي بكر بن سيَّار)[1].

شرف الدولة

وفي (تاريخ الذهبي): (أنَّ في سنة ٣٧٩ مات صاحب بغداد شرف الدولة بن عضد الدولة وله ٢٩ سنة، وكانت دولته ثلاثين شهراً، ودفن عند أبيه بالمشهد الأمجد.

وفي سنة ٤٠٣ مات صاحب بغداد السلطان بهاء الدولة ابن عضد الدولة وله ٤٢ سنة، وكانت مدَّة ملكه ٢٤ سنة، ودفن بالمشهد الأسعد)[2].

---

(١) فرحة الغري: ١٥٤ ح٩٥.

(٢) الكامل في التاريخ ٩: ٢٤١.

جلال الدولة البويهي

وذكر ابن كثير أيضاً: (أنَّ جلال الدولة البويهي توجَّه من بغداد نحو الغريّ لزيارة أمير المؤمنين، وكان في أكثر الطريق يمشي على قدميه طلباً لمزيد الأجر والثواب، وزار مشهد الحسين عليه السلام وذلك سنة ٤٣١، وتوفّي هو سنة ٤٣٥)[١].

ابن الحجاج الشاعر

والظاهر أنَّ القُبَّة التي هي بناء عضد الدولة هي المقصودة من قول أبي عبد الله حسين بن أحمد الحجَّاج، الملقَّب بابن الحجَّاج الشاعر، الماهر في قصيدته المعروفة، المشهورة التي أولها:

يا صاحِبَ القُبَّة البيضاء في النَّجف ... مَنْ زارَ قَبرَكَ واستشفى لَدَيْكَ شُفِي

وتوفّي ابنُ الحجَّاج في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٩١ بالنيل، وحُمِلَ إلى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، وأوصى أن يكتب على قبره: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[٢].

وكان من كبار الشيعة، وكفى في فضله أن السيِّد الرضي رحمه الله انتخب شعره وسماه (الحَسَنُ من شِعْرِ الحُسَين)، ويظهر من شعره أنه من أولاد الحجَّاج بن يوسف الثقفي.

قال ابن شبانة: (وهو مناف كونه من بلاد العجم إلاّ أن يكون ولد فيها، انتهى[١])[٢].

---

(١) البداية والنهاية ١٢: ٥٩، وينظر عن زيارته: اليتيمة الغروية: ٥٤٤، وورد في الأصل تاريخ وفاته خطأ وما أثبتناه من النجوم الزاهرة.

(٢) سورة الكهف: من آية ١٨.

وكيف كان، فلم تزل عمارة عضد الدولة باقية إلى سنة ٧٥٣ فاحترق الحرم، واحترق فيما احترق مصحف في ثلاثة مجلَّدات يقال إنّه كان بخط صاحب المرقدعليه السلام وإنه كان في آخره: وكتب علي ابن أبو طالب.

ويقال: إنَّ الَّذي كان في آخر ذلك المصحف: علي ابن أبي طالب، ولكن الياء تشتبه بالواو في الخط الكوفي[٣].

قال في (عمدة الطالب): (وقد رأيت مصحفاً بالمذار في مشهد عبيد الله بن علي بخطّ أمير المؤمنينعليه السلام في مجلَّد واحد في آخره بعد تمام كتابة القرآن المجيد: بسم الله الرحمن الرحيم كتبه عليٌّ بن أبي طالب. ولكنَّ الواو تشتبه بالياء في ذلك الخط)[٤].

وسيأتي في المقام السابع زيادة لهذا المطلب، فراجع حيث هناك[٥].

السادس: البناء المتجدَّد بعد ما وقع من الحرق.

قال في (العمدة): (وجُدِّدت عمارة المشهد على ما هي عليه الآن، وقد بقي من عمارة عضد الدولة قليل، وقبور آل بويه هناك ظاهرة مشهورة لم تحترق)[٦].

---

(١) تتمة أمل الآمل(مخطوط) : ترجمة رقم ٢٧.

(٢) ينظر ترجمته في: الغدير ٤: ٩٠- ١٠١، الأعلام ٢: ٢٣١، أعيان الشيعة ٥: ٤٢٧ رقم ٩٦٥، الكنى والألقاب ١: ٢٥٦.

(٣) عمدة الطالب: ٢٠، وفيه تاريخ احتراق الحرم الشريف سنة ٧٥٥هـ.

(٤) عمدة الطالب: ٢١.

(٥) ينظر عن هذه العمارة: ماضي النجف وحاضرها ١: ٤٣- ٤٧، أعيان الشيعة ١: ٥٣٧.

(٦) عمدة الطالب: ٦٢.

المستنصر العباسي وما يتعلق بداخل الروضة المقدسة

وصاحب (العمدة) توفّي سنة ٨٢٨ وظنّي أنّ مقصوده من هذا البناء، الضريح الَّذي عمله الخليفة المستنصر العبَّاسي، على ما ذكره صاحب (الفرحة)، قال: (والخليفة المستنصر عمل الضريح الشريف، وبالغ فيه)[١].

وأقدم تاريخ يوجد الآن في داخل الحرم الشريف هي الكتيبة التحتانية المتَّصلة بالهزارة فإنَّ تاريخ كتابتها سنة ١١٣١[٢]، وظنّي أنّ الكتابة الفوقانية التي هي باللاّجورد الأبيض الواقعة في منطقة القُبَّة المنوَّرة من داخل الحرم مع التزيينات الواقعة حول الكتيبة فما فوق، كلُّها من آثار السلطان نادر شاه؛ لأنَّ الكتيبة المزبورة قَدْ ختمت باسم كاتبها (مهر علي) في سنة ١١٥٦[٣].

وهذا التأريخ موافق لتاريخ تذهيب القُبَّة الَّذي هو من آثار نادر؛ إذ قَدْ كتب بالحروف الذهبية المأرقة على جبهة الإيوان الشرقي المتَّصل بالرواق الشرقي ما نصُّه:

(الحمد لله تعالى قَدْ تشرف بتذهيب هذه القُبَّة المنوَّرة والروضة المطهَّرة: الخاقان الأعظم، وسلطان السلاطين الأفخم، أبو المظفَّر المؤيَّد بتأييد الملك القاهر، السلطان: نادر أدام الله ملكه، وأفاض على العالمين سلطته وبرَّه، وعدله وإحسانه.

---

(١) فرحة الغري: ١٤٤.

(٢) هذا التاريخ الَّذي ذكره المؤلف رحمه الله هو داخل الحرم، وإلا ففي الصحن الشريف من جهة باب الطوسي توجد لوحة قبر لامرأة موجودة فوق باب رواق عمران بن شاهين كتب فيها اسمها وتاريخ وفاتها في سنة (٧٧٦هـ)، فلاحظ.

(٣) ينظر: معارف الرجال ٣: ٢٥٠، تاريخ النجف الأشرف ٢: ٣٣٣.

وقيل في تاريخه: خلّده الله ودولته سنة ستٍّ وخمسين ومائة وألف) انتهى[١].

ولقد أجاد من أرَّخ ذلك بقوله: (آنست من جانب الطور ناراً) سنة ١١٥٦[٢].

ولا أدري أن التزيينات الزجاجية، والترصيعات المراتبة التي هي داخل الحرم الشريف في أيٍّ تاريخ حدثت؟ ومَنْ الباذل لنفقتها؟ غير أنه يوجد من جهة الرأس الشريف من طرف القبلة وعكسها مرآتان كبيرتان مكتوب على كلّ منهما هذا البيت:

قُلْ لِمَنْ يسألُ عَنْ تاريخِها ... هو صَرْحٌ من قواريرَ مُمَرَّدُ

أعني: (سنة ١٣٠١).

مشير السلطنة الشيرازي

وأمّا الضريح الفضّي الموضوع فعلاً على المرقد الشريف، فهو من آثار مشير السلطنة الشيرازي ـ من رجال السلطان ناصر الدين شاه القاجاري ـ وتاريخ الفراغ منه: (تمّ ضريح الأمير) سنة ١٢٩٨[٣].

العاضد الخليفة الفاطمي

وحكى ابن النَّجار في تاريخ المدينة: (أن العاضد آخر خلفاء الفاطميين عمل للحُجرة النبوية ستارة من الديبقي الأبيض عليها الطُّرُز والجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر، مكتوب عليها سورة (يس) بأسرها، والخليفة العبَّاسي يومئذ

---

(١) ذكر محمّد علي التميمي في كتابه مدينة النجف: ٢٣٠ أن هذه الكتابة موجودة على جهة الإيوان [الشرقي] الذهبي كتبت بالحروف الذهبية.

(٢) القائل هو السيّد نصر الله الحائري ضمن قصيدة طويلة وردت في أعيان الشيعة ١٠: ٢١٥.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٥٤٧.

المستضيء بأمر الله. ولمَّا جهّزها إلى المدينة امتنع قاسم بن مهنا ـ أمير المدينة يومئذ ـ من تعليقها حَتَّى يأذن فيه المستضيء، فنفذ الحسين بن أبي الهيجاء قاصداً إلى بغداد في استئذانه في ذلك، فأذن فيه، فعلقت الستارة على الحجرة الشريفة نحو سنتين، ثُمَّ بعث المستضيء ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطراز والجامات البيض المرقومة، وعلى دور خاماتها مرقوم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى طرازها اسم الإمام المستضيء بالله. فقلعت الأُولى ونفذت إلى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه بالكوفة، وعُلّقت ستارة المستضيء مكانها)[1].

وهذا ما يتعلَّق بداخل الروضة المقدَّسة.

[أروقة الحرم المقدس]

وأمَّا الرواق الشرقي الَّذي منه باب الحرم الشريف، فقد زُيِّن بالترصيعات الزجاجية على ما هي الآن على نفقة الحاج حمزة التبريزي، كان ساكناً في النَّجف، وكان من التجَّار المعروفين بالتديُّن، وكان يحب الخير، وتوفي في النَّجف ودفن. وعلى ما بلغني: أنه أنفق على ذلك ثلاثة آلاف توماناً، وفرغ من تعميره سنة ١٢٨٤[2].

وفي سنة ١٣٠٧ شرعوا في تزيين الأروقة القبلية، والشمالية، والغربية، على ما هي الآن على نفقة الحاجي أبو القاسم، والحاجي علي أكبر البو شهري، وفرغ منه سنة ١٣٠٩[3].

---

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٤٤٤، عن صبح الأعشى ٤: ٣٠٦.

(٢) ينظر: اليتيمة الغروية: ٤٦٢، تاريخ النجف الأشرف ١: ٤٢٣، وفيه أنه كان ذلك سنة ١٢٨٥هـ.

(٣) ينظر: اليتيمة الغروية: ٤٦٣، تاريخ النجف الأشرف ١: ٤٢٣.

وفي سنة ١٢٠٦ جُدِّد فرش الصحن على نفقة رجل من أهالي إيران يقال له (مير خير الله)، كما هو المستفاد من مادة تاريخه الفارسي:

(بناى مير خير الله بجا بود)[١].

طلائع بن رزيك

وممَّن تشرَّف بتقبيل القبلة: الملك الصالح، فارس المسلمين، أبو الغارات، نصير الدين طلائع بن رزيك، وكان شجاعاً، كريماً جواداً فاضلاً، محبّاً لأهل الأدب، جيد الشعر، رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسة وتدبيراً، وكان مُهاباً في شكله، عظيماً في سطوته، محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها، شديد المغالاة في التشيّع.

وقد توجَّه في بدء أمره مع جماعة من مساكين الشيعة إلى زيارة النَّجف. وكان متولّي المشهد الشريف يومئذ رجلاً اسمه السيِّد معصوم، فرأى في المنام: أنّ أمير المؤمنين يأمره أن يصل إلى أربعين شخصاً من فقراء الشيعة جاؤوا للزيارة، وفيهم رجل يقال له: طلائع بن رزيك وهو من أكبر الشيعة والمحبين لنا، وقل له: إنا أعطيناك إيالة مصر فتوجَّه إليه سريعاً، فلمَّا أصبح السيِّد جاء إليهم، وأخبر رزيك بمقالة أمير المؤمنين عليه السلام، فتوجَّه من وقته إلى مصر، فكان من أمره ما شحن به التأريخ، وكانت وفاته في رمضان سنة ٥٥٦. ورزيك بضم الراء، وتشديد الزاء المكسورة، وسكون الياء المثناة[٢].

---

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٣٦٩ وفيه ذكر عدة تواريخ منظومة لهذا الفرش، فلتراجع.

(٢) الخطط المقريزية ٤: ٧٣-٨١ عنه تاريخ النجف الأشرف ٢: ١٤٥، وفيهما أن السيِّد هو ابن معصوم.

وممّا قاله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

ولايتـــي لأمـــيرِ المـــؤمنينَ عـــلي بـــهِ بَلَغـــتُ الَّـــذي أرجـــوهُ مـــن أمـــلِ

إن كـــان قَـــدْ أنكَـــرَ الحُـــسَّادُ رُتْبَتَـــهُ في جُـــودِهِ فتمـــسَّك يـــا أخـــي بِهَـــلِ[1]

الشاه إسماعيل الصفوي

وفي سنة ٩١٤ توجَّه السلطان الشاه إسماعيل الصفوي نحو العراق. ولمّا وصل خبره إلى بغداد ـ وواليها يومئذ باريك بيك ـ غادرها وفرّ إلى الشام فدخل السلطان الشاه إسماعيل المزبور بغداد، وملك العراق ـ أعني: بغداد وما والاها ـ بلا قتال، ولا جدال، فتوجَّه إلى زيارة النَّجف الأشرف وسائر الروضات المقدَّسة مع الإكرام والإنعام الملوكي على المعتكفين بتلك الأعتاب. وعيَّن الحفاظ، والمؤذّنين، والخَدَمة، والقناديل من الذهب، والفضة، والأفرشة اللائقة، والصناديق العالية، وتنسيق بعض محال العراق على الإستانة المقدَّسة، وبذل النقود على كثير من طبقات المجاورين، وحفر نهراً من الفرات لسقي النَّجف، وتوجَّه نحو بلاد خوزستان[2].

وفي (زبدة التواريخ): (أنَّ السلطان الشاه عبَّاس الصفوي الكبير، زار النَّجف الأشرف في سنة ١٠٣٢، ومكث فيه أسبوعين، وكان يتولّى كنس المشهد الشريف

---

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ٣: ١٤٩، و(بهل) إشارة إلى سورة (هل أتى) التي نزلت في حقهم عليهم السلام.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٢٦٠.

بيده في كلّ يوم، وبذل الأموال الكثيرة على إصلاح النَّجف، فأجرى الماء في آباره وصحنه)[١].

الشاه صفي الصفوي

وفي سنة ١٠٤١ توجَّه الشاه صفي بن صفي ميرزا ابن السلطان الشاه عبَّاس الماضي لزيارة العتبات، فأدَّى ما عليه من النذور، والإكرام، والإنعام، وإطعام أرباب الحاجات، ورجع إلى بغداد[٢].

وفي سنة ١٠٤٢ أمر بتجديد القُبَّة المرتضوية، وفسحة الحرم ووسعته. فاجتمع المعمارون في النَّجف، واشتغلوا في تلك المصلحة الشريفة مدَّة ثلاث سنين، ووجدوا في حوالي النَّجف معدن الصخر في غاية الجودة فعملوا منه ما يحتاج إليه. وأمر بشقٍّ نهر عميق عريض من حوالي الحلَّة إلى مسجد الكوفة، ومنه إلى الخورنق وأنزله إلى بحر النَّجف، وأحدث هناك بحيرة يجتمع فيها الماء، ثُمَّ بوسيلة القناة أوصل الماء داخل السور، ثُمَّ باستعانة الدولاب أجرى الماء على وجه الأرض في الأزّقة والصحن المرتضوي.

وقال في ذلك شعراء العصر:

شاه إقبال فرين خسرو دين شاه صفي ... انكه خال قَدْ مش زبور افسر آمد

يا فت توفيق كه آرد بنجف آب فرات ... وان بشارة بشه ازحيد رصفدر آمد

ساكنان نجف از تشنكي آزاد شدند ... رحمة حق همه راشامل وياور آمد

سال تاريخچه برسيدم ازايشان كفتند ... آب ما ازمدد ساقي كوثر آمد[١]

---

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٢٨٧.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٢٩٥، وفيه أن زيارته كانت سنة ١٠٤٢هـ.

(سنة ١٠٤٢)[1].

وفي سنة ١٣١٧ فتحوا باباً لسور النَّجف قرب باب القديم إلى جهة وادي السلام[2].

الأمير طاشتكين

وفي سنة ٦٠٢ توفِّي الأمير مجد الدين طاشتكين المستنجدي أمير الحاج، وحاكم خوزستان، وكان حسن السيرة، كثير العبادة، جواداً، وشجاعاً، غالياً في التشيُّع، ونقل تابوته إلى الكوفة ودفن في النَّجف بوصية منه، ذكره صاحب (فوات الوفيات)[3].

الوزير المغربي

وفي تاريخ بن خَلّكان: (أنَّ أبا القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن محمّد بن يوسف، الوزير المغربي، توفِّي في منتصف شهر رمضان سنة ٤١٨ في الموصل، ونقل إلى مشهد النَّجف بوصية منه، وكان فاضلاً، عاقلاً شاعراً، شجاعاً حسن الخط جداً، وكان ماهراً في فنٍّ الوزارة لم يُرَ مثله)[4].

وذكر النجاشي له تصانيفَ، وقال: (إنه من ذرِّية بهرام جور)[5].

الشيخ حسن نويان

---

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٢٩٥، عن تاريخ عالم آرا ١: ٢٣٥، المنتظم الناصري ٢: ١٨٢.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٣: ٤٤ مع تواريخها المنظومة.

(٣) فوات الوفيات ١: ٤٩٩ رقم ٢٠٠.

(٤) وفيات الأعيان ٢: ١٧٦.

(٥) رجال النجاشي: ٦٩ رقم ١٦٧.

وممَّن فاز بحسن الجوار: الأمير الشيخ حسن نويان، المعروف بالشيخ: حسن بزرك الإيلخاني الَّذي استقل بحكومة العراق مدّة ١٧ سنة، ثُمَّ توفّي في بغداد حيث عاصمته، ونقل إلى النَّجف، ودفن بجوار الأمير عليه السلام وكانت وفاته سنة ٧٥٧، وقد شيَّد مباني فخمة في النَّجف، وقد أنشأ دولته في بغداد سنة ٧٣٦[١].

الشريف أحمد بن رميثة

وممَّن فاز بحسن الجوار مَيِّتاً: الشريف شهاب الدين أبو سليمان أحمد بن رميثة، بعد أن قُتِلَ بالحلَّة بأمر السلطان الشيخ حسن الإيلكاني المذكور، فصلَّى عليه ودفنه في داره، ثُمَّ نقل إلى المشهد الغروي. والتفصيل في (عمدة الطالب)[٢].

ملك أرا القاجاري

وفي سنة ١٢٨٨ في العاشر من ربيع الأول توفِّي أبو الملوك كيو مرث ميرزا، الملقَّب بملك أرا ابن السلطان فتحعلي شاه القاجاري، وحمل تابوته إلى وادي السلام[٣].

السلطان نادر شاه

وفي سنة ١١٥٦ توجَّه نادر شاه إلى زيارة العتبات المقدّسة، وذلك بعد إبرام أمر الصلح بينه وبين السلطان العثماني محمود خان الأوّل، ولمَّا وصل شهربان وافه سليمان بيك مختار بغداد، ومحمّد أغا، وجملة من الأشراف من أهالي

(١) ينظر: أعيان الشيعة ٥: ٤٨ رقم ١٢٦.

(٢) عمدة الطالب: ١٤٦.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٥٢٧.

بغداد، ومعهم الهدايا، والتحف اللائقة، فأكرم ملتقاهم، ورجعوا وهم رهين إحسانه، مطوّقين بطوق فضله وامتنانه، فزار الإمامين الكاظمين عليهما السلام، ثُمَّ عبر إلى قبر أبي حنيفة، ورجع عصراً إلى الكاظمين عليهما السلام وفي اليوم الثاني توجَّه من طريق الحلَّة عازماً إلى النَّجف، وكان في موكبه طبقات علماء إيران، وأفغان، وبخارى، وسائر توران.

وكان جلّ غرضه من ذلك توحيد مذهب الإسلام، ورفع النزاع ما بين أُمَّة خير الأنام، فلا جرم أن حضر جملة من علماء المشهدين الشريفين، والحلَّة وتوابع بغداد، وعقد لهم مجلس المذاكرة في الإستانة المقدّسة، فجرت المفاوضات، ورفعوا المواد المنافرة، وما يوجب المغايرة، وكتبوا بذلك وثيقة حاكية عن حقيقة الحال، مختومة بخواتيم من حضرات الأعلام، وجعلوا أصل الوثيقة في الخزانة المقدّسة الغروية، وأرسلوا سوادها إلى الممالك المحروسة الإيرانية، ودونك ترجمتها الحرفية بالعبارة العربية:

(الغرض من تحرير هذه النميقة هو أنه: لمّا كان بعد رحلة خاتم النبيين لكل واحد من الصحابة الراشدين مساعٍ مشكورة، ومجاهدات مبرورة، من حيث ترويجهم للدين المبين، وبذلهم النفوس والأموال، صار كل واحد منهم بذلك مشمولاً لقول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾[1]، وبعد رحلة سيِّد الأبرار بإجماع الصحابة الكبار تقررت الخلافة إلى الخليفة الأول، ومن بعده بنص الأول إلى الثاني، وبعده بحكم مجلس الشورى والاتفاق إلى ذي النورين، وبعده إلى أسد الله الغالب، ومظهر الغرائب، والهزبر السالب علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) سورة التوبة: من آية ١٠٠.

وكل واحد من هؤلاء الخلفاء الأربعة في مدّة خلافته قَدْ نهج منهج الالتئام والائتلاف، وتخلّى عن شوائب الاختلاف، ملاحظاً لرسم المصادقة، محافظاً على حوزة الملَّة المحمّدية من تطرق الشرك والبغض، وبعد انقضاء هذه المدّة لمّا انتقلت الخلافة إلى بني أُميَّة، ومن بعدهم إلى بني العبَّاس أيضاً؛ التزموا هذه الملّة، وثبتوا على هذه العقيدة إلى سنة ٩٠٦، الَّذي خرج فيها السلطان فاتح البلاد الشاه إسماعيل الصفوي، وعرج معارج السلطنة، عدل عن هذا النهج القويم وأخذ في تنقيص حقٍّ الخلفاء، وإمالة قلوب العوام بتعليم من علماء آذربايجان وكيلان، وبالغ في ذلك حتَّى أشاع الرفض والسبَّ، وأعلن على المنابر أنواع الفظائع والفضائح، وبذلك أعلنت أهل السنة والجماعة المعاداة فأوجب ذلك القتل، وشن الغارات من الطرفين بين المسلمين.

وكانت هذه الأحوال جارية إلى دور الخاقان المغفور الشاه: سلطان حسين فانتهى الأمر في دوره: أنَّ تركمان الدشت، وأفاغنة قندهار، والروم، والروسية وسائر الأطراف، أخلُّوا ببناء ممالك إيران وأساس السلطنة، وأوجبوا على أنفسهم تدمير تلك الممالك، واستيصال الأمَّة الإيرانية.

ولكن إذا تعلَّقت مشية مالك الملك، الَّذي لم يزل على أمر لابدّ له من البروز من ستر الحجاب إلى ساحة الشهود، فنبغ كوكب الذات النيِّرة الوجود، المشتملة على أنواع السعادات، الحضرة الأعلى، الخاقان، القهرمان من نسل تركمان الرفيع الشأن، البرق المحرق لذخائر العصاة من أبناء الزَّمان بالتأييد السبحاني، واهب تيجان الملوك، وممالك توران، ظل حضرة السبحان نادر الدوران، خلَّد الله ملكه من مطلعه، فرفع بوجوده ظلمة ساحتها، واسترجع تلك الممالك ـ التي بمقتضى الانقلابات الوقتية وقعت بيد الأجانب ـ بقوّة كفّه الكافية، وكسر شوكة أرباب الفساد والنزاع،

إلى سنة ١١٤٨ التي عقد فيها مجلساً كبيراً شوروياً، حاوياً لكل شريف ووضيع في بادية مغان؛ لأجل اختيارهم من يريدون للقيام بأمر السلطنة، فتمسَّكوا بذيل الإلحاح والإبرام.

وقالوا: إنَّ الله تعالى أكرمك بالسلطنة، وأكرم السلطنة بك. ولا اختيار لأحد في تغيير أمر الله. إن هذه السلطنة حقٌّ من حقوقك، فكما أنك في أول الحال صنت أعراضنا ونفوس سائر المسلمين، وأنقذتنا من مخالب الأعداء فلتكن بعد في مقام المحافظة علينا، لا نرضى أن تجعلنا في عهدة غيرك.

فأجابهم حضرة السلطان، بأنّه: إن كنتم راغبين في سلطنتي، وصيانة نفوسكم، فلا أجيب مسؤولكم إلا بترك السبِّ والرفض، اللَّتينِ هما روية مخالفة لروية أسلافي الكرام، وآبائي العظام. وأن تنهجوا منهاج الإمام الناطق بالحق جعفر الصادق عليه السلام. فبادروا ذلك منه بالقبول من طريق الحق بلا شائبة وريب، متَّفقين في هذا الحكم المقدَّس، مصغين له بسمع الإذعان.

وكتبوا بذلك وثيقة لأجل مزيد التأكيد، جعلوها في الخزانة العامرة، ولما تم الأمر على ما هنالك أرسل حضرة الأعلى الشاهانية وزيراً إلى الدولة العليَّة العثمانية يطلب من أعلى حضرته، الباسط لباسط الأمن والأمان، والناشر لرايات: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1]. سلطان البرَّين، وخاقان البحرين، خادم الحرمين الشريفين، ثاني إسكندر ذي القرنين: بادشاه إسلام بناه الروم أيَّد الله بقاه؛ المطالب الخمسة الآتية بيانها:

---

(١) سورة النحل: من آية ٩٠.

الأول: بما أنَّ أهل إيران عدلوا عن العقائد السابقة، ونكلوا الرفض، والسبَّ، وقبلوا المذهب الجعفري الَّذي هو من المذاهب الحقَّة؛ المأمول من القضاة، والعلماء، والأفندية الكرام: الإذعان بذلك، وجعله خامس المذاهب.

الثاني: إنَّ الأركان الأربعة من الكعبة المعظمة في المسجد الحرام تتعلَّق بأئمة المذاهب الأربعة؛ فالمذهب الجعفري يشاركهم في الركن الشامي، وبعد فراغ الإمام الراتب فيه من الصلاة يصلّون بإمامهم على الطريقة الجعفرية.

الثالث: في كلّ سنة يعيَّنُ من حكومة إيران أمير للحجاج الإيرانيين، كأمير مصر والشام في كمال العزة والاحترام، يوصل الحاج الإيرانيين إلى كعبة المقصود، ويكون في الدولة العليَّة العثمانية أعلى شأناً من الأمير المصري، والشامي.

الرابع: فَكُّ الأسراء من الجانبين، ومنع وقوع البيع عليهم.

الخامس: تعيين وكيلين من الدولتين في مقر السلطنتين لأجل القيام بمصالح المملكتين.

وبهذه الوسيلة ترتفع الاختلافات الصورية، والمعنوية ما بين أُمَّة سيد الثقلين، وبعد ذلك، بمقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، تجري مراسم الأخوة والألفة بين الأُمَّة الإيرانية والعنصر الرومي.

ولمّا بلغ المنشور إلى أُمناء الدولة العثمانية قبلوا من ذلك مادة تعيين أمير الحاج، ومادة إطلاق الأُسراء ومادة تعيين الوكيلين، وحقّية المذهب الجعفري من دون جعله مذهباً خامساً رسمياً.

وطال البحث والكلام ما بين رجال الدولة في هذا الشأن، وكان الأمل إنجاح هذه المهمة في بعض أيام، ولكن استطالة مدة المذاكرة ثمان سنين، ولمّا تتمّ.

---

(١) سورة الحجرات: من آية ١٠.

وفي هذه السنة الموافقة سنة ١١٥٦ هجرية؛ عزم السلطان على الدخول في حدود الروم لخلو أرضها عن الهواء النفساني، فيجدِّد فتح باب المذاكرة إطفاء لثائرة الفساد، ودفعاً للنزاع ما بين أهل الإسلام. فلا جرم أن أحضر جملة من الأُمَّة الإيرانية في موكبه المتصور الهمايوني ومن أهل بلخ، وبخارى، وشيوخ الإسلام، والقضاة الكرام، والعلماء الأعلام؛ برسم الضيافة، وتوجَّه بهم نحو العراق لأجل إنجاز المطالب المعهودة، مع مقدمة مقام السلطنة المروية.

ولمَّا فاز بالتشرُّف بتقبيل تراب الروضة العلوية جلب جماعة من علماء النَّجف الأشرف، وكربلاء، والحلة، وتوابع بغداد إلى حوزة المذاكرة، وجدد الأمر الهمايوني بما صريحه: أنه حيث لا يوجد فتور ولا قصور في مذهب الإسلام إلاّ شيوع السبِّ والرفض من بدوِّ الدولة الصفوية في هذه الأُمَّة؛ فالواجب على العلماء الكرام الَّذين هم دعائم دين الإسلام أن يحتفلوا بمجلس للمحاورة، والمذاكرة في هذه المهمة، حَتَّى يصفو منهل عذب الملَّة النبوية الَّذي أُشيب من ازدحام اختلاف الأُمم عليه بالشكوك والشبهات، ويطفئوا نائرة الفساد بزلال الماء الحق، فاجتمعوا على النهج المقرر في المرقد الشريف، بحضور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وشرعوا في المفاوضات وإظهار العقائد.

وقد حررت الواقعة طبقاً لما وقعت في المشهد الشريف، بشهادة صاحب المرقد عليه السلام، وهي:

نحنُ الداعين للدولة القاهرة النادرية علماء ممالك إيران عقيدتنا الإسلامية: أنه بعد رحلة سيد المرسلين تقررت الخلافة بإجماع الأُمَّة للخليفة الأول، وبعده بنصِّ الأوّل، والاتفاق للثاني، وبعده بالشورى والاتفاق لذي النورين، وبعده لأسد الله الغالب، ومطلوب كل طالب، علي بن أبي طالب عليه السلام. وبمضمون الآية الوافية

بالهداية: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1].

وبفحوى الآية الشريفة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2].

والحديث الشريف: «أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم»[3]: الخلفاء الأربعة على الحق، وكانت المواصلة والمرابطة بينهم مرعية: فقد سألوا علياً عليه السلام من بعد وفاة الخليفة الأول والثاني عن حالهما، فقال عليه السلام: «هما إمامان قاسطان، عادلان، كانا على الحقّ»[4].

وكان يقول الخليفة الأوّل في حقّ علي عليه السلام: (لستُ بخيركم وعليٌّ فيكم)[5].

والخليفة الثاني كان يكرر هذا الكلام في حقّ علي عليه السلام: (لولا علي لهلك عمر)[6]، ونظائر ذلك ـ ممّا يدل على رضاء كلّ منهم من صاحبه ـ كثير.

وفي سنة ٩٠٦ خرج الشاه إسماعيل الصفوي، وأشاع الرفض، والسبَّ للخلفاء الثلاثة؛ وهو السبب في ظهور الفساد، ونهب أموال العباد، وأورث البغض، والمعاداة فيما بين المسلمين. ومقتضى قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء﴾[7].

---

(١) سورة التوبة: من آية ١٠٠.

(٢) سورة الفتح: من آية ١٨.

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي ٣: ٣٣٤، تفسير النسفي ٢: ٢٦٨.

(٤) ينظر: الصراط المستقيم ٣: ٧٣ مع تأويل الحديث فيه، وفيه أن المسئول هو الإمام الصادق عليه السلام، فليراجع.

(٥) ينظر: الصراط المستقيم ٢: ٢٩٤.

(٦) ينظر: الصراط المستقيم ٣: ١٥، وينظر مصادر هذا الحديث في كتاب الغدير ٦: ٨١- ١١٠.

(٧) سورة آل عمران: من آية ٢٦.

إنَّ الشاهنشاه ملجأ العالم، مزيِّن تخت السلطنة، وكما حرر أعلاه استكشف الحال من الداعين في المجلس الكبير الشوروي المعقد في بادية مغان، ونحن أيضاً أبدينا عقائدنا الإسلامية في هذا الشأن، وحالاً نحن المسؤولين في الروضة المقدّسة العلوية نظهر عقائدنا الإسلامية على النهج المسطور، ونتبرّأ من الرفض.

وطبقاً لما وافق عليه العلماء الأجلاّء: شيخ الإسلام، وسائر الأفندية العظام من أرباب الدولة العلية العثمانية، من تصديق حقيّة المذهب الجعفري، فنحن على هذه العقيدة راسخون، وما نحرر ذلك إلا لمحض الخلود، وتصميم القلب، خالياً من شوائب الغش والقلب، ومتى ما ظهر منا خلاف تلك العقيدة فنحن خارجون من ربقة الدين، مستحقون لغضب الله تعالى، وسخط سلطان الزّمان.

عقيدة الداعين لدوام الدولتين العليّتين علماء النّجف، وكربلاء، والحلّة، وتوابع بغداد أن الإمام جعفراً عليه السلام من ذرِّية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وممدوح سائر الأُمم، ومقبول عند أئمة الملل، ومسلم.

وحسب ما قرره علماء بلاد إيران، وحرَّروه، تحقق أيضاً لدى الداعين: أن العقائد الإسلامية الإيرانية صحيحة، وأن الفرقة المزبورة قائلون بحقّية الخلفاء الكرام، وهم من أهل الإسلام، وأُمَّة سيد الأنام. ومن أظهر العداوة منهم فهو عار عن كسوة الدين، والله ورسوله وأكابر الدين بريئون منه، وفي دار الدنيا محاكمته مع سلطان العصر، وفي العقبى مع جبار شديد البطش والقهر.

عقيدة أقلّ دعاة علماء قُبَّة الإسلام: بُخارى وبلخ: أنَّ العقائد الصحيحة الإسلامية للأمة الإيرانية على نحو ما ذكره العلماء أعلاه، وأن هذه الفرقة داخلة في أهل الإسلام، ومن أُمَّة سيد الأنام، وكل من أظهر العداوة مع هذه الجماعة خارج عن الدين، ومحروم من شفاعة خاتم النبيين، وفي دار الدنيا هو مسؤول سلطان الآفاق، وفي العقبى لسلطان السلاطين على الإطلاق، والاختلاف لأهل هذه العقيدة في بعض

الفروعات مع الأئمة الأربعة غير مناف، ولا مغاير للإسلام، وأصحابها من أهل الإسلام، ويحرم على الفريقين المسلمين من أُمّة محمّدﷺ، وأخوين في الدين، قتلُ كلّ واحدٍ منهما الآخرَ، ونهبَهُ، وأسرَهُ).

هذه تمام ترجمة صورة المعاهدة.

ثم أمر ببذل خمسين ألف تومان لتذهيب القُبّة المنوَّرة، وأحال حساب ذلك على صاحب المرقدعليه السلام، وأيضاً: مائة ألف روبية إيرانية؛ لترميث الكاشي لجدران الصحن المقدَّس، من زوجته كوهر شاه بيكم، وعشرين ألف تومان من السيدة رضية سلطان بيكم: بنت الشاه سلطان حسين الصفوي؛ لأجل عمارة المسجد الواقع خلف الظهر.

وبعد قضاء وطره من الزيارة في مدة خمسة أيَّام ألوى عنان الانصراف من العراق، وسار من طريق المسيَّب إلى بغداد، أنعم على خدام الأماكن الثلاثة للأئمة الأربعةعليهم السلام وأبي حنيفة بصفة النذر[1].

ناصر الدين شاه القاجاري

وفي سنة ١٢٨٧ تشرف السلطان ناصر الدين الشاه القاجاري إلى زيارة النَّجف الأشرف، وباقي العتبات المقدسة، وأنعم على كافة طبقات المجاورين الإنعامات الملوكية؛ خصوصاً طبقات العلماء الأعلام[2].

(١) ينظر: أعيان الشيعة ٨: ١٧١- ١٧٥ ضمن ترجمة الشيخ علي أكبر الملا باشي فإنهرحمه الله ذكرها بطولها عن رسالة الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية لعبد الله السويدي البغدادي، تاريخ النجف الأشرف ٢: ٣٣٠- ٣٣٣ باختصار، وفي مكتبتي كتاب اسمه (مؤتمر النجف) فيه سرد الحادثة والمعاهدة بالتفصيل.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٥١٩.

وممَّن خص بمزيد الإكرام منه تعظيماً لأمره، واعتناء بشأنه، هو جدي العلاّمة السيِّد علي صاحب البرهان القاطع، فأعطاه ألف أشرفي ذهب، وأتحفه بحُقة مرصَّعة بالمجوهرات، وأرسل له بعد عودته إلى طهران عصا وعبا.

قال السيِّد صالح القزويني:

أيدري علي ناصر الدينِ لِمْ لهُ ... عصاً وعباً لله أُهدي تَقرُّبا
رأى يَدَهُ البيضا فأهدى لَهُ العصا ... ومُذْ كانَ مِن أهلِ العَبا أرسَلَ العَبا
فكلٌّ لَعمري ناصرُ الدين منهُما ... ففي علمهِ هذا وذلِكَ بالظُّبا[1]

أحمد شاه القاجاري

وفي سنة ١٣٣٨ تشرّف السلطان أحمد شاه القاجاري بزيارة النَّجف، ودخل البلدة الشريفة أول يوم من شهر رمضان، وكان حاكم النَّجف يومئذ إنكليزياً، وبقى ليلة واحدة، وأنعم على العلماء، وخدمة الروضة: اثني عشر ألف تومان[2].

[قصة الأسد الذي لاذ بالحرم المطهر]

وفي بعض السنين المتأخّرة؛ جاء أسد من البادية ودخل النَّجف من الباب الَّذي ينتهي بسالكه إلى المرقد الشريف، والناس تحاشياً منه تنكسر دونه، وتفجّ له الطريق وكان يوم وروده عيد النوروز، والبلدة مملوءة بالزوار، ولما وصل الأسد إلى باب الصحن الشريف سدّوا عليه الباب فتمرَّغ بالعتبة المقدسة،

---

(١) الرحيق المختوم فيما قيل في آل بحر العلوم (مخطوط).

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٣: ٢٨٤.

ومسمس[١] بشيء كأنه يخاطب أسد الله الغالب أمير المؤمنين عليه السلام، ثُمَّ رجع من حيث أتى.

عبد الباقي العمري

وسمعت هذه القصّة ممن كان حاضراً في ذلك اليوم في الصحن الشريف، ثُمَّ رأيت في ديوان أديب العراق على الإطلاق عبد الباقي العمري، الفاروقي، المتوفى سنة ١٢٧٨ ما لفظه: أنّه لمّا شاع، وذاع، وملأ الأسماع ورود الأسد الوارد لباب المشهد المقدَّس، ومقعد الصدق الأنفس، فقوبل من سكنة النَّجف الأشرف بالعكس والطرد. فقال معاتباً لهم بألطف عتاب على منعهم إياه عن التمرُّغ بتراب أعتاب ذلك الغالب المنيع الجناب، الفسيح الرحاب، الرفيع القباب:

عجبتُ لسكانِ الغريّ وخوفِهم ... من الأسدِ الضاريَ إذ جاء مُقبِلا
ليلثمَ أعتاباً تَحُطّ ببابِها ... ملائكةُ السبعِ السماواتِ أرحُلا
وفي سوحِها كَمْ قَدْ أناخَتْ تواضُعاً ... قَسَاوِرَةُ الغابِ الربوبي كَلْكَلا
وهم في حِمىً فيه الوجودُ قَدْ احتمى ... ومغناه كم أغنى عديماً ومُرمِلا
وقد أغلقوا باب المدينة دونَهُ ... وذلِكَ بابٌ ما رأيناهُ مُقفَلا
فمرَّغ خَدّاً في ثرى بابِ حطَّةٍ ... وردَّ وقد أخفى الزئيرَ مُهَزوِلا
فلو عرفوا حقَّ الولاء لحيدرٍ ... لما منعوا عنه مواليه لا ولا[٢]

---

(١) كذا، والظاهر: (وهمس).

(٢) ديوان عبد الباقي العمري: ١٢٧، وقال الشيخ جعفر النقدي رحمه الله في كتابه الأنوار العلوية: ٤١٥، ما نصّه: قال مؤلف هذا الكتاب عفي عنه: حدّثني جماعة من مشايخ النجف الأشرف على مشرفه الصلاة والسلام أن في سنة المائتين وخمس وخمسين بعد الألف من الهجرة، جاء أسد وأراد الدخول إلى الحضرة العلوية للثم تلك الأعتاب السنيّة، فتصايح

قبور بعض الملوك قرب الحرم

وفي أوّل شهر شوال سنة ١٣١٥ شرع بهدم رأس المنارة الشمالية، مع تجديد فرش الصحن الشريف بأمر المخلوع عبد الحميد خان العثماني، وكان الفراغ من الجميع عاشر جمادى الثانية سنة ١٣١٦[١].

وعندئذ ظهرت مقابر تحت المقابر التي يدفنون فيها، فعلى ما رأينا ذلك كانت أرض الصحن منخفضة عما هي عليها الآن، والقبور التي ظهرت مبنية بالكاشي الملون المنبت بالأجورد، وعلى قبر منها مكتوب بالكتابة الحجرية، هكذا: (المبرور شاه زادة سلطان بايزيد طاب ثراه توفّي في شهر جمادى الأول، سنة ٨٣٣ هلالية).

وعلى قبر آخر: (هذا ضريح الطفل السعيد، سلالة السلاطين، شاه زادة الشيخ أويس طاب ثراه).

وعلى قبر آخر: (الله لا إله إلا هو، هذا قبر الشاه الأعظم معز الدين عبد الواسع، أنار الله برهانه، توفّي في خامس عشر جمادى الأول، سنة ٧٩٠).

وعلى قبر آخر: (هذا قبر السعيدة المرحومة: بابندة سلطان).

فتصايح الناس وسد بوّاب القلعة بابها بأمر الحكومة العثمانية، فجعل الأسد يزأر من قريح قلبه واضعاً براثنه على يده وبقى إلى اليوم الثاني، ثُمّ مضى، وكان يأتي كل ليلة جمعة ويزأر خلف السور إلى الصباح، وكانت الناس تهرب منه. فلمّا طال مكثه عرفت الخلائق أنه لم يقصد أذية أحد، فكانوا يمرون من حوله وينظرون إليه جمعاً بعد جمع وهو لا يلتفت إليهم، بل هو شاخص ببصره نحو أسد الله وأسد رسوله، وكان وقوفه في ليالي الجمعة عند ركن السور المعروف اليوم بقولة السبع ولما سار خبر هذا الأسد في البلاد، وبلغ أهل بغداد قال عبد الباقي أفندي العمري معاتباً للأولى أمروا بسد الباب ومنعوا ذلك الأسد من الدخول على ذلك الجناب:

عجبت لسكان الغري وخوفهم ... من الأسد الضاريَ إذ جاء مقبلا

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٣: ٤٠.

والمقابر هي قريبة من باب الرواق الشمالي، المعروف بباب الرحمة، على يسار الداخل، يبعد عن الجدار مقدار أربعة أذرع أو خمسة تقريباً. وقد أرّختُ هذا التجديد بقولي:

ومُذْ فَرَشَ السلطانُ ساحَةَ حيدرٍ فِراشَ عُلاً أرِّخ لقد فَرَشَ العَرْشا[1]

وفي سنة ١٣٠٥: نصبت الساعة الكبيرة على باب الصحن الشريف، أرسلها أمين الملك، من رجال السلطان ناصر الدين القاجاري[2].

وفي سنة ١٢٧٩: فتحوا باباً للصحن الشريف من جهة المغرب[3].

وفي سنة ١٢٨١: عمّروا المنارة الجنوبية الواقعة بجنب المقدّس الأردبيلي[4].

وفي سنة ١٣٠٤ في شهر ذي القعدة: قلعوا ذهب القُبَّة المنوَّرة وطوّقوها بأطواق من حديد، سداً لشقوقها، وأعادوا إليها الذهب فنقصت الأحجار الكريمة لأجل مواضع الشقوق التي حشيت بالجصّ والآجر، فأكملوها.

وفي سنة ٧٠٩: زار السلطان محمّد شاه خدا بندة مشهد علي عليه السلام، وبسبب رؤيا رآها اختار مذهب الشيعة، وأمر بضرب الدنانير وعليها كلمة: (لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي ولي الله). وفي ثلاثة سطور متوازية[5].

---

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٢٥٠، وبالتفصيل ٣: ٤٢- ٤٣ منه.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٣: ١٢ مع تواريخ شعرية.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٥٠١ مع تواريخ شعرية.

(٤) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٥٠٥.

(٥) ينظر عن زيارته بالتفصيل: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٢١٢- ٢١٤.

الوزير أبو المعالي ابن حديد

وذكر ابن الأثير: (أنَّ في سنة ٦١٠، توفّي معز الدين أبو المعالي سعد بن علي، المعروف بابن حديد، الَّذي كان وزيراً للخليفة الناصر لدين الله، وحمل تابوته إلى مشهد أمير المؤمنين بالكوفة)[١].

ابن سهلان

وفي تاريخ الكامل في حوادث سنة ٣٩٩: (أنَّ أبا محمّد بن سهلان اشتد مرضه فنذر إنْ عوفي بنى سوراً على مشهد أمير المؤمنين، فعوفي، فأمر ببناء سور عليه، فبني في هذه السنة، تولى بناءهُ أبو إسحاق الأرجاني)[٢].

وأبو محمّد هذا هو: الحسن بن مفضّل بن سهلان الرامهرمزي، من وزراء الديلم، وبنى أيضاً سوراً للحائر الحسيني، وتوفّي سنة ٤١٠[٣].

التكية البكتاشية

وتكية البكتاش: غرفة في الصحن الشريف الغروي، في نهاية الرصانة والإحكام.

والبكتاشية نسبة إلى الشيخ العارف بالله؛ السيِّد محمّد الرضوي، من أولاد الرضا عليه السلام، وقيل من أولاد الإمام الكاظم عليه السلام من صلب إبراهيم الثاني، جاء من بلاد خراسان إلى بلاد الروم، وهو المعروف ببكتاش الولي الصوفي المشهور (أعني: الَّذي ينتسب إليه الطائفة القلندرية، الموسومة بالبكتاشية، الَّذي لهم كسوة معروفة).

---

(١) الكامل في التاريخ ١٢: ٣٠٢.

(٢) الكامل في التاريخ ٩: ٢١٩.

(٣) البداية والنهاية ١٢: ٢٠.

وكان في عصر السلطان مراد ابن السلطان أورخان بن عثمان الغازي، المشهور عند الناس بغازي خداوندكار، المتوفى ـ أعني: هذا السلطان ـ سنة ٧٩١.

وكان الولي بكتاش المزبور من جملة أصحاب الكرامات، وأرباب الولايات، وقبره ببلاد التركمان المعروفة ببلاد الروم، وعلى قبره قُبَّة، وعنده زاوية، ويتبرك به، وتستجاب عنده الدعوات، وقد اعتكف مدة من الدهر في النَّجف الأشرف، ومكَّة المعظمة، وله أياد عظيمة على السلطان المزبور، وتوفّي سنة ٧٣٨، وتاريخه بكتاشية[١].

وفي تاريخ (نزهة القلوب) لحمد الله المستوفي (المتوفّى سنة ٧٥٠): (أن دورة النَّجف ألفان وخمسمائة خطوة)[٢].

وأمّا الباب الفضّي للحرم المقدّس الَّذي منه دخول الزائر، فهو من آثار الصدر الأعظم: الحاج محمّد حسين خان الأصبهاني، من رجال فتح علي شاه[٣].

سور النَّجف الحالي

وكذلك السور الحائط بالنَّجف حالاً الَّذي لم يكن من قبل؛ قضيته مهملة، إلاّ أنّه تداعى بعضه لما أعرض عنه التعهُّد وأهمله، ولولا أنَّ الحوادث لطّت فاهُ لفاهَ بدعوى الخلود، ولكن تراه اليوم أخنى عليه الَّذي أخنى على لبد. ومن

---

(١) ينظر عنها بالتفصيل: تاريخ النجف الأشرف ١: ٣٩٠- ٣٩٣، وقد هدمت في أوائل القرن الحالي من قبل النظام البائد، وصارت الآن محلاً لاستقبال ضيوف الحرم المطهر.

(٢) نزهة القلوب: ٣٢.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٤١٥، وفيه أنه كان ذلك في سنة ١٢١٩هـ.

المعلوم أنَّ النفقة المصروفة عليه في ذلك التاريخ تقصر دون بذلها همم الرجال[(١)].

وذكر المؤرِّخ فرهاد ميرزا القاجاري: (أنه قَدْ صرف في بنائه، مع المدرسة الواقعة في داخل البلد المعروفة، باسمه: خمسة وتسعين ألف تومانٍ من الذهب الأشرفي المثقالي. ووقع الفراغ منه سنة ١٢٢٦، وأرَّخه بعض الشعراء؛ وهو أقا محمّد الأصفهاني، المتخلص بطلعة بالفارسية:

ايـن قلعـة كـه حكمـش أز سـماتا سـمك اسـت	بركـرد نجـف كـه سـجد كـاه ملـك اسـتجون
كـشت تمـام كفـت طلعـت تـاريخ	يـك بـرج قلعـة نجـف تـه فلـك اسـت

وكان وفاة الصدر المزبور في شهر صفر سنة ١٢٣٩، في دار السلطنة طهران، وحمل إلى النَّجف، ودفن في المدرسة المعروفة باسمه)[(٢)].

الغارات الوهابية على النجف

ومن بعد بناء هذا السور انقطع طمع الوهابي من النَّجف، وإلاّ فقبل هذا التاريخ في كل يوم كان يحمل على النَّجف، ويشن الغارة على أهلها.

ففي سنة ١٢١٦ أغار على مشهد الحسينعليه السلام، وقتل الرجال والأطفال، وأخذ الأموال، وعاث في الحضرة المقدَّسة فخرَّب بنيانها، وهدم أركانها. ثُمَّ إنه بعد ذلك استولى على مكَّة المشرَّفة، والمدينة المنوَّرة، وفعل بالبقيع ما فعل، لكنَّه لم يهدم قُبَّة النبيصلى الله عليه وآله[(٣)].

---

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٢٥٨، ٣٤٣، ٣٨٥.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٣٩٧.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٣٨٣- ٣٨٥.

وفي السنة الحادية والعشرين، في الليلة التاسعة من شهر صفر قبل الصبح بساعة، هجم على النَّجف، فظهر لأمير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة، والكرامات الباهرة، فقتل من جيشه كثير، ورجع خائباً[1].

وفي سنة ١٢٢٥ في الليلة التاسعة من شهر رمضان: أحاطت الأعراب من عنزة القائلين بمقالة الوهابي بالنَّجف، ومشهد الحسين عليه السلام، وقد قطعوا الطريق، ونهبوا زوّار الحسين عليه السلام بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان، وقتلوا منهم جمعاً غفيراً، وأكثر القتلى من زوار العجم. وربما قيل: إنهم مائة وخمسون، وقيل: أقل، وبقي جملة من زوّار العرب في الحلَّة ما تمكَّنوا من الرجوع، فبعضهم صام رمضان في الحلَّة، وبعضهم مضى إلى الحسكة.

وكانت النَّجف في حصار والأعراب غير منصرفين، وهم من الكوفة إلى مشهد الحسين عليه السلام بفرسخين، أو أكثر. وطائفة الخزاعل متخاذلون مختلفون. ولمّا كثر تهاجمهم على النَّجف خافت الحكومة العثمانية على الخزانة العلوية، فاضطرت إلى حملها إلى الكاظمية عليه السلام[2].

وفي سنة ١٢٣٨ وقع القرار ما بين الدولتين: الإيرانية، والعثمانية على إرجاع ذلك إلى النَّجف مع إشراف معتمد من رجال إيران، ففعلت.

وفي الآونة الأخيرة وجد على بعض أقفالها خاتم جدّي العلاَّمة السيِّد علي بحر العلوم رحمه الله[3].

---

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٣٩٣- ٣٩٥.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٣٩٦.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٤٢٥-٤٢٧.

نهر التاجيّة

وفي (مجالس المؤمنين): (أن الفاضل العادل علاء الدين خواجة عطاء الملك الجويني، حاكم بغداد من قبل أباقان، أخ الخواجة شمس الدين محمّد الجويني، اللّذين هما من كبار وزراء طبقة المغول، وينتمي نسبهما إلى الشيخ الفقيه أبو المعالي، إمام الحرمين، وهو صاحب التاريخ المعروف بجهان كشا، المتوفّى سنة ٦٨٣، حفر نهر التاجية في أرض النَّجف، وصرف عليه أزيد من مائة ألف دينار ذهب)[1].

وأجرى الماء حول النَّجف سنة ٦٧٦ في شهر رجب، والقصّة مذكورة في تاريخ وصاف مفصلاً.

وفي (القاموس): (والتاجيَّة نهر بالكوفة)[2].

أقول: وإنَّما قيل تاجيَّة؛ لأنَّ تاج الدين علي ابن أمير الدين ـ من فضلاء عصر علاء الدين ـ كان المباشر له فاشتهر باسمه، وهو نهر التاجيَّة، المعروف الآن بحيث لا يخفى مكانه[3].

حارث بن عمرو

وفي (تاريخ تجارب الأُمَم) لأبي علي بن مسكويه: (أن حارث ابن عمرو الَّذي كان من ملوك العرب في زمن الجاهلية، ومعاصراً لقباذ الساماني، عزم على شقّ

(١) مجالس المؤمنين ٢: ٤٨٠.

(٢) القاموس المحيط ١: ١٨٠.

(٣) ينظر عن هذا النهر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٢٨٦- ٢٨٩، ٢: ١٩٨- ٢٠٠، ٢٠١، ٢٦٥.

نهر من شط الفرات إلى جهة النَّجف، بإشارة من أحد تابعة اليمن. فأجرى الفرات إلى الحيرة، وحوالي أرض النَّجف)[١].

قبّة الشنبق

ثم قام من بعده بهذا العبء الثقيل سليمان بن أعين المتوفَّى سنة ٢٥٠، وكان من عظماء رجال الشيعة المعروفين في القرن الثالث الهجري. فأنبط عيناً فوّارة من مكان يعرف بقُبَّة الشنبق ممَّا يلي النَّجف[٢].

الشاه طهماسب الصفوي

وفي سنة ٩٤٢ زار الشاه طهماسب الصفوي مرقد أمير المؤمنين، فأمر بحفر نهر من الحلَّة، فحفر من فوق نهر التاجيّة، من جهة الغرب، على الطريق السائر إلى قرية نمرود من الحلَّة، فامتد طوله قدر ستَّة فراسخ في عرض عشرة أذرع. ولكن لم يصل الماء إلى النَّجف؛ لارتفاع أرضها عن مجرى الماء، وبينه وبين نهر التاجيّة ما يقرب من ميل، أو أقل، ويعرف بنهر الطهماسية، وهو الآن عليه المزارع والعشائر[٣].

---

(١) ينظر عن هذا النهر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٢٧٧، نقله عن المآثر والآثار: ٨٤

(٢) ينظر عن هذه القناة: تاريخ النجف الأشرف ١: ٢٨٢.

(٣) ينظر عن هذا النهر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٢٨٩، ٢: ٢٦٩.

نهر آصف الدولة الهندي

وممَّن بذل جهده في إجراء الماء إلى النَّجف: النواب آصف الدولة بهادر يحيى خان الهندي، الَّذي هو من أحفاد برهان الملك، من أعاظم رجال محمّد شاه سنة ١٢٠٨، وأرخه بعضهم بقوله: (صدقة جارية)[١].

نهر الشيخ صاحب الجواهر في النجف

ومنهم العلاَّمة الماهر الشيخ: محمّد حسن صاحب الجواهر، المتوفى سنة ١٢٦٦، وبذل عليه ثمانين ألف تومان، على نفقة السلطان ثريا جاه محمّد أمجد علي شاه الهندي، المتوفَّى في اليوم الواحد والعشرين من شهر صفر، سنة ١٢٦٣، وتخلَّف مكانه ابنه السلطان محمّد واجد علي شاه، ثُمَّ توفِّي الشيخ قبل الحصول على النتيجة، ونهر الشيخ في خارج النَّجف معلوم[٢].

نهر السيّد أسد الله

ومن بعده اشتغل بهذه المهمة حجّة الإسلام: السيِّد أسد الله الأصفهاني المتوفَّى سنة ١٢٩٠، وصرف على ذلك ثلاثين ألف تومان من ثلث المرحوم إسماعيل خان النوري الكرماني، المعروف بوكيل الملك المتوفى سنة ١٢٨٣، وكان من رجال الدولة القاجارية فأجرى الماء في نهر النَّجف سنة ١٢٨٨، فاستدام إلى مدَّة، ثُمَّ فسد قناته بواسطة البَرَد الخشن الَّذي جاء في فصل الشتاء

(١) ينظر عن هذا النهر: تاريخ النجف الأشرف ٢: ٣٧٥.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٢٩٧- ٢٩٩.

سنة ١٣٠٧، حَتَّى قيل: إنَّ الحبَّة منه أكبر من الرمّانة، والَّذي رأيته بعيني كان أصغر منه[1].

نهر الحيدرية

وفي سنة ١٣٠٥: أمر السلطان المخلوع عبد الحميد العثماني بحفر نهر الحيدرية، الموجود فعلاً، ومنه الاستقاء. وتاريخ الفراغ منه: (عذب الشرب)[2].

حصار النجف على عهد الأنكليز

وفي اليوم السابع من شهر جمادى الثانية من شهور سنة ١٣٣٦، هجم بعض الأشرار من أهالي النَّجف على دار الحكومة الإنكليزية، وقتلوا الحاكم السياسي الإنكليزي قبطان مارشال، فقامت القيامة الكبرى على أهل البلدة، وجعلوا البلدة في حصار شديد، وأغلقوا أبواب البلدة، ولا يدخل فيها داخل، ولا يخرج منها شارد، والناس في داخل البلدة والأشقياء على أطراف سور البلدة، يحاربون الجيش الإنكليزي، والمدافع والدبابات تنشر على الأهالي الرصاص والقُلل. ونفد ما كان عند الناس من الماء الحلو، وبلغ لحم الطير في نصف روبية، ووزنة الحنطة في سبع ليرات، وهكذا بقية الحاجيات.

واستدام الحال على هذا المنوال أربعين يوماً، ففتحوا البلدة عنوة، ودخلوها قهراً، فقتل من قتل، وأُسر من أُسر، وقد أرَّخ بعضهم ذلك بقوله: (حصار وغلا، ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم)[1].

---

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٢٩٩- ٣٠١.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٣٠١- ٣٠٧.

وفي سنة ١٣٢٠: طلبت الحكومة التركية الأنابيب الحديدية لتناول الماء من نهر الكوفة إلى النَّجف بمسافة خمسة أميال، وجلبت الأنابيب من شركة (جرمن)، وعند تكامل أكثرها في الندف، وقعت الحرب العظمى، فكانت الضربة القاضية على ذلك المشروع والأنابيب مطروحة على الجادة، ما بين النَّجف والكوفة. وقد علا جملة منها الرمال، وسترها التراب. ولعل بعد تطاول السنين إذا اتفق انكشاف بعضها بسبب من الأسباب، وخرجت من تحت التراب بموجب تحيّر غير المطّلع على حقيقة الحال[٢].

وفي سنة ١٣٤٦ بذل التاجران الكبيران: الحاج أقا محمّد الملقّب بمعين التجار البو شهري، وعمدة التجار الحاج رئيس، الأموالَ الباهظة لجلب الأنابيب الحديدية مع الماكنة التي تسوق الماء من شط الفرات بالكوفة في الأنابيب، وتوصلها إلى النَّجف. وقد كمل عملها وتركيبها، وجرى الماء في يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٨[٣].

---

(١) قال مصنّف كتاب تاريخ النجف الأشرف ١: ٢١٧ تعليقاً على هذا الكلام، ونصّه: (ومن عجيب ما وقفت عليه من الأقوال، ما كتبه السيِّد جعفر بحر العلوم المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ في كتابه تحفة العالم، قال ما نصّه - وذكر تمام قوله -) أقول: لم يكن الحاج نجم ومجموعته إلا الجناح العسكري لجمعية النهضة الإسلامية، والتي كانت تستمد آراءها وتوجيهاتها من علماء مخلصين كالعلامة الشيخ محمّد جواد الجزائري، يسانده الزعيم الشجاع محمّد علي بحر العلوم، وقد أدّوا واجبهم الشرعي في الدفاع عن أرض المسلمين بعد مارأوا الجيوش الإنكليزية وقد وطأت أرض الغري المقدسة، واستهترت بمقدرات الناس وكراماتهم، وأوغلت في الاعتداء على الأشراف وأبناء العلم، لتصبح ثورة النجف هذه الخطوة الأولى لثورة العراق الكبرى ونيل العراق استقلاله.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٣١٠- ٣١١، وفيه أن السنة كانت ١٣٣٠هـ.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف ١: ٣١٣- ٣١٥.

وأيضاً المرحوم: أقا محمّد هو الَّذي قام بأمر المصباح الكهربائي وحده، ولم يشاركه أحد في هذا المشروع، وينار الصحن الشريف، والحرم المقدَّس مجّاناً في كلّ ليلة. وكان شروعه بذلك قبل إرواء النَّجف بالماء بقليل.

المقام الثاني

في الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

هو: ابن أمير المؤمنين عليه السلام وهو السبط الأوّل والإمام الثاني.

وكنيته: أبو محمّد.

ويلقّب: بالمجتبى، والزكيّ، والسبط.

ولد عليه السلام في ليلة السبت النصف من شهر رمضان ـ ولا يعلم في ذلك مخالف ـ في السنة الثانية من الهجرة في المدينة المنورة[1].

وفي (الإرشاد): (إنه ولد في السنة الثالثة)[2].

وقبض بالمدينة مسموماً سنة ٤٩ من الهجرة، وله من العمر سبع وأربعون سنة.

وذكر المجلسي رحمه الله أن وفاته عليه السلام: (في آخر صفر، قال: وقيل: الثامن والعشرون، ودفن بالبقيع)[3].

والتمس منه عمر بن الخطاب أن يسافر مع سعد بن أبي وقاص إلى العجم حين جهّز له جيشاً إلى بلاد الفرس، ووصل إلى الريِّ، ومنه إلى قرية كهنك وأردستان، ومنه إلى قرية قهباية ـ من أعمال نايين ـ ثُمَّ دخل أصفهان وفي خارج

---

(١) ينظر: بحار الأنوار ٤٤: ٢٢/١٣٤ باب (تواريخه وأحواله....) فإن مؤلفه رحمه الله ذكر جملة من الأخبار المتعلّقة بذلك.

(٢) الإرشاد ٢: ٥.

(٣) بحار الأنوار ٤٤: ١٣٨ ح٦، بتصرف.

أصفهان قطعة أرض تعرف بلسان الأرض نزل فيها ونطقت الأرض معه قائلة: (يا ابن رسول الله ما أكثر السَّحرة في أصفهان فأقرأ عليهم عوذة)[١].

وصلّى في المسجد العتيق[٢]، وفي مسجد لنبان أيضاً[٣] [٤].

صلحه عليه السلام مع معاوية

ومن قصَّته: (أنّه بويع بعد وفاة أبيه بيومين، ووجَّه عماله إلى السواد والجبل، ثُمَّ خرج إلى معاوية في نيِّف وأربعين ألفاً، وسيّر على مقدّمته قيس بن سعد بن عبادة في عشرة آلاف، وأخذ على الفرات يريد الشام، وسار الحسن عليه السلام حَتَّى أتى ساباط المدائن فأقام بها أياماً، فأحسّ في أصحابه فشلاً وغدراً فقام فيهم خطيباً، فقال: «تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت؟ فقطعوا عليه كلامه وانتهبوا رحله حَتَّى أخذوا رداءه من على عاتقه.

فقال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله»، ثُمَّ دعا بفرسه فركب وسار حَتَّى إذا كان في مظلم ساباط، طعنه رجل من بني أسد يقال له: سنان بن الجرّاح بمعول فجرحه جراحة كادت أن تأتي على نفسه، فصاحَ الحسنُ صيحةً وخرَّ مغشياً عليه وابتدر الناس إلى الأسدي فقتلوه، فأفاق الحسن عليه السلام من غشيته، وقد نزف وضعف، فعصَّبوا جراحته، وأقبلوا به إلى المدائن، فأقام يداوي جراحته، وخاف أن يُسلمه أصحابه إلى معاوية لما رأى عليه السلام من فشلهم وقلة نصرتهم، فأرسل إلى معاوية، وشرط عليه شروطاً إن هو أجابه إليها سلَّم إليه الأمر.

---

(١) ما بين الشارحتين لم أهتد لمصدره.

(٢) في الأصل: (وصلّى في مسجد عتيق أصفهان) فصححّنا العبارة ولذا اقتضى التنويه.

(٣) لنبان: قرية كبيرة في أصفهان.

(٤) جواهر الكلام ٢١: ١٦١ عن بعض التواريخ.

منها: أن له ولاية الأمر بعده، فإن حدث به حدث فللحسين عليه السلام.

ومنها: أن له خراج دار الحرب من أرض فارس، وله في كل سنة خمسين ألف ألف.

ومنها: أن لا يهيج أحداً من أصحاب علي، ولا يعرض لهم بسوء.

ومنها: أن لا يذكر علياً إلاّ بخير)[1].

قال صاحب العمدة: (ويروى أن معاوية كتب كتاباً شرط فيه للحسن شروطاً، وكتب الحسن كتاباً يشترط فيه شروطاً، فختم عليه معاوية، فلمّا رأى الحسن عليه السلام كتاب معاوية وجد شروطه له أكثر ممّا اشترطها لنفسه، فطالبه بذلك.

فقال: قَدْ رضيت بما اشترطته فليس لك غيره، ثُمَّ لم يف بشيء من الشروط)[2].

تنبيه: ليس في الشروط المذكورة ما ينافي إمامته عليه السلام، فليس فيها خلع نفسه من الإمامة، معاذ الله، إنَّ الإمامة بعد حصولها للإمام لا تخرج عنه بقوله، بل مقتضى قوله صلى الله عليه وآله: «**ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا**»[3]، هو أنَّ الإمامة رئاسة إلهية، وشرافة نفسانية، لا تنفك عن ذاته، قام بأمرها أو قعد عنها، وإنَّما ينخلع عن الإمامة عند العامّة ـ وهو حَيٌّ ـ بالأحداث والكبائر، ولو قلنا بتأثير خلع النفس فإنَّما هو في الخلع بالاختيار ومن دون كره وإجبار، وأمَّا معهما فلا.

---

(١) عمدة الطالب: ٦٦.

(٢) عمدة الطالب: ٦٧.

(٣) الإرشاد ٢: ٣٠.

وأمَّا البيعة: فإن أُريد بها الصفقة والكف عن المنازعة، فقد كان ذلك ولا حجة في مثله عليه، وإن أُريد بها الرضا وطيب النفس، فالوجدان وشاهد الحال شاهدان بخلافه.

وأمَّا أخذ الصلات من معاوية فشائع، بل واجب. فإنّ كلّ مالٍ حلَّ في يد كلّ جائر متغلّب على أمر الأُمَّة يجب على كل أحد حتَّى على الإمامعليه السلام انتزاعه من يده، كيف ما أمكن طوعاً أو كرهاً.

قال الصدوقرحمه الله في الباب الثاني والأربعين من كتاب (العيون): **(كان سبيل ما يقبله الرضاعليه السلام من المأمون، سبيل ما كان يقبله النبيصلى الله عليه وآله من الملوك، وسبيل ما يقبله الحسن بن عليعليه السلام من معاوية، وسبيل ما كان يقبله الأئمة من آبائهعليهم السلام من الخلفاء، ومن كانت الدنيا كلّها له فغُلِبَ عليها ثُمَّ أُعطي بعضَها، فجائز له أن يأخذه)**، انتهى[1].

مع أنه لم يظهرعليه السلام الموالاة لمعاوية.

ذكر أولادهعليه السلام

فصل في أولادهعليه السلام:

كان للحسنعليه السلام من الولد:

(١) محمّد الأصغر، (٢) وجعفر، (٣) وحمزة، (٤) وفاطمة درجوا، وأُمُّهم أُمُّ كلثوم بنت الفضل بن العبَّاس بن عبد المطَّلب.

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ١٨٨.

(٥) ومحمّد الأكبر، وبه كان يكنى، (٦) والحسن، وأُمُّهما خولة بنت منظور الغطفانية.

(٧) وزيد، (٨) وأمّ الحسن، (٩) وأمّ الحسين اسمها رملة، وأُمُّهم أُمٌّ بشير بنت أبي مسعود الأنصاري، واسمه عقبة بن عمرو.

(١٠) إسماعيل، (١١) يعقوب، وأُمُّهما جعدة بنت الأشعث بن قيس التي سمّته.

(١٢) القاسم، (١٣) أبو بكر، (١٤) عبد الله، قُتلوا مع الحسين عليه السلام وكان عبد الله صغيراً لم يراهق، قتل في جنب عمّه، وأُمُّهم أُمٌّ ولد، لا بقية لهم، وقيل اسم أُمّهم: نفيلة.

(١٥) حسين الأثرم، وقبره في فخّ.

(١٦) عبد الرحمن خرج مع عمّه الحسين عليه السلام إلى الحجّ فتوفّيَ بالأبواء مُحرِماً.

(١٧) أمُّ سلمة لأُمٍّ ولدٍ تُسمَّى: ظمياء.

(١٨) عمرو، وقيل: عمر، وكان في الطف ولم يقتل؛ لصغره، أُمُّه أُمٌّ ولد ولا بقية له.

(١٩) أمُّ عبد الله، اسمها فاطمة، وهي أُمُّ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين عليهما السلام، وأُمُّها أُمٌّ ولد تدعى: صافية.

(٢٠) طلحة، لا بقية له، وكان جواداً كريماً، وأمه: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي.

وفي تاريخ الخميس، ومقتل أبي مخنف من أولاد الحسن عليه السلام:

((٢١) أحمد، وفي الأخير أنه قَتل من القوم ثمانين فارساً، ثُمَّ قُتل في حومة الحرب)[١].

(٢٢) رقيّة زوجة عبيد الله بن العبَّاس بن علي، وفي النَّجف في محلّة البراق ضريح من خشب ينتسب إليها.

وقال السيِّد القزويني في (فلك النجاة): (إنَّ القاسم بن الحسن السبط، وهو: القاسم الأكبر، غير شهيد الطف المدفون في العتيكيات ـ المسمى الآن: بالمسيَّب ـ قريب من الفرات، وقد أصيب جريحاً في النهروان)[٢].

هذا ما وسعني الاطلاع عليه[٣].

والعقب من أولاده الكرام من زيد وحسن[٤].

[في أحوال زيد ابن الإمام الحسن عليه السلام]

وذكر أصحاب السيرة: (أنَّ زيد بن الحسن ـ ويكنّى بأبي الحسن ـ كان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمَّا ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة:

---

(١) تاريخ الخميس ٢: ٢٩٣، المقتل المنسوب لأبي مخنف: ٨٧

(٢) المزار من فلك النجاة: ١٣٧، قال الشيخ محمّد حرز الدين رحمه الله في كتابه مراقد المعارف ٢: ١٩٤ رقم ٢٠٠ عند ذكر مرقده، مانصّه: (ولايخفى أن السيِّد ـ القزويني ـ قَدْ انفرد بهذه الدعوى ولم نعثر على مأخذ لها) كما ذكر النفي له أيضاً السيِّد عبد الرزاق كمونة في مشاهد العترة الطاهرة: ٢٣٧) ، فتأمَّل.

(٣) ينظر في أولاد الإمام الحسن عليه السلام وأحوالهم: الإرشاد ٢: ٢٠، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٩-٩١، كشف الغُمَّة ٢: ١٩٨-٢٠٥، سر السلسلة العلوية: ٤-٣٠، العدد القوية: ٣٥٢، الفصول المهمة ٢: ٧٤٢-٧٥٣، عمدة الطالب: ٦٤- ١٩١، بحار الأنوار ٤٤: ١٦٣-١٦٨.

(٤) أي: الحسن المثنى رضي الله عنه.

أما بعد إذا جاءك كتابي هذا، فاعزل زيداً عن صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وادفعها إلى فلان بن فلان ـ رجل من قومه، لعله: أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية ـ قال: وأعنه على ما استعانك عليه، والسلام.

فلمّا استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إليه:

أمّا بعد، فإن زيد بن الحسن، شريف بني هاشم وذو سنّهم، فإذا جاءك كتابي هذا؛ فاردد إليه صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعنه على ما استعانك عليه، والسلام)[١].

وكان رأيه التقية لأعداء الدين والتآلف لهم، والمداراة معهم، كما ذكره المفيد رحمه الله في (الإرشاد)[٢]، ولم يحضر مع عمّه الحسين عليه السلام يوم الطف لعلّه لمانع من ذلك، فلا يدل على ذمّه.

وبالجملة فقد كان جليل القدر، كريم الطبع، طيّب النفس، كثير البرّ وكان مسّناً. ومدحه الشعراء، وقصده الناس من الآفاق لطلب برّه[٣]، وكان يلقب بالأبلج[٤]، وهو جدّ السيدة نفيسة بنت السيِّد حسن الأنور[٥].

وفي زيد بن الحسن، يقول محمّد بن بشر الخارجي:

وزيدٌ ربيعُ الناس في كلِّ شَتَوةٍ ... إذا اختلفَتْ أنواؤُها ورعودُها

حَمولٌ لأشناقِ الدِّياتِ كأنّه ... سِراجُ الدُّجى قَدْ قارنته سُعودُها

---

(١) الإرشاد ٢: ٢١.

(٢) الإرشاد ٢: ٢٣.

(٣) الإرشاد ٢: ٢١.

(٤) ذكره بهذا اللقب السيِّد الأمين في أعيان الشيعة ٧: ١٤٢رقم ٤٨٣ نقلاً عن الطراز المذهب: ٦٥، والأبلج: الطليق الوجه بالمعروف، وقيل: الأبيض الحسن الواسع الوجه، وقيل: الّذي ليس بمقرون الحاجبين.

(٥) ينظر ترجمتها في: وفيات الأعيان ٥: ٤٢٣، الوافي بالوفيات ٢٧: ١٠١، الأعلام ٨: ٤٤.

مات زيد ما بين مكّة والمدينة، في أرض حاجر قرب تُغْرة[1]، سنة ١٢٠، وله من العمر تسعون، وقيل مائة، ودفن بالبقيع ورثاه جماعة من الشّعراء.

فممَّن رثاه قدامة بن موسى الجمحي بقوله:

فإنْ يكُ زيدٌ غالَتِ الأرضُ شخصَهُ ... فَقَدْ بانَ معروفٌ هناكَ وجُودُ

وإنْ يكُ أمسى رهنَ رمسٍ فَقَدْ ثوى ... بهِ وهوَ محمودُ الفعالِ حَميدُ

سريعٌ إلى المضطَرِ يعلمُ أنّه ... سيطلبُهُ المعروفَ ثُمَّ يعودُ

وليسَ بقوّال وقد حطّ رحْلَه ... لِمُلتَمِسٍ يَرجوهُ أينَ تُريدُ؟

إذا قصَّرَ الوغدُ الدنيُّ سما بهِ ... إلى المَجدِ آباءٌ لهُ وجُدودُ

إذا ماتَ مِنهُم سيِّدٌ قامَ سيِّدٌ ... كريمٌ فيبني مَجْدَهُمْ ويُشيدُ

مات ولم يدّع الإمامة، ولا ادَّعاها له مدَّعٍ من الشيعة ولا من غيرهم؛ وذلك لأنَّ الشيعة رجلان: إمامي، وزيدي.

فالإمامي: يعتمد في الإمامة النصوص، وهي معدومة في ولد الحسن عليه السلام باتفاق، ولم يدَّعِ ذلك أحد منهم لنفسه، فيقع فيه الارتياب.

والزيدي: يراعي في الإمامة بعد علي والحسن والحسين عليهم السلام الدعوة والجهاد. وزيد بن الحسن كان مسالماً لبني أُميَّة، ومتقلّد الأعمال من قبلهم، وكان رأيه التقية لأعدائه، والتآلف لهم ومداراتهم، وهذا أيضاً عند الزيدية خارج عن علامات الإمامة[2].

(١) عمدة الطالب: ٦٩، وتُغْرة: ناحية من أعراض المدينة.

(٢) الإرشاد ٢: ٢١-٢٢.

وكيف كان، فقد ورد في ذمّ زيد والطعن عليه أيضاً روايات نقلها القطب الراوندي[١]، واعتمد عليها بعض المتأخّرين، فحكم بعدم حسن عقيدته وإيمانه[٢].

قال جدّي الأمجد: السيِّد محمّد في رسالته: (ولعلّ ترك الكلام في ذمّه ومدحه معاً أولى)، انتهى[٣].

[في أحوال الشاه عبد العظيم الحسني عليه السلام]

ومن ذريته: الشاه زاده عبد العظيم، المدفون بالريّ، وهو عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن، وله مشهد عظيم من آثار مجد الملك أبو الفضل أسعد بن محمّد بن موسى البراوستاني، قرية من قرى مدينة قم، وكان من وزراء السلطان بركيارق بن السلطان ملك شاه[٤].

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٦٠٠-٦٠٤ ح١١، وقال السيِّد الخوئي دام ظله في كتابه معجم رجال الحديث ج ٨ ص ٣٥١ – ٣٥٢ ما نصّه: (وفي البحار، المجلد ٤٦، ص ٣٢٩، ح ١٢، باب أحوال أصحاب الباقر عليه السلام وأهل زمانه، روى عن الخرائج والجرائح رواية طويلة تتضمن معارضة زيد بن الحسن، الباقر عليه السلام، وذهابه إلى عبد الملك وسعيه في قتل الباقر عليه السلام، ونسبة السحر إليه ومباشرته لقتله بإركابه السرج المسموم، إلا أن الرواية مرسلة، على أنها غير قابلة للتصديق، فإن عبد الملك لم يبق إلى زمان وفاة الباقر عليه السلام جزماً، فالرواية مفتعلة) .

(٢) أراد ببعض المتأخرين الشيخ المامقاني رحمه الله في تنقيح المقال ١: ٤٦٢ رقم٤٤١٢، فليراجع.

(٣) تاريخ الأئمّة المعصومين عليهم السلام: ١٠٨، ولم أعثر على هذا الكلام نصّاً في الرسالة ومضمونه موجود فيها، وقال صاحب الذريعة: (تاريخ الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وهي للسيد محمّد بن عبد الكريم ابن السيِّد مراد ابن شاه أسد الله ابن السيِّد جلال الدين أمير الحسني الحسيني الطباطبائي البروجردي جد آية الله بحر العلوم رحمه الله مختصر فرغ منه سنة ١١٢٢، وعليه حواش كثيرة منه بخطه ضمن مجموعة من رسائله في كتب المولى محمّد علي الخوانساري) .(الذريعة ٣: ٢١٨ رقم ٨٠٧ بتصرف) فلعل المطبوع منها خال من هذه الحواشي، فلاحظ.

(٤) قال الحموي في معجم البلدان ١: ٣٦٨، مانصّه: (براوستان: من قرى قم، منها الوزير مجد الملك أبو الفضل أسعد بن محمّد البراوستاني وزير السلطان بركيارق بن ملكشاه، كان غالباً عليه واتهمه عسكره بفساد حالهم وشغبوا حتّى سلمه إليهم بشرط أن يحفظوا مهجته فلم يطيعوه وقتلوه، وذلك في سنة ٤٧٢) .

وقال الصدوق رحمه الله في بحث الصوم من كتاب (من لا يحضره الفقيه): (إنه كان مرضياً، يعني عند الأئمة عليهم السلام)[١].

قلت: ووصل بخدمة الإمامين التقي والنقي عليهما السلام، وأكثر الرواية عنهما، وفي رواية كالصحيحة عن الإمام علي الهادي عليه السلام أنّ زيارته تعادل زيارة الحسين عليه السلام[٢].

وفي سنة ١٢٧٠ أمر السلطان ناصر الدين شاه القاجاري بتذهيب قبّته وتبليط إيوانه بالقوارير[٣].

[في أحوال الحسن ابن الإمام الحسن عليه السلام]

وأمّا الحسن بن الحسن عليه السلام، المعروف بـ(الحسن المثنى)، فيروى أنه خطب إلى عمّه الحسين عليه السلام إحدى ابنتيه: فاطمة وسكينة.

فقال عليه السلام: «**اختر يا بني أحبّهما إليك**»، فاستحى الحسن ولم يرد جواباً.

فقال له عمّه الحسين عليه السلام: «**قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمّي فاطمة عليها السلام**» فزوّجها منه، وكانت تلقّب بفاطمة الصغرى، قبال فاطمة الصديقة الكبرى[١].

---

(١) من لايحضره الفقيه ٢: ١٢٨.

(٢) الرواية وردت في كامل الزيارات ص ٥٣٧ح ٨٢٨ / ١، ونصّها: «حدّثني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، عن محمّد بن يحيى العطار، عن بعض أهل الري، قال: دخلت على أبي الحسن العسكري عليه السلام فقال: أين كنت؟ فقلت: زرت الحسين بن علي عليهما السلام، فقال: أما إنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين عليه السلام».

(٣) ينظر ترجمته في: خاتمة المستدرك ٤: ٤٠٢-٤٠٣، نقد الرجال ٣: ٦٩، جامع الرواة ١: ٤٦٠، معجم رجال الحديث ١١: ٥٠ رقم ٦٥٩١.

ويظهر من (الكافي) أنها أكبر سناً من أختها سكينة بنت الحسين عليه السلام؛ لأنه عليه السلام في يوم الطف أوصى إليها لتوصل الوصية إلى السجّاد عليه السلام[٢]، وخطبتها البليغة التي أنشأتها بباب الكوفة مروية في الاحتجاج[٣].

وحضر الحسن بن الحسن مع عمّه الحسين عليه السلام بطف كربلاء، فلمَّا قُتل الحسين عليه السلام وأُسر الباقون من أهله أُسر الحسن من جملتهم، فجاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأسرى، وقال: والله لا يوصل إلى ابن خولة أبداً[٤].

وقيل: إنه أُصيب بجراحات كثيرة يوم عاشوراء، وكان ملقى مع القتلى وبه رمق، فلمَّا أرادوا حزّ الرؤوس، وأرادوا حزّ رأسه، قال أسماء بن خارجة: دعوه حَتَّى نرد الكوفة فيرى عبيد الله بن زياد فيه رأيه، فسمع ابن زياد ذلك، فقال: دعوا لأسماء ابن أُخته، فحمله فعالجه حَتَّى عوفي، ثُمَّ توجَّه إلى المدينة[٥].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٢٢، الإرشاد ٢: ٢٥، إعلام الورى ١: ٤١٧.

(٢) ورد الحديث في الكافي ج ١ - ص ٣٠٣ ح١في (الإشارة والنص على علي بن الحسين صلوات الله عليهما) ، ونصّه: «... عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الحسين بن علي عليهما السلام لما حضره الَّذي حضره، دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسين عليهما السلام مبطوناً معهم لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام ثُمَّ صار والله ذلك الكتاب إلينا يا زياد، قال: قلت: ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك؟ قال: فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفنى الدنيا، والله إن فيه الحدود، حَتَّى أن فيه أرش الخدش».

(٣) الاحتجاج ٢: ٢٧.

(٤) الإرشاد ٢: ٢٥ بتصرف يسير.

(٥) عمدة الطالب: ١٠٠ بتصرف يسير.

والعجب من ابن الأثير حيث قال: (واستُصغر الحسن بن الحسن وأُمُّه خولة بنت منظور بن زياد الفزاري)[١].

وبالجملة: دسَّ إليه سليمان بن عبد الملك السّم سنة ٩٧ هـ وله ثلاث وخمسون سنة، وأخوه زيد حي بالكوفة، وأوصى إلى أخيه من أُمِّه إبراهيم بن محمّد بن طلحة[٢]، وضربت زوجته فاطمة بنت الحسين عليه السلام على قبره فسطاطاً، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار، وكانت تُشبّه بالحور العين؛ لجمالها، فلمَّا كانت رأس السنة قالت لمواليها: إذا اظلم الليل فقوِّضوا هذا الفسطاط.

فلمَّا أظلم الليل، وقوضوه سمعت قائلاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟

فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا[٣].

وكان الحسن بن الحسن عليه السلام متولياً لصدقات أمير المؤمنين، فنازعه في ذلك عمّه عمر فقال: الولد أولى بتولية صدقات أبيه من ابن الابن، وخاصمه على ذلك الحجّاج، فأحضر الحسن بن الحسن عليه السلام وقال له: شارك عمّك عمر بن علي في صدقات أبيه.

فقال الحسن بن الحسن عليه السلام: إنّ أبي أمير المؤمنين ولاّنيها في حياته، وإنـي لا أُغيِّر شرطاً من أمره، ولا أُدخل في هذه الخدمة من لم يُدخله[٤].

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٩٣.

(٢) الإرشاد ٢: ٢٥.

(٣) صحيح البخاري ٢: ٩٠، الإرشاد ٢: ٢٦ بتصرف يسير.

(٤) كذا والوارد: «فقال له الحسن: لا أغير شرط علي عليه السلام ولا ادخل فيه من لم يدخل».

فقال له الحجّاج: فقد أدخلته معك، وشاركته إياك. فتكلّم الحسن شيئاً وخرج منه، وتوجّه نحو الشام، فحضر باب عبد الملك بن مروان، وأدى وضيفة التحيَّة، فرحَّب به وقال: لأيٍّ حاجة قطعت هذا الطريق البعيد؟

فحكى له قصّة الحجّاج معه، فقال عبد الملك: ليس للحجّاج هذا الحكم، وكتب إليه بعدم المداخلة في أمر الحسن بن الحسن عليه السلام، وأنعم على الحسن بالعطايا الوافرة وأذن له الرجوع[1].

الشيخ عبد القادر الكيلاني

وربما يقال: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني من ذرية الحسن المثنى، وينتهي إليه نسبه من عبد الله المحض، وقد كذّبه صاحب (العمدة) بأنَّه لم يدَّعِ هذا النسب، ولا أحد من أولاده، وإنّما ابتدأ بها ولد ولده القاضي أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبد القادر، ولم يقم عليها بيِّنة، ولا عرفها له أحد، إلى آخر ما ذكره[2].

وممَّن صرَّح بنسبته إلى الحسن عليه السلام أحمد الكتبي في (فوات الوفيات)[3].

---

(١) الإرشاد ٢: ٢٣، إعلام الورى ١: ٤١٧، الدر النظيم: ٥١٧، عمدة الطالب: ٩٩ بتصرف يسير.

(٢) عمدة الطالب: ١٣٠.

(٣) فوات الوفيات ١: ٧٠٢ رقم ٢٩٥ وفي النسخة المطبوعة منه في دار الكتب العلمية سنة ٢٠٠٠م أنهى نسبه فيها إلى الإمام الحسين عليه السلام.

[نسب مؤلف الكتاب رحمه الله]

وهذا الحسن هو جد السادة الطباطبائية، فهم حسنيون أباً وحسينيون أمّاً[(١)]، والحقير أنهي نسبي إلى الحسن بن الحسن عليه السلام هكذا: (جعفر بن محمّد باقر بن علي بن رضا بن مهدي بن مرتضى بن محمّد بن عبد الكريم بن السيِّد مراد بن شاه أسد الله بن السيِّد جلال الدين أمير بن الحسن بن مجد الدين بن قوام الدين بن إسماعيل بن عبّاد بن أبي المكارم بن عبّاد بن أبي المجد بن عبّاد بن علي بن حمزة بن طاهر بن علي بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم الملقب بطباطبا ابن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر ابن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى عليه السلام)[(٢)].

[في أحوال بعض أجداد المؤلف رحمه الله]

قال في (عمدة الطالب): (ولُقّب الغمر؛ لجوده، ويكنّى أبا إسماعيل، وكان سيِّداً شريفاً، روى الحديث، وهو صاحب الصندوق بالكوفة، يزار قبره، وقبض عليه أبو جعفر المنصور مع أخيه وتوفي في حبسه سنة ١٤٥ وله تسع وستون سنة. وكان السَّفّاح يكرمه)[(٣)].

إلى أن قال: (والعقب من إبراهيم الغمر في إسماعيل الديباج[(٤)] وحده، ويكنّى: أبا إبراهيم، ويقال له: الشريف الخلاص، وشهد فخّاً، وحبسه أبو جعفر المنصور،

---

(١) باعتبار أن زوجة الحسن المثنى هي فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٢، خاتمة المستدرك ٢: ٤٤.

(٣) عمدة الطالب: ١٦١.

(٤) له ترجمة مفصلة في مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٧، فلتراجع.

والعقب منه في رجلين الحسن التج، وإبراهيم (طباطبا)[١]، ولقب بذلك؛ لأن أباه أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفل، فخيَّرهُ بين قميص وقبا، فقال: طباطبا - يعني قباقبا- وقيل: بل السواد لقَّبوه بذلك، وطباطبا بلسان النبطية: سيِّد السادات، لأنَّه كان ذا خطر وتقدُّم)[٢].

وعن بعض المواضع المعتبرة في وجه هذه التسمية: (أن هذا الرجل دخل روضة جدّه رسول الله ﷺ يوماً شريفاً وهو في حالة حسنة، فلمّا سلم على الحضرة المقدّسة سمع قائلاً يقول من وراء الستر: طِبا طِبا بكسر الطاء، وهي عبارة أخرى عن قولهم: طوبى لك، ونصبها على المصدرية من طاب يطيب)[٣].

وهو الّذي صرح باسمه في الحديث المروي في (الكافي) في باب (ما يفصل له بين دعوى المحق والمبطل)[٤].

وبالجملة: كان ديِّناً ذا رصانة في دينه، ورزانة في يقينه، عرض عقائده على الرضا عليه السلام فنزَّهها عن الشك والشُّبَه[٥].

وأمّا أحمد بن إبراهيم: فهو الرئيس المعروف بابن طباطبا، كان مولده بأصبهان ويكنّى أبا عبد الله[٦].

---

(١) عمدة الطالب: ١٦٢.

(٢) عمدة الطالب: ١٧٢.

(٣) لم أهتد إلى مصدره، وينظر في وجه تلقيبه أيضاً تاج العروس ٢: ١٨٠.

(٤) الكافي ١: ٣٥٨ ضمن ح١٧.

(٥) منتهى الآمال ١: ٣٦٠، وله ترجمة مفصلة في مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٦، فلتراجع.

(٦) عمدة الطالب: ١٧٣.

وأما محمّد ابنه يكنّى بأبي جعفر، ومحمّد الواقع في أحفاده[١] هو: أبو الحسن، الشاعر الأصفهاني، كان فاضلاً، أديباً حسن الشعر، موصوفاً بالديانة والعفَّة، متوقّد الذهن، ذكي الفطنة. وعدّه صاحب (العمدة) من أواخر شعراء قريش في زمرة محمّد بن صالح الحسيني، وعلي بن محمّد الحمّاني وغيره[٢] - تولّد بأصفهان، وله تصانيف منها: كتاب (نقد الشعر)، وكتاب (تهذيب الطبع)، وكتاب (العروض)، وكتاب (في المدخل إلى معرفة المُعمَّى من الشعر)، وكتاب (تقريظ الدفاتر)، و (ديوان شعره).

ومن شعره في العفّة قوله:

اللهُ يعلمُ ما أتيتُ خناً ... إنْ أكثروا العَّذالُ أو سَفِهوا

ماذا يعيبُ الناسُ من رَجُلٍ ... خَلُصَ العفافُ مِنَ الأنامِ لَهُ

يَقظاتُهُ ومنامُهُ شَرَعٌ ... كلٌّ بِكُلٍّ منهُ مُشتبِهُ

إنْ هَمَّ في حُلُمٍ بفاحِشَةٍ ... زَجَرْتهُ عِفَّتُه فينتَبِهُ

توفي رحمه الله سنة ٣٢٢[٣].

وأمّا علي بن محمّد، يكنّى: بأبي الحسين أيضاً شاعر معروف له ذيل طويل[٤]، ذكره أبو عبد الله حمزة بن الحسين الأصفهاني في كتاب أصفهان[٥].

---

(١) أي: محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا.

(٢) عمدة الطالب: ٢٠٨.

(٣) الدرجات الرفيعة: ٤٨١، عمدة الطالب: ١٧٣، وله ترجمة مفصلة في كتاب الغدير ٣: ٣٤٠-٣٤٧، فلتراجع.

(٤) المجدي في أنساب الطالبيين: ٧٤.

(٥) لم أهتد إلى مصدره، وتاريخ أصفهان المعبر عنه بكتاب أصفهان مفقود فلابد أن المؤلف رحمه الله نقل عنه بواسطة.

القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام

وأمّا القاسم بن الحسن، فقد قُتل مع عمّه الحسين عليه السلام في الطفّ، ودفن معه في الحائر، بنصّ شيخنا المفيد رحمه الله في (الإرشاد) بعد ذكر أسامي الشهداء من أهل بيت الحسين عليه السلام، أنَّهم مدفونون جميعاً في حفرة حفرت لهم في مشهده، وسوِّي عليهم التراب إلاّ العبَّاس بن علي [1].

ومن المسلّم: أنه حمله الحسين عليه السلام من مصرعه ووضعه بين القتلى من أهل بيته [2]، وبعد ذلك كلّه فما أدري من الَّذي تجاسر على الله وعلى رسوله بإلحاق هذه الفقرات بزيارة الوارث؟! أعني: **(وعلى من لم يكن في الحائر معكم خصوصاً سيدي ومولاي: أبا الفضل العبَّاس بن أمير المؤمنين، وقاسم بن الحسن...)** [3].

ويا ليته عيّن موضع قبر القاسم في محلّ آخر، ولم يضعه من حيث أصله؛ لتزوره الناس في ذلك الموضع، وهذه الزيادة من أقبح الزيادات، ولم توجد في كتب من تصانيف العلماء، وقد اتَّخذها الناس من العوام جزءاً من الزيارة.

---

(١) ينظر: الإرشاد ٢: ١٢٦.

(٢) ينظر عن مصرعه وعن حمله مع الشهداء من أهل بيته عليه السلام: مقتل أبو مخنف: ١٧٠، الإرشاد ٢: ١٠٧، مقاتل الطالبيين: ٥٨، الكامل في التاريخ ٤: ٧٥، مثير الأحزان: ٥٢، اللهوف: ٦٨.

(٣) وردت هذه الفقرة في كتاب (مفتاح الجنان) وهو في الأدعية والأعمال المتعلقة بالأيام والشهور والزيارات وبعض الأوراد والختومات، وقد طبع مراراً عديدة، ولا يعرف جامعه إلا أنه أورد فيه بعض ما لم يظهر مستنده، بل بعض ما ليس له مستند قطعاً، وقد تعرّض له عدّة من أعلامنا الأعلام أنار الله برهانهم كالشيخ النوري في اللؤلؤ والمرجان (المعرب) : ١٣٤-١٣٥، والشيخ عبَّاس القمّي في مفاتيح الجنان بعد زيارة وارث بعنوان (الدسّ في زيارة وارث) ، والشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة ٢١: ٣٢٤ رقم ٥٢٩٤.

وكيف كان: فحديث القاسم الثاني من الأكاذيب المشهورة[١]، والمزار المعروف خارج طهران الَّذي يزار فيه رأس القاسم، هو قبر الشاه قاسم فيض بخش المتوفَّى سنة ٩٨١، ابن السيِّد محمّد نور بخش[٢].

(١) أراد المؤلِّف رحمه الله بالثاني أي لم يكن هناك قاسم آخر من أبناء الإمام الحسن عليه السلام استشهد في الطف، وإلا فأنه ذكر عند تعداده لأولاده عليه السلام قاسماً آخر أصيب بالنهروان جرياً على قول السيِّد القزويني رحمه الله، فتأمَّل.

(٢) الأمير الكبير قدوة العلماء شاه قاسم بن العالم المير شمس الدين محمّد الحسيني النور بخشي، كان من العرفاء وهو من المعاصرين للسلطان حسين ميرزا بايقرا نزل بالري وبها توفي سنة (٩٨١)، وهذا التأريخ غلط جزماً ولعلّ الصحيح سنة (٨٨١) ويوافق ذلك لتأليف ولده بهاء الدولة حسن كتاب (خلاصة التجارب) في الري في سنة (٩٠)، ترجم له ولوالده القاضي نور الله في المجالس - ص ٣٠٣ - ٣٠٦ فذكر أن والده السيِّد محمّد النور بخش ولد بقائن في سنة (٧٩٥) وهو ابن السيِّد محمّد المولود بالقطيف ابن السيِّد عبد الله المولود بالإحساء المنتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بخمسة عشر أباً، وذكر بعض سوانح النوربخش وعقائده ونزوله أخيراً في شهريار من محال الري وتعميره هناك قرية سولقان التي بها توفّى (٨٦٩) (الذريعة ٧: ٢١٧ رقم ١٠٥٤ بتصرف)، وذكر في فهرست نسخه‌هاى خطى - كتابخانه آية الله گلپايگاني ج ٢ ص ٤٨ نسخة تحوي سند سلسلة نور بخشيه و بيان حال شاه قاسم فيض بخش، فلتراجع.

المقام الثالث

في الإمام الحسين عليه السلام

هو: الإمام الثالث، والسبط الثاني.

كنيته: أبو عبد الله.

ويلقَّب: (بالسبط، والشهيد)[1].

ولد بالمدينة آخر شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة[2] ـ إن أخذنا أوّل السنة من شهر رمضان، وأربع منها إن أخذناه من المحرَّم ـ.

وهذا أولى ممّا ذكره بعضٌ كالشيخ في (المصباح)، والمفيد في (الإرشاد)، والكفعمي في (مصباحه) من أن ولادته: (لخمس أو ثلاث خلون من شعبان)[3]؛ لورود الإشكال على ما ذكروه من حيث إنه ورد في كثير من الأخبار: (أن بين ميلادي الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام ستَّة أشهر وعشرة أيام)[4].

ولم يُنقل خلاف في كون ميلاد الحسن عليه السلام ليلة النصف من شهر رمضان؛ ولذا اختاره الكليني في (الكافي)، والشيخ في (التهذيب)، والعلاّمة في (المنتهى)، والشهيد في (الدروس)، وجدّي الأمجد السيِّد محمّد في رسالة (مواليد الأئمة)[5]، والشيخ أبو علي في (رجاله)، والطريحي في (الدراية)[6].

---

(١) ينظر: الإرشاد ٢: ٢٧، بحار الأنوار ٤٣: ٢٣٧ باب ولادته وأسمائه.

(٢) ينظر: المقنعة: ٤٦٧، الدروس ٢: ٨ بحار الأنوار ٤٤: ٢٠٠ح١٨ وغيرها.

(٣) مصباح المتهجد: ٨٢٦، الإرشاد ٢: ٢٧، المصباح: ٥١٣.

(٤) ينظر: تاريخ أهل البيت عليهم السلام: ٧٦، تاريخ الأئمّة (المجموعة) : ٨.

(٥) تاريخ الأئمّة المعصومين عليهم السلام: ١٠٦.

(٦) الكافي ١: ٤٦١، تهذيب الأحكام ٦: ٣٩ ح١١، منتهى المطلب ٢: ٨٩١، الدروس ٢: ٧، منتهى المقال ١: ١٣، جامع المقال: ١٨٧، وكذلك ينظر: المقنعة: ٤٦٤، مناقب آل أبي طالب عليه السلام ٣: ١٩١، روضة الواعظين:

وقبض قتيلاً بكربلاء من أرض العراق يوم الاثنين[(١)] ـ وقيل: يوم الجمعة[(٢)]، وقيل: يوم السبت[(٣)] ـ قبل الزوال ـ وقيل: بعده[(٤)] ـ العاشر ـ وروى ابن عبّاس التاسع، وليس بمعتمد[(٥)] ـ من شهر محرّم الحرام سنة ٦١من الهجرة، وله من العمر يومئذ سبع وخمسون سنة وأشهر، ودفن في كربلاء، ممّا يلي مولد عيسى عليه السلام[(٦)]، ويقال له: الحائر الحسيني.

تحديد الحائر الحسيني

فصل: وفي تحديد الحائر اختلاف عظيم بين الفقهاء، خصوصاً في مسألة التخيير بين القصر والإتمام في الأماكن الأربعة التي هي من مهمّات المسائل الفقهية، ومن أسرار الأئمّة عليهم السلام، وخواص الإماميّة، فلا بأس بشرح الكلام فيما يخصها.

١٥٣، كشف الغُمَّة ٢: ١٣٧، وبحار الأنوار ٤٤: ١٣٤ فإن مؤلفه رحمه الله جمع مصادر هذا القول ضمن باب خاص بتواريخه عليه السلام.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٨ وأشارت إلى ذلك العقيلة زينب عليها السلام بندبتها عليه عليه السلام قائلة: (بنفسي من عسكره يوم الاثنين نهبا) .

(٢) ينظر: البداية والنهاية ٦: ٢٥٨، تهذيب الكمال٦: ٤٤٥.

(٣) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٤٨، وجمع الأقوال ابن شهر آشوب في مناقبه ٣: ٢٣١.

(٤) القولان ذكرهما ابن شهر آشوب في مناقبه ٣: ٢٣١.

(٥) ينظر: صحيح ابن خزيمة: ٣: ٢٩١، تذكرة الفقهاء: ٦: ١٩٣.

(٦) إشارة إلى مارواه الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧٣ح ١٣٩: ٨ قال مانصّه: «...عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله: ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا﴾، قال: خرجت من دمشق حَتّى أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ثُمَّ رجعت من ليلتها».
وقد ذكر الشيخ السماوي في أرجوزته (مجالي اللطف بأرض الطف) لمريم عليها السلام مقاماً في كربلاء، كما ذكره السيّد سلمان هادي آل طعمة في كتابه كربلاء في الذاكرة ص١٥٨.

فنقول: لا شبهة في أنه ليس المراد من حرم الحسين عليه السلام خصوص البقعة المقدّسة، فإن سعة الحرم دليل على جلالة صاحب الحرم، فلا يناسب جلالة قدره عليه السلام ضيق حرمه بحيث يقتصر على نفس القُبَّة، أو ما دار عليه سور المشهد.

والأخبار الواردة حول هذه المسألة كثيرة، فمنها:

ما هو بلفظ (الحائر): وهو ما رواه ابن بابويه في (الفقيه) مرسلاً عن الصادق عليه السلام، قال: **«من الأمر المذخور إتمام الصلاة في أربعة مواطن: بمكّة، والمدينة، ومسجد الكوفة، وحائر الحسين عليه السلام»**[1].

ورواه أيضاً ابن قولويه في (كامل الزيارات) بسند صحيح عن حمّاد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام[2].

ومنها: ما هو بلفظ (الحرم): وهو ما رواه الصدوق رحمه الله في الخصال عن حمّاد بن عيسى، ورواه الشيخ وابن قولويه أيضاً في (المزار) بالإسناد المذكور، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **«من مخزون علم الله الإتمام في أربعة مواطن: حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين وحرم الحسين صلوات الله عليهم»**[3].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٤٢ح١٢٨٣.

(٢) كامل الزيارات: ٤٣٠ ح ٦٥٩/ ٥.

(٣) الخصال: ٢٥٢ ح١٢٣، الاستبصار ٢: ٣٣٤ ح ١/١١٩١، كامل الزيارات: ٤٣١ ذيل ح ٥/٦٥٩ بالهامش وهو من زيادة تلميذ المؤلف بحسب ماصرح به محقق النسخة المطبوعة.

وما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال، سمعته يقول: «**تتم الصلاة في أربعة مواطن: في المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله ومسجد الكوفة، وحرم الحسين عليه السلام**»[(١)].

ومنها: ما هو بلفظ (عند القبر): وهو ما رواه في (الكافي) عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن رجل من أصحابنا يقال له: حسين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**تتم الصلاة في ثلاثة مواطن: في المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وعند قبر الحسين عليه السلام**»[(٢)].

وفي (كامل الزيارات) بإسناده إلى زياد القندي، قال: قال أبو الحسن موسى عليه السلام: «**يا زياد، أُحبُّ لك ما أُحبُّ لنفسي وأكره لك ما أكره لنفسي، أَتِمَّ الصلاة في الحرمين وبالكوفة وعند قبر الحسين عليه السلام**»[(٣)].

هذه هي الأخبار الواردة في المقام.

فنقول: أما ما كان مشتملاً على لفظ (الحايِرْ) وهو بعد الألف ياء مكسورة وراء ساكنة فهو في الأصل: حوض ينصب إليه مسيل الماء من الأمطار، سمِّي بذلك؛ لأنَّ الماء يتحيَّر فيه، يرجع من أقصاه إلى أدناه[(٤)].

---

(١) تهذيب الأحكام ٥: ٤٣١ ح١٥٠٠/١٤٦.

(٢) الكافي ٤: ٥٨٦ ح٤.

(٣) كامل الزيارات: ٤٣١ ح٦٦٠/٦.

(٤) معجم البلدان ٢: ٣٠٨.

وبهذه المناسبة أطلق لفظ (الحايِرْ) على موضع قبره عليه السلام لوقوعه في أرض منخفضة، كما هو المشاهد من الصحن الشريف من جوانبه الأربعة، خصوصاً باب الزينبية وباب السدرة.

ولا وجه لما هو مشهور: من أن وجه التسمية بذلك من جهة: (أن المتوكّل **العبّاسي لمّا أمر بحرث قبره عليه السلام أطلق الماء عليه فكان لا يبلغه)**[1]، وإنْ صدقت القصّة؛ إذ في كثير من الأخبار الصادرة قبل وجود المتوكّل إطلاق لفظ (الحاير) على موضع قبر الحسين عليه السلام.

فقد روى أبو حمزة الثمالي بسند معتبر عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إذا أردت أن تزور قبر العبّاس بن علي، وهو على شط الفرات بحذاء الحائر فقف على باب السقيفة...إلخ**»[2].

وإنَّ ولادة المتوكّل سنة ٢٠٦[3]، ووفاة الصادق عليه السلام سنة ١٤٨، ولا يصح أن يكون الإطلاق باعتبار الواقعة المتأخّرة.

وبالجملة، فالظاهر أنّ الحائر حقيقة: هو مواضع القبور الشريفة كما يظهر من عبارة شيخنا المفيد لمّا ذكر من قُتل مع الحسين عليه السلام من أهله، قال: (**والحاير محيط بهم إلاّ العبّاس فإنّه على المسناة**)[4].

---

(١) قاله الشهيد الأول رحمه الله في الذكرى ج٤ ص٢٩١، وقصّة المتوكّل وتخريبه لقبر الحسين عليه السلام في أمالي الطوسي من ص ٣٢٥ إلى ٣٢٩، فليراجع.

(٢) كامل الزيارات: ٤٤٠ ح ١/٦٧١.

(٣) ينظر: الأعلام ٢: ١٢٧.

(٤) كذا وردت العبارة عن الشيخ المفيد رحمه الله باختصار في السرائر ج١ ص٣٤٢ ونصّها في الإرشاد ج٢ ص ١٢٦: (...فهؤلاء سبعة عشر نفساً من بني هاشم - رضوان الله عليهم أجمعين - إخوة الحسين وبنو أخيه وبنو عميه جعفر وعقيل، وهم

وأظهر منه عبارة (السرائر) في مقام تحديد الحائر: (أنه ما دار عليه سور المشهد، والمسجد عليه، دون ما دار سور البلد عليه؛ لأنَّ ذلك هو الحائر حقيقة؛ لأنَّ الحائر في لسان العرب: الموضع المطمئن الَّذي يحار الماء فيه)، انتهى[(١)].

ولكن من البيّن الَّذي لا ريب فيه أنه يوجد في لسان القدماء، ومعاصري الأئمّة، ومن قارب عصرهم، وفي كتب الأخبار والسير إطلاق الحائر على البلدة المقدّسة كثيراً، بحيث قَدْ بلغ حدّ الظهور، ولو بضرب من التوسعة والمجاز، بل وفي اللُّغة ما هو صريح في ذلك، ونحن ندلك على مواضع منه، وعليك بالتتبُّع في استخراج الباقي.

روى الشيخ رحمه الله بإسناده عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: «من خرج من مكّة أو المدينة، أو مسجد الكوفة، أو حائر الحسين عليه السلام قبل أن ينتظر الجمعة، نادته الملائكة أين تذهب لا ردّك الله»[(٢)].

إذاً، لا معنى للخروج من نفس القُبَّة، بل المراد البلدة قطعاً، كما هو المغروس في الأذهان وعليه عمل أهل الإيمان.

كلهم مدفونون ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام في مشهده حفر لهم حفيرة وألقوا فيها جميعاً وسوي عليهم التراب، إلا العبَّاس بن علي رضوان الله عليه فإنه دفن في موضع مقتله على المسناة بطريق الغاضرية وقبره ظاهر، وليس لقبور إخوته وأهله الَّذين سميناهم أثر، وإنما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين عليه السلام ويومئ إلى الأرض التي نحو رجليه بالسلام، وعلي بن الحسين عليهما السلام في جملتهم، ويقال: إنه أقربهم دفنا إلى الحسين عليه السلام. فأما أصحاب الحسين رحمة الله عليهم الَّذين قتلوا معه، فإنهم دفنوا حوله ولسنا نحصل لهم أجداثا على التحقيق والتفصيل، إلا أنا لا نشك أن الحائر محيط بهم رضي الله عنهم وأرضاهم وأسكنهم جنات النعيم).

(١) السرائر ١: ٣٤٢.

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ١٠٧ ح٤/١٨٨.

وقال في (القاموس) و(تاج العروس): (والحائر موضع بالعراق فيه مشهد الإمام المظلوم الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، سمّي لتحيُّر الماء فيه.

ومنه: نصر الله بن محمّد الكوفي، سمع أبا الحسن ابن غبرة. والإمام النسَّابة عبد الحميد ابن الشيخ النسابة جلال الدين فخار... الحائريان)، انتهى[1].

قال الحافظ ابن حجر: (وممَّن ينتسب إلى الحائر الشريف أبو الغنائم محمّد بن أبي الفتح العلوي الحائري)[2].

وقال الشيخ في (فهرست رجاله) ما لفظه: (حميد بن زياد، من أهل نينوى، قرية إلى جنب الحائر على ساكنه السلام)، انتهى[3].

ولا يخفى أن المتبادر من لفظ الحائر في المواضع المذكورة هو ما دار عليه سور البلد.

وبالجملة: فالظهور العرفي كاف لحمل لفظ الحائر على البلد، وهو مع ما سيأتي كاف في الخروج عن مقتضى الأصل، أعني: القصر في كل مسافر بمقتضى استصحاب حكم المسافر قبل حضور البلد.

وأمّا ما وقع التعبير فيه بالحرم فلا نصرة فيه لمذهب المشهور؛ لما في جملة من الأخبار من تحديد حرم الحسين عليه السلام بما هو أوسع منه، بل ومن سور البلد بكثير.

---

(١) القاموس المحيط ٢: ١٥، تاج العروس ٦: ٣١٧.

(٢) عنه تاج العروس٦: ٣١٧.

(٣) الفهرست للطوسي: ١١٤ رقم ٣/٢٣٨، رجال الطوسي: ٤٢١ رقم١٦/٦٠٨١.

ففي (الكافي)، و(التهذيب)، و(ثواب الأعمال)، و(كامل الزيارة)، و(مصباح المتهجِّد) جميعاً عن إسحاق بن عمَّار، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «**إنَّ لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أُجير، قلت: صف لي موضعها؟ قال: امسح من موضع قبره اليوم خمسة وعشرين ذراعاً من قدامه وخمسة وعشرين ذراعاً من عند رأسه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه. وموضع قبره من يوم دفن روضة من رياض الجنَّة... الخبر**»[1].

وفي (الفقيه) مرسلاً عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**حريم قبر الحسين عليه السلام خمسة فراسخ من أربعة جوانب القبر**»[2].

وفي (التهذيب) أيضاً بسنده إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعاً مُكسَّراً، روضة من رياض الجنة**»[3].

وفيه أيضاً بسنده إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**البركة من قبر الحسين عليه السلام على عشرة أميال**»[4] [5].

والَّذي يقتضيه تعدُّد الضبط ثبوت الحكم لأعمِّ العناوين، بحمل الاختلاف على اختلاف مراتب الفضيلة. ومقتضاه ثبوت الحكم لحرم الحسين عليه السلام بما هو

---

(١) الكافي ٤: ٥٨٨ح٦، تهذيب الأحكام ٦: ٧١ح ٢/١٣٤، ثواب الأعمال: ٩٤، كامل الزيارات: ٤٥٧ ح٤/٦٩٤، مصباح المتهجد: ٧٣١.

(٢) من لايحضره الفقيه ٢: ٥٧٩ ح٣١٦٧.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٧٢ ح٤/١٣٥.

(٤) كذا في الأصل والعديد من الكتب الحديثية، وفي المصدر: (التربة من قبر الحسين بن علي عليه السلام عشرة أميال).

(٥) تهذيب الأحكام ٦: ٧٢ح٥/١٣٦.

أوسع ممَّا دار عليه سور البلد، فضلاً عما أحاط به الصحن، ويؤيد أخبار التحديد أخبار أُخر كثيرة جداً قَدْ وقع التعبير فيها: بـ(أرض كربلاء) كما في خبر: افتخار كربلاء مع الكعبة[1]، وما في اتخاذ الله كربلاء حرماً آمناً مباركاً[2].

---

(١) لفضل كربلاء على الكعبة المشرفة وافتخارهما ورد حديثان هما:

الأول: عن عباد، عن عمرو بن بياع السابري، عن جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: «إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد جعل بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه. فأوحى الله إليها: أنْ كفّي وقَرِّي فوعزتي ما فَضلُ ما فُضِّلت به فيما أعطيتُ أرضَ كربلاء إلاّ بمنزلة إبرة غُمِسَتْ في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فُضِّلت، ولولا من تضمَّنت أرض كربلاء ما خلقتكِ ولا خلقتُ البيتَ الَّذي به افتخرتِ، فَقَرِّي واستقرِّي وكوني دنياً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر على أرض كربلاء، وإلاّ اسخط بكِ فهويت في نار جهنم». (الأُصول الستة عشر(أصل أبي سعيد عباد العصفري) : ١٦)

الثاني: «حدّثني أبي رحمه الله، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمّد بن علي، قال: حدّثنا عباد أبو سعيد العصفري، عن صفوان الجمال، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى فضل الأرضين والمياه بعضها على بعض، فمنها ما تفاخرت ومنها ما بغت، فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لتركها التواضع لله، حَتّى سلط الله المشركين على الكعبة وأرسل إلى زمزم ماء مالحاً حَتّى أفسد طعمه، وأن أرض كربلاء وماء الفرات أوّل أرض وأوّل ماء قدس الله تبارك وتعالى وبارك الله عليهما، فقال لها: تكلَّمي بما فضَّلك الله تعالى؛ فقد تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض، قالت: أنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي، ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك، ولا فخر على من دوني، بل شكراً لله، فأكرمها، وزادها بتواضعها وشكرها لله بالحسين عليه السلام وأصحابه. ثُمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله تعالى». (كامل الزيارات: ٤٥٥ح ٦٩٠/ ١٧) .

وإلى هذا أشار العلاّمة الطباطبائي قدس سره بقوله:

ومن حديثِ كربلا والكعبة ... لكربلا بانَ علوُّ الرتبة

(٢) الحديث ورد في الأُصول الستة عشر/ أصل أبي سعيد العصفري: ١٧ وهو كالتالي: «عباد، عن رجل، عن أبي الجارود، قال: قال علي بن الحسين صلى الله عليه: «اتّخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وإنها إذا يدك الله الأرضين رفعها كما هي برمتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روض من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيّون والمرسلون ـ أو قال: أُولو العزم من الرسل ـ وإنها لتزهر من رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدرِّي من الكواكب لأهل الأرض يغشى

وما رواه يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لـه: «إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات، ثُمَّ البس ثيابك الطاهرة، ثُمَّ امـش حافيـاً فإنَّك في حرم من حرم الله وحرم رسوله...»[1]، أو غير ذلك.

فما في (الجواهر) من أنّه: (لمّا كان القصر هو الأصل في المسافر، وكثيـر مـن هذه النصوص اعتبارها من جهة الانجبار بالشهرة، وقد قيل: إنَّ المشهور هنا الاقتصار في الحرمين على المسجدين منه، بل على الأصليين منهما دون الزيادة الحادثة، كمـا أنَّ الظاهر كونه كذلك بالنسبة إلى مـسجد الكوفـة وقبـر الحـسين عليه السلام)[2]، [هـو][3] ضعيف جـداً؛ لمـا عرفـت: مـن أنَّ اعتبـار تلـك النـصوص لـيس مـن جهـة عمـل المشهور حَتَّى يقتصر على مقدار العمل، بل من جهة تأييدها بما طرق سمعك من الأخبار المتواترة الموافقة لمضمونها، ومن حيث تكرر أسـانيدها ووثاقـة رواتهـا، وكثرة وجودها في الكتب المعتمدة، وثبوت بعضها في الكتب الأربعة.

وأمَّا الأخبار المشتملة على لفظ (عنـد) فهـي مـن الإجمـال بمكـان؛ لـصدقه على القرب والبعد، واختلاف المراد منه بحسب اختلاف التعبيـر، مـثلاً لـو قيـل: أقام عند قبر الحسين عليه السلام ليلاً، يمكن أن يراد منه البيتوتة في البلد.

نورها نور أبصار أهل الأرض جميعاً، وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة، والطينة المباركة التي تـضمنت سـيِّد الشهداء وشباب أهل الجنة»».

(١) الكافي ٤: ٥٧٥ح٢ والخبر فيه طويل.

(٢) جواهر الكلام١٤: ٣٣٩ باب تحديد المواطن الأربعة.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

وبالجملة: فهو في البعد أظهر كما نصّ عليه أهل اللُّغة من الفرق بينه وبين (لدى)؛ بأن الأخير لا يستعمل إلا في الحاضر، بخلاف الأول[١].

فقد تحقّق من جميع ما ذكرناه: أنّ الأقوى والأظهر هو أنّ التخيير غير مختصٍ بما خصّه به المشهور من الاقتصار فيه على ما حوته القُبَّة الشريفة، والصحن الشريف. كما هو اختيار غير واحد من المتقدّمين كالشيخ، وابن حمزة، وجماعة أُخرى، ويحيى بن سعيد الحلِّي [والمحقِّق][٢] في كتاب له في السفر، والحرّ العاملي في (الوسائل)، وأصرّ عليه الفاضل النراقي في المستند، وقطع به في آخر كلامه[٣]. وهو اختيار غير واحد من أفاضل المعاصرين كالسيد النوري في شرح (نجاة العباد) والشيخ أبي الفضل الرازي في كتاب (شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور)[٤]، فلا وجه للاحتياط بالاقتصار على القدر المتيَّقن كما هو عمدة دليل المشهور.

مشهد ابن حمزة

وكيف كان: ففي خارج كربلاء موضع معروف، وهو على ما في (فلك النجاة)[٥]، مشهد الشيخ نصير الدين علي بن حمزة بن الحسن الطوسي، فاضل

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١: ٤٨٤.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة منا لإتمام المعنى.

(٣) المبسوط ١: ١٤١، النهاية: ١٢٤، الوسيلة: ١٠٩، الجامع للشرائع: ٩٣، وحكى الشهيد عن المحقق في الذكرى ٤: ٢٩١، وسائل الشيعة ٨: ٥٢٤ باب تخيير المسافر في الأماكن الأربعة، مستند الشيعة ٨: ٣١٣.

(٤) وسيلة المعاد ٣: ٦٣١، شفاء الصدور (المعرب) ١: ٤٢٨.

(٥) كتاب المزار من فلك النجاة: ١٩٣.

جليل، له مصنفات يرويها علي بن يحيى الحنّاط، قاله صاحب (أمل الآمل)[١]، وهو والد الشيخ الإمام، عماد الدين أبو جعفر محمّد بن علي بن حمزة الطوسي، صاحب (الوسيلة)[٢].

مشهد الحر الرياحي

وأيضاً في خارج كربلاء موضع قبر الحرّ بن يزيد، من بني رياح، معروف تزوره الشيعة.

والعجب من المحدّث النوري حيث ذكر في كتابه (اللؤلؤ والمرجان): (أنه **إلى الآن لم يوجد ما يدلُّ على تعيين مرقده هناك، سوى السيرة المستمرة من الشيعة تزوره حيث هناك، بل يظهر من المقاتل، وأخبار الزيارة أنه مدفون مع سائر الشهداء في نفس الحائر.**

نعم، ذكر الشهيدرحمه الله في (الدروس) أن بعد زيارة الحسينعليه السلام فليزر ابنه علي بن الحسين، وسائر الشهداء، وأخاه العبَّاس، والحر بن يزيد. ثُمَّ قال: وهذا كاف لتعيين مرقده)، انتهى[٣].

---

(١) أمل الآمل٢: ١٨٦ رقم ٥٥٢.

(٢) كذا والصحيح أن الموضع المشار إليه هو لعماد الدين أبي جعفر محمّد بن علي بن حمزة الطوسي، صاحب (الوسيلة) ، نصّ على ذلك السيِّد حسن الصدر في تأسيس الشيعة ص٣٠٤، والشيخ الطهراني في الثقات العيون ص٢٧٣، والمؤرخ السيِّد سلمان هادي آل طعمة في تراث كربلاء ص ١١٦ وسبب هذا الاشتباه هو ماذكره السيِّد مهدي القزوينيرحمه الله في كتابه فلك النجاة المتقدّم الذكر، ولعل اسم محمّد سقط من قلمه، ومن الغريب ماينسبه العامة من أن هذا القبر هو لابن الحمزة العبَّاسي المعروف بأبي يعلى دفين جنوب الحلة، فلاحظ.

(٣) اللؤلؤ والمرجان (المعرب) : ١٣٦، الدروس ٢: ١١.

وكأنه رحمه الله لم يطّلع على ما ذكره صاحب (نزهة القلوب) حمد الله المستوفي المؤرِّخ: (أن في ظاهر كربلاء قبر الحرّ، الَّذي هو جدّه الثامن عشر تزوره الناس).

والأولاد والأحفاد أعرف بقبور أسلافهم[١].

وما ذكره السيِّد الجزائري في (الأنوار) عن جماعة من الثقات: (أنَّ الشاه إسماعيل لمّا ملك بغداد أتى إلى مشهد الحسين عليه السلام وسمع من بعض الناس الطعن على (الحرّ)، أتى إلى قبره وأمر بنبشه، فنبشوه، فرأوه نائماً كهيئته لما قُتل، ورأوا على رأسه عصابة مشدودا بها رأسه، فأراد الشاه أخذ تلك العصابة لما نقل في كتب السير والتواريخ أن تلك العصابة هي دسمال الحسين عليه السلام، شدَّ بها رأس الحرّ لمّا أصيب في تلك الواقعة، ودفن على تلك الهيئة، فلمَّا حلّوا تلك العصابة جرى الدم من رأسه حَتَّى امتلأ منه القبر. فلمَّا شدّوا عليه تلك العصابة انقطع الدم وكلما أرادوا أن يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة[٢] لم يمكنهم فتَبيَّنَ لهم حسنُ حاله، فأمر فبنى على قبره بناء، وعيّن له خادماً يخدم قبره)، انتهى[٣][٤].

---

(١) ذكر عماد الدين الطبري ـ وهو من علماء القرن السابع ـ في كتابه كامل البهائي (المعرب) ج٢ ص٢٥٦ ما نصّه: (ودفن الحرّ ذووه في الموضع الَّذي وقع فيه) وقوله هذا أقدم من قول المؤرخ حمد الله المستوفي) ، فلاحظ.

(٢) ذكر السيِّد الميرزا هادي الخراساني رحمه الله في خاتمة كتابه: (القول السديد بشأن الحرّ الشهيد) : (أن قطعة من هذه العصابة باقية إلى زمانه في أصفهان وذكر لها بعض الكرامات) ، فليراجع.

(٣) الأنوار النعمانية ٣: ٢٦٥.

(٤) ينظر حول تاريخ مرقد الحرّ رضي الله عنه وتحقيقه لما ذكره الشيخ عبَّاس القمي رحمه الله في كتابه هدية الزائرين من ١٢٩- ١٣١، فليراجع.

تذهيب القبة الحسينية

وتذهيب القُبَّة الحسينيّة من السلطان: محمّد خان القاجاري، وذلك سنة ١٢٠٧.

وفي عهد السلطان فتح علي شاه القاجاري، كتبوا أهالي كربلاء إليه: أنَّ ذهبَ القُبَّة الحسينية قَدْ صار أسودَ، فأمر السلطان بقلع الأحجار الذهبية، وأبدلها بأحجار جديدة، وجدَّد ذهب الأحجار العتيقة، وزيّن بها قُبَّتي الكاظمين عليهما السلام.

وفي سنة ١٢٧٦ جاء الشيخ عبد الحسين الطهراني[1] إلى كربلاء بأمر السلطان ناصر الدين شاه القاجاري، وجدَّد تذهيب القُبَّة الحسينية، وبناء الصحن الشريف، وبناء الإيوانات بالكاشي الملوَّن، وتوسعة الصحن من جانب فوق الرأس المطهَّر. ولمَّا فرغ من ذلك مرض في الكاظمين، وتوفّي سنة ١٢٨٦، ونقل إلى كربلاء[2].

---

(١) ترجمه تلميذه الميرزا النوري والّذي يروي عنه في خاتمة المستدرك ج ٢ ص ١١٤، بما نصّه: (الشيخ عبد الحسين بن علي الطهراني، أسكنه الله تعالى بحبوحة جنته. كان نادرة الدهر وأعجوبة الزّمان، في الدقة والتحقيق وجودة الفهم، وسرعة الانتقال وحسن الضبط والإتقان، وكثرة الحفظ في الفقه والحديث والرجال واللُّغة، حامي الدين [حامى للدين – ظ] ودافع ضبة الملحدين، وجاهد في الله في محو صولة المبتدعين، أقام أعلام الشعائر في العتبات العاليات، وبالغ مجهوده في عمارة القباب الساميات، صاحبته زماناً طويلاً إلى أن نعق بيني وبينه الغراب، واتخذ المضجع تحت التراب، في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٨٦، له كتاب في طبقات الرواة، في جدول لطيف، غير أنه ناقص).

(٢) ينظر: ترجمة رجال الدول القاجارية في كتاب دوائر المعارف للسيد مهدي الكاظمي الأصفهاني ص٦١.

فصل

[فيمن فاز بحسن الجوار من الأعلام]

الرضي والمرتضى ووالدهما

قَدْ فاز بحسن الجوار جملة من العلماء، والملوك، والسلاطين، والأعيان من القدماء، والمتأخّرين، فممَّن فاز بحسن الجوار مَيِّتاً: الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى، والد الشريفين: الرضي، والمرتضى، المتوفّى سنة ٤٠٠ ببغداد، وقد أناف على التسعين ثُمَّ حمل إلى الحائر فدفن قريباً من قبر الحسين عليه السلام[(١)].

وفي كتاب (الدرجات الرفيعة): (**أنه مدفون معه ولداه الرضي والمرتضى، بعد أن دفنا في دارهم في بلد الكاظمين، ثُمَّ نقلا إلى جوار جدِّهما الحسين عليه السلام**)[(٢)].

وقال ابن شدقم الحسيني في كتابه (زهر الرياض وزلال الحياض): (**إن في سنة ٩٤٢ هـ نبش قبره بعض قضاة الروم، فرآه كما هو لم تغير الأرض منه شيئاً. وحكى من رآه: أن أثر الحناء في يديه ولحيته، وقد قيل: إنَّ الأرض لا تغيِّر أجساد الصالحين**)، انتهى[(٣)].

وقال جدِّي بحر العلوم بعد نقل ما ذكر: (**والظاهر أنّ قبر السيِّد وقبر أبيه وأخيه في المحلّ المعروف بـ((إبراهيم المجاب))**)، انتهى[(٤)].

(١) عمدة الطالب: ٢٠٤ وفيه أن قبره بالقرب من قبر الإمام الحسين عليه السلام معروف ظاهر.

(٢) الدرجات الرفيعة: ٤٦٣.

(٣) عنه الفوائد الرجالية ٣: ١١١.

(٤) الفوائد الرجالية ٣: ١١١.

وقيل: (إنَّهم مدفونون مع إبراهيم الأصغر ابن الإمام الكاظم عليه السلام، وإنَّ قبره خلف ظهر الحسين عليه السلام بستَّة أذرع)(١).

مجد الملك البراوستاني

وممَّن فاز بحسن الجوار مجد الملك: أسعد بن محمّد البراوستاني، القمّي، وزير السلطان بركيارق السلجوقي، بعد أن قتل سنة ٤٧٢ نقل نعشه إلى كربلاء، ومن آثاره المادية قُبَّة البقيع، وبناء مرقد عثمان بن مظعون، وبقعة السيِّد عبد العظيم الحسني، وروضة الإمامين موسى الكاظم ومحمّد الجواد عليهما السلام(٢).

النظام شاهية(٣)

ومنهم برهان نظام شاه ابن أحمد شاه، من عائلة النظام شاهيّة في (أحمد نكر) مملكة الهند، فإنه مات سنة ٩٦١، ودفن بجنب أبيه المزبور، ثُمَّ نقلا إلى الحائر(٤).

ومنهم: مرتضى نظام شاه ابن الحسين نظام شاه، المعروف بـ(ديوا)، قتل سنة ٩٩٦، وأُودع جثمانه زماناً، ثُمَّ نقل إلى الحائر(٥).

---

(١) القول ذكره السيِّد حسن الصدر في تحية أهل القبور المطبوع بضميمة نزهة أهل الحرمين.

(٢) ترجم له في معجم البلدان ١: ٣٦٨.

(٣) النظامشاهية: كانوا ملوكاً في أحمد نكر من بلاد الهند وهم عشرة ملوك أوّلهم ملك حسن نظام الملك بن برهمنان ثُمَّ برهان نظامشاه بن أحمد شاه وهو أول من اختار مذهب التشيع من أسرة النظامشاهية وآخرهم مرتضى نظامشاه بن شاه علي، كان حياً ١٠١٦ وبعده أخذت سلطنتهم في الانحطاط والزوال. (أعيان الشيعة: ١٠: ٢٢٢).

(٤) ينظر: أعيان الشيعة٣: ٥٥٧.

(٥) ينظر: الذريعة٢: ٨٥ رقم ٣٣٧.

وعن تاريخ الغياثي: (أنَّ الخواجة عطاء الملك، وصاحب الديوان، وابنه هارون زاروا النَّجف على عهد اشتغالهم بوزارة العراق وإمارته. وزار معهم الجمُّ الغفير من أئمة الفريقين. وبعد الفراغ من الزيارة انجرّ كلامهم إلى مسألة الإمامة، فقال هارون: إنا نستكشف حقيقة الحال من المصحف الَّذي هو على المرقد الشريف، ونتفاءل به، وبما أمرنا نمضي. فلمَّا فتح المصحف كان في أول صفحة هذه الآية: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا*أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[1]، فتشيَّع كلُّهم)[2].

ميرزا أقاسي الصدر

ومنهم: الحاج ميرزا أقاسي الصدر الأعظم للسلطان محمّد شاه القاجاري إلى أوائل سلطنة ناصر الدين. ثُمَّ انسلخ من الأُمور، وسكن الحائر الشريف حَتَّى توفِّي هناك، وذلك سنة ١٢٦٥.

السلطان مظفر الدين شاه القاجاري

ومنهم: السلطان مظفر الدين شاه القاجاري، المتوفَّى سنة ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٤، وحمل تابوته إلى الحائر.

---

(١) سورة طه: ٩٢-٩٣.

(٢) تاريخ الغياثي: لعبد الله بن فتح الله البغدادي بعد ٩٠١ هـ الملقب بالغياث، مؤرخ من أهل بغداد، أقام زمناً في سورية وتاريخه مخطوط وهو في تاريخ العراق، ولغته عراقية عامية كان حياً سنة ٩٠١ هـ.) الأعلام ٤: ١١٢).

السلطان محمّد علي شاه القاجاري

وكذلك ابنه السلطان محمّد علي شاه خُلِعَ عن السلطنة ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧، وسافر إلى أدسا من بلاد الأجانب إلى أن مات، فحمل تابوته إلى الحائر.

السلطان أحمد شاه القاجاري

فالسلطان أحمد شاه ابن السلطان محمّد علي شاه، خُلِعَ عن السلطنة سنة ١٣٤٤، وانقرضت دولة القاجارية بخلعه، وتوفّي في شهر شوال سنة ١٣٤٨ وحمل تابوته من أوربا حيث توفّي إلى الحائر الحسيني[١].

ابن فهد الحلي

وممَّن فاز بحسن الجوار حيّاً وميتاً: الشيخ أبو العبَّاس أحمد بن محمّد بن فهد الحلِّي الأسدي، صاحب المقامات العالية في العلم والعمل، والتصانيف كـ: (المهذّب البارع)، و(شرح مختصر النافع)، و(عدّة الداعي)، و(شرح ألفية الشهيد)[٢]، و(الإرشاد)[٣].

رأى ليلة في منامه أن أمير المؤمنين عليه السلام أخذ بيد السيِّد المرتضى رحمه الله وهما يمشيان في الروضة الغروية، وعليهما الأثواب من الحرير الأخضر، فدنا الشيخ أحمد

---

(١) ينظر: ترجمة رجال الدول القاجارية في كتاب دوائر المعارف للسيد مهدي الكاظمي الإصفهاني ص٦١.

(٢) ألفية الشهيد: المشتملة على ألف واجب في الصلاة للشيخ أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن مكي الشامي العاملي الجزيني الشهيد سنة ٧٨٦ مرتبة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وكتب بعدها النفلية في مستحبات الصلاة.(ينظر: الذريعة ٢: ٢٩٦ رقم ١١٩٥)

(٣) أي كتاب إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان لآية الله العلامة الحلّي المولود سنة ٦٤٨ والمتوفى سنة ٧٢٦ هو من أجل الكتب الفقهية قَدْ أحصي مجموع مسائله في خمسة عشر ألف مسألة، وله شروح كثيرة منها شرح الشيخ أحمد بن فهد الاحسائي، اسمه: (خلاصة التنقيح) . (ينظر: الذريعة ١: ٥١٠ رقم ٢٥٠٩)

منهما وسلَّم، فأُجيب، ثُمَّ قال له السيد: أهلاً بناصرنا أهل البيت، فسأل منه أسماء مصنَّفاته، فذكر له جملة منها فقال له السيد: اكتب كتاباً، واجعل في مفتتحه هذه العبارة: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المقدَّس بكماله عن مشابهة المخلوقات).

فلما فاق من النوم شرع بكتاب (التحرير) وافتتحه بذلك[1].

ولد سنة ٧٥٧ وتوفِّي سنة ٨٤١، وقبره قريب المخيَّم الحسيني، معروف يزار، وله قُبَّة عالية.

فصل

في ذكر أولاده عليه السلام

قال كمال الدين محمّد بن طلحة: (إنَّ للحسين عليه السلام ستَّة أولاد ذكور، وأربع بنات)[2].

فأوّلهم: علي الأكبر ابن الحسين عليه السلام قتل مع أبيه في يوم الطف، وله يومئذ على ما قيل تسع عشرة سنة، وروي ثماني عشرة سنة، وهو ضعيف، كما سنحقّقه. وأُمُّه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي.

وعلي بن الحسين: الأوسط وهو الإمام زين العابدين عليه السلام.

وجعفر بن الحسين لا بقية له، وأُمُّه قضاعية، وتوفِّي في حياة أبيه.

وعبد الله بن الحسين الملقب بالرضيع جاءه سهم وهو في حجر أبيه، وهو المعروف بعليٍّ الأصغر، وحفر له الحسين قبراً بجفن سيفه ودفنه.

---

(١) ينظر: خاتمة المستدرك ٢: ٢٩٣ وفيه: (قال السيد: صنِّف كتاباً مشتملاً على تحرير المسائل، وتسهيل الطرق والدلائل، واجعل مفتتح ذلك الكتاب: بسم الله ..الخ) .

(٢) مطالب السؤول: ٣٩٢.

ومحمّد.

وعمر بن الحسين، ذكره ابنُ الأثير، وله في مجلس يزيد مكالمة مع خالد بن يزيد[(١)].

وفي (معجم البلدان): ((بلد) مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل، وبها مشهد عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام)[(٢)].

وأمَّا البنات: فسكينة وهي خيرة النسوان بشهادة الحسين عليه السلام، وأُمُّها الرباب بنت امرئ القيس بن عَديّ، كلبية، معدِّية، وهي شقيقة عبد الله الرضيع.

وفاطمة بنت الحسين، وأُمُّها أُمُّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله.

وزبيدة بنت الحسين.

وزينب بنت الحسين، تلك عشرة كاملة[(٣)].

ثُمَّ عثرت في كتاب (معجم البلدان): (أنّ في غربيّ حلب في سفح جبل (جوشن) قبر المحسن بن الحسين عليه السلام، ويزعمون: أنه سقط لما جيء بالسبي من العراق لتحمل إلى دمشق، أو طفل كان معهم مات بحلب فدفن هنالك)[(٤)].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٣ وفيه ـ المطبوع ـ أن المكالمة وقعت مع ابن الإمام الحسن عليه السلام والتصحيف ممكن باعتبار أنها ذكرت بمصادر أخرى مع ابن الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) معجم البلدان ١: ٤٨١.

(٣) ينظر: بحار الأنوار٤٥: ٢٢٩ باب ٤٨ (عدد أولاده صلوات الله عليه ومجمل أحوالهم) تجد فيه مجمل أقوال النسابة والمؤرخّين.

(٤) معجم البلدان ٢: ٢٨٤ مادة (حلب) ، وفي ج ٢ ص ١٨٦ منه– مادة (جوشن) –: جوشن جبل في غربي حلب، ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ويقال: إنه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي عليهم السلام، ونساؤه، وكانت زوجة الحسين حاملاً فأسقطت هناك فطلبت من الصناع في ذلك الجبل خبزاً وماء فشتموها ومنعوها، فدعت عليهم، فمن الآن من عمل فيه لا يربح، وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة، والسقط يسمى محسن بن الحسين عليهم السلام.

تنبيهات

علي بن الحسين عليه السلام المقتول

الأوّل: قال ابن إدريس في باب المزار من (السرائر) بعد ذكر جملة من آداب الزيارة ما لفظه: (فإذا كانت الزيارة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام زار ولده علياً الأكبر، وأُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وهو أوّل قتيل في الوقعة، يوم الطف، من آل أبي طالب عليهم السلام، وولد علي بن الحسين عليه السلام هذا في إمارة عثمان.

وقد روى عن جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد مدحه الشعراء، وروي عن أبي عبيدة، وخلف الأحمر: أن هذه الأبيات قيلت في عليّ بن الحسين الأكبر، المقتول بكربلاء:

لم تَرَ عينٌ نظرَتْ مثلَهُ ... مِنْ مُحتفٍ يمشي ومن[1] ناعِلِ

يغلي نئيَّ اللَّحم حتَّى إذا ... أنضجَ لم يُغْلِ على الآكِلِ

كان إذا خبَتْ[2] له نارُهُ ... يُوقِدُها بالشرفِ الكامِلِ

كيما يراها بائِسٌ مُرمِلٌ ... أو فردُ حيٍّ ليسَ بالآهِلِ

أعني ابنَ ليلى ذا السدا والندا ... أعني ابنَ بنتِ الحَسَبِ الفاضِلِ

لا يؤثُر الدنيا على دينهِ ... ولا يبيعُ الحقَّ بالباطِلِ

---

(١) في المصدر: (ولا).

(٢) في المصدر: (شبت).

قال: وقد ذهب شيخنا المفيد في كتاب (الإرشاد) إلى أنّ المقتول بالطف هو علي الأصغر، وهو ابن الثقفية، وأنّ علياً الأكبر هو زين العابدينعليه السلام أُمّه أمٌ ولد، وهي شاه زنان بنت كسرى يزد جرد).

ثُمَّ قال محمّد بن إدريس: (والأولى الرجوع إلى أهل هذه الصناعة، وهم النسابون، وأصحاب السير والأخبار والتواريخ، مثل: الزبير بن بكّار في كتاب (أنساب قريش)، وأبي الفرج الأصفهاني في(مقاتل الطالبيين)، والبلاذري، والمزني صاحب كتاب (اللباب في أخبار الخلفاء)، والعمري ـ النسّابة ـ حقَّق ذلك في كتاب المجدي، فإنه قال: وزعم من لا بصيرة له أنّ علياً الأصغر هو المقتول بالطَّفّ، وهذا خطأ ووهم[1]، وإلى هذا - يعني كون المقتول هو الأكبر - ذهب صاحب كتاب (الزواجر والمواعظ)، وابن قتيبة في (المعارف) وابن جرير الطبري المحقِّق لهذا الشأن، وابن أبي الأزهر في تاريخه، وأبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال)، وصاحب كتاب (الفاخر)ـ مصنف من أصحابنا الإمامية، ذكره شيخنا أبو جعفر في فهرست المصنفين[2] ـ وعلي بن همّام في كتاب (الأنوار) في تواريخ أهل البيت ومواليدهم، وهو من جملة أصحابنا المصنفين المحقِّقين، فهؤلاء جميعاً أطبقوا على هذا القول، وهم أبصر بهذا النوع.

إلى أن قال: وأي غضاضة تلحقنا، وأي نقص يدخل على مذهبنا، إذا كان المقتول علياً الأكبر، وكان علي الأصغر الإمام المعصوم بعد أبيه الحسينعليه السلام، فإنه كان لزين العابدين يوم الطف ثلاث وعشرون سنة، ومحمّد ولده الباقرعليه السلام حي له ثلاث سنين وأشهر.

---

(١) المجدي في أنساب الطالبيين: ٩١.

(٢) الفهرست: ٢٨٠ رقم ٨٠/٩٠١ ومؤلفه هو أبو الفضل الصابوني.

ثم بعد ذلك كلّه، فسيدنا ومولانا علي بن أبي طالب عليه السلام كان أصغر ولد أبيه سنّاً، ولم ينقصه ذلك)، انتهى[١].

وفيه من المبالغة والإصرار ما لا يخفى على أُولي الأنظار، وممَّن أصر على ذلك الإربَلّي صاحب كتاب (كشف الغُمَّة)[٢].

ومنهم الشهيد رحمه الله في (الدروس) قال رحمه الله: (وإذا زاره ـ يعني: الحسين عليه السلام ـ فليزر ولده علي بن الحسين عليه السلام وهو الأكبر)، انتهى[٣].

وهو موافق لما في تاريخ ابن الجوزي، حيث قال: (في ذكر أولاد الحسين: علي الأكبر قتل مع أبيه يوم الطف، ولا بقية له. وعلي الأصغر وهو زين العابدين عليه السلام، والنسل له)، انتهى[٤].

وحيث ثبت: أن علياً المقتول أكبر سناً من الإمام زين العابدين، فالقول بأن سنَّه ثماني عشرة سنة ـ كما هو المعروف على الألسنة، بل المنظوم في المراثي ـ ليس بصحيح؛ إذ من المعلوم: أنَّ علياً أخاه زين العابدين عليه السلام، كان له من العمر حين استشهد أبوه الحسين عليه السلام ثلاث وعشرون سنة، فيلزم أن يكون عمر المقتول أكثر من ذلك، كما هو المنقول عن المجلسي رحمه الله في (جلاء العيون) من أنه كان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة.

---

(١) السرائر: ١: ٦٥٤-٦٥٧.

(٢) كشف الغُمَّة ٢: ١٢.

(٣) الدروس ٢: ١١.

(٤) تذكرة الخواص ٢: ٢٤٠.

وأيضاً ليس من الصحيح ما هو معروف ومشهور من أنه: قتل علي الأكبر قبل أن يتزوَّج.

ومن البعيد من سيرة أهل البيت عليهم السلام أن يبلغ أولادهم هذه المبالغ من العمر وهم على حالة العزوبة، مضافاً إلى ما في زيارة أبي حمزة الطويلة التي رواها المجلسي في (التحفة) عن الصادق عليه السلام في زيارة علي بن الحسين عليه السلام: «صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك...»[1]، وجعلها من أوّلَ زيارَة الحسين عليه السلام.

رأس الإمام الحسين عليه السلام وما قيل فيه

الثاني: ذكر السيِّد علي الميبدي في (كشكوله) نقلاً عن المسعودي في (مروج الذهب) مدعياً انفراده في هذا النقل، ولم يروه من غيره وهي حادثة عظيمة في رأس الحسين عليه السلام، قال: (في بيان أيام الدولة العبَّاسية، وسبي بنات مروان الحمار إلى صالح بن علي، فقالت بنت مروان الكبرى: ليسَعَنا من عدلِكُم ما وسِعَكُم من جَورِنا.

فقال صالح بن علي: ألم تفعلوا كذا و كذا ـ وذكر أفعال بني أُميَّة ببني هاشم وبني العبَّاس ـ إلى أن قال: ألم يخرج بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا[2]، وبعث برأس الحسين قَدْ نقب دماغه على رأس رمح يدار به كور الشام ومدائنها)[3].

---

(١) تحفة الزائر: ٣٢٣ ضمن زيارة الإمام الحسين عليه السلام الأولى.

(٢) في مروج الذهب زيادة: (حتّى ورد بهنّ على يزيد بن معاوية، وقبل مقدمهنّ بعث إليه...) .

(٣) مروج الذهب ٤: ٨٩ وكشكول الميبدي لم أقف عليه وهو للسيد علي بن محمد علي الحسيني الميبدي، طبع بطهران وهو اليزدي المقيم بكرمانشاه، المتوفى سنة نيف وعشرة وثلاثمائة وألف وكان مجازاً من الفاضل

أقول: ومن المحقَّق أن نسخة (مروج الذهب) التي كانت عند الميبدي؛ قَدْ بُدل منها الصاد المهملة بالقاف المعجمة سهواً من الكاتب، وإلا فالموجود في سائر النسخ قَدْ نصب دماغه على رأس رمح[1]، وعليه فلا غرابة فيه.

ولما انجرّ الكلام إلى رأس الحسين عليه السلام فلا بأس بالإشارة إلى جملة ممَّا يتعلّق بذلك، ففي جملة من التواريخ المعتبرة: (أن بمصر مزاراً يعرف بمشهد رأس الحسين عليه السلام).

ففي (صبح الأعشى): (أن سبب بنائه؛ أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كان بعسقلان، فخشى الصالح طلائع بن رزيك عليه من الفرنج فبنى جامعه خارج باب زويلة ـ وهي محلَّة وباب بالقاهرة ـ وقصد نقل الرأس إليه فغلبه الفائز على ذلك، وأمر بابتناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه في سنة ٥٤٩.

قال: ومن غريب ما اتَّفق من بركة هذا الرأس الشريف ما حكاه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر: أنَّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استولى على القصر بعد موت العاضد ـ آخر خلفاء الفاطميين بمصر ـ قبض على خادم من خدَّام القصر وحلق رأسه وشدَّ عليها طاساً داخله خنافس فلم يتأثر بها. فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السر فيه؟ فأخبر: أنه حين أحضر الرأس الشريف إلى المشهد حمله على رأسه، فخلَّى عنه السلطان وأحسن إليه)، انتهى[2].

الأردكاني، وكشكوله مشحون بالفرائد والفوائد الأدبية والأشعار الرائقة والانشاءات الفائقة والأدلة والبراهين الكلامية ودفع شبهات الملحدين وأحاديث وروايات وسنن ومستحبات. (عن الذريعة ١٨: ٧٦ رقم٧٤٩)

(١) والموجود في النسخ المطبوعة: (قد ثقب دماغه على رأس رمح...)، ومن المعلوم أن كلمة (نقب) أقرب في التصحيف من (نصب)، فتأمَّل.

(٢) صبح الأعشى: ٣: ٣٩٥.

وفي (معجم البلدان): (أن بمصر من المشاهد والمزارات: بالقاهرة مشهداً به رأس الحسين بن علي عليه السلام، نقل إليها من عسقلان لما أخذ الفرنج عسقلان.

قال: وهو خلف دار المملكة يزار)، انتهى[1].

وقال اليافعي: (بعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعيد ـ يعني: والي المدينة ـ فكفن، ودفن بالبقيع عند قبر أُمّه فاطمة عليها السلام).

قال: (هذا أصح ما قيل فيه)[2].

وذكر الشيخ ابن نما، عن منصور ابن جمهور: (أنه دخل خزانة يزيد بن معاوية لما فتحت فوجد بها جونة حمراء فقال لغلامه سليم: احتفظ بهذه الجونة فإنَّها كنز من كنوز بني أُميَّة.

فلمَّا فتحها إذا فيها رأس الحسين عليه السلام وهو مخضوب بالسواد، فقال لغلامه: آتني بثوب. فأتاه فلفَّه، ثُمَّ دفنه بدمشق عند باب الفراديس عند البرج الثالث ممَّا يلي المشرق)[3].

---

(١) معجم البلدان٥: ١٤٢.

(٢) مرآة الجنان١: ١٠٩.

(٣) مثير الأحزان: ٨٥، وذكر بعده مانصّه: (وحدّثني جماعة من أهل مصر إن مشهد الرأس عندهم يسمونه (مشهد الكريم) ، عليه من الذهب شيء كثير، يقصدونه في المواسم ويزورونه ويزعمون أنه مدفون هناك، والَّذي عليه المعول من الأقوال أنه أعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه، ولقد أحسن نائح هذه المرثية في فادح هذه الرزية:

رأس ابن بنت محمّد ووصيه ... للناظرين على قناة يرفعُ

والمسلمون بمنظر وبمسمع ... لا منكرٌ فيهم ولا مُتفجِّعُ

كحلت بمنظرك العيون عماية ... واصم رزؤكَ كلَّ اذن تسمعُ

أيقظتَ اجفاناً وكنت لها كرى ... وانمت عيناً لم تكن بك تهجَعُ

ما روضة إلا تمنَّتْ أنَّها ... لك حفرة ولخطِّ قبرِكَ مضجَعُ

ويروى أيضاً: (أن سليمان بن عبد الملك بن مروان: طلب الحسن البصري، وقال له: رأيت في النوم: أن النبي صلى الله عليه وآله يلاطفني فما تأويل ذلك؟

قال له: لعلك أحسنت إلى أولاده وعترته؟! فقال: نعم، وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد، فوضعته في خمسة أثواب من حرير، وصلّيت عليه مع خمسة من أصحابي، ودفنته في ضريح. فقال الحسن: من ذلك؛ النبي صلى الله عليه وآله أظهر رضاءه عنك، فأكرمه سليمان، وأنعم عليه وأرجعه)[1].

ويقال: (أنّه لمّا تخلّف عمر بن عبد العزيز؛ أخذ يتفحّص عن رأس الحسين عليه السلام، فأخبروه: أنه مدفون. فأمر بنبشه، واستخرجه، ولم يعلم بعده بما جرى على الرأس الشريف)[2].

وقال البلاذري أيضاً في تاريخه: (هو ـ يعني الرأس الشريف ـ بدمشق في دار الإمارة)[3].

ووافقه على ذلك الواقدي.

وفي (التذكرة) حكاية عن ابن أبي الدنيا، قال: (وجد رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بدمشق، فكفّنوه، ودفنوه بباب الفراديس)[4].

---

(١) ينظر: مناقب آل أبي طالب عليه السلام ٣: ٢٢٠، نظم درر السمطين: ٢٢٦ باختلاف يسير.

(٢) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ٦٩: ١٦١ بالتفصيل.

(٣) عنه تذكرة الخواص ٢: ٢٠٨.

(٤) تذكرة الخواص ٢: ٢٠٧.

قال ابن عساكر في تاريخه: (باب الفراديس من شمال البلد أيضاً[١] منسوب إلى محلة كانت خارج الباب تسمَّى (الفراديس) وهي الآن خراب، وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسُدَّ، (والفراديس) بلغة الروم: البساتين)[٢].

قلت: ويقال له الآن: (باب السلام) رُمِّم سنة ٦٤١ هـ.

ويقال أيضاً، كما في (التذكرة): (أنه بمسجد الرَّقَّة على الفرات بالمدينة المشهورة، ذكره عبد الله بن عمر الورَّاق في مقتله، وقال: لمَّا حضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية قال: لأبعثنه إلى آل أبي معيط عوضاً عن رأس عثمان! وكانوا بالرَّقَّة فبعثه إليهم، فدفنوه في بعض دورهم، ثُمَّ أدخلت تلك الدار في المسجد الجامع.

قال: وهو إلى جانب سدرةٍ هناك، وعليه شبيه التنبل[٣] لا يذهب شتاءً ولا صيفاً)، انتهى[٤].

ولم يذكر أحد هذا غير ابن الورَّاق.

وقال المقريزي في (خططه): (عن الملك الأفضل لما فتح بيت المقدس سنة ٤٩١ ذهب منه إلى عسقلان، وتفحَّص عن رأس الحسين عليه السلام لمَّا بلغه أنه مدفون هناك في مشهد قديم فوجده، وأخرج الرأس وطيَّبه، وجعله في سفط، ووضعه في بيت عال بنى له مشهداً رفيعاً، ثُمَّ حمل الرأس الشريف بنفسه، ضامّاً له إلى صدره، ومشى برجله إلى المشهد حتَّى دفنه في ذلك الضريح.

---

(١) في المصدر: (من شامه) أي من الشام، فلاحظ.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢: ٤٠٨.

(٣) التنبل: ضرب من اليقطين. (القاموس المحيط ٣: ٣٤١ وفيه: التانبول)

(٤) تذكرة الخواص ٢: ٢٠٩.

وذكر بعضُ المؤرِّخين: أنَّ أوّل من شرع في بناء ذلك المشهد بعسقلان هو أمير الجيوش بدر الجمالي وزير المستنصر بالله معدّ الفاطمي، ثُمَّ من بعده أكمله الملك الأفضل)[1].

رأس الإمام الحسين عليه السلام في النجف

وفي جملة من الأخبار: أن الرأس الشريف مدفون في النَّجف، عند أمير المؤمنين عليه السلام.

وعقد له في (الوسائل) باباً مستقلاً عنوانه: باب استحباب زيارة رأس الحسين عليه السلام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام واستحباب صلاة ركعتين لزيارة كلٍّ منهما[2].

منها: ما رواه بإسناده عن مبارك الخبَّاز، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **«أسرجوا البغل والحمار في وقت ما قدم وهو في الحيرة، قال: فركب وركبت حَتَّى دخل الجرف، ثُمَّ نزل فصلى ركعتين، ثُمَّ تقدم قليلاً آخر فصلى ركعتين ثُمَّ تقدم قليلاً آخر فنزل فصلى ركعتين، ثُمَّ ركب ورجع، فقلت له: جعلت فداك ما الأَوليين والثانيتين والثالثتين؟ قال: الركعتين الأوليين: موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والركعتين الثانيتين: موضع رأس الحسين عليه السلام، والركعتين الثالثتين: موضع منبر القائم عليه السلام».**

(١) المواعظ والاعتبار (الخطط المقريزية) ٢: ٢٠٤.

(٢) الوسائل ١٤: ٣٨٩-٤٠٣ باب٣٢ وفيه تسعة أحاديث.

وبالإسناد عن عمر بن عبد الله بن طلحة النهدي، عن أبيه، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فذكر حديثاً حدثناه، قال: مضينا معه- يعني: أبا عبد الله عليه السلام- حَتَّى انتهينا إلى الغري، قال: فأتى موضعاً فصلى، ثُمَّ قال لإسماعيل: قم فصل عند رأس أبيك الحسين عليه السلام، قلت: أليس قَدْ ذهب برأسه إلى الشام؟ قال: بلى ولكن فلان مولانا سرقه فجاء به فدفنه هاهنا»[1].

وفي (الكافي): بإسناده إلى يزيد بن عمر بن طلحة، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام وهو بالحيرة: أما تريد ما وعدتك؟ قلت: بلى -يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه- قال: فركب وركب إسماعيل وركبت معهما حَتَّى إذا جاز الثوية وكان بين الحيرة والنَّجف عند ذكوات بيض، نزل ونزل إسماعيل ونزلت معهما، فصلَّى وصلَّى إسماعيل وصلَّيتُ، فقال لإسماعيل: قم فسلّم على جدّكَ الحسين عليه السلام، فقلت: جعلت فداك أليس الحسين عليه السلام بكربلا؟ فقال: نعم ولكن لمَّا حُمِلَ رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام».

وفيه أيضاً: بإسناده عن أبان بن تغلب، قال: «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فمرَّ بظهر الكوفة، فنزل فصلَّى ركعتين، ثُمَّ تقدَّم فصلَّى ركعتين، ثُمَّ سار قليلاً فنزل فصلَّى ركعتين، ثُمَّ قال: هذا موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام قلت: جعلت فداك، والموضعان اللَّذان صليتَ فيهما؟ فقال: موضع رأس الحسين عليه السلام، وموضع منزل القائم»[2].

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٣٩٨ باب ٣٢ ح ١و٢.

(٢) الكافي ٤: ٥٧١ باب موضع رأس الحسين عليه السلام ح ١و٢.

وروى جعفر بن محمّد بن قولويه بإسناده عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن علي بن أسباط، رفعه، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّك إذا أتيت الغري رأيت قبرين، قبراً كبيراً وقبراً صغيراً، فأما الكبير فقبر أمير المؤمنين، وأمَّا الصغير فرأس الحسين عليه السلام»[١].

وعن يونس بن ظبيان، قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة أيام مقدمه على أبي جعفر...إلى أن قال: فركب وركبتُ. ولمَّا خرجنا من الحيرة، قال: تقدَّم يا يونس، قال: فأقبل يقول: تيامن تياسر، فلمَّا انتهينا إلى الذَّكوات الحمر[٢]، قال: هو المكان، قلت: نعم، فتيامَنَ، ثُمَّ قصد إلى موضع فيه ماء وعين فتوضَّأ، ثُمَّ دنا من أكمة فصلَّى عندها، ثُمَّ مال عليها وبكى، ثُمَّ مال إلى أكمَةٍ دونها، ففعل مثل ذلك، ثُمَّ قال: يا يونس افعل مثل ما فعلت، ففعلت ذلك. فلمَّا تفرَّغت قال لي: يا يونس تعرفُ هذا المكان، فقلت: لا، فقال: الموضع الَّذي صلَّيتُ عنده أوّلاً هو قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والأكمة الأُخرى رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، إنَّ الملعون عبيد الله بن زياد لعنه الله لمَّا بعث برأس الحسين عليه السلام إلى الشام رُدَّ إلى الكوفة، فقال: أخرجوه عنها لا يفتن به أهلُها، فصيَّره الله عند أمير المؤمنين عليه السلام، فالرأس مع الجسد والجسد مع الرأس»[٣].

(١) كامل الزيارات: ٨٤ح٦/٨٤.

(٢) في الأصل: (الزكوات) ويأتي الكلام عليها من المؤلِف وما اثبتناه من المصدر.

(٣) كامل الزيارات: ٨٦ح٨٦/١٠.

مسجد الحنّانة

ويظهر من أخبار أُخر: أنّ الرأس الشريف مدفون في مسجد الحنَّانة الواقع بقرب النَّجف في طريق مسجد الكوفة.

ففي أمالي الشيخ بإسناده عن المفضَّل بن عمر، قال: «**جاز مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغريّ، فصلَّى عنده ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة:؟ قال: هذا موضع رأس جدِّي الحسين بن علي عليهما السلام، وضعوه ها هنا**»[١].

ويظهر من خبر آخر: أنَّ ها هنا نزل القوم الَّذين كان معهم رأس الحسين عليه السلام في صندوق، فبعث الله عزَّ وجلَّ طيراً فاحتمل الصندوق بما فيه، فمرَّ بهم جمَّال، فأخذوا رأسه وجعلوه في الصندوق وحملوه.

والخبر مروي في (مدينة المعاجز) عن أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري الشيعي في كتاب (دلائل الإمامة)[٢].

والغريب جدّاً ما ذكره صاحب (الجواهر) في كتاب الحجّ أنّه: (**ويمكن أن يكون هذا المكان موضع دفن الرأس الشريف بعد سلخه، فإنَّهم ـ لعنهم الله تعالى ـ نقلوه بعد أن سلخوه**)، انتهى[٣].

ولعلَّ موضع القائم المائل هو المسجد المعروف الآن بـ(مسجد الحنَّانة) الواقع قرب النَّجف؛ ولذا يصلّي الناس فيه[٤].

---

(١) الأمالي للطوسي: ٦٨٢ ح ٣/١٤٥٠.

(٢) مدينة المعاجز: ٢٢٥ ح ٣٠٤/١٢٥١، دلائل الإمامة: ٤٥٩ ح ٤٣/٤٣٩.

(٣) جواهر الكلام ٢٠: ٩٣.

(٤) ذكره العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٤٥ نقلاً من خط الشهيد قدس الله روحه.

وروى الشيخ في (أماليه): (بسنده عن ابن مسكان، عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، قال: سألته عن القائم المائل في طريق الغري؟ فقال: نعم، إنَّه لمّا جاز سرير أمير المؤمنين علي عليه السلام انحنى أسفاً وحزنا على أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك سرير أبرهة لمَّا دخل عليه عبد المطَّلب انحنى ومال)[1].

وقال سبط ابن الجوزي في (التذكرة): (واختلفوا في الرأس على أقوال أشهرها أنه رد إلى المدينة مع السبايا، ثُمَّ رد للجسد إلى كربلاء فدفن معه)[2].

وصرَّح به أيضاً أبو ريحان البيروني في (الآثار الباقية)[3].

وقال يوسف بن حاتم الشامي في (الدر النظيم): (إنَّ المشهور بين علمائنا الإمامية أنه دفن رأسه مع جسده، ردَّه علي بن الحسين عليه السلام بكربلاء)[4].

وقال الصدوق في (الأمالي): (خرج علي بن الحسين عليهما السلام بالنسوة، وردّ رأس الحسين عليه السلام بكربلاء)[5].

وقال الشيخ ابن حجر في (شرح الهمزية): (وقيل: أُعيد - يعني الرأس الشريف- إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوماً من قتله)[6].

---

(١) الأمالي للطوسي: ٦٨٢ح ١٤٥١/٤.

(٢) تذكرة الخواص ٢: ٢٠٦.

(٣) الآثار الباقية: ٢٩٤، وفيه ما نصّه: (وفي العشرين رُدَّ رأس الحسين إلى جُثّته حَتَّى دُفِنَ مع جثته، وفيه زيارة الأربعين وهم حرمة [كذا ولعلها تصحيف: (هو وحرمه)] بعد انصرافهم من الشام) .

(٤) لم أعثر عليه في كتاب الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم.

(٥) الأمالي للصدوق: ٢٣١ ح٢٤٣/٤.

(٦) المنح المكية في شرح القصيدة الهمزية لابن حجر المكي: ٢٧١.

وقال صاحب (حبيب السير): (إنَّ الإمام الرابع مع أخواته وعمَّاته وسائر أقربائه توجَّهوا إلى المدينة في العشرين من صفر، وألحق رأس الحسين عليه السلام وسائر الشهداء بأبدانهم، وبعده سارع إلى تربة جدِّه المقدسة، وألقى رحل إقامته)[١].

وأصح الروايات التي هي مختار الشيعة والعلماء الأخيار في باب دفن الرأس المكرَّم هو ذلك.

وروى ابن طاووس في (اللهوف) وغيره في غيرها: (إنَّ رأس الحسين عليه السلام أُعيد فدفن مع بدنه بكربلاء، وأن عمل الطائفة على ذلك)[٢].

بيان وتصحيح:

((الحِيْرة) بكسر الحاء المهملة، وسكون الياء المثناة من تحت، وبعدها راء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النَّجف)[٣].

و((الجُرْف) بالضم، وسكون الراء، وبعدها فاء: موضع بالحيرة، كانت به منازل المنذر)[٤].

موضع منبر القائم: هو موضع في خارج النَّجف، يعرف بـ(مقام المهدي عليه السلام) وعليه قُبَّة من الكاشي الأخضر، وقد عمّره جدّي بحر العلوم، ومن

---

(١) حبيب السير ٢: ٦٠.

(٢) اللهوف: ١١٤ بتصرف، وختاماً أورد ماذكره ابن الجوزي في تذكرة الخواص ج٢ ص٢٠٩، قال: وفي الجملة ففي أي مكان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في الأسرار والخواطر، أنشدنا بعض أشياخنا في هذا المعنى:

لا تطلبوا المولى حسين ... بأرض شرق أو بغرب

ودعوا الجميع وعرجوا ... نحوي فمشهده بقلبي

(٣) معجم البلدان ٢: ٣٢٨.

(٤) معجم البلدان ٢: ١٢٨.

بعده زار النَّجف السيِّد محمّد خان ـ سلطان السند ـ فبذل على تعميره فعُمِّر وذلك سنة (١٣١٠هـ)[١] وينسب إليه بعض الكرامات[٢].

((الغَرِيّ) بفتح الغين المعجمة، وكسر الراء، وتشديد الياء، والغَرِيّان: طربالان، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب عليه السلام))[٣].

((الثَوِيّة) بفتح الثاء المثلثة ثُمَّ الكسر، وياء مشددة، ويقال (الثُّوَيَّة) بالتصغير: موضع قريب من الكوفة، وقيل: بالكوفة، وقيل: خريبة إلى جانب الحيرة على ساعة منها، ذكر العلماء: كانت سجناً للنعمان بن المنذر، كان يحبس فيها من أراد قتله، فكان يقال لمن حبس بها ثوى، أي: أقام، فسمِّيت الثوية بذلك))[٤].

الزكوات: قال بعض المثبتين في سبع نسخ التي بأيدينا: بالزاي، ولم أقف في كتب اللُّغة له معنى يناسب المقام، إلاّ أنَّ الطريحي في (المجمع) قال: ((الذكوات) بالذال المعجمة جمع (ذَكاة) بالفتح: الجمرة الملتهبة من الحصى، ومنه الحديث: قبر علي عليه السلام بين ذكوات بيض، وأُحبُّ التختّم بما يظهره الله بالذكوات البيض[٥]))[٦].

---

(١) كذا وفي كتيبة القُبّة أن تاريخ تعمير الراجة للمقام كان سنة (١٣٠٨هـ)، وعليه يصحح ما نقله المؤرخون ـ وهم عدة ـ عنه.

(٢) وقد أَلَّفتُ كتاباً في تاريخ هذا المقام باسم (تاريخ مقام الإمام المهدي عليه السلام في وادي السلام) طبع في مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام سنة ١٤٢٧ هـ، ويقع في ١٤٨ صفحة.

(٣) معجم البلدان ٤: ١٩٦.

(٤) معجم البلدان ٢: ٨٨.

(٥) إشارة إلى الأحجار المعروفة بـ(در النجف).

(٦) مجمع البحرين ٢: ١٠٠، كما أشير إلى موضع قبره بين الذكوات في كامل الزيارات: ٨١ح ١/٧٧، فرحة الغري: ٩١ ح٣٦.

الثالث: أنّ الحسين عليه السلام كان يشبه النبي صلى الله عليه وآله من رأسه إلى صدره، ويشبه أباه في بقية الأعضاء(١).

الإمام الحسين عليه السلام أول سياسي في العالم

أشجع الناس، وأعلم أهل الإسلام قاطبة بأحكام النبي صلى الله عليه وآله مع فصاحة اللّسان، وطلاقة البيان، جامع لجميع الخصال الحسنة التي كانت في العرب مستحسنة، وكان أوّل شخص سياسي في العالم الإسلامي، ويمكن أن يقال: إنه لا يرى في أرباب الديانات أحد اختار مآثر السياسة مثله عليه السلام. فإنّ يزيد لمّا أخذ ولاية العهد من أبيه معاوية اشتغل بأخذ البيعة لنفسه من الرؤساء، فرأى عليه السلام أنّ حركات بني أُميَّة التي كانت لهم السلطنة المطلقة، والإحاطة التامّة بالرياسة الروحانية الإسلامية، توجب ضعف عقائد الناس بدين الإسلام، مع علمه عليه السلام بما انطوت عليه سريرتهم، وجرت به سيرتهم من العداوة، والبغضاء لبني هاشم.

وبقاء الحال على ذلك المنوال ينجرُّ عاجلاً إلى أن لا يبقى منهم دَيَّار(٢)، ولا نافخ نار، فعزم عليه السلام على بثّ السياسة الحسينية في الإسلام، فحينما جلس يزيد مقام أبيه وتصدّى لخلافة المسلمين أوجب عليه السلام على نفسه التمرُّد عن طاعته، والتَّظاهُر بمخالفته، على ما كان عليه يزيد من الإصرار على أخذ البيعة منه عليه السلام،

---

(١) كذا ورد في روضة الواعظين: ١٦٥، ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٦٥، وفيه مانصّه: (الإرشاد، والروضة، والإعلام، وشرف المصطفى، وجامع الترمذي، وإبانة العكبري من ثمانية طرق رواه أنس وأبو جحيفة: إن الحسين كان يشبه النبي من صدره إلى رأسه، والحسن يشبه به من صدره إلى رجليه) ، وعنه بحار الأنوار: ٤٣: ٥٣ ذيل حديث ٥٣، ولعل اسم الحسن في هذه المصادر صُحف إلى الحسين لأن غالب هذه الأقوال وردت في الإمام الحسن عليه السلام في أغلب كتب السيرة والحديث) ، فتأمَّل.

(٢) ديار: أي أحد.

وإدخاله تحت طاعته، فأبى عن الإذعان له، والتخضُّع إليه؛ ولذا عزم على إتلاف نفسه العزيزة مع أُسرته في سبيل إعزاز الدين، وتشييد شريعة جدّه سيِّد المرسلينﷺ، وتصدّى لقلب السياسة الأُمويَّة التي شاعت في الإسلام، حَتَّى كادت أن تقضي على الدين الحنيف الإسلامي.

إنَّ من ذاق طعم الإيمان، ونوّر قلبه بنور الوجدان، إذا نظر بدقة إلى أوضاع تلك الأدوار التي كانت تجري على محور واحد من تمشية أُمور بني أُميَّة، ونفوذ مقاصدهم، واستيلائهم على سائر طبقات المسلمين، يصدّق بأوّل وهلة أنه عليه السلام أحيا دين جدّهﷺ وأحكم قانونه الإسلامي فقتل نفسه.

ولولا تلك النهضة منه عليه السلام لم يبق الإسلام بالصورة الحالية، وأمكن أن ينقلب المسلمون إلى ما كانوا عليه في بدو الإسلام، ويضيِّعوا قوانينه ورسومه، فعندما جزم بإنجاز هذا المشروع خرج من المدينة متوجِّهاً نحو أهم مراكز الإسلام: مكَّة، والعراق، اللَّذين فيهما ساحة الإسلام، وأينما حلَّ في نقطة من نقاطها، وبقعة من بقاعها أولد في قلوب أهلها ما هو أهم مقدمات السياسة- أعني: تتغير القلوب من بني أُميَّة- وكان يبلغ ذلك يزيد حَتَّى خاف على ملكه من تلك السياسة في الممالك الإسلامية، وعلم أن ذلك موجبٌ لزوال الأيدي للسلطنة الأُمويّة، فلم يَرَ بُدّاً دون أن صمَّم على قتال الحسين عليه السلام في أوّل آونة من جلوسه على تخت السلطنة قبل شروعه بكل أمر مهم.

وكان ذلك من أكبر الأغلاط السياسية لبني أُميَّة التي أوجب محو آثارهم من صفحة الوجود وتسويد أوراق تاريخهم، ومن أدل ما يستدل به على تقديس قصده عليه السلام من المقاصد الدينيّة الدنيويّة عندما أقدم على العراق مع علمه عليه السلام

الحاصل له بالتجاريب على عهد أبيه وأخيه عند مقاومة بني أُميَّة، وعدم تهيُّؤ أسباب الحرب له، وما كان عليه يزيد من كثرة العدد، ووفرة المدد من المال والاقتدار، حَتَّى كان ينادي عليه السلام بأعلى صوته: «**إنّي مقتول في سفري هذا إلى العراق**»[(١)].

وكان يقرر ذلك على أصحابه، ومن كان معه من أنصاره إنَّما للحُجَّة، وقطعاً لطمع مَن صاحَبه بتوهُّم الجاه، وكسب الحلال. ولو كان غرضه الحصول على مرتبة السلطنة، وتسخير عرش المملكة لكان أولى بإظهار ما يوجب الميل إلى مصاحبته، ونشاط أعوانه وأنصاره، غير أنه لما لم يكن في نفسه الشريفة سوى القتل والمظلومية التي هي العمدة في تلك السياسة الوحيدة، توسَّل إلى ما يؤيِّدها ويؤكّدها في نظر العموم، حَتَّى تكون مصائبه في القلوب أشدَّ تأثيراً وأوقع في النفوس.

ومن المعلوم: أنَّ الحسين عليه السلام كان محبوباً في قلوب أبناء عصره أشد المحبَّة، ولو كان غرضه غير ما ذكرناه لأمكن أن يجلب إليه الجم الغفير، والجمع الكثير، والجيش الجرّار. ولكن لو اتفق قتله على هذه الحالة، لعلَّه ما كان يُحمَلُ على المحمل الصحيح، ولم تحصل له تلك المظلومية. التي هي السبب الوحيد لتلك السياسة المقدَّسة، بل خاطب أصحابه: «**بأنّي قَدْ أذنت لكم فانطلقوا**

---

(١) إشارة إلى قوله عليه السلام حين عزم على الخروج إلى العراق: «وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن أكراشاً جوفا».(اللهوف في قتلى الطفوف: ٣٨).

جميعاً، أنتم في حل مني، ليس عليكم حرج، ولا ذمام، وهذا الليل قَدْ غشيكم فاتخذوه جملاً»[(١)].

وهذا أمر اختص به الحسين عليه السلام، فقد كان مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في صفين أصناف من الناس، وأخلاط منهم. حيث خرج جمع منهم بصورة الرضا، ولكنَّهم على حسب الباطن كانوا لذلك كارهين. ولم يتحسَّس عليه السلام ذلك منهم، ولا أذِنَ لمن كان كارهاً للجهاد بالانصراف، بل كان يحثُّهم على القتال في سبيل الله، ويذمُّهم على تهاونهم.

فكل من قتال علي عليه السلام والحسين وإن كان لإقامة الدين إلا أنَّهما باعتبار اختلافهما بحسب المقام اختلفا بالآثار والأحكام. وحيث لم يكن للحسين عليه السلام مناص عن الشهادة، وكان نصرته لدين الله بكونه مقتولاً مغلوباً لا بغلبته على العدو، وكان ذلك الموقف ممَّا لا يليق إلا لمن خلص في طريق الدين، وطلب له الموت في سبيل التوحيد. ولو لم يكن غرضه المغلوبية لما حمل معه نساءه وأطفاله وبني عمومته؛ لعلمه بما في نفوس بني أُميَّة من الشحناء مع بني هاشم، بحيث لا يستطيعون العفو عند المقدرة عليهم بعد قتله، وإنَّهم لا بُدَّ من إيسارهم.

وفي ذلك من تأثير النفوس ـ لاسيَّما مثل العرب ـ ماله تمام المدخلية في السياسة الحسينية، وذلك معلوم وغير منكر أن الحركات الوحشية التي وقعت من

---

(١) إشارة إلى خطبته عليه السلام في ليلة عاشوراء ومنها كما في إرشاد المفيد ج٢ ص٩١: «أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا، ألا وإني لأظن أنه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإني قَدْ أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قَدْ غشيكم فاتخذوه جملا».

بني أُميَّة بعد قتله عليه السلام على آل الرسول صلى الله عليه وآله، والصبية الصغار من ذرِّية فاطمة البتول أثَّرت في نفوس عامة البشر، فضلاً عن المسلمين ما لم يؤثر فيها القتل، فكان ذلك أصدق شاهد على بغض بني أُميَّة لبني هاشم من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

إنَّ المتأمِّل بعين البصيرة فيما صدر منه عليه السلام في وقعة الطف من أولها إلى آخرها يعلم بأنه لم يترك في ذلك سياسةً لها أدنى مدخلية في إنجاز مرامه، هذا منتهى السياسة وقوة القلب، وبذل النفس في سبيل نيل المرام.

انظر إلى ما فعله عليه السلام في آخر لمحة من حياته فحيَّر فيها عقول الفلاسفة؛ إذ عرض طفله على الأعداء قائلاً لهم: «**خذوه واسقوه قطرة من الماء، وردُّوه إليّ، فوجَّهوا إليه سهماً فذبحه في حجر أبيه**»[1].

كيف لم تفته هذه النكتة في تلك الآونة مع تلك المصائب الواردة عليه، وتشتُّت الأفكار المتراكمة والعطش الشديد، والجراحات المجهزة التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، ولم يغفل عليه السلام عن السعي في حصول الغرض وتهيئة المعدّات له. وأعظم نفع حصل له عليه السلام لهذه النكتة: أنَّ العالم الإسلامي بأجمعه بعد الوقوف عليها علم علماً لا يشوبه شكّ، أنَّ الأعمال الوحشية التي ارتكبوها في ذلك اليوم ما كانت من باب الدفاع، بل إنَّما هي لصرف العداوة، ومحض البغضاء.

---

(١) مقتل عبد الله الرضيع عليه السلام كما في ينابيع المودة ج ٣ ص ٧٨: «قالت أم كلثوم: يا أخي إن ولدك عبد الله ما ذاق الماء منذ ثلاثة أيام فاطلب له من القوم شربة تسقيه، فأخذه ومضى به إلى القوم وقال: يا قوم لقد قتلتم أصحابي وبني عمي وإخوتي وولدي، وقد بقي هذا الطفل، وهو ابن ستة أشهر، يشتكي من الظمأ فاسقوه شربة من الماء. فبينا هو يخاطبهم إذ أتاه سهم فوقع في نحر الطفل فقتله».

فإنَّ قتل الطفل بتلك الحالة المدهشة ليس إلا من التوحُّش والسَّبعية المنافية لسائر الملل والأديان، فانكشف بذلك: أنهم لم يكتفوا بمحو أحكام الإسلام خاصَّة، بل كان جُلُّ مرامهم قطع شأفة آل محمّدﷺ.

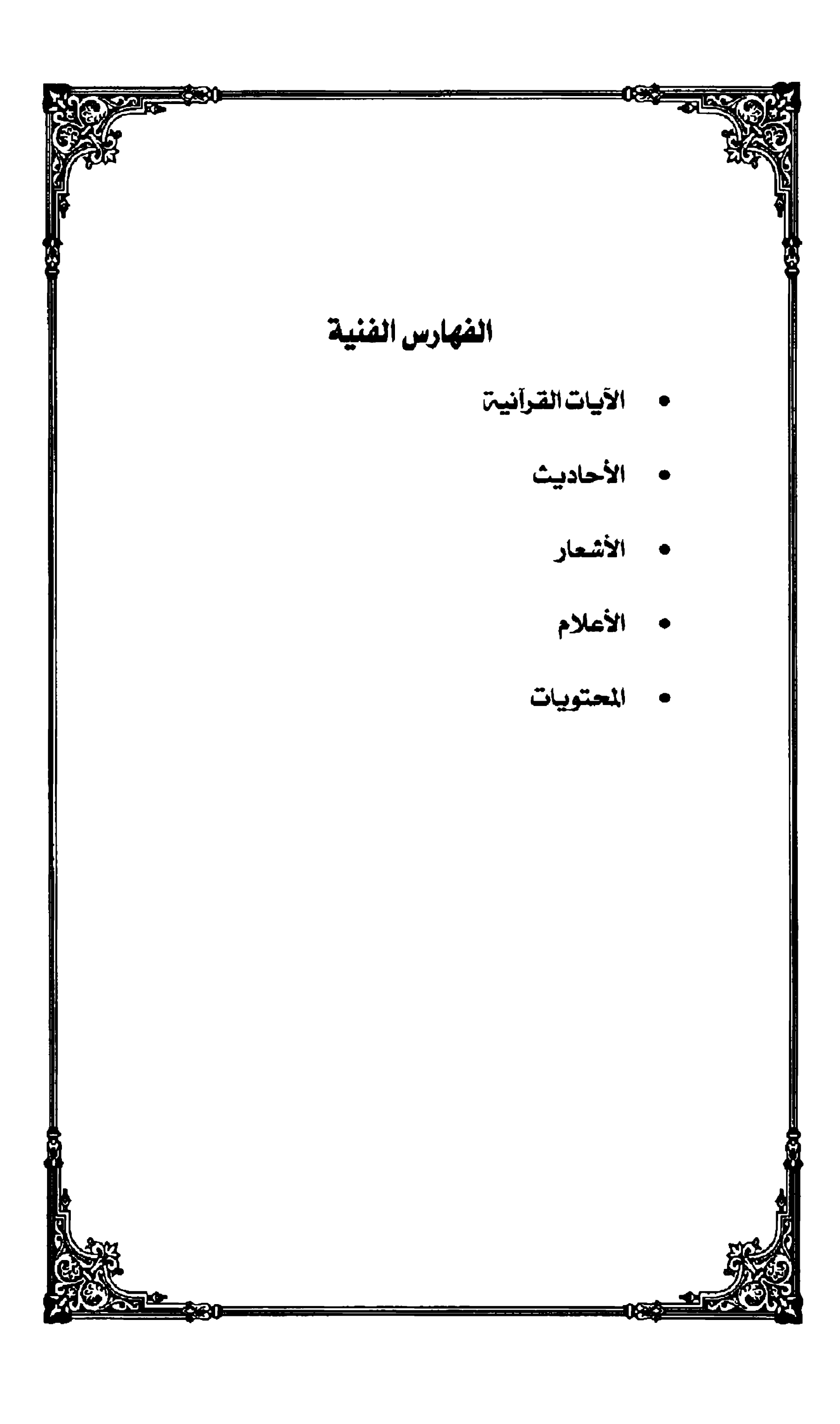
وممّا يوضح ذلك: أنه عليه السلام إلى آخر قطرة أُريقت من دمه لم يبدأهم بما يوجب عليهم الدفاع، ويُلْجِئهم إلى الكفاح، بل أظهر لهم أنه متى أخلَوا له السبيل لحق بشعاب الجبال، ممَّا هو خارج عن ملك يزيد، بل عن الحدود الإسلامية، ومؤامرته في ذلك مع عمر بن سعد في كربلاء معروفة مذكورة في كتب السير والتواريخ، فانكشف الغطاء عن عيون المسلمين دفعة واحدة بعد قتل الحسين عليه السلام، وأذعنوا أنَّ بني هاشم أحقُّ بالرئاسة الدينيّة لظهور آثار الروحانية، وظهر للعالم الإسلامي روحانية جديدة، وما انقضت الأيام والليالي حَتَّى انتزعت السلطنة من تلك الطائفة، وبأقل من قرن واحد أُزيلت السلطنة من بني أُميَّة بالكلّية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[(١)].

تمَّ الجزء الأول من (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم) ويتلوه الجزء الثاني[(٢)].

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧، هذا وقد كتب الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء قدس سره عن هذا الموضوع ما أتحف به الأمَّة الإسلامية جمعاء برسالته المسماة: (نبذة من السياسة الحسينية) ، فلتراجع.

(٢) والحمد لله ربّ العالمين على إتمام تحقيق هذا الجزء من الكتاب على يد أفقر العباد إليه أحمد علي مجيد الحلّي النجفي، النجف الأشرف.



الفهارس الفنية

- الآيات القرآنية
- الأحاديث
- الأشعار
- الأعلام
- المحتويات

الآيات القرآنية

الأحاديث

الأشعار

الأعلام

المحتويات